



خارطة العراق
المقياس ١: ٣٫٠٠٠٫٠٠٠
كيلومتر
كيلومتر
الجمهورية التركية
لواء الموصل
٢٩٥٦٨
لواء اربيل
لواء السليمانية
٩٥٤٣
كركوك
بادية الجزيرة
٣١٢٢٦
البادية الشمالية
١٠١٣٣٩
البادية الجنوبية
٧٦١١٤
لواء الديوانية
لواء العمارة
١٨٣٧٧
لواء البصرة
١٣٢٩٥
البصرة
الكويت
الكويت
سوق الشيوخ
صفوان
منطقة الحياد



قديماً وحديثاً

في طبعته الثالثة المنقحة

يتألف هذا الكتاب من قسمين كبيرين : يبحث القسم الاول في « موجز جغرافية العراق »
و « مجمل تاريخ العراق » وفي سكانه وجباله ومعادنه وريّه وآثاره
ويشرح القسم الثاني المدن العراقية ؛ كبيرها وصغيرها ، وتعليل
اسمائها باختلاف الروايات والآراء، ويتكلم على اوضاعها
الادارية والاقتصادية والاجتماعية

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

مطبعة العرفان — صيدا

١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨م

ثبت بأهم المصادر

ـ التي ورد ذكرها في صلب الكتاب وفي هوامشه ، عدا المجلات والكتب المخطوطة ـ

أولا ـ المصادر القديمة

١ ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ (ليدن ١٨٦٦م)
٢ ـ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (باريس١٩٢٦)
٣ ـ ابن جبير : رحلة ابن جبير الاندلسي (١٩٠٨)
٤ ـ ابن الجوزي : مناقب بغداد (بغداد ١٩٢٤)
٥ ـ ابن خلّكان : وفيات الاعيان (القاهرة ١٣١٠هـ)
٦ ـ ابن رسته : الأعلاق النفيسة (ليدن ١٨٩٢)
٧ ـ ابن طاووس : فرحة الغريّ (الطبعة الهندية)
٨ ـ ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية (القاهرة ١٩٢٧)
٩ ـ ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع (ليدن ١٨٥٢)
١٠ـ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٨٩٠)
١١ـ ابن النديم : الفهرست (ليبسك ١٨٧١)
١٢ـ ابو الفداء : تقويم البلدان (باريس ١٨٤٠)
١٣ـ ابوالفرج الأصفهاني : الأغاني (طبعة دار الكتب المصرية)
١٤ـ البلاذري : فتوح البلدان (ليدن ١٨٦٦)
١٥ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (القاهرة ١٩٣١)
١٦ـ الدميري : حياة الحيوان الكبرى (الطبعة الأزهرية في القاهرة)
١٧ـ الدينوري : الأخبار الطوال (القاهرة ١٣٣٠هـ)
١٨ـ الشريشي : شرح المقامات الحريرية (القاهرة ١٣١٤هـ)
١٩ـ الطبري : تاريخ الأمم والملوك (الطبعة الحسينية في القاهرة)
٢٠ـ العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (حيدر آباد ١٣٤٨هـ)
٢١ـ المسعودي : مروج الذهب (طبعة دار الرجاء في القاهرة)
٢٢ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن ١٩٠٦)
٢٣ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان (القاهرة ١٩٠٦)
٢٤ـ ياقوت الحموي : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً (غوتنجن ١٨٤٦)
٢٥ـ اليعقوبي : البلدان (ليدن ١٨٩٢)

ثانياً — المصادر الحديثة

١ — احمد تيمور : اليزيدية ومنشأ نحلتهم (القاهرة ١٩٢٩)
٢ — احمد سوسه : تطور الري في العراق (بغداد ١٩٤٦)
٣ — ارنست داوسن : حقوق التصرف بالأراضي والمسائل المتعلقة بذلك (بغداد١٩٣٢)
٤ — دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)
٥ — ذبيح الله : مآثرالكبراء في تاريخ سامراء (النجف ١٣٦٥ﻫ)
٦ — سعيد حماده : النظام الاقتصادي في العراق (بيروت ١٩٣٨)
٧ — سليمان صائغ : تاريخ الموصل (٣ اجزاء)
٨ — طه الهاشمي : مفصل جغرافية العراق (بغداد ١٩٣٠)
٩ — عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين (٨ اجزاء)
١٠— عبد الرزاق الحسني : موجز تاريخ البلدان العراقية (صيدا ١٩٣٣)
١١— عبد الفتاح ابراهيم : على طريق الهند (بغداد ١٩٣٥)
١٢— عبد المطلب الأمين : مبادىء السوق وجغرافية العراق العسكرية (بغداد ١٩٤٦)
١٣— علي الشرقي : ذكرى السعدون (بغداد ١٩٢٩)
١٤— متى عقراوي : العراق الحديث (بغداد ١٩٣٦)
١٥— محمد امين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (القاهرة ١٩٣٩)
١٦— محمد حسين هيكل : حياة محمد (القاهرة ١٣٥٨ﻫ)
١٧— محمد السماوي : وشائج السراء في شأن سامراء (النجف ١٣٦٠ﻫ)
١٨— محمود شكري الآلوسي : تاريخ مساجد بغداد وآثارها (بغداد ١٣٤٦ﻫ)
١٩— هبة الدين الحسيني : نهضة الحسين (بغداد ١٣٤٥ﻫ)
٢٠— يوسف غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق (بغداد ١٩٢٤)
٢١— يوسف كركوش : مختصر تاريخ الحلة (صيدا ١٩٣٥)
٢٢— يوسف يزبك : النفط مستعبد الشعوب (بيروت ١٩٣٤)

ثالثاً — المصادر الأجنبية

1- S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq (Oxford, 1925)
2- Budge, By Nile and Tigris (London 1920)
3- R. Coke, The Heart of The Middle East (London 1925)
4- M. C. Ionides, The Régime of the Rivers Euphrates & Tigris (1937).

مقدمة الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »

احتلت الجيوش البريطانية العراق خلال الحرب العالمية الأولى، ولما اصبحت على مسافة قصيرة من الموصل اعلنت «هدنة مندوس» فكان لابدّ من وقف القتال وإشغال تلك القوات «ولاية الموصل» إشغالا عسكريا. فلما وزعت اسلاب الحرب وغنائمها ما بين الحلفاء المنتصرين كانت هذه الولاية موضوع خلاف بين بريطانية وتركية : أتبقى للعراق جزءاً لايتجزأ منه أم تلحق بتركية بحجة ان الحلفاء لم يدخلوها حرباً وإنما شغلوها حسب احكام الهدنة المذكورة؟ وتولّت «عصبة الأمم» فض هذا الخلاف فأوفدت لجنة خاصة وصلت الى بغداد في اواخر عام ١٩٢٤م للتحقق من رغائب السكان انفسهم ، فرغب إليّ رئيس الوزراء ، المغفور له ياسين الهاشمي ، ان اجوس خلال المنطقة الشمالية مع اللجنة الأممية ، وان اعمل على ما فيه خدمة الوطن على ان اتظاهر بالتجوال لأغراض صحفية ، فكانت اسفار في الشمال ، اعقبها تجوال في الجنوب والوسط كتبت خلالها ابحاثا مختلفة عن العراق ومدنه وآثاره نشرتها حينذاك في كتيب أسميته « رحلة في العراق » وطبعته ثلاث طبعات . فلما كانت سنة ١٩٢٧م رأت مجلة « لغة العرب » ان انشر فيها ابحاثا عن « الألوية العراقية » فلبيت رغبتها فكانت ابحاثا مغرية حملت احد معارفي على جمعها في كتاب اسماه «موجز تاريخ البلدان العراقية » فطبع طبعتين .

وشاءت الظروف ان اكون في عداد من اعتقل في حوادث الشهرين : نيسان ومايس ١٩٤١م فلبثت في المعتقلات اكثر من اربع سنوات تعرفت خلالها بلفيف من الشباب المثقف في مختلف الانحاء العراقية ، وقد ساقه القدر إلى هذه المعتقلات ايضاً ، فكانت فرصة مكنتني من الاستعانة ببعضهم في تهذيب فصول الموجز المذكور تهذيبا عاما ، وتشذيب مباحثه تشذيبا كاملا حتى خرجت منه وانا امام كتاب جديد في وضعه واسلوبه ، جديد في تحقيقه وطراز كتابته، جديد في كل فصل من فصوله ، فلم أر من الادب العلمي ان اتركه على اسمه، فأبدلته في طبعته الجديدة باسم « العراق قديماً وحديثاً » بعد ان اضفت اليه القسم الأول الذي استغرق ثلث صفحات هذه الطبعة .

واني لاشكر العلامة الاستاذ محمد بهجة الاثري على المساعدات القيمة التي اسداها إلي في تشذيب معظم فصول هذا المؤلف ، كما اشكر الاستاذ كوركيس عواد على المعونة التي بذلها في مراجعة النقول وتهذيب مباحث الكتاب كافة ومن الله تعالى ارجو كل توفيق وتسديد

الكرادة الشرقية — بغداد سلخ المحرم ١٣٦٧ السيد عبد الرزاق الحسني

القسم الاول

١ ــ موجز جغرافية العراق
٢ ــ مجمل تاريخ العراق
٣ ــ سكان العراق : القوميات والأديان
٤ ــ جبال العراق ومعادنه
٥ ــ ري العراق
٦ ــ آثار العراق

موجز جغرافية العراق

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي ١٣٣/٦ ما نصه :

«وقال قطرب : إنما سمي العراق عراقاً لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر ... وقال الخليل : العراق شاطىء البحر وسمي العراق عراقاً لأنه على شاطىء دجلةو الفرات مداً حتى يتصل بالبحر على طوله ... وقال الأصمعي : هو معرّب عن ايران شهر وفيه بعدٌ عن لفظه وان كانت العرب قد تتغلغل في التعريب بما هو مثل ذلك ... وقال شمر قال ابو عمرو سميت العراق عراقا لقربها من البحر . قال : وأهل الحجاز يسمون ما كان قريباً من البحر عراقاً وقال حمزة : الساحل بالفارسية اسمه إيراه الملك ولذلك سموكورة ازدشير خرّة من ارض فارس إيراهستان لقربها من البحر فعربت العرب لفظ إيراه بإلحاق القاف فقالوا إيراق . وقال حمزة في الموازنة وواسطة مملكة الفرس العراق ، والعراق تعريب ايراف بالفاء ومعناه مغيض الماء وحدور المياه وذلك ان دجلة والفرات وتامرا تنصب من نواحي ارمينية وبند من بنود الروم الى ارض العراق وبها يقر قرارها فتسقي بقاعها »

وفي تاج العروس في مادة ع ر ق ٩/٧ ما نصه :

والعرق بضمتين جمع عراق بالكسر ؛ لشاطىء البحر على طوله نقله الليث وهوككتاب وكتب . قال : وبه سمي العراق عراقاً ... والعراق شاطىء الماء او شاطىء البحر خاصة . زاد الليث طولا اي على طول البحر ... قال ابو زيد : كل ما اتصل بالبحر من مرعى فهو العراق ... لأن العراق بين الريف والبر او لأنه على عراق دجلة والفرات اي شاطئها او هي — اي العراق — معربة ايران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر فعربت فقيل عراق . هكذا نقلوه وعندي في معناه نظر .وقال الأزهري : قال ابو الهيثم : زعم الأصمعي انتسميتهم العراق اسم اعجمي معرب انما هو ايران شهر فأعربته العرب فقالت «عراق» انتهى المقصود

* * *

وللمستشرق الألماني الشهير « هرتسفلد » رأي في اصل كلمة العراق ومعناه نشره في مجلة « لغة العرب ٤٤١/٤ » خلاصته :

إن العراق معرب لفظ ايراك الايراني ومعناه البلاد السفلى او الجنوب ، وكانت انحاء واسط الى خليج البصرة تابعة الى هذا القسم من ديار الدولة الساسانية . وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي ، وتاريخ حمزة الاصفهاني ايران : العراق ، ولا جرم انها غلط والصواب ايراك — بالكاف الفارسية — ولكنهم لم يعرفوا معنى ايراك وألفوا لفظة إيران فصفحوا إيراك

بإيران كما ان ابدال الهمزة من العين امر شائع . وجاء في نص الافيستا كلمة إيرانستان وهو اسم كورة واقعة بين فيروز آباد وخليج البصرة وكان يجب ان تقرأ ايراكستان — بالكاف الفارسية — وما ايراكستان إلا العراق

* * *

يقع العراق في الجزء الشمالي الشرقي لجزيرة العرب ، ويعـــدّه الجغرافيون جزءاً من الجزيرة العربية لتشابه الوضع والبيئة فيهما ، وعدم وجود فواصل طبيعية تفصل بينهما ، وهو يكوّن الجناح الشرقي للهلال الخصيب (١) . تحده تركية شمالا ، وإيران شرقاً ، وسوريا غرباً ، ونجد وخليج البصرة جنوباً ، وتبلغ مساحته ١٤٣,٢٥٠ ميلا مربعاً او ٤٤٦,٧١٣ كيلومتراً مربعاً، فهو اوسع من نصف تركية واصغر من إيران بثلاث مرات ونصف واكبر من سورية اكثر من مرتين ، ويتجاوز عدد سكانه سبعة ملايين نسمة ، إذ لم يجر حتى الآن إحصاء شامل يوثق به لعدد السكان في البلاد (٢) ويقع في ملتقى القارات الثـــلاث آسية واوربة وإفريقية فهو الجسر الذي تمر عليه تجاراتها

والعراق قسمان : جبلي وسهلي ، ويؤلف جبليه ثمن مساحته ، حيث تكثر فيه الطرق المنيعة ، والوديان الضيقة ، والانهار السريعة الجري . ويؤلف سهليه سبعة أثمانه الاخرى ، ويعتبر أحسن البقاع للمحطات الجوية ، وذلك لوقوعه على الطريق القصيرة التي تربط دول اوربة الغربية ببلاد الهند العظيمة ، ولهذا يتوقع الاختصاصيون أن تزداد خطورة العراق العسكرية كلما شاع استعمال الطائرات وتقدم فن الطيران

أما مناخه فقارّي، أي انه قارس البرودة في الشتاء ، ولا سيما في الشمال ، لافح الحرارة في الصيف ، ولا سيما في الجنوب ، فيستعين سكانه على البرد بالوقود ، وعلى الحر بالمراوح الكهربائية واليدوية وبالسراديب . أمـــا في الحواضر الكبرى فقد شرع الموسرون

«١» الهلال الخصيب اصطلاح اطلقه الدكتور بريستد على وادي الرافدين وسورية وفلسطين وشرق الاردن

«٢» جرى احصاء عام لنفوس العراق في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٧م فظهر بنتيجته ان نفوس العراق في هذا التاريخ كانت ٤,٨١٦,١٨٥ نسمة منها ٢,٢٥٧,٣٤٥ من الذكور و ٢,٢٥٨,٨٤٠ من الاناث ويدخل في ضمن ذلك ٢٥٠,٠٠٠ نسمة للقبائل البدوية الرحالة التي قدرت نفوسها تقديراً وادخلت ضمن نفوس الوية المنتفق وكربلا والدليم والموصل لمجاورتها البوادي التي تتنقل فيها هذه القبائل . وقد صنف الاحصاء المذكور سكان العراق الى الاصناف الآتية :

سكان الارياف ٦٤ في المئة وهم ٣,١٥٠,٦٦٧ نسمة وسكان المدن ٣١ في المئة وهم ١,٤١٥,٥١٦ نسمة وخمسة في المئة من البدو الذين قدروا تقديراً بمأتي وخمسين الف نسمة

وأجرى احصاء عام ثان للعراق في ١٢ تشرين الاول ١٩٥٧م فظهر بنتيجته ان نفوس العراق في هذا التاريخ ٦,٥٣٨,١٠٩ نسمة منها (٣,٢٩٤,٠٧٣) من الذكور و (٣,٢٤٤,٠٣٦)من الاناث

والمؤسسات التجارية الفخمة في استخدام مكيفات الهواء وفي استعمال المبردات والمسخنات للتغلب على الحر والبرد

ويتألف الشعب العراقي من أقوام مختلفة: عربية وكردية وفارسية وتركية فيؤلف العرب ٧٨ في المئة والكرد ١٧٪ والفرس ٢،٧٥ والترك ٢،٢٥ ويسكن العرب الألوية الجنوبية والغربية بين حدود العراق الغربية وبادية نجد في القسم الجنوبي منه ، وبين نهر دجلة وبادية الشام في القسم الشمالي منه ، ويسكن الكرد في الألوية الشمالية الشرقية بين حـــدود العراق الشرقية وخط وهمي يمتد من زاخو ودهوك وإربل وكركوك وكفري في المنطقة الجبلية. أما الفرس فغالبهم يقيمون في كربلا والنجف والكاظمية وقليل منهم يقيم في سامراء لمجاورة الأئمة الراقدين فيها والباقون في بغداد وفي سائر البلدان العراقية الرئيسية وأما الترك فهم في الساحة الضيقة التي تفصل المنطقة الكردية من المنطقة العربية بوجه عام ، وتبدأ هذه الساحة الضيقة من «تل أعفر» وتمر من «إربل» و «التون كوبري» و «كركوك» و «خانقين» وتنتهي بجوار «مندلي» على أن من العرب من يقطن المناطق الكردية والفارسية والتركية، كما أن من الكرد والفرس والترك من يقطن المنطقة العربية أو أية منطقة اخرى من المناطق التي مر ذكرها.

وقد توطن العراق في غضون الحرب العالمية الاولى «حرب ١٩١٤—١٩١٨م» عنصران جديدان وهما : الأرمن الذين أجلاهم الترك عن بلادهم ، والآشوريون النساطرة الذين هاجروا من جبال حكاري واورمية بحكم الظروف السياسية التي حاقت بهم ولكنهما أقلية ضئيلة .

وفي العراق ديانات متباينة : إسلامية وإسرائيلية ومسيحية . والاسلامية هي الاغلبية الساحقة وفيه أقليات مختلفة كاليزيدية والصابئة والبهائية ، وتشيع فيه لغات عديدة فيتكلم العرب بالعربية ، والكرد بالكردية ، والفرس بالايرانية ، والترك بالتورانية . وهناك لغات اخرى تستعمل في المعابد كالآرامية ، والعبرية ، والسريانية ، ولكن جميع هـــذه الاقوام والديانات والاقليات واللغات تذوب في بوتقة الوحدة العراقية . أما دين الدولة الرسمي فالاسلام ، ولغتها القانونية فالعربية ، ويستظل في هذه الوحدة أصغر العناصر واكبرها على حد سواء ، ولهذا ترى القانون الاساسي العراقي كفل في مادته الثالثة عشرة حرية الوجدان والعقيدة والشعور لجميع السكان دون تمييز ولا تفريق ، فيقوم الجامع على مقربة من الكنيسة والمعبد ، ويمتزج صوت المؤذن بالناقوس والتسبيح بالترتيل .

وفي العراق نهران عظيمان من أشهر أنهار العالم . وهما لايجريان في أودية سحيقة، كما تجري أنهار الدنيا ، وانما يجريان فوق نجد من الارض ، وهذان النهران هما : نهر دجلة ، الذي يبلغ طوله ١٨٠٠ كيلومتر ، ونهر الفرات ، الذي يبلغ طوله ٢٣٥٠ كيلومتراً ، الى انهار

عديدة أخرى صغيرة ، وروافد كثيرة لا تحصى وهذه كلها حقاً بمثابة الشرايين بالقياس إلى العراق ، إذ يتوقف عليها ازدهار العراق وحياته ، وقد بحثنا عنها كلها في بحثنا عن «ري العراق» كما ان فيه بحيرتين كبيرتين هما : بحيرة الحمّار التي تبلغ مساحتها (٢٥٠٠) كيلومتر مربع ، وتقع في جنوبي العراق بين البصرة والناصرية ، وبحيرة الحبانية التي تبلغ مساحتها (١٤٠) كيلومتراً مربعاً ، وتقع بين الرمادي والفلوجة ، وأهوار كبيرة : كالسنية والخراب والدجيلة وهذه يتصل بعضها ببعض ، وهي واقعة بين قضاء الحيّ وعلي الغربي والعمارة على الجهة اليمنى من دجلة ، وهور الحويزة في شرقي قصبة العمارة ، بينها وبين القرنة ، وهور أبو قلام بين دجلة والفرات في شمالي القرنة ، وهو جزء من هور زجري الذي يصل دجلة بالفرات في منطقة العزير وقلعة صالح ، وهور السناف في غربي ناحية المدينه «بالتصغير كجهينة» وهور النجف في غربي مدينة النجف ، وهور عفك بين عفك والديوانية ، وهور أبودبس بين كربــلا وشفاثي (كحبالي) ، وهو يتصل بنهر الحسينية ، وهور ابن نجم ويسمى هور الشامية ، وهور الشنافية ، وقد جف (هور النجف) منذ مدة واصبح اسماً لمسمى .

والعراق قطر زراعي مشهور بخصب التربة منذ أقدم ازمنة التاريخ فهو ينتج الغلات على أنواعها بكميات كبيرة ، ويعني بتربية الماشية عناية فائقة فيصدّر منها أعداداً هائلة في كل سنة أما النخل فيه فإنه يعد من ثرواته الرئيسية حتى ليقال إن نخل العراق يساوي ثلاثة ارباع نخل العالم .

وللعراق سكك حديدية هي ملك الحكومة العراقية ، ليس لغيرها حق شرعي فيها ، وتتألف هذه السكك من ثلاثة خطوط رئيسية وهي :

١ ــ الخط الممتد بين بغداد والبصرة ، وقد انشأه الجيش البريطاني في الحرب العالمية الاولى وهو يمر ــ بعد أن يترك بغداد ــ بالمحمودية فالمسيب فالحلة المزيدية فالهاشمية على ضفة الفرات اليسرى وبالديوانية فبالرميثة فالسماوه فخرائب أور على الضفة اليمنى للفرات ، عابراً عدة جسور حديدية وقناطر حجرية حتى يصل الى المعقل بجوار مدينة البصرة وطوله ٥٦٩ كيلومتراً ويتفرع من هذا الخط فرعان : يبدأ الاول من مفرق سدة الهندية وينتهي الى مدينة كربلا وطوله ٣٨ كيلومتراً ، والآخر من مفرق اور إلى ناصرية المنتفك وطوله ١٦ كيلومتراً

٢ ــ الخط الممتد بين بغداد واربل ، وقد شرع الجيش البريطاني في مد القسم الاكبر منه في أثناء الاحتلال الاول ثم أتمته الحكومة العراقية . وهو بعد أن يترك بغداد يمر ببعقوبا على الضفة اليمنى من ديالى ، وبشهربان وقره غان على ضفته اليسرى ، وبكفري ، ثم طوزخرماتو فبشير على الاراضي الواقعة بين النهرين (ديالى والعظيم) ، عابراً جسرين حديديين في بعقوبا

وقره غان «جلولاء» وعدة قناطر حجرية فيما عدا ذلك حتى يصل كركوك في الكيلومتر (٣٢٢) ثم يتابع سفره فيمر ببيوك حصار ، وآلتون كوبري حتى يصل إلى مدينة اربل فيبلغ طوله ٤٢٧ كيلومتراً ، ويتفرع من هذا الخط فرع يبتدىء من قرهغان وينتهي إلى خانقين وطوله ٢٨ كيلومتراً .

٣ ـ الخط الممتد بين بغداد والموصل ، وهو جزء من مشروع سكة حديد بغداد التي تصل مدينة البصرة بحيدر باشا ، وقد شرع الالمان في مده عام ١٩١٠م . فأتموا القسم الممتد بين بغداد وسامراء سنة ١٩١٤ . فلما احتل الجيش البريطاني بغداد للمرة الاولى عام ١٩١٧م أتم مده إلى (قلعة الشرقاط) فلما انتقلت ملكية السكك الحديدية في العراق الى الحكومة العراقية عام ١٩٣٥م أتمت مده الى (الموصل) حيث اتصل بقطار الشرق السريع في (تل كجك) وهو يمتد على ضفة دجلة اليمنى ، وبعد أن يخرج من بغداد يمر بالدجيل ، فبلد ، فسامراء ، فتكريت ، فالشرقاط ، حتى يصل الى مدينة الموصل فيكون طوله بين هاتين الحاضرتين (٤١١) كيلومتراً ويتابع السيرحتى يبلغ طوله في حدود تل كجك (٥٢٩) كيلومتراً وهذا الخط من الخطوط العريضة اذ يبلغ عرضه اربعة اقدام وثمانية انشات ونصف انش ، على حين ان عرض الخطين الآخرين وفروعهما ثلاثة أقدام وثلاثة انشات ونصف إنش .

أما الطرق البرية الصالحة لسير السيارات والعجلات في العراق فتكاد تنحصر في الخطوط الرئيسية التالية :

١ ـ طريق بغداد ـ الكوت ـ العمارة ـ البصرة : وهي تسير موازية لنهر دجلة وطولها ٥٨٢ كيلومتراً ووجهتها العامة الى الجنوب ،

٢ ـ طريق بغداد ـ كركوك ـ اربل ـ الموصل : وطولها ٤٦٥ كيلومتراً ووجهتها الشمال الشرقي فالشمال الغربي .

٣ ـ طريق بغداد ـ سامراء ـ تكريت ـ الموصل : وطولها ٤٣٣ كيلومتراً ، وهي تسلك ضفة دجلة اليمنى ووجهتها الشمال .

٤ ـ طريق بغداد ـ النجف ـ حائل ـ المدينة المنورة : وطولها ١٣٠٩ كيلومترات ووجهتها الجنوب الشرقي .

٥ ـ طريق بغداد ـ الرمادي ـ الرطبة ـ دمشق الشام : وطولها ٨٦٥ كيلومتراً ، وهي تمر بمنطقة صحراوية خالية لا نبت فيها ولا ماء ، ووجهتها الغرب .

٦ ـ طريق بغداد ـ بعقوبه ـ خانقين ـ كرمنشاه ـ همدان ـ طهران : وطولها الف كيلومتر ، ووجهتها الى الشمال الشرقي فالشرق .

وهنالك الى جانب هذه الطرق الرئيسية ، طرق فرعية لا تدخل تحت حصر وهي تصل المدن والقصبات فالقرى بعضها ببعض . وتنقسم هذه الطرق الى قسمين : بعضها معبد ومزفت ، وبعضها تكثر فيه الحفر والاخاديد ، ولكنها كلها صالحة للسير ، وربما تناولتها يد الاصلاح قريباً .

وأما الطرق النهرية الصالحة للملاحة فتكاد تنحصر في خط رئيسي واحد هو طريق بغداد ــ الكوت ــ العمارة ــ البصرة حيث تمخر البواخر والزوارق في دجلة على الدوام وطولها ٨٠٥ كيلومترات . أما الطريق النهري بين بغداد والموصل فلا يسع غير الأكلاك أن تقطعها ولا سيما في أيام نقصان المياه في دجلة . على أن في إمكان الزوارق والبواخر الصغيرة أن تجري في بعض اقسام الفرات ولا سيما في أيام الفيضانات .

وفيما يلي المحطات الرئيسية التي تمر بها القطر العراقية في الوقت الحاضر وهي :

١ــ خط بغداد ــ البصرة ويمر بهذه المحطات الرئيسية .

بغداد ــ المحمودية ٣٣ كيلومتراً	بغداد ــ السماوه ٢٨٠ كيلومتراً
بغداد ــ المسيب ٦٩ كيلومتراً	بغداد ــ مفرق اور ٣٧١ كيلومتراً
بغداد ــ الحلة ١٠٧ كيلومترات	بغداد ــ الغبيشية ٤٨٨ كيلومتراً
بغداد ــ الهاشمية ١٣٢ كيلومتراً	بغداد ــ المعقل ٥٦٩ كيلومتراً
بغداد ــ الديوانية ١٩٢ كيلومتراً	مفرق اور ــ الناصرية ١٦ كيلومتراً

٢ ــ خط بغداد إربل . ويمر بهذه المحطات الكبرى :

بغداد ــ بعقوبا ٥٩ كيلومتراً	بغداد ــ كركوك ٣٢٢ كيلومتراً
بغداد ــ شهربان ١٠١ كيلومتر	بغداد ــ اربل ٤٢٧ كيلومتراً
بغداد ــ السعدية ١٣٨ كيلومتراً	مفرق جلولاء ــ خانقين ٢٨ كيلومتراً

٣ ــ خط بغداد ــ الموصل . ويمر بهذه المحطات المهمة :

بغداد ــ بلد ٧٩ كيلومتراً	بغداد ــ الشوره ٣٦٥ كيلومتراً
بغداد ــ سامراء ١١٩ كيلومتراً	بغداد ــ الموصل ٤١١ كيلومتراً
بغداد ــ تكريت ١٧١ كيلومتراً	بغداد ــ تل كجك ٥٢٩ كيلومتراً

مجمل تاريخ العراق

توطئة

اشتهر العراق منذ آلاف السنين بموقعه الجغرافي الممتاز ، ومقـــامه السياسي الرفيع . وبتربته الخصبة وأرضه الغرينية حتى قال فيه (هيرودتس في تاريخـــه الشهير ٩٩/١ من الترجمة العربية) :

«وتنمو عندهم الزروع جداً حتى لا تضاهيها ارض مخصبة بكل أقطار العالم، فإن الحبوب تعطي مثتي ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف . وتعوض عن العنب والزيتون والتين التي لا تصح زراعتها بتلك التربة بعكس الحبوب ، وورق الشعير بعرض أربع أصابع أما الذرة والسمسم فلا اذكر عظم خصبهما ونموّ جذوعها لانني اعلم يقيناً ان كل من لايعرف تلك الاقطار لا يصدقني ، ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرهما » ــ انتهى المقصود ــ

وقامت دولة العراق القديمة في الارض التي تكونت من غِريَن دجلة والفرات ، وقد سماها اليونانيون « ميسوبوتاميا » وورد ذكرها في التوراة باسم شنعار . وهي لم تكن قبل عام ٥٠٠٠ ق.م كما هي اليوم من حيث الوضع الجغرافي ، لأن مياه الخليج العربي كانت تغمر يومئذ مدن المحمرة والبصرة والقرنة وغيرها من البلدان والاصقاع ، كما ان نهري دجلة والفرات العظيمين كانا يصبان في الخليج المذكور مباشرة دون أن يلتقيا .

الشومريون والاكديون

٤٥٠٠ ق.م ــ ٢٣٠٠ ق.م

سكن الشعب الشومري القسم الاسفل من ارض شنعار فدعيت المنطقة التي سكنهـــا «شومر» ثم استولى على عدد من المدن المجاورة فأصبح الحاكم المطلق على ذلك القسم من السهل الخصيب . ولا يزال أصل الشومريين موضوع خلاف بين المؤرخين فهم ليسوا من الساميين ، وليست لهم أية صلة بالقبائل السامية التي كانت تنزل بادية العراق ، إلا أنهم كانوا اقوياء أشداء لا ينامون على ضيم ولا يعرف الكسل محلا له في نفوسهم .

وبينما كان الشومريون يتمتعون باستقلالهم وهم آمنون من طوارىء الحدثان ، يشيدون مدنهم الكبرى في جنوبي العراق : كأور ، وأرك ، وأريدو ، ولاجش وغيرها ، ويحفرون الترع ويمهدون طرق الزراعة؛ كانت القبائل السامية الرحالة تحتل البلاد المعروفة بأكد الواقعة في الشمال من شومر وتقيم فيها مدنا كبيرة ايضاً : كبورسيبا ، وكيش، ونفَّر، وإجادة وغيرها

فأصبح يتجاور في سهل شنعار شعبان متنافران ، وكان من الطبيعي أن تشتدالخصومة بينهما على النفوذ لذلك كانا في قتال مستمر ، كما أن مدن الفريقين كانت في مثل هذا الخصام . فلما دخلت سنة ٢٧٥٠ ق.م . ظهر في «أكد» زعيم يدعى «سرجون» ابتسم له الدهر فشن عدة غارات على الشومريين حتى قضى على سلطانهم ونفوذهم ، وجعل سهل شنعار برمته تحت سلطانه ، وما لبثت فتوحاته حتى امتدت الى البحر المتوسط ومنه الى آسية الصغرى .

وأخلد الاكديون بعد هذا الانتصار العظيم إلى الدعة والنعيم حتى ضعفت قواهم،فاهتبل الشومريون ناحية هذا الضعف فيهم، فثاروا عليهم واستعادوا استقلالهم، فما كان من الاكديين إلا أن خضعوا للأمر الواقع، ورأوا من حسن السياسة أن يوحدوا الشعبين: الاكدي والشومري تحت سلطان واحد ؛ وهكذا تأسست مملكة «أكد وشومر» العظيمة في عام ٢٥٠٠ ق.م. وامتزجت في سهول بابل حياة الشومريين الجبليين بحياة سامي البادية امتزاجاً سياسياً تختفي وراءه احقاد دفينة وذكريات مؤلمة . وقد اشتهر من ملوكها سرجون السامي ونران سن .

العيلاميون والعموريون

٢٣٠٠ ق.م. — ١٨٠٠ ق.م.

كان العيلاميون في بدء أمرهم يسكنون جبال خوزستان وينظرون الى جارتهم « مملكة أكد» بعين الحسد والطمع في آن واحد ، فلما آنسوا في نفوسهم القدرة على الغزو حملوا عليها بشدة ، وبعد قتال سالت الدماء فيه أنهاراً استولوا عليها ودخلوا عاصمتها «أور» وقادوا الملك الشومري أسيراً الى عاصمتهم شوش «سشتر» وذلك في عام ٢٣٢٠ ق.م ثم استولوا على ما تبقى من مملكة «أور» قسماً بعد قسم .

وبينما كانت هذه الحوادث تجري في القسم الجنوبي من أرض شنعار ، كانت تجري في قسمها الشمالي حوادث اخرى ، فان العموريين ، احدى القبائل السامية ، التي كانت بجوار البحر المتوسط منذ اقدم العهود ، اخذت تهبط ستي الفرات وتتبسط في تقدمها حتى بلغت « بابل » وكانت يومئذ صغيرة جداً فاتخذتها قاعدة لها حوالي عام ٢٢٠٠ ق.م. ثم أخذت تناوىء من جاورها من مملكة «أكد وشومر» حتى استولت على ملكهم ، وأسست مملكة عظيمة دعيت بالمملكة البابلية .

البابليون

١٨٠٠ ق.م — ١٣٠٠ ق.م

كان من المتوقع أن يتطاحن البابليون «العموريون» والعيلاميون على السيادة والنفوذ وأن تدور بين الفريقين حروب طاحنة ، وهكذا كان فقد ظلت المعارك سجالا مدة من

الزمن حتى اذا اعتلى اريكة الحكم البابلي حمورابي ، سادس ملوك الدولة البابلية ، حمل على العيلاميين وجدّ في مطاردتهم حتى دخل عاصمتهم «شوش» واخضع لنفوذه جميع بلادهم ، واتخذ بابل عاصمة لملكه عام ٢١٠٠ ق.م. بعد أن عمرها ووسعها وجعلها احدوثة زمانه حتى دعيت البلاد كلها باسمها ،

وعاش الملك حمورابي موفور الكرامة زمناً طويلا ، وعمر في الملك زهاء (٤٣) عاماً . وكان اعظم ملك عرفه تاريخ تلك الحقب . فهو الذي وحد الشرائع ونظمها ، وهذب القوانين وشرّعها ، وشيد المعابد واسس المدارس، وحفر الانهر وشق الترع ، وقام بأعمال خلّدت ذكره في بطون التاريخ. فلما انشبت المنية فيه اظفارها ، اخذ شأن البابليين يتضاءل، وقواهم تهن وتضعف ، حتى انقرضت سلالته في عهد احد احفاده « شمشودتانا » بعد أن حكمت (١٥٥) عاماً فقد هجم الحثيون على سهل شنعار ، وأوقعوا فيه نهباً وسلباً ، وخربوا القناطر والترع ، وقوضوا المدارس والمعابد ... الخ .

والحثيون ليسوا من جنس سامي بل هم هاجروا في آخر عهد من بلادالاناضول فسلكوا وادي الفرات واستولوا على بابل ومكثوا فيها زهاء قرن واحد، ثم انسحبوا الى المحل الذي أتوا منه. وكان بينهم قوم من الآريين يعرف باسم الكوشيين هاجروا الى العراق من الشمال الشرقي وقاموا في اول امرهم بأعمال حقيرة حتى اذا اندمجوا بأهل العراق وقبلوا احضارتهم، وتطبعوا بطباعهم وعاداتهم ، وقوي امرهم، قلبوا لهم ظهر المجن وأسسوا لهم دولة في المحل المسمى عقرقوف «دوركوريكالزو» قام بها (٣٦) ملكاً فحكموا ٥٧٧ عاماً ، وكان العالم المتمدن إذ ذاك تحت سيطرة مملكتين عظيمتين: المملكة الحثية في بلاد الاناضول وشمالي سورية، والمملكة المصرية في وادي النيل وجنوبي سورية ، ولهذا لم يكن للدولة الكوشية في العراق شأن كشأنهما

الاشوريون

١٣٠٠ ق.م — ٦٠٦ ق.م

الاشوريون قوم ساميون نزلوا شمالي العراق حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م . نزول الاكديين بأرض شنعار ، وكانوا على اتصال بالشومريين ، فلما قام في بابل ملوك اشداء مثل سرجون وحمورابي دخلوا تحت حكمهم وتدربوا على القتال في صفوفهم . فلما انطوى بساط هؤلاء الملوك ، كان قد اشتد ساعد الاشوريين فأغاروا على الحثيين وبسطوا نفوذهم على قسم من بلادهم، وفي الوقت نفسه هجموا على «بابل» واستولوا عليها بحجة الاحتفاظ بحدود بلادهم ولم ينتصف القرن الثامن قبل الميلاد حتى كانت اعلامهم تخفق فوق ربوع سورية ومعظم البلاد الفينيقية الواقعة على ساحل البحر المتوسط ، فتوسعت حدود مملكتهم حتى صارت تنتهي ببلاد

ارمينية شمالا ، والخليج العربي جنوباً ، وضفاف البحر غرباً ، وبلاد ماذي شرقاً ، وبلغت مملكة أشور ذروة مجدها على عهد مليكها سرجون الثاني وولده سنحاريب ، ولكن سرعان ما تفشت الثورات الموضعية في البلاد المنضوية تحت رايتها بحيث اصبح اخمادها يتطلب وقف القوات الآشورية كلها عليها ، فأخذ الضعف يتسرب الى المملكة بالتدريج فقلّت بسبب ذلك الأيدي العاملة، وانحطت التجارة والزراعة وكسدت الاسواق وتداعت دعائم العلم والتهذيب .

الكلدانيون

٦٠٦ ق.م — ٥٣٩ ق.م

وفي الوقت التي كانت المملكة الآشورية تتمخض بالاضطرابات الداخلية وتلفظ انفاسها الاخيرة ، كانت قبيلة (كلدو) — احدى القبائل السامية الرحالة — تزحف ببطء نحو سواحل الخليج العربي ، فلما رأت ان القوات الآشورية تكاد تتلاشى ، زحفت نحو سهل بابل فاحتلته وعمرت «بابل» اذ كان سنحاريب هدّمها واجرى المياه عليها، واعادت اليها رونقها وعظمتها واتخذتها قاعدة لبسط نفوذها، ثم هاجمت بقيادة مليكها (نبوبولاصر) آشور نفسها فضعضعتها وأضعفت من نفوذها ، ولم يكتف الملك الكلداني بما فعله بل اتفق مع (كي اخسار) ملك الماذيين وهاجم جيشاهما املاك الآشوريين في شمالي العراق وفي شمالي سورية، فأخذ الماذيون قسمها الشمالي ، واخذ الكلدانيون القسم الجنوبي ، وهكذا انقرضت الانبراطورية الآشورية عام ٦٠٦ ق.م ، وبدأ نجم الدولة الكلدانية يتألق في سماء العراق .

والكلدانيون آخر من تسلط عــلى (بابل) من الساميين واتخذوها عاصمة لهم ، وأسسوا « دولة بابل الجديدة » وقد قام فيهم ملوك عظام أضراب (نبوخذنصر) الذي حكم زهاء اربعين عاماً (٦٠٤ ق.م — ٥٦١ ق.م) وأنزل عقابه الصارم بالدولة المصرية التي أرادت ان تشق عليه عصا الطاعة ، واجلى اليهود ودمر عاصمتهم (اورشليم) على النحو الذي تحفظه التوراة . وفي ايامه قسم البابليون النهار الى ٢٤ ساعة ، والساعة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ٦٠ ثانية ... الخ كما اكتشفوا السنة الشمسية ، والسنة القمرية ، والخسوف والكسوف ، وسائر الظواهر السماوية . ولما بدأت الاحزاب — ولا سيما حزب الكهنة — تتدخل في شؤون المملكة حدث الانقسام العظيم في صفوفها ، وأخذت الاغراض الشخصية تنخر في عظامها فما كان من الماذيين الا ان انقضوا عليها وجعلوها خبراً من الاخبار .

الماذيون والفرس

٥٣٩ ق.م — ٣٣١ ق.م

الماذيون من الشعب الآري الذي سكن البلاد المسماة اليوم اذربيجان ؛ وقد ساهموا مع

الكلدانيين في اقتسام مملكة آشور -كما قدمنا - فكانت صلاتهم مع شركائهم حسنة ، وكانت فارس خاضعة اذ ذاك للماذيين الذين تربطهم والفرس لحمة النسب ، وكان كورش الفارسي طموحاً ، وضع نصب عينيه التخلص من سيطرة الماذيين فثار عليهم واحتل ملكهم وجعل الشعبين : الماذي والفارسي يستظلان تحت راية واحدة ، وأعلن نفسه ملكاً على الدولة التي سماها «دولة الكيانيين» الشهيرة في التاريخ .

وقد اخاف عمل كورش الدول القريبة منه والبعيدة عنه على حد سواء فاتحدت ضده ليديا واسبارطة والكلدان ومصر حتى لا يستضعفها فرادى ويقضي عليها آحاداً،ولكن الدهر كان قد ابتسم للملك الفارسي الجديد ، فحمل على الليديين واكتسح دولتهم عام٥٤٦ ق.م وتبسط في آسية الغربية فضم الى مملكته المستعمرة الاغريقية القائمة على شاطىء آسية الصغرى، ثم حول انظاره نحو الكلدانيين فقوّض ملكهم ، وقضى على نفوذهم عام ٥٣٩ ق.م.

وقتل كورش عام ٥٢٩ ق.م قبل أن يتمكن من مصر فخلفه ابنه قمبز ، وتمكن منها عام ٥٢٤ ق.م ثم خلف قمبزاً (دارا) فسار سيرة من تقدمه في التوسع والسيطرة . وكان العراق مدة ايامه تحت حكم الدولة الفارسية ، التي عرفت بعدئذ بالدولة الكيانية ، يؤدي الأتاوة لها كغيرها من الولايات الخاضعة لها . وكان له حاكم عام يدير دفة الادارة والحرب والسياسة كما كان له مجلس قضائي يسير على ما جاءت به شريعة البلاد ، لان الكيانيين كانوا على دين زرادشت ، وكانت البلاد العراقية على دين آخر ، فلم ير الملك الفارسي أن يحمل اهل العراق على الدخول في الديانة الزرادشتية ، لذلك اقام المجلس المذكور .

اليونانيون

٣٣١ ق.م — ٢٤٧ ق.م

كانت البلاد اليونانية ممالك متفرقة لكل منها ملكها وحكومتها وحضارتها فاعتزم فيليب ملك مقدونيا ووالد الاسكندر الشهير أن يوحدها ويجعلها كتلة واحدة ، يهابها البعيد ويخشاها القريب ، فاستولى على هذه الممالك الواحدة تلو الاخرى ثم اغتالته احـدى العصابات ، فخلفه ابنه اسكندر الكبير ، وكانت خطته ترمي الى فتح جزيرة العرب كلها ، والى جعل العالم تحت زعامة واحدة ، فحرّر آسية الغربية من نـير الفرس ، واخذ يطاردهم حيثما توجهوا ، واشتبك مع (دارا) في معركة اربل عام ٣٣١ ق.م ودمر جيشه .

ثم سار الاسكندر قاصداً (بابل) فدخلها بين هتاف الشعب ومزاميره ، وطارد فلول الجيش المنكسر حتى وجد (دارا) قد قتل بجوار « بلخ » ، وبمقتله انقرضت تلك الدولة الفارسية ، فورثتها الدولة اليونانية ، ووضعت يدها على كل ما كانت تملكه من البلاد والممالك

المفتوحة ومن ضمنها العراق .

ومات الاسكندر الكبير وهو في الثالثة والثلاثين من عمره والثالثة عشرة من حكمه ، ولو فسح له في الاجل عشر سنوات اخرى لتمكن من بلوغ الانقلاب الذي كان يريد احداثه في العالم ، ولمزج بين المدنيتين الشرقية والغربية وكون منهما عالما جديدا . على أنه بفتوحاته الواسعة اكسب اليونانيين تفوقاً في السياسة كانوا قد بلغوا مثله في الحضارة ؛ وقد مات عن أخ معتوه وطفل قبل أن يبصر النور ، فحدثت بين قواده المبرزين «بطليموس وانطيغونس وسلوقس » معارك شديدة على النفوذ استمرت مدة طويلة لم تكن لتخمد نارها قليلا حتى تشب من جديد . وبعد أن قتل انطيغونس ، رضي خلفاؤه بمقدونيا وبلاد اليونان ، وأخذ بطليموس مصر وفلسطين ، وكان نصيب سلوقس معظم ما كان يعرف بمملكة الفرس في آسية ، وكان العراق من ضمنها فألف كل من هؤلاء القادة ، دولة مستقلة ضمن المنطقة التي كانت نصيبه من هذا التقسيم . ومن هنا نشأت الدولة السلوقية في العراق ووضعت لها تاريخاً جديداً مبدؤه عام ٣٣١ ق.م ، وهو العام الذي بدأت فيه حياتها ، فعمرت المدن والممالك المفتوحة ، وأنشأت عـــاصمة لها على الضفة اليمنى من دجلة في الموضع الذي يبعد (٣٠) كيلومتراً عن بغداد جنوبا ، وسمتها « سلوقية » فأضحت هــذه العاصمة تضاهي « بابل » بالثروة والعمران والنفوذ ، وبينما كانت هذه الدولة تحاول تحقيق أهداف الاسكندر الكبير ، عاجلها القدر في عام ٢٤٧ ق.م فقرضها الفرثيون بعد أن كانت سيدة عليهم « وتلك الأيام نداولها بين الناس » صدق الله العظيم .

الفرثيون

٢٤٧ ق.م — ٢٢٦ ب.م

الفرثيون نسبة الى بلاد فرثية المسماة اليوم « خراسان » ، قوم يتصل نسبهم بالإيرانيين خضعوا لحكومات مختلفة كان آخرها الدولة السلوقية التي قامت في العراق عام ٣١١ ق.م على نحو ما بسطناه آنفا ، فلما شعروا بالضعف يتسرب الى صفوف السلوقيين من جراء الحروب التي استمرت بينهم وبين الرومانيين مدة طويلة ، انقضوا عليهم تحت لواء زعيمهم (أرشاق) واستولوا على مخلفاتهم وذلك في عام ١٢٦ ق.م

ولما لم يرق الفرثيين اتخاذ مدينة سلوقية عاصمة لهم ولم تكن (بابل) التي دمرتها الحروب خليقة بأن تكون عاصمتهم ، شادوا مدينة ضخمة جديدة على الضفة اليسرى من دجلة قبالة سلوقية اسموها (طيسفون) المعروفة بالمدائن في ارض طاق كسرى .

وحالف الدهر الفرثيين في بدء امرهم كما حالف الأمم والدول التي تقدمتهم ، فقسموا

مملكتهم إلى دويلات صغيرة ، جعلوا لكل واحدة منها اميراً يحكمها ويخضع للملك الفرثي الجالس على عرش (طيسفون) فأحسن الامراء ادارتها وتنظيمها ، ولكن سرعان ما عبس هذا الدهر في وجوههم ، فان الرومانيين الذين كانوا قد قرضوا الدولة السلوقية في سورية ، صاروا يطمعون في العراق ، فوقعت بينهم وبين الفرثيين معارك دامية ، ودامت الحال على هذا المنوال زمناً طويلا حتى ثار الفرس ثورتهم العظمى في عام ٢٢٤ بعد الميلاد يقودهم اردشير بن بابك فأخضعوا في زمن قصير جميع بلاد فارس ، وتوجهوا الى العراق في عام ٢٢٦م . فـدحروا (اردوان) آخر ملوك الفرثيين في وقعة هرمز في السنة المذكورة ، فانقرضت الدولة الفرثية فيه بعد أن عمّرت (٤٧٣) عاماً وبقي العراق تحت نير الفرس الساسانيين حتى عام ٦٣٦ للميلاد .

الساسانيون

٢٢٦م — ٦٣٦م

ترك الفرثيون الملك للساسانيين فاجتازت البلاد في العهد الجديد خطوات واسعة في مضمار الرقي والتقدم ، وازدهرت فيها اعمال الري ، واقيم ايوان كسرى الذي لا يزال اثرمنه ماثلا للعيان في طيسفون . ومات اردشير سنة ٢٤١م فخلفه ابنه سابور الاول ، فتابع خطط والده في التوسع والاصلاح ، واشتهر بين الملوك الساسانيين : سابور الثاني ٣١٠ — ٣٧٩م وقباذ الاول (٤٨٨—٥٣١م) وكسرى الاول انوشروان (٥٣١—٥٧٩م) وكسرى ابرويز (٥٩٠—٦٢٨م) وفي أيامه حدثت النكبة المعروفة في التاريخ ، فإن الساسانيين كانوا في ابان قوتهم قد اقتطعوا من الدولة الرومانية مدينة انطاكية فوقعت من اجلها بينهم وبين الرومانيين حروب دامية كانت سجالا بين الطرفين ، فلما تسنم عرش القياصرة هرقل جمع فلول جيوشه واغار على غرمائه وراح يطاردهم في عقر دارهم ، ولما اقترب من النهروان اضطربت احوال الساسانيين فخلعوا كسرى ابرويز عام ٦٢٨م ونادوا بابنه شيرويه قباذ الثاني ، ملكاً عليهم ، فما كان من كسرى الجديد الا أن عقد صلحاً مع هرقل على ان تبقى الحدود بين المملكتين على ما كانت عليه من قبل . وظهرت اذ ذاك الدعوة الاسلامية العظمى ، وجمع النبي العربي العظيم شتات العرب بعد أن كانوا متفرقين ، ووحد كلمتهم ، ونفخ فيهم روح الإخاء والتوحيد ، فوضع نواة المملكة العربية الكبرى . وكان ابرويز قد تلقى — وهو في طيسفون في العراق — كتاب النبي ﷺ يدعوه فيه الى الاسلام ، فاستخف بهذه الدعوة اذ لم يدر في خلده ان ينهض العرب من سباتهم وينفضوا عن اذيالهم رمال الذل والخمول ، فكتب الى عامله في اليمن ان يسير لقتاله ، فلما خلعه الفرس وولوا ابنه عليهم ، كانت شؤون الساسانيين تختل إذ ذاك ،

وملوكهم يتساقطون واحداً بعد واحد ، حتى صاروا يدركون خطورة الموقف ، ووقعت وقعة القادسية في عام ١٦ للهجرة و٦٣٦ للميلاد فكانت هذه الواقعة التي ثلت عرشهم في العراق

الخلفاء الراشدون

(١٦هـ — ٦٣٦م) — (٤٠هـ — ٦٦١م)

بدأت حملة العرب المسلمين على العراق عام ١٢ للهجرة و٦٣٣ للميلاد ، وتم لهم النصر فيه عام ١٦هـ (٦٣٦م) في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) ولما شاء القدر الشهادة للخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) في ذي الحجة عام ٣٥ حدثت فتنة بين المسلمين غيرت طور التاريخ الاسلامي وطعنت الوحدة الاسلامية طعنة بالغة الاثر . فإن الوفود جاءت الى الامام علي بن ابي طالب (ع) وطلبت اليه ان يتولى امر المسلمين، فحاول ان يتنصل من هذه المسؤولية العظمى لما رآه من انفتاح ابواب الفتن، ولكنه لم يتمكن من ذلك، فبويع في المدينة عام ٣٥هـ (٦٥٦م) وسار الى العراق فبايعه اهله ، ثم نزل الكوفة سنة ٣٦هـ (٦٥٧م) فاتخذها عاصمة له . واعلن معاوية بن ابي سفيان عامل الخليفة الثالث على الشام العصيان، فاضطر الامام لاعلان الحرب عليه،وسار للقائه بجيش لجب فاشتبكا في صفين غربي مدينة الرقة ، وكادت الدائرة تدور على جيش معاوية لولا الحيلة التي احتالها عمرو بن العاص ، حين امر اصحابه ان يرفعوا المصاحف على رؤوس الحراب ، ويطلبوا حكم الله لحسم هذا الخلاف ؛ ومع تحذير الامام قواد جيشه اتقاء هذه الحيلة ، وإدراكه سوء المنقلب الذي سيصير اليه امر المسلمين ، جرى التحكيم على الصورة التي استنكرها حتى الذين طلبوا التحكيم مبدئيا وانقسموا وادعوا دعوات لم يقرها الامام فاشتغل في حربهم مدة من الزمن فأبادهم الا افراداً منهم فإنهم لجأوا الى الفرار اولئك هم الخوارج. وكانت النتيجة ان اغتيل الامام في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة اربعين للهجرة (٦٦١م) على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وانتهت بموته حكومة الخلفاء الراشدين

الامويون

(٤١هـ — ٦٦٢م) — (١٣٢هـ — ٧٥٠م)

استقل معاوية بن ابي سفيان بالحكم بعد تنازل الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام عن حقه في الخلافة التي وليها مدة ستة اشهر وارتحاله بأهله وحاشيته الى الحجاز حيث مات مسموماً في عام ٥٠هـ وبعد أن كانت حكومة الخلفاء الراشدين شبه جمهورية ، جعلها معاوية حكومة ملكية بحتة وجعل ابنه يزيد ولي عهده واجبر الاكثرية من الشعب على مبايعته، وقد قام في الدولة الاموية أربعة عشر خليفة اولهم معاوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان بن محمد فكانت الشام عاصمتهم وكان عملاؤهم يحكمون العراق بالشدة لا سيما مع الشيعة الموالين لعلي

وابنائه وقد قتلوا منهم الكثيرين صبراً وظلما .

العباسيون

(١٣٢هـ — ٧٥٠م) — (٦٥٦هـ — ١٢٥٨م)

أدال العباسيون الدولة الاموية اليهم في عام ١٣٢هـ (٧٥٠م) فقام في الدولة الجديدة ٣٧ ملكاً « او خليفة كما اصطلح عليهم التاريخ » اولهم عبد الله السفاح الذي لاحق الامويين ملاحقة شديدة وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، وآخرهم المستعصم بالله الذي قرضت في أيامه الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) فتكون مدة ملك بني العباس (٥٢٤) عاماً . وفي امكان المؤرخ أن يقسم تاريخ العباسيين إلى العهود الخمسة التالية :ـ

فالعهد الاول يبتدىء من عام ١٣٢هـ (٧٥٠م) وينتهي الى عام ٢٣٢هـ (٨٤٧م) اي انه يستغرق مئة سنة قام خلالها تسعة من الخلفاء وهم :

١ـ ابوالعباس السفاح من سنة ١٣٢هـ ٧٥٠م الى سنة ١٣٦هـ ٧٥٤م .

٢ـ أخوه ابو جعفر المنصور من سنة ١٣٦هـ٧٥٤م . الى سنة ١٥٨هـ ٧٧٥م .

٣ـ محمد المهدي بن المنصور من سنة ١٥٨هـ ٧٧٥م . الى سنة ١٦٩هـ ٧٨٥م .

٤ـ موسى الهادي بن محمد المهدي من سنة ١٦٩هـ ٧٨٥م . الى سنة ١٧٠هـ ٧٨٦م.

٥ـ هرون الرشيد بن المهدي من سنة ١٧٠هـ ٧٨٦م . الى سنة ١٩٣هـ ٨٠٩م .

٦ـ محمد الامين بن الرشيد من سنة ١٩٣هـ ٨٠٩م . الى سنة ١٩٨هـ ٨١٣م .

٧ـ عبد الله المأمون بن الرشيد من سنة ١٩٨هـ ٨١٣م . الى سنة ٢١٨هـ ٨٣٣م .

٨ـ المعتصم بالله بن الرشيد من سنة ٢١٨هـ ٨٣٣م . الى سنة ٢٢٧هـ ٨٤٢م .

٩ـ الواثق بالله بن المعتصم من سنة ٢٢٧هـ ٨٤٢م الى سنة ٢٣٢هـ ٨٤٧م .

وكانت الخلافة في هذا العهد تتمتع بسطوة تامة ومكان رفيع إذ كانت الكلمة العليا والسيادة المطلقة للخلفاء لا ينازعهم فيها منازع ؛ فثبتوا قواعد الدولة ، وضبطوا شؤون المملكة ، وعمروا المدن والدساكر ، ونشروا العلوم والمعارف ، وقضوا على كل من ناصبهم العداء في السر او العلن ؛ والى هذا العهد يشار بـ «العهد الذهبي» .

والعهد الثاني يبتدىء من عام ٢٣٢هـ (٨٤٧م) وينتهي الى عام ٣٣٣هـ (٩٤٤م) اي انه يستغرق مئة سنة وسنة قام خلالها اثنا عشر خليفة كما يلي :ـ

١٠ـ المتوكل على الله بن المعتصم من سنة ٢٣٢هـ ٨٤٧م . الى سنة ٢٤٧هـ ٨٦١م .

١١ـ المنتصر بالله بن المتوكل من سنة ٢٤٧هـ ٨٦١م الى سنة ٢٤٨هـ ٨٦٢م .

١٢ـ المستعين بالله بن المعتصم من سنة ٢٤٨هـ ٨٦٢م الى سنة ٢٥٢هـ ٨٦٦م .

١٣— المعتز بالله بن المتوكل من سنة ٢٥٢هـ ٨٦٦م الى سنة ٢٥٥هـ ٨٦٩م .
١٤— المهتدي بالله بن الواثق من سنة ٢٥٥هـ ٨٦٩م . الى سنة ٢٥٦هـ ٨٧٠م .
١٥— المعتمد على الله بن المتوكل من سنة ٢٥٦هـ ٨٧٠م . الى سنة ٢٧٩هـ ٨٩٢م .
١٦— المعتضد بالله بن الموفق من سنة ٢٧٩هـ ٨٩٢م . الى سنة ٢٨٩هـ ٩٠٢م .
١٧— المكتفي بالله بن المعتضد من سنة ٢٨٩هـ ٩٠٢م . الى سنة ٢٩٥هـ ٩٠٨م .
١٨— المقتدر بالله بن المعتضد من سنة ٢٩٥هـ ٩٠٨م . الى سنة ٣٢٠هـ ٩٣٢م .
١٩— القاهر بالله بن المعتضد من سنة ٣٢٠هـ ٩٣٢م . الى سنة ٣٢٢هـ ٩٣٤م .
٢٠— الراضي بالله بن المقتدر من سنة ٣٢٢هـ ٩٣٤م . الى سنة ٣٢٩هـ ٩٤٠م .
٢١— المتقي بالله بن المقتدر من سنة ٣٢٩هـ ٩٤٠م . الى سنة ٣٣٣هـ ٩٤٤م .

وكانت الدولة خلال هذا العهد تسير القهقرى، فقد استفحل نفوذ القادة الذين اصطفاهم الخلفاء لدرء بعض الاخطار من عناصر غير عربية ، وصاروا يتدخلون في الصغيرة والكبيرة من شؤون الدولة حتى انهم جعلوا الامارات نهباً مقسما بينهم يستولي عليها كل من ارادها منهم ، ولم يمت احد من خلفاء هذا العهد حتف انفه الا اربعة ، اما الباقون فانهم اخرجوا من الخلافة قتلا او خلعاً .

والعهد الثالث يبتدىء من السنة التي استولى فيها البويهيون على بغداد وهي سنة ٣٣٤هـ (٩٤٦م) وينتهي بالعام الذي انقرضت فيه دولتهم وهو عام ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) او في العام الذي انتهت فيه خلافة القائم بأمر الله ، وهو عام ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) أي انه يستغرق مئة وثلاثا وثلاثين سنة ، سقط خلالها الحكم من ايدي الخلفاء ولم يكن لهم فيه غير الاسم المجرد، إذ كانت السلطة الصحيحة في ايدي البويهيين ، يعزلون الخلفاء ويولونهم ، ويديرون الشؤون العامة على ما يهوون . وقد كان عهدهم عهد عمران راق وانتاج ادبي خصب ، وقد قام فيه خمس خلفاء وهم :

٢٢— المستكفي بالله من سنة ٣٣٣هـ ٩٤٤م . الى سنة ٣٣٤هـ ٩٤٦م .
٢٣— المطيع لله بن المقتدر من سنة ٣٣٤هـ ٩٤٦م . الى سنة ٣٦٣هـ ٩٧٤م .
٢٤— الطائع لله بن المطيع من سنة ٣٦٣هـ ٩٧٤م . الى سنة ٣٨١هـ ٩٩١م .
٢٥— القادر بالله من سنة ٣٨١هـ ٩٩١م . الى سنة ٤٢٢هـ ١٠٣١م .
٢٦— القائم بامر الله بن القادر من سنة ٤٢٢هـ ١٠٣١م . الى سنة ٤٦٧هـ ١٠٧٥م

أما العهد الرابع فإنه يبتدىء من عام ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) الى عام ٥٧٥هـ (١١٨٠م) اي انه يستغرق مئة وثماني سنوات انتقل الحكم خلالها الى امة تركية يمثلها سلطان من

السلجوقيين ، فإن الخليفة القائم بامر الله لما ضاق ذرعاً بفتنة البساسيري «احد امراء الجند البويهيين» استنجد بطغرل بك زعيم السلاجقة فأنجده وجاء الى بغداد سنة ٤٤٧هـ(١٠٥٥م) وطرد البساسيري منها وتوطدت سلطته فيها حتى صار يخطب له على المنابر ، وقد قام فيه سبعة من الخلفاء وهم :

٢٧ـ المقتدي بالله حفيد القائم من سنة ٤٦٧هـ ١٠٧٥م . الى سنة ٤٨٧هـ ١٠٩٤م .

٢٨ـ المستظهر بالله بن المقتدي من سنة ٤٨٧هـ ١٠٩٤م . الى سنة ٥١٢هـ ١١١٨م .

٢٩ـ المسترشد بالله بن المستظهر من سنة ٥١٢هـ ١١١٨م . الى سنه ٥٢٩هـ ١١٣٥م .

٣٠ـ الراشد بن المسترشد من سنة ٥٢٩هـ ١١٣٥م . الى سنة ٥٣٠هـ ١١٣٦م .

٣١ـ المقتفي لامرالله بن المستظهر من سنة ٥٣٠هـ ١١٣٦م . الى سنة ٥٥٥هـ١١٦٠م.

٣٢ـ المستنجد بالله بن المقتفي من سنة ٥٥٥هـ ١١٦٠م . الى سنة ٥٦٦هـ ١١٧٠م .

٣٣ـ المستضيء بالله بن المستنجد من سنة ٥٦٦هـ ١١٧٠هـ . الى سنة ٥٧٥هـ ١١٨٠م.

وأما العهد الخامس فإنه يستغرق ٨١ عاماً من سنة ٥٧٥هـ (١١٨٠م) الى سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) فإن الناصر لدين الله اراد ان يعزز شؤون الخلافة ويسترجع السلطة من السلاجقة الذين اسرفوا في الفساد واستباحوا المنكرات، فكتب الى جنكيزخان المغولي يستنجده عليهم كما استنجد القائم بأمر الله بطغرل بك السلجوقي على البويهيين ، فما كان من عاهل المغول الا ان اكتسح ما كان في حوزة خوارزم شاه السلجوقي من الاماكن والبقاع ، واخذ يتطلع الى ما في يد الخليفة العباسي من البلاد ، ولكن الأقدار لم تحقق في عهده ما اراد ، وانما حققتها لحفيده هولاكو خان الذي حمل بخيله ورجله على بغداد فدخلها في ٤ صفر سنة ٦٥٦هـ(١٢٥٨م) وقوض أركان الخلافة والدولة من اساسها. وكان قد قام في هذا العهد اربعة من الخلفاء وهم:

٣٤ـ الناصر لدين الله بن المستضيء من سنة ٥٧٥هـ ١١٨٠م. الى سنة ٦٢٢هـ ١٢٢٥م.

٣٥ـ الظاهر بأمر الله بن الناصر من سنة ٦٢٢هـ ١٢٢٥م . الى سنة ٦٢٣هـ١٢٢٦م .

٣٦ـ المستنصر بالله بن الظاهر من سنة ٦٢٣هـ ١٢٢٦م . الى سنة ٦٤٠هـ١٢٤٢م .

٣٧ـ المستعصم بالله بن المستنصر من سنة ٦٤٠هـ ١٢٤٢م . الى سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م .

الايلخانيون

(٦٥٦هـ ـ١٢٥٨م) ـ (٧٣٨هـ ـ ١٣٣٨م)

هنالك عدة روايات في تاريخ دخول الجيش التتري بغداد ، ولكن الرواية المعوّل عليها أنه دخلها يوم الاحد رابع صفر (١) سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وبعد أن وضع السيف في اهل

(١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة لابن الفوطي ص ٣٣١

بغداد وأباحها سبعة ايام (١) حتى حولها الى خرائب وانقاض ، نودي بالامان فخرج من نجا او اختفى في الشقوق والزوايا او الآبار ، وكان على رأس الجيش المذكور هولاكو بن تولي خان المعروف بايلخان ولهذا سميت دولته بالدولة الايلخانية .

والتتر والمغول في الامة التركية مثل ربيعة ومضر في الامـــة العربية يتفرع منهما معظم بطون الترك وافخاذهم كما يتفرع العرب من هذين الشعبين الكبيرين .

وبعد أن خضعت جميع الانحاء العراقية لهولاكو وأقام في بغداد اربعين يوماً نظم خلالها إدارة البلاد ، وأبقى لها قوانينها، وألف الحكومة الجديدة من رجال الحكومة السابقة، قصد الى سوريا وآسيا الصغرى ليتم فتوحاته فوافاه الأجل وهو في مراغة في ١٩ شهر ربيع الآخر سنة ٦٦٣هـ (١٢٦٥م) عن نحو ٥٠ سنة من العمر. وفي ٢٥ من الشهر المذكور بويع بالسلطنة لولده «اباقاخان» فأقر حكومة العراق على حالها، وعهد الى عامله علاء الدين الجويني المشارفة على جميع الاحوال فيها . وفي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) جاء « اباقاخان » الى بغداد وفي خدمته الامراء والوزراء والعساكر فأقام فيها الى زمن الربيع. وفي عام ٦٧٢هـ (١٢٧٣م) زارها للمرة الثانية ، وفي عام ٦٨٠هـ (١٢٨١م) زارها للمرة الثالثة ، وكان في كل مرة يحسن الى الفقراء ، وينعم على الناس ، ويأمر بإنشاء المؤسسات المفيدة ، فلما عاد الى همدان توفي فيها سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) فخلفه اخوه «تكودارخان» وأسلم وسمى نفسه أحمد ، وكتب بذلك الى العراق والى غيره من الاقطار التابعة له ، ولما جاء البشير الى بغداد أقيمت الولائم والافراح ومعالم الزينة تيمناً بهذا الحدث العظيم . فلما كانت سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) ثار آرغون بن أباقا بن هولاكو على عمه السلطان أحمد «تكودارخان» فانتصر عليه بعد معارك دامية وتولى السلطنة بعده ، ثم دبر مكيدة لاغتياله وذلك انه أمر بتسليمه الى « اولاد فونغرتاي » فسلم اليهم فقصفوا ظهره فمات ليلة ٢٦ جمادى الاولى سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) ويعزى سبب قتله الى دخوله في الاسـلام ومحاذرتهم ضياع حكومتهم ودياناتهم فتعصبوا عليه وعلى امرائه (٢) .

ومات آرغون سـنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) فتولى السلطنة من بعده اخوه «كيخاتوخان» وسار في الناس سـيراً ذميما حتى قيل عنه انه كان سيئاً في خلقه، متناهياً في الاسراف، يبيع مناصب الدولة كلما احتاج الى المال لتطمين شهواته حتى ضج منه الاهلون ، فثار عليه «بايدوخان» حفيد هولاكو فتغلب عليه وقتله في تبريز في اواخر شهر ربيع الثاني سـنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) وتولى السلطنة من بعده ، الا ان ايام السلطان بايدوخان كانت ايام فتن واضطرابات كثيرة حتى

---

(١) مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٤٧٥

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين للمحامي عباس العزاوي ١-٢٢١

ثار عليه « غازان بن آرغون» والي خراسان فانتزع منه الملك في سلخ ذي الحجة.سنة٦٩٤ه (١٢٩٥م) وقتله واعلن اسلامه فتبعه مئة الف من جنوده فانتشرت بذلك الديانة الاسلامية السمحة في الجيش التتري . وفي المحرم من سنة ٦٩٦ه (١٢٩٧م) جاءالى العراق فشمل الناس بالعدل والاحسان ، وفي أيامه وضع التاريخ الايلخاني الا ان استعماله لم يدم طويلا فأهمل .

ومات «غازان» في الري سنة ٧٠٣ه (١٣٠٣م) بعد أن اوصى بولاية العهد لأخيه «نيقولاوس الجايتو» وكان الجايتو بخراسان فأسلم وسمى نفسه « محمد خدابنده » وتمذهب بالمذهب الجعفري(١) سنة ٧٠٧ه (١٣٠٧م)وامر بتخليد اسماء الائمة الاثني عشر على النقود ولما مات في عام ٧١٦ه (١٣١٦م) خلفه ابنه أبوسعيد بهادرخان (وكان ملكاً فاضلاكريماً ملك وهو صغير السن) كما شاهده الرحالة ابن بطوطه (٢) وفي ايامه في سنة٧١٩ه(١٣١٩م) اختلف التتر فيما بينهم وقتل منهم نحو ثلاثين الفاً حتى كاد يزول ملكهم ، وتوفي ابو سعيد سنة ٧٣٦ه (١٣٣٥م) بلا عقب فخلفه السلطان « أرباخان » في السنة المذكورة لكنه لم يستقم له الملك غير ستة اشهر فقد قتل في غرة شوال سنة ٧٣٧ه (١٢٣٥م) وحين توليه الملك ثارت الفتن وتوالت على المملكة الاحن وصار الامراء والوزراء يتناوبون الحكم حسب أهوائهم ولكن لمدد قصيرة حتى انتصر عليهم الشيخ حسن الجلائري واستقر له الحكم فانقرضت الدولة الايلخانية بعد أن عمرت ٨٠ عاماً من سنة ٦٥٦ الى سنة ٧٣٦ هجرية .

الجلائريون

٧٣٨ه - ١٣٣٨م — ٨١٣ه - ١٤١٠م

تولى الشيخ حسن الجلائري الحكم واستقرت له الامور في العراق سنة ٧٣٨ه ١٣٣٨م فتفرغ لاصلاح المملكة، وحمدت سيرته في الرعية حتى تضافرت القلوب على حبه واحترامه، ولما توفي في شهر رجب ٧٥٧ه ١٣٥٦م خلفه ابنه السلطان معز الدين أويس فسار سيرة ابيه في احكامه وعداه، وكان طموحاً في توسيع ملكه فجرد حملة على أذربيجان قادها بنفسه وعين مملوكه الرومي الاصل «مرجان» نائباً عنه فأخفق في محاولته فلما سمع مرجان بإخفاقه أعلن استقلاله في العراق وتحصن في بغداد وفتح سدود دجلة في عام ٧٦٥ه ١٣٦٤م حتى احاط المدينة بالماء وقطع الطرق المؤدية لها ، فرجع السلطان اويس يستشيط غضباً وحاصر بغداد فدخلها وبعد ان اخذ مرجاناً أسيراً اراد أن يقتله لكن علماء بغداد وأعيانها تشفعوا فيه فعفا عنه .

ومرجان هذا هو الذي ابتنى المدرسة المرجانية وخان مرجان القائمين حتى اليوم في بغداد

---

(١) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ٣-٣٧٨

(٢) رحلة ابن بطوطه ج ١ ص ١٤٣ من الطبعة المصرية الأزهرية

في مدخل سوق العطارين . وفي سنة ٧٧٦هـ ١٣٧٤م توفي السلطان اويس عن عدة اولاد منهم حسين وحسن واسماعيل وعلي واحمد وكان كل من هؤلاء يطمع في الملك فاتفقت آراء الامراء واركان الدولة على تولية حسين ، اكبر انجاله ، مع منافسة اخوته له فبويع له بالسلطنة ولكن جذوة المنافسة كانت كامنة كالنار تحت الرماد تؤججها أقل حركة وفي أثناء احدى الحركات قتل حسن « شقيقه الثاني » .

وأراد السلطان حسين ان يوسع رقعة ملكه فسافر الى تبريز على رأس جيش جرار فأعلن اخوه «علي» استقلاله بالبلاد فلم يكن من السلطان إلا أن ارسل اخاه الثاني «احمد» ليخلص له ملكه من اخيه فاستطاع «احمد» بما لديه من جيش كثيف ان يسترد بغداد فكافأه أخوه على هذا العمل بتعيينه نائباً عنه ، ولكن سرعان ما وسوس الشيطان للنائب فثار على اخيه السلطان حسين واعلن استقلاله بالعراق ثم سار على رأس جيش الى تبريز ، فحارب أخاه فظفر به فقتله سنة ٧٨٤هـ ١٣٨٢م واستقل بالملك .

ولم تخل أيام السلطان احمد بن اويس من مصائب عظيمة ونكبات قاسية ، فقد حمل تيمورلنك على بغداد سنة ٧٩٥هـ ١٣٩٣م حملة انستها ما تقدمها من نكبات ففتحها في ٢٠ شوال من السنة المذكورة واعمل السيف في اهلها والنار في اسواقها وبيوتها حتى لضطر السلطان احمد ان ينهزم الى مصر مستجيراً بسلطانها الملك الظاهر برقوق فأجاره ، ولكن تيموراً بعث رسلا الى ملك مصر ان يعيد اليه السلطان الهارب فما كان من الملك الظاهر الا ان قتل الرسل وجهز للمستجير به جيشاً عرمرما استرد له ملكه في عام ٧٩٧هـ ١٣٩٤م وهكذا صار احمد يخطب للسلطان برقوق اعترافاً له بالسيادة الرسمية وضرب السكة باسمه ثم عقد معاهدة مع قره يوسف التركماني صاحب اذربيجان لمقاومة تيمورلنك فلما سمع تيمورلنك بذلك رجع الى العراق مرة ثانية في سنة ٨٠٣هـ ١٤٠٠م وأعاد فيه تمثيل فظائعه فهرب السلطان احمد ثانية قاصداً بلاد الروم ، ثم بلغه ان غريمه اعتزم غزو الروم فعاد الى العراق ومعه قره يوسف التركماني واستغاد بغداد وجمع ماتمكن عليه من امرائه المشتتين في الاطراف واستقر بها فلما بلغ ذلك تيمورلنك وهو في تبريز ، أمر عساكره ان تسير نحو بغداد فوراً فجاءت اليها فدخلتها ليلة ٨ من شهر رجب عام ٨٠٤هـ ١٤٠١م فانذهل السلطان احمد لهذه المفاجأة وأصابه الارتباك فهرب الى حلب فالشام حيث سجن فيها ولكنه هرب من سجنه بعد مدة ورجع الى بغداد ثانية فاختلف مع قره يوسف التركماني اختلافاً أدى الى ان يهرب الى مصر في ٥ المحرم سنة ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

واستقل قره يوسف في بغداد مدة وجيزة ثم لاحقه جيش تيمورلنك ففتك بعسكره

وقتل اخاه فلم يسعه الا الهرب فتوجه الى مصر ، وكان ملك مصر قد تفاهم مع تيمورلنك، فلما وصل اليه الهاربان أمر بحبسهما ، وكتب الى تيمورلنك يستطلع رأيه فيهما ، فجاء اليه الجواب « اما السلطان أحمد فيقيد ويرسل الينا ، وأما قره يوسف فيحز رأسه ويبعث الينا ايضا » اه .

وتوفي تيمورلنك في ١٧ شعبان سنة ٨٠٧ﻫ ١٤٠٤م قبل ان يصل كتابه الى ملك مصر فأفرج عنهما الملك وانعم عليهما كثيراً ، فعادا الى بغداد معاً فاعتلى السلطان احمد اريكةالملك وسار الى تبريز سنة ٨٠٩ﻫ ١٤٠٦م فملكها باعتبارها عاصمة آبائه . أما قره يوسف التركماني فانه ذهب الى اذربيجان ، وجمع حوله ثلة من الاشرار ، واخذ يعيث فساداً ليكدر الصفو على السلطان، فما كان من السلطان احمد الا ان جيّش جيشاً سار على رأسه الى تبريز فدخلها في المحرم سنة ٨١٣ﻫ ١٤١٠م دون مقاومة تذكر ، ثم حدثت بعد ذلك معركة شديدة بينه وبين غريمه قره يوسف اسفرت عن دحره والقبض عليه ، فكلفه قره يوسف ان يكتب صكاً بايالة اذربيجان الى ولده «بيريوداق» وآخر بايالة بغداد الى ولده الثاني «شاه محمد» فلم يسع السلطان غير الامتثال الا انه ما كاد ينتهي من التوقيع على الصكين حتى قتل في شلخ شهر ربيع الآخر سنة ٨١٣ﻫ ١٤١٠م فانقرضت بقتله الدولة الجلائرية بعدأن حكمت ٧٦ عاما .

دولتا الخروف الأسود والخروف الابيض

٨١٣ﻫ ١٤١٠م — ٩١٤ﻫ ١٥٠٨م

سار الشاه محمد نجل قره يوسف التركماني الى بغداد ليتسلم منصب الايالة فيها نيابة عن ابيه حسب وصية السلطان احمد الجلائري فبلغهافي المحرم سنة ٨١٤ﻫ ١٤١١م فلماتوفي والده في سنة ٨٢٣ﻫ ١٤٢٠م اضاف الى ملكه كل ما كان يحكمه ابوه من البلاد وسميت دولته التركمانية الجديدة « قره قويونلو » اي «دولة الخروف الاسود » لان الشاه محمد كان ينقش على علمه صورة خروف اسود .

وفي سنة ٨٣٦ﻫ ١٤٣٢م ثار الامير اسبان على اخيه شاه محمد وتوفق في ثورته فدخل بغداد ظافراً وهرب اخوه محمد الى الموصل فقتل غيلة في عام ٨٣٧ﻫ ١٤٣٣م وانفرد اسبان بالحكم حتى وافاه الاجل في سنة ٨٤٨ﻫ ١٤٤٤م فتولى السلطنة بعده اخوه الثاني «جهان شاه» وكان قد جاء الى بغداد بعد وفاة ابيه قره يوسف فقضى على الفتن التي قامت في وجهه حتى استتب له الامر ، فلما كانت سنة ٨٧٢ﻫ ١٤٦٨م حدثت معركة بينه وبين حسن الطويل التركماني صاحب ديار بكر انتصر فيها الثاني على الاول ، واستولى على قسم من بلاده ، وقتله غيلة في عام ٨٧٢ﻫ ١٤٦٧م . اما القسم الباقي من ملك جهان شاه فقد انتقل الى ولده

حسن علي ، الا ان حسناً الطويل لم يكتف بتا غنمه فسار الى بغداد وحاصرها في ٢٠ من شهر رجب سنة ٨٧٢هـ ١٤٦٧م ليقوض اركان الحكم القائم ، فهرب حسن علي بنفسه بعد ان شاهد قواده يخذلونه قاصداً جبل الوند، فتعقبه خصومه فلم يكن منه الا ان انتحر بسكين كانت معه وقيل بل قتل في شوال ٨٧٣هـ ١٤٦٨م .

وفي ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤هـ ١٤٧٠م فتح السلطان الطويل بغداد ، وأقام «دولة آق قوينلو التركمانية « اي دولة الخروف الابيض » وانما سمى دولته بهذا الاسم لانه كان ينقش على علمه صورة خروف ابيض . وفي سنة ٨٨٢هـ ١٤٧٧م توفي حسن الطويل فخلفه «حسين» اكبر انجاله فلم يرق ذلك اخوته ، فتنازع الملك الاخوة والامراء ، وحدثت بينهم معارك دامية ذاق العراقيون خلالها مر العذاب حتى اذا كانت سنة ٩٠٥هـ ١٤٩٩م استقر الأمر لحفيده «مراد بك» وكان الشاه اسماعيل الصفوي انتهز فرصة الضعف والخلاف وتذبذب الحال في العراق فجمع كتائب كثيرة في أوائل سنة ٩٠٧هـ ١٥٠١م وتقارع مع امراء الدولة واستولى على مملكة أذربيجان ، ثم تقدم الى همدان فاكتسحها ، ثم سار الى كردستان وديار بكر فأخضعها واسس الدولة الصفوية الكبرى .

وكان السلطان مراد في حالة اضطراب وتشويش لا يعرف مصيره ، وفي عام ٩١٤هـ ١٥٠٨م سار الشاه اسماعيل الصفوي نحو بغداد ففتحها وهرب السلطان مراد الى كرمان فانقرضت بذلك دولة الخروف الابيض بعد ان عمرت زهاء اربعين سنة .

الصفويون

٩١٤هـ ١٥٠٨م — ٩٤١هـ ١٥٣٤م

يعد بيت مؤسس الدولة الصفوية من اعظم بيوت المتصوفة في ايران ، ويعد اسماعيل بن جنيد ابن الشيخ صفي الدين الاردبيلي الذي اسس هذه الدولة ، ولقب نفسه شاها من فحول المتصوفة في ايامه ؛ وقد طمع في العراق كما طمعت فيه بقية الدول فاستولى على بغداد في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٩١٤هـ (١٥٠٨م) واعلن مـذهب التشيع فيه ، فلما توفي سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٣م) خلفه ولده الشاه طهماسب الاول ، وكان حديث السن قليل التجارب، فثار عليه الامير ذو الفقار «امير كلهور» واستولى على اكثر مدن العراق واعلن استقلاله فيها ، ولما اعتزم ان يوطد نفوذه ويدعم استقلاله ؛ احتمى بالسلطان سليمان القانوني ليتقي جانب الدولة الصفوية فخانه الحظ بعد ست سنوات ، من هذا الاستقلال اذ حمل عليه الشاه طهماسب في عام ٩٣٦هـ (١٢٥٩م) ودخل بغداد فقتل ذا الفقار ، واخضع باقي المدن ورجع الى مقر ملكه بعد أن عهد بإدارة شؤون البلاد والمشارفة على امور العباد الى تكلو محمد خان آل شرف الدين

وقد غاظ عمل الشاه طهماسب السلطان سليمان القانوني فجهز جيشاً عظيما وعهد الى رئيس العسكر نظام الملك ابراهيم باشا بالسير به لاسترداد العراق من ايدي الصفويين. فذعر البلاط الإيراني لهذا الخبر واتخذ التدابير اللازمة لمجابهة هذا الزحف ، ولكن ابراهيم باشا تمكن من الاستيلاء على بغداد عام ٩٤١هـ (١٥٣٤م) واضطر نائب الشاه تكلو محمد خان ان يفرمنها .

ثم ان السلطان سليمان رأى ان يجوس خلال هذه الديار فجاء الى بغداد بموكب حافل ، وأقام فيها اربعة اشهر طاف خلالها انحاء العراق ، وزار كربلاء والنجف ، وفي اثناء اقامته في كربلاء وسع نهر الحسينية وزاد في عمقه ليأتي بالماء مستمراً ، ورفع « روف السليمانية » ليمنع فيض الفرات من الوصول اليها ولما عاد الى بغداد امر بتحصين سورها ، وبنى مئذنة لجامع الإمام ابي حنيفة النعمان بن ثابت (رض) وقبة على ضريحه ، ومثلها على ضريح الشيخ عبد القادر الجيلي ، وأوقف لهذين المرقدين اوقافاً كثيرة ، ثم نظم شؤون الادارة وولى الوزير سليمان باشا المجري ايالة بغداد ، اما ايالة البصرة فقد ابقى السلطان حاكمها الشيخ راشد من اسرة معروفة بالطوال فيها بعد ما وفد عليه الى بغداد وقدم اليه مفـــاتيح البصرة وعرض عليه الخضوع والطاعة ، فكان دخول العراق في حوزة العثمانيين على هذه الصورة ايذانا ببدء عهد جديد في تاريخه ، وصارت بغداد مركزاً لإيالة العراق .

فترة انتقال

١٠٣٣هـ ١٦٢٣م — ١٠٤٩هـ ١٦٤٠م

وفي سنة ١٠٢٩هـ (١٦١٩م) كان والي بغداد الوزير يوسف باشا فوقع بينه وبين رئيس الشرطة بكر آغا الصوباشي خلاف أدى الى قتل الوزير برمية من احد الثوار فاهتبل بكر آغا هذه الفرصة ، واعلن عصيانه واستبداده ، فأصدرت حكومة الاستانة امراً الى حافظ احمد باشا والي دياربكر ان يسير الى بغداد ليقضي على الفتنة ، فلما احس الصوباشي بذلك داخله الخوف فكتب الى الشاه عباس الصفوي ان يتوجه الى بغداد ليأخذ بناصره فأنفذ الشاه المدد العاجل اليه ، ولما بلغها حافظ باشا وجدها محصنة ، ووجد الامراض تفتك في الاهلين ، وغلاء الاسعار بلغ حداً لا يطاق ، فارتأى ان يصالح بكراً ليحقن الدماء من جهة ، ويحفظ كرامة الدولة من جهة اخرى ، على ان توجه ايالة بغداد اليه ، فرضي بذلك فكتب الباشا عهد الولاية وعاد بجيشه إلى دياربكر ، فما كان من الصوباشي الا ان كتب للشاه يخبره بما تم ، ويرجوه سحب جنوده . وكان الجيش الصفوي قد وصل الى اطراف خانقين فلما تسلم الشاه الكتاب المذكور استشاط غيظا ، وزحف بنفسه على العراق ، والقى الحصار على بغداد ثلاثة اشهر . وكان محافظ قلعة بغداد محمد بكر آغا الصوباشي قد شعر بأن لا قبل لأبيه بالاستمرار على المقاومة

فماهي الا ايام حتى شوهدت الجنود الفارسية متوغلة في الشوارع تصدح بأبواقها فاضطربت جنود بكر آغا وتشتتت ، وهكذا استولى الفرس على بغداد في ٩ من شهر شوال ١٠٣٣هـ (١٦٢٣م) واستولوا على بكر آغا ووضعوه في قارب مملوء زفتاً وكبريتاً فأضرموا فيه النار وألقوه في دجلة ، وهناك من يقول ان المحافظ قد تآمر مع الشاه على ابيه لقاء وعد مناه به .

العثمانيون

١٠٤٩هـ ١٦٤٠م — ١٣٣٥هـ ١٩١٧م

مات الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٣٩هـ ١٦٢٩م فخلفه حفيده الشاه صفي خان الى ان وافاه الاجل في سنة ١٠٤٠هـ ١٦٣١م. وكانت الدولة العثمانية تعد العدة لاسترجاع العراق فلما كانت سنة ١٠٤٧هـ ١٦٣٧م جهز السلطان مراد الرابع حملة قوامها خمسون الف فارس وخمسون الف راجل وسار بها نحو الموصل فأخضعها، واخضع بعدها إربل وكركوك والسليمانية ثم خيم قريباً من سامراء ، ثم سار يطلب «بغداد» فحاصرها اربعين يوماً، ثم هاجمها هجوماً عنيفاً ودخلها سنة ١٠٤٩هـ ١٦٤٠م. فلما كانت السنة التالية تصالح الصفويون والعثمانيون، وهكذا تخلص العراق من الفرس ، ولكن الى أمد قصير ، ثم صار الولاة العثمانيون يتناوبون حكمه. وفي عام ١١٣٩هـ ١٧٢٦م عادت الحرب تدور بين الأعاجم وبين العثمانيين ، بعد ان نظم طهماسب الثالث ، المعروف بقولي خان أو نادر شاه ، حملة وقدم على رأسها الى بغداد سنة ١١٤٦هـ ١٧٣٣م ففتحها بعد حصار قصير ، وكان واليها احمد بك قد سهل له فتحها لاستيائه من السلطان محمود ثم سار الى الموصل وحاول أخذها عنوة ففشل .

وكان بُعد العراق عن الآستانة ، وانقطاع المواصلات بينهما ، يشجعان الولاة الترك على الانتقاض على حكومتهم والاستقلال بالبلاد التي يرسلون اليها ، ولهذا كانت تنهال المصائب على الأهلين ، ولا سيما في أيام المماليك الذين بدأت حكومتهم في العراق سنة ١١٦٣هـ ١٧٥٠م، منذ تولى إيالة بغداد سليمان باشا الكبير وانتهت في عام ١٢٤٧هـ ١٨٣١م ، حين زحف علي باشا اللاز على بغداد ، وقبض على داود بك فسيره الى الأستانة ، وجمع المماليك في القلعة ، فقتلهم شر قتل . وقد دام حكم علي باشا في العراق إحدى عشرة سنة ، وصار الولاة يأتون بعده تباعاً ، فلما كانت سنة ١٢٨٥هـ ١٨٦٨م عهد بإيالة بغداد الى مدحت باشا الشهير فانصرف الى فتح معاهد العلم والتهذيب ، ونشر العدل والأمن في الربوع ، وأسس مؤسسات صحية وثقافية وإدارية نافعة، وأدى خدمات كثيرة للعراق لايزال أهله يذكرونها له بالإعجاب والتقدير ، لأنها كانت تعد من المعجزات في هاتيك الايام . ولكن لم تدم أيام هذا المصلح فقد عزل قبل أن يتم ثلاث سنوات في الخدمة فصار من بعده خلفاؤه يهملون ما بدأ به ، حتى

كان الانقلاب العثماني في سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م ، فلم يحرم العراق الاستفادة من هذا الحدث وإن كان بمقياس صغير . ولكن سرعان ما بدأت هذه الحركة التحررية تصطبغ بالصبغة التركية فعادت وبالا على الاقطار المختلف أجناس سكانها ، التي كانت تؤلف الانبراطورية العثمانية ، ولا سيما بعد استيلاء حزب الاتحاد والترقي على الحكم فلم يكن بد من اتساع شقة الخلاف بين الترك والعرب إذ نادى الاتحاديون بتتريك العناصر ، واستخفوا بالأمة العربية ، وبمبادئها ، وبكتابها المقدس «القرآن المجيد» فلم يتحمل العرب ذلك ، وتشكلت في الأستانة الجمعيات السرية لمناهضة سياسة التتريك الخطرة .

ونهضت في العراق أيضاً عصبة من الشبان فأسست الاحزاب السياسية ، وناهضت الروح الاستبدادية ، وركنت الى الاعمال السرية ، فلما أضرم القدر نار الحرب العالمية الماضية في سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٤م ، واشتركت فيها الدولة العثمانية ، أصبح العراق ميداناً لحروب دامية تتطاحن فيها القوات البريطانية والقوات العثمانية . وكانت المدن والقصبات تتساقط بأيدي الانكليز تباعاً ، ولما بلغ الجيش البريطاني مرقد سلمان الفارسي « المسمى سلمان باك » الواقع على مسيرة ٣٠ كيلومتراً من بغداد جنوباً ، تلقى اخباراً متواترة عن تحشدات تركية يراد بها قطع خط المواصلات عليه ، فانسحب الى قصبة الكوت ، فألقت عليه الجيوش العثمانية حصاراً شديداً استمر من ٣ كانون الأول ١٩١٥م الى ٢٩ نيسان ١٩١٦م . ومهما بذلت القيادة البريطانية العليا من جهود لانقاذ جيشها المحصور ، فإنها لم تفلح فاضطر «الجنرال طاوزند» أن يستسلم في اول مايس ، بعد ان اتلف معداته الحربية ، وقد كان عدد جنوده ١٣,٥٠٠ اسير عدا الضباط .

وبعد هذه الصدمة ارتأت القيادة البريطانية أن تجهز حملة جديدة برئاسة «الجنرال مود» بلغ عدد أفرادها ٤٠,٠٠٠ مقاتل فبدأ هجومها على الجيش العثماني في ٩ كانون الثاني سنة ١٩١٧ واحتلت بغـــداد في فجر اليوم الحادي عشر من مارت سنة ١٩١٧م . وكانت على ابواب الموصل يوم اعلنت الهدنة في اول تشرين الثاني ١٩١٨م . فانطوت بإعلانها آخر صفحة من صفحات الحكومة العثمانية في العراق .

الثورة العراقية

لما احتل الجيش البريطاني بغداد ، اذاع « الجنرال مود » بلاغاً على الاهلين قال فيه : « إن جيوشنا لم تدخـــل مدنكم واراضيكم بمنزلة اعداء قاهرين ، بل منقذين محررين » وأعقب صدور هذا البلاغ نشر بيانات رسمية من سلطات الحلفاء المدنية : اهمها التصريح الانكليزي ــ الفرنسي المؤرخ ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ الذي جاء فيه :

« ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسة وبريطانية العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع المانية ، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الترك تحريراً تاماً نهائياً ، وإنشاء حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم » إه

لقد خدعت هذه الوعود الساسة والمفكرين لا في العراق حسب ، انما خدعت اقطاب السياسة عامة في جميع الاقطار العربية التي انسلخت عن الانبراطورية العثمانية في نتيجة هذه الحرب ايضاً . وبينما العراقيون ينتظرون تحقيق هذه الوعود ، اذا بمجلس الحلفاء الاعلى يفرض الانتداب عليهم للانكليز في ٢٥ نيسان سنة ١٩٢٠ كما فرض الانتداب على السوريين للفرنسيين ، فكان ذلك ضربة قاضية على الآمال الوطنية ، ونقضاً صريحا للعهود الدولية . وعلى أثر ذلك تضافرت جهود العراقيين على المطالبة بحقوقهم المشروعة ، وطفقوا يعقدون الاجتماعات السرية والعلنية في بغداد وكربلا والنجف ، وفي الموصل وغيرها من امهات المدن العراقية لهذا الغرض ، وسرعان ما تطورت هذه المطالبة الى ثورة مسلحة امتدت من الرميثة يوم ١٣ شوال سنة ١٣٣٨هـ ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠م — وهي قريه على الفرات في لواء الديوانية — الى لواء ديالى ثم الى معظم انحاء الفرات ، سارية سريان النار في الهشيم ، واستمرت ستة اشهر فكبدت السلطة المحتلة والثوار المطالبين باستقلال البلاد خسائر فادحة في الاموال وفي الانفس .

الحكومة المؤقتة

ولم يسع الحكومة البريطانية إزاء وثبة العراقيين الجبارة ، إلا ان تستبدل حاكمها العام في العراق E. T. wilson المشهور بالشدة والغلظة بالسر برسي كوكس Sir Percy Cox المعروف بالمرونة والالمام بشؤون العراق لسبق اشتغاله فيه ، فجاء الى بغداد قافلا من ايران في ٢٧ المحرم سنة ١٣٣٩هـ ١١ تشرين الاول سنة ١٩٢٠م واخذ على عاتقه اطفاء نار الثورة من جهة، وتأليف حكومة تتولى اختيار نوع الحكم الذي يلائم العراق من جهة اخرى،وقد نجح في سعيه الى حد ما وألف حكومة موقتة برئاسة نقيب بغداد السيد عبدالرحمن الكيلاني في ١٤ صفر ١٣٣٩ ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ جعلها تحت امرته وهيمنته ، وصار يدرس مختلف الاساليب لمعرفة الحكم الذي يجدر بحكومته البريطانية أن تقيمه في العراق .

الحكم الوطني

وكان الامير فيصل ثالث انجال الملك حسين ، شريف مكة المكرمة ، فقدَ عرشه في سورية علي اثر حادثة ميسلون في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، وسافر الى اوربة لملاحقة قضية

العرب الكبرى ، فاستدعته الحكومة البريطانية الى بلادها ، فوصل الى لندن في ٢ كانون الاول سنة ١٩٢٠ . وكانت تقارير السر برسي كوكس عن الحالة في العراق قد سبقته الى العاصمة البريطانية فإذا هي تشير ان العراقيين يرفضون الانتداب البريطاني ، وينظرون اليه نظرهم الى الاستعمار ، والى ان المصلحة تقضي بافراغ هذا الانتداب في قالب معاهدة تتضمن عين شروطه إذا ما قررت الحكومة البريطانية حل المشكلة العراقية على وجه صحيح .

وفاتح الوزير البريطاني المستر تشرشل الامير فيصل في أمر تأليف حكومة عربية مستقلة في العراق تحت رئاسته على أن تقوم بتنفيذ صك الانتداب المفروض من قبل مجلس الحلفاء الاعلى على العراق ، ووعده بإفراغ هذا الصك في قالب معاهدة تعقد بين الطرفين «العراق وبريطانيا» فوافق الامير على ذلك ، وعقد على الاثر مؤتمر في القاهرة في ١٢ آذار سنة ١٩٢١ برئاسة المستر تشرسل سويت فيه هذه الطبخة ، فأبحر الامير فيصل الى العراق وبلغ بغداد في ٢٩ حزيران من السنة المذكورة ومعه بعض الزعماء الذين فروا من التعقيبات البريطانية في العراق ولجأوا الى الحجاز . وفي ٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٩هـ ١١ تموز ١٩٢١م قرر مجلس الوزراء لحكومة النقيب الموقتة المناداة بالامير فيصل ملكاً على العراق «على أن تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديموقراطية مقيدة بالقانون» ولما تبلغ المعتمد البريطاني هـــذا القرار رأى ان يجري تصويت عام للنظر في درجة انطباق هذا القرار على رغائب الاهلين . وبعد أن أجري التصويت أسفرت النتيجة عن اكثرية ممثلة في ٩٧٪ من الاهلين الذين بايعوا فيصلا وارتضوه ملكاً عليهم ، وعلى أثر ذلك أجريت حفلة التتويج في يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ ٢٣ آب سنة ١٩٢١م وانتهت المشكلة .

استقلال العراق

على اثر ارتقاء الملك فيصل الاول عرش العراق انسحبت الحكومة الموقتة من دست الحكم وحلت محلها وزارة جديدة رأسها السيد عبد الرحمن الكيـــلاني نفسه أيضاً فتولت مفاوضة الجانب البريطاني لوضع المعاهدة التي أشار اليها المستر تشرشل في حديثه مع الامير فيصل ، فتحدد فيها الصلات بين الطرفين ، ويعين فيها مركز الخليفة الحقوقي في العراق ، وقد توصل الطرفان في ١٩ صفر سنة ١٣٤١هـ ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢م الى التوقيع على المعاهدة المقررة فكانت مدتها عشرين سنة وقد بنيت على قاعدة انتدابية .

وفي ١٤ رمضان سنة ١٣٤١هـ ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٣م الحق بالمعاهدة المذكورة بروتوكول جعل مدتها أربع سنوات بغية تخفيف حدة التوتر التي خلقها عقد هذه المعاهدة .

وكان الخلاف بين بريطانية وتركية حول ولاية الموصل : أيجب أن تبقى للعراق أم تلحق

بتركية ؟ ادى الى مجيء لجنة اممية للتحقيق في ذلك ، فأوصت اللجنة المذكورة بإبقائها للعراق على شرط ان يبقى العراق في ظل الانتداب لمدة ٢٥ سنة فوضعت معاهدة سنة ١٩٢٦ في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٦م تنفيذا لهذا الشرط .

وبقيت الصلات بين العراق وبريطانية تسير سيراً متباينا ، فكانت تتحسن تارة وتسوء اخرى . وكان الحكم خلال ذلك وطنياً في الظاهر ، إنكليزيا في الواقع ، حتى دخل العراق عضواً في عصبة الامم يوم ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١هـ ٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٢م فألغي الانتداب بصورة رسمية ، وسارت البلاد سيراً حسناً حتى شاء الله أن يموت الملك فيصل ليلة ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢هـ ٨ ايلول سنة ١٩٣٣م بعد أن أسس هذا الكيان العظيم ، ودفع البلاد الى الامام دفعاً قوياً ، فتولى الملك بعده ابنه وولي عهده الملك غازي . وكان حديث السن ، جم النشاط ، ولكن شاء الطالع أن تتسلسل في البلاد الفتن والاضطرابات وتندلع في معظم انحائها الثورات ، ويختل سير الادارة خللا ظاهراً وفي أثناء ذلك صدمت البلاد بمصرع ملكها الشاب غازي الاول وذلك ليلة الثلاثاء ١٤ صفر سنة ١٣٥٨هـ ٤ نيسان سنة ١٩٣٩م في حادث اصطدام سيارة ، واندلعت لهيب الحرب العالمية الثانية بعد مرور خمسة اشهر على مصرعه (ايلول سنة ١٩٣٩) واصطدم الجيش البريطاني بالجيش العراقي في ٢ آذار ١٩٤١ فأدى الى ما هو عالق في الاذهان ولكن البلاد عادت تسترجع مقامها ، وتسير خطى واسعة في مضمار التقدم والرقي أخذ الله بيدها إلى حيث تصبو وتريد .



سكان العراق

الأقوام والأديان

كان العراق منذ اقدم الازمنة في تاريخه موطناً لأقوام مختلفة استوطنته إما مهاجرة اليه من مواطنها الاصلية ، او لاجئة ، أو غازية ، أو لدوافع اخرى ؛ ثم استقرت فيه ردحاًمن الزمن وكلها تركت فيه آثاراً لمدنيتها ، وبقايا من شعوبها ، فأصبحت بـــلاد العراق لذلك تشبه بوتقة صهرت فيها حضارات متنوعة وشعوب مختلفة ، وأصبح كل حجر فيهايستوقف الزائر ويعيد الى الاذهان ذكريات ماض مجيد مليء بكل مدهش ومثير .

ويتألف الشعب العراقي اليوم من أقوام مختلفة: عربية وكردية وفارسية وتركية، وتشيع فيه ديانات متباينة : اسلامية واسرائيلية ومسيحية ، وأقليات متنوعة أيضاً : يزيديةوصابئية وبهائية ... الخ ، وقد رأينا أن نعقد هذا الفصل للبحث عن الأقوام والاديان والاقليات في العراق بقدر ما تسمح به الظروف والمعرفة .

أ — العرب

كانت القبائل العربية ، منذ القدم ، ترتاد وادي الرافدين طلباً للماء وانتجاعاً للمرعى ، وتقيم على ضفاف الفرات بيوتا من الشعر متنقلة ، وكان تقارب اللغة والعـــادات وبعض المعتقدات بينها وبين سكان البلاد الاصليين ، الذين هم من الساميين أيضاً ، في مقدمةالعوامل التي ساعدت على الامتزاج والائتلاف بين الطرفين ، حتى صار عدد هذه القبـــائل يزداد باطراد . فلما قامت الدولة الفرثية في العراق عام ١٢٦ قبل الميلاد ، أسست فيه بضع امارات مستقلة جعلت على كل منها أميراً مستقلا بشؤون امارته ، وخاضعاً للملك الفرثي ، فكانت « امارة الحيرة العربية » التي أسسها « مالك بن فهم التنوخي » إحدى هذه الإمارات ، فوسعها وشجع بطونا كثيرة من قبائل عربية اخرى : كطي وكلاب وتميم على الارتحال اليها.

ولما ظهرت الدعوة الاسلامية الكبرى كان اهل العراق طبقتين كبيرتين: طبقةالفلاحين، واكثرهم من سلالة الساميين القدماء ، وطبقة القبائل العربية التي كان بعضها قد تحضرواسس «دولة الحيرة المذكورة» وبعضها بقي على بداوته ، يتجول في ستي الفرات ، وفي الجزيرة العربية الى اعلى دجلة ، باحثاً عن العشب والكلأ لرعي ماشيته . فلما تغلب النبي العربي محمد ابن عبد الله ﷺ ، على المشكلات من شؤون المسلمين في الحجاز ، وامتد الاسلام الى جميع أطرافه ، تفرغ لدعوة الملوك والامراء الى الدخول في دين التوحيد ومكارم الاخلاق والعدل والمساواة والاخاء . وكان ابرويز ، كسرى الفرس على العراق ، أحد الذين تلقوا هـــذه

الدعوة فاستخف بها ، لأنه لم يكن ملماً بكنهها ، ولا بعظمة القائمين بها ، وكان من آثار هذا الاستخفاف أن تضاعف اضطهاد الفرس لعرب العراق .

وكان القائدان العربيان : المثنّى بن حارثة الشيباني ، وسويد بن قطبة العجلي يغيران على ممتلكات الفرس في العراق، ويوقعان بها ، فلما كثرت انتصاراتهما، وكان ذلك في زمن الخليفة الاول أبي بكر الصديق (رض) بعث خالداً بن الوليد ليساعد المثنى في نضاله مع الفرس ، فسار خالد والتقى بالفرس عند (الابلّة) فأوقع فيهم، وصار العرب يفتحون المدن ويستولون على القلاع في ستي الفرات الاوسط فكانوا لا يخرجون من نصر الا دخلوا في آخر ، حتى تمكنوا من احتلال جنوبي العراق ، وبقي الفرس يهددونهم من الشمال والشرق . فلما صارت الخلافة الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عام ١٣ للهجرة و ٦٣٤ للميلاد بعث سعد بن ابي وقّاص على رأس جيش لجب ليجلي الفرس عن باقي البلاد ، فجاء سعد الى «القادسية» فوجد رستما القائد الفارسي ، قد استعد للقائه ومعه مئة وعشرون الف مقاتل ، فاشتبك الطرفان في معارك حامية جداً انتهت بفوز العرب واستيلائهم على المدائن عاصمة الفرس عام ١٦هـ (٦٣٦م) وبذلك سقطت الدولة الفارسية في العراق،وفتحت أبواب المشرق لصناديد العرب . وكان للإعتقاد الثابت بالنصر والاستماتة في سبيل العقيدة ، الأثر البارز في ذلك الانتصار العظيم اعني ، انتصار العرب في العراق، كما كان في الشام والحجاز ونحوهما فشيدوا دعائم انبراطورية قصرت عنها انبراطورية الرومان ، واقتحموا في زحفهم طريقاً ظل فيما بعد مبعث فنون العالم وعلومه عدة قرون .

وهكذا نجد أن المسلمين ، لما فتحوا العراق ، ساعدتهم على فتحه قبائل العراق العربية من المناذرة وغيرهم ، وكانت هذه القبائل العربية تقطن في بادىء الأمر غربي الفرات ، فعبرت هذا النهر وامتدت الى الشرق حيث اصبحت الضفة اليسرى من دجلة الحد الفاصل بين الأقوام الاجنبية والقبائل العربية . ومع أن الفرس والترك حكموا العراق عدة قرون ، فقد بقي هذا القطر ــ وما يزال ــ عربي اللغة والنزعة والدين والعنصر مع كثرة العواصف الشديدة التي مرت به ، والمحاولات العديدة التي بذلت لتخليه عن هذه الميزة .

والعرب في العراق اليوم ــ كما هم في سائر الاقطار العربية ــ قسمان : بدو ، وهم الذين يتنقلون بإبلهم ومواشيهم من محل لآخر انتجاعاً للكلأ والمرعى ، وحضر وهم قسمان أيضاً: قسم استوطنوا ضفاف الانهر ، وهم الزراع ، والقسم الثاني سكان المدن ، واكثرهم من العرب أو المستعربين ؛ وهؤلاء يحترفون التجارة والصناعة والزراعة والتوظف، ولما خالطوا مختلف الشعوب والأقوام ، خضعوا لتقاليد المدنية ، فتسربت اليهم بعض العادات الاجنبية .

والعرب في العراق يؤلفون ٧٨ في المئة من السكان ، أما البقية فهم١٧ في المئة من الكرد و٢,٧٥ من الفرس ، و٢,٢٥ من الترك .

ب — الكرد

اختلف الباحثون في تحديد عدد الكرد في العالم اختلافاً كبيراً ، فذكر بعض المصادر البريطانية الرسمية أنهم نحو ثلاثة ملايين نسمة (١) وزعم البعض من الكتاب الكرد أنهم يتجاوزون سبعة ملايين نسمة (٢) وجاء في رسالة للدكتور بله ج شيركوه . أن عدد الكرد في العالم يبلغ ٨,٣٨٨,٢٨٠ نسمة (٣) ويقول ان هذا مبني على رأي المسيو الكسندر يابا في كتابه « مجموع الحكايات والملاحظات الكردية » الذي نشر في بطرسبورغ سنة ١٨٦٠م ولكنه لا يذكر مصادر اخرى تؤيد هذا الرأي . أما السيد محمد أمين زكي ، العلامة الكردي المعروف ، وصاحب كتاب « خلاصة تاريخ الكرد وكردستان » فيقول :

«وخلاصة القول انه يؤخذ مما تقدم من المباحث أن التعداد العام لنفوس الاكراد عامة هو كما يلي :—

١— أكراد إيران ٢,٠٠٠,٠٠٠	٤— اكراد روسية وسورية ٢٣٠,٠٠٠
٢— أكراد تركية ١,٥٠٠,٠٠٠	٥— اكراد بلوجستان والهند ٣٥٠,٠٠٠
٣— أكراد العراق ٦٠٠,٠٠٠	٦— المجموع العام ٤,٦٨٠,٠٠٠ (٤)

أما عددهم في العراق فقد جاء في « التقرير الذي رفعته البعثة المؤلفة وفقاً لقرار مجلس عصبة الامم عن مسألة الحدود بين تركية والعراق » انه ٤٩١,٠٥٠ نسمة موزعاً كما يلي :—

١— في السليمانية ١٨٩,٩٠٠	٣— في اربيل ١٧٠,٦٥٠
٢— في كركوك ٤٧,٥٠٠	٤— في الموصل ٨٣,٠٠٠ (٥)

ويرى صاحب كتاب (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) في ص٢٤ من كتابه انه اكثر من ٦٠٠,٠٠٠ نسمة (يوم كانت نفوس العراق ٢,٨٤٩,٢٨٢ في سنة ١٩٢٠م) .

وللشيخ مصطفى نعمة الكردي ابحاث عن (كردستان العراقية) نشرها في مجلة (كلاويز) التي تصدر باللغة الكردية في بغداد ، ادعى فيها ان عددهم لا يقل عن مليون نسمة لأن الاحصاءات الرسمية لم تتناول القبائل الكردية الرحالة (٦)

---

(١) تقرير الحكومة البريطانية الخاص عن تقدم العراق خلال عشر سنوات ص ٢٥٢

(٢) مقدمة كتاب الشرفنامه ص٣٠٧ للبدليسي

(٣) رسالة القضية الكردية ص١٦ (القاهرة ١٩٣٠)

(٤) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٣٩

(٥) ص ٩٣ — ٩٥ من تقرير لجنة الحدود

(٦) العددان ٥و٦ من السنة الثالثة من مجلة كلاويز

وكما ان عدد الكرد في العالم ، او في العراق ، كان ــ وما يزال ــ موضوع خلاف بين الباحثين ، فان اصلهم محل خلافهم ايضاً . فالمؤرخون من العرب يجعلونهم من أصل عربي كما قال شاعرهم :

لعمرك ما الاكراد أبناء فارس   ولكنهم أبناء كرد بن عامر

ويقولون ان الاكراد ما هم إلا عرب في الاصل انفصلوا عنهم مع الغساسنة في حادثة انهيار سد مأرب ، واعتصموا بالجبال والوهاد ، حيث اختلطوا ببعض الاعاجم فنسوا لغتهم : فهم اما من ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل ، او من مضر بن نزار ، وانهم من ولد كرد بن مزد بن صعصعة بن هوازن (١) أما المؤرخون من الكرد فيدعون انهم اما من العنصر التوراني واما من العنصر الآري . وأما «لجنة الاستفتاء الاممية» المار ذكرها ، فتقول في ص٢٧ من تقريرها : ان البحث في منشأ الاكراد لا يزال غامضا ، وان الآراء لا تزال متضاربة في أصلهم ومنشأ لغتهم ، وأخيراً هي تظن انهم يمتون الى عنصر اجنبي ، فيامضى وقد تغلبت عليهم الآرية بعد ان استولى الماذيون والفرس على بلادهم .

يقطن كرد العراق مدناً وقرى تبتدىء من الحدود الايرانية ــ العراقية على خط مستقيم يمتد من جبل حمرين حتى جبل سنجار ، حيث يتصل بالحدود العراقية ــ التركية ــ السورية ويتغلون احدية خاصة تقيهم المآكل في ازجلهم ، ويؤلفون فيه أهم اقلية قومية ، وعلى كل حال هم في الأصل اربعة اقسام : الكرمانج ، والكوران ، والكلهور ، واللور ، وقد صانهم احتفاظهم بمعاقلهم الجبلية من غزوات العالم الخارجي ، ومن مؤثراته ، فكان ذلك من الأسباب التي جعلت لهم مزايا خاصة . فهم كشعب جبلي ، أقوياء ذوو بأس شديد (٢) يتعصبون لقوميتهم تعصباً شديداً ، وينقادون لرؤسائهم ومشايخهم انقياداً تاما ، ويتمسكون بأهداب الدين الحنيف تمسكاً قويا (٣) وقد ثاروا على الحكومتين : التركية والايرانية مرات عديدة في سبيل حريتهم واستقلالهم الذاتي ، كما أنهم مصدر قلق عظيم للحكومة العراقية من أجل هذا الاستقلال ، مستفيدين من صيانة جبالهم ومناعة مراكزهم ، ومن كثرة السلاح لديهم ولا ننسى اثر الدعايات الاجنبية التي يبثها المستعمرون وصنائعهم فيما بينهم . وفي دواوين الحكومة العراقية المختلفة الآن عدد كبير من الاكراد المثقفين يشغلون وظائف مهمة في الادارة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤٣/٢

(٢) في تفسير العلامة الألوسي « روح المعاني ١٤٩/٨ لقوله تعالى « ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون » أن المراد بأولي البأس الشديد «الكرد» على بعض الأقوال

(٣) بين الكرد طائفة كبيرة يتراوح عددها من الـ ٢١٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠ الف نسمة يدعون «اليزيدية» واخرى من « العلي اللاهية » يتسمون بأسماء مختلفة ويقطنون قرى عديدة في شمالي العراق

والمالية والعدلية والاوقاف والجيش والشرطة كما أن بينهم عددا من الأعيان والنواب أما الباقون فيتعاطون الزراعة وتربية الماشية والاتجار بمختلف البضائع ولا سيما التبغ .

ج — الفرس

ليس الفرس حديثي العهد بالسكنى في العراق، لأنهم من الاقوام التي تغلبت عليه غير مرة وأنشأت فيه دولا مشهورة . فكورش الفارسي هو الذي قوض ملك الكلدانيين في العراق سنة ٥٣٩ قبل الميلاد وأقام على انقاضه الدولة الكيانية الفارسية ، التي استمر حكمها الى سنة ٣٣١ قبل الميلاد ، وهي السنة التي دحر فيها الاسكندر الكبير دارا الفارسي(١) في موقعة كوكاميلا . وأردشير بن بابك هو الذي ثار ثورته العظمى ومكن الفرس (الساسانيين) من احتلال العراق للمرة الثانية سنة ٢٢٦ للميلاد ، فلبثت هذه الديار تحت حكمهم ٤٧٣ عاماً حتى ثل العرب المسلمون عرش كسرى بعد واقعة القادسية سنة ١٦ الهجرية(٢) ٦٣٦ للميلاد كما ان استيلاء الصفويين على العراق سنة ٩١٤هـ ١٥٠٧م هو الذي جعل للفرس — للمرة الثالثة — مقاماً ممتازا فيه ، ولا سيما وقد كان الشاه اسماعيل الصفوي على المذهب الشيعي الاثني عشري (٣) — وهو مذهب الاكثرية الساحقة في العراق — ولما كانت تربة العراق تضم ستة من اجداث أئمة الشيعة (٤) وفيه غيبة الإمام الثاني عشر لم يزل الفرس يختلفون اليها لزيارة مراقد أئمتهم ، وكثيراً ما أغرتهم قدسية هذه المراقد على مجاورتها والاقامة بالقرب منها ، هذا الى الالوف المؤلفة من الفرس الديالمة التي دخلت العراق في اول حكم آل بويه سنة ٣٣٤هـ ٩٤٦م ومثلهم الذين هاجروا اليه في ايام الدولة الايلخانية ٦٥٦ — ٧٣٨هـ = ١٢٥٨ — ١٣٣٨م . فقد استولى الايلخانيون على زمام الحكم في العراق حتى تغلبت اللغة الفارسية على اللغة العربية في المراسلات الرسمية .

وليس في الامكان أن نحصي عدد الفرس القاطنين في العراق إلا انه عدد كبير وهو في ازدياد مستمر من جراء زيادة عدد الوافدين على العتبات المقدسة الذين كثيراً ما فضلوا البقاء فيها على العودة الى ديار آبائهم وأجدادهم(٥) وعلى كل فإن «دانا» يقدر هذا العدد بثمانين الف

---

(١) ابن الاثير ١/٩٧

(٢) الطبري ٤/ ١٧٤

(٣) عباس العزاوي في كتابه « تاريخ العراق بين احتلالين» ٣/ ٣٣٥

(٤) وهم علي بن ابي طالب في النجف ، وولده الحسين في كربلاء ، وحفيداه موسى بن جعفر ومحمد الجواد في الكاظمية ، وحفيداه الآخران علي الهادي ، والحسن العسكري في سامراء ، وفي سامراء ايضا كانت غيبة الامام المهدي الثاني عشر

(٥) R. Coke, The Heart of the Middle East p. 201

نسمة (١) ويرى ج . هـ . كرامرد ان كثيراً من الفرس اخذوا اسرى الى العراق والبلاد العربية واصبحوا يُعدون من الموالي هناك (٢) وصار اعقابهم يمتهنون الزراعة والصناعة والتجارة ، على نحو ما كان يفعله اهل البلاد الاصليون ، فقد ذكر الاستاذ ر. أ . نيكولسن في كتابه «تاريخ الآداب العربية» ص٢١٩ ان اكثر من نصف اهل الكوفة كانوا من الموالي الذين احتكروا الصناعات والتجارة ، وكان اغلبهم من الفرس شعبا ولغة ، وقد اتوا الى الكوفة بصفة الاسرى وهناك اتبعوا الاسلام ، وكان قد ذكر قبل ذلك (ص٢١٤ – ٢١٨) ان الموالي المذكورين قد اعتنقوا المذهب الشيعي وعاضدوا المختار بن ابي عبيد الثقفي .

«وكان للفرس في الدولة العباسية شأن كبير ، وقد امتزجوا مع العنصر العربي بلحمة الدين وتعلموا اللغة العربية فكان منهم جماعة من الشعراء وعلماء اللغة والاطباء الذين اغنوا اللغة العربية بمؤلفاتهم ، كما انهم تركوا فيها آثاراً من لغتهم في عدد من الالفاظ المفردة والتراكيب» (٣)

د – الترك

دخل الترك العراق في احوال متباينة وازمان متفاوتة ، فكثر عددهم ، وقويت شوكتهم ، وعلا شأنهم ، فقد استخدمهم الامويون في جيشهم ، كما استخدمهم العباسيون الذين جاءوا من بعدهم لانهم يتصفون بمهارة في الرمي ، وشجاعة في القتال ، وصبر على الملمات ، وقد جاء في ما يؤيد ذلك ان المنصور بعث مع سلمان بن راشد الذي ولاه بلاد الموصل ألف تركي من خراسان وقال « اني ابعث معك الف شيطان » (٤) .

وكل من قرأ تاريخ بني العباس علم ما بلغه مبارك وحماد والاخشيد وابوسليم فرج الخادم – وهم من الاتراك – من المناصب العالية واتساع السلطة منذ عهد المنصور ، وابو سليم فرج التركي هو الذي بنى للرشيد طرطوس فنزلها الناس بعد خرابها وكان ذلك سنة ١٧١هـ ٧٨٧م (٥)

وكان للمعتصم – ثامن خلفاء بني العباس – عشرون الف من الرماة الترك وفي ذلك

---

(١) L. P. Dana, Syria, Palestine, Irak and Arabia p. 157

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ص ١٠٤١ من المجلد الثالث من الطبعة الانكليزية « مادة ايران »

(٣) سعيد حماده في كتابه « النظام الاقتصادي في العراق » ص٢٧

(٤) رواه الدكتور مصطفى جواد في مجموعته « اصول التاريخ والادب – مج ٢٦ ص ١٨٥ نقلا عن كتاب « لباب نثر الدر »

(٥) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتابه «تاريخ الامم والملوك » ص ٢٦ – ٥٠ من المجلد العاشر من الطبعة المصرية الحسينية

يقول علي بن الجهم ، الذي عاش في زمن المعتصم ، وتوفي سنة ٢٤٩هـ ٨٦٣م :

ورافضة تقول بشعب رضوي   إمام خاب ذلك من امام
إمام من له عشرون الفاً   من الأتراك مشرعة السهام(١)

وقد خالط هؤلاء الاتراك الشعب العراقي في المعيشة والمعاملة والتزويج ، فتناسلوا وتكاثروا ولما دخل معز الدولة البويهي الى العراق سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) دخل في عداد جنده فيالق من الاتراك تعاظم شأنهم حتى استضعفوا امراءهم الديالمة ، وما ثورة سبكتكين التركي صاحب معز الدين البويهي على المطيع العباسي سنة ٣٦٣هـ (٩٧٣م) واجباره على تسليم الخلافة الى ولده الطائع(٢) الا شاهد عدل على ما نقول .

ولما افل نجم الدولة البويهية في بغداد سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) واستولى عليها طغرل بك ، الملك السلجوقي التركي ، فأسر آخر امرائها — الملك الرحيم — تعاظم شأن الترك في العراق وكثر اختلاطهم بالشعب العراقي عامة ، وبمن سبقهم اليه من الترك خاصة ، حتى تملكوا الدساكر والقرى ، واسسوا عدة امارات بماردين والموصل وكركوك ، كما هو معروف ومشهور ويليهم الترك الخوارزمية ، فلول الدولة الخوارزمية التي حركت المغول على العالم الاسلامي بعد أن مهدت لهذه الحركة عوامل اقتصادية ودينية ، وقد حاول هؤلاء الترك الاستقرار في خوزستان والعراق فلم يستطيعوا ، لأن سكان العراق الجنوبي عرب وهؤلاء ترك ، فالتفاهم بين الطرفين عسير ، ولكنهم — اي الخوارزمية — لما مروا بجهات داقوق (طاووق) ولحف جبل حمرين وكردستان ، وجدوا كثيراً من التركمان ، اي الترك الذين سبقوهم الى سكنى هذه البلاد ، فساكنوهم واندمج فيهم من عجز عن مواصلة السير . اما المغول والتاتار الذين اخضعوا الدولة العباسية لدولتهم سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) فهم من الذين اثروا في العراق وسكانه ، ولا سيما بعد اسلام السلطان غازان واكثر جنده سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) ، تأثيراً كبيراً . ويليهم تركمان دولتي الخروف الابيض والخروف الاسود (القره قيونليه والاقوقيونيليه) فقد اختلطت قبائل هؤلاء الرحالة بسكان العراق الشرقي الشمالي ، والعراق الشمالي ؛ اختلاطاً تاما من سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) الى سنة ٩١٤هـ (١٥٠٨م) اي منذ انقراض الدولة الجلائرية الى تاريخ دخول الصفويين الفرس الى العراق .

---

(١) هكذا رواه ابو الفرج الاصفهاني في ص ٢٠٥ من المجلد العاشر من كتابه — الاغاني — طبعة دار الكتب المصرية واذا اخذنا البيتين على ماهو مشهور

امام من له سبعون الفا   من الاتراك مشرعة السهام

لوجب ان يكون لدى المعتصم العباسي سبعون الف من الرماة الترك

(٢) الفخري لابن الطقطقي ص ٢١٢ من الطبعة المصرية .

وأما الترك العثمانيون الذين احتلوا العراق على عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ (١٥٢٤م) فقد بقوا فيه الى اواخر سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) .

على ان لفظة الترك والتركمان تطلق اليوم على الذين يقطنون الاراضي التي تفصل المنطقة الكردية عن المنطقة العربية ، وينتشرون على خط ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي اي من «تل اعفر» في لواء الموصل الى « التون كوبري ؟ وطوز خرماتو » في لواء كركوك « فقزلرباط ، فمندلي » في لواء ديالى . والمظنون ان هؤلاء من جملة القوات التي كانت في جيش السلطان مراد الرابع الذي استرد العراق من ايدي الصفويين سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م) وقد مكثوا في هذه البقاع لمحافظة خط الاتصال بين الايالات التركية الجنوبية ، وايالاتهم الشمالية ، وهذا هو الخط القصير الذي يربط بلاد الاناضول ببلاد العراق ، ولا يزال عدد هؤلاء موضوع خلاف بين الباحثين فيقول الدكتور عقراوي انه ٣٨،٦٥٢ (١) ويرتإي العميد طه الهاشمي أنه ٦٠،٠٠٠ نسمة (٢) ويقدرهم « دانا » بمئة الف نسمة (٣) .

١ – المسلمون

كانت «جزيرة العرب» او «شبه جزيرة العرب» في القرن السادس للميلاد محاطة بقوتين عظيمتين هما : القوة المسيحية الرومية في الغرب ، والقوة المجوسية الفارسية في الشرق ، وكان لكل من هاتين القوتين مصالح في التبسط والتوسع ، فكان رجال الدين فيهما يبذلون جهوداً عظيمة لنشر الدعوة الى العقيدة التي يؤمنون بها لهذا الغرض ، ولكن الجزيرة العربية كانت آمنة من انتشار المسيحية والمجوسية ، الا في قليل من قبائلها . اما الاكثرية المطلقة من سكانها فكانت مطمئنة الى وثنيتها ، التي ولدت عليها ، وتابعت آباءها فيها ، فلما كانت سنة ٥٧٠ للميلاد ولد بمكة المكرمة محمد بن عبد الله في ١٧ من شهر ربيع الاول (٤) فكان مولده هدى للناس كافة ، وانصرف منذ نشأته الى العبادة والتحنث ، حتى اذا كانت سنة ٦٠١ للميلاد نزل الوحي عليه وهو يتحنث في غار حراء ، فكان نزوله نوراً أشرق على الجزيرة الوثنية فأضاءها ، وجعل العرب يتركون عبادة الأوثان والاصنام ، ويتوجهون الى الله الواحد الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد .

وكانت الشريعة التي جاء بها فخر الكائنات محمد ﷺ ، عظيمة سمحة «تربط بين التفكير المنطقي والشعور الذاتي ، وبين قواعد العقل وهدى العلم ، برباط لا مفر لأهلها من البحث عنها والاهتداء اليها ليظلوا مسلمين » (٥) ولهذا لقيت دعوته اليها من الهوى في النفوس

---

١ – العراق الحديث ص١٣ (٢) مفصل جغرافية العراق (٣) جغرافية آسيا العربية

٤ – وفي رواية اخرى ان ولادته كانت في ١٢ من الشهر المذكور .

٥ – الدكتور هيكل في حياة محمد الطبعة الثالثة ص ٤٩٩

والانتشار السريع مالم تلقه الشرائع الاخرى، فأقبل العرب على الدخول فيها لتهذيب انفسهم وتطهير افئدتهم، وتغذية قلوبهم وعقولهم بالمبادىء السامية مبادىء الإباء والانفة ، والاخوة والمحبة ، والبر والتقوى ، لأن الاسلام يساوي بين المسلمين امام الله ، لافضل لأحدمنهم على احد الا بالتقوى ، وليس لولي الامر على مسلم طاعة في معصية ولا فيا لم يأمر به الله .

فلما اطمأن الرسول العظيم الى انتشار دينه الكريم في الجزيرة ، وجه عليه الصلاة والسلام دعوته الى اباطرة الروم ، واكاسرة الفرس ، يطلب دخولهم في الاسلام، فغاظ طلبه ابرويز كسرى الفرس في طيسفون بالعراق ، وكتب الى عامله في اليمن عام ٦٢٨ للميلاد أن يسير لقتاله ، ولكن الدعوة الاسلامية كانت اعظم مما ظنها الملك الفارسي بكثير ، والجيوش الاسلامية كانت تنساب من بلاد العرب انسياب السيل الجارف لتشييد دعائم عالم جديدمن الاخاء والتوحيد . فلما لبى الرسول الكريم دعوة الإله العظيم في ٢٨ صفر عام ١١ للهجرة(١) و ٨ حزيران سنة ٦٣٢ للميلاد وتولى الخلافة الاسلامية ابو بكر الصديق (رض) كتب اليه المثنى بن حارثة الشيباني يقول : ان شؤون الفرس قد اضطربت ، وقواهم اخذت بالضعف ويسأله أن يمده بالعون ليزيد فيهم فتكاً ، فبعث الخليفة قائدين من قادة المسلمين لثل عرش الفرس في العراق وهما : خالد بن الوليد وعياض بن غنم، فكانت الحرب بينهما وبين الجيش الساساني سجالا . فلما افضت الخلافة الى عمر بن الخطاب (رض) ندب سعد بن ابي وقاص ليتم العمل الذي بدأ به الصديق، فسار سعد الى القادسية واشتبك مع جيش رستم الفارسي في حرب ضروس انتهت بفوز المسلمين واستيلائهم على المدائن عام ١٦ للهجرة و٦٣٦ للميلاد ودكهم عرش الساسانيين في العراق . وهكذا انتشرت الديانة الاسلامية في العراق منذ ذلك الحين وما زال سكان العراق البالغ عددهم اكثر من سبعة ملايين نسمة يدينون بها مفتخرين مغتبطين وقد نص القانون الاساسي العراقي في مادته الثالثة عشرة على ان (الاسلام دين الدولة الرسمي ، وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لاتمس، وتضمن لجميع ساكني البلاد حرية الاعتقاد التامة ، وحرية القيام بشعائر العبادة . . الخ أي ان الدستور جعل الاسلام دين الدولة الرسمي وقد ضمن حرية الاعتقاد للأقليات غير المسلمة وهي بمجموعها لا تتجاوز ربع مليون نسمة .

والمسلمون في العراق قسمان : اهل السنة وشيعة علي بن ابي طالب (ع) وليس بين الفريقين كبير فرق في اسس الاعتقاد ، الا ان هناك اشكالا تظهر بها هذه العقائد ، وآراء حكيمة وكلامية طفيفة يختلفون بها . فالشيعيون يرون ان العدل اصل من اصول الدين ، ويعنون

(١) وفي رواية اخرى ان وفاته (ص) كانت في ١٢ ربيع الاول سنة ١١ للهجرة .

بالعدل تنزيه ذات الخالق تعالى من فعل القبيح، والاخلال بالواجب، أما اهل السنة فيقولون «ان العدل صفة من صفات الله تعالى» وفي الوقت الذي يشترك كافة المسلمين في وجوب وجود الواسطة بين الباري تعالى وبين عباده ، وهي مقام النبوة ، يفترق الشيعيون عنهم بوجوب وجود حارس خاص للاحكام ، ومبلغ لما يبلغه النبي ﷺ وهي مقـــام الامامة ، فمن قال بها فهو مسلم شيعي ، ومن لم يقل فهو مسلم غير شيعي . اما في عدا ذلك فليس بين الفريقين من خلاف يذكر .

٢ـ الاسرائيليون

في عام ٦٠٤ ق.م اعتلى عرش (بابل) في العراق ملك الكلدانيين (نبوخذنصر) فحالف (يوياقيم بن يؤاش) ملك اليهود في (اورشليم) في جملة من حالفهم من ملوك الاقاليم وأمراء الجهات ثم حدث بينهما ما اوجب النفرة والانفصال ، وذلك أن ملك اليهود خان العهد وخالف ما اتفقا عليه، لذلك جهز عليه نبوخذ نصر جيشاً ثل عرشه، وأسر جنده، وسبى نساءه وقيانه ، واشراف مملكته ، ونفاهم الى بابل، ثم عهد بعرش اورشليم الى (صدقيا) ابن (يوياقيم) ــ سنة ٥٩٧ ق.م بعد أن تحالف معه ضد بساماتيك الثاني، فرعون مصر . وشاء الملك الجديد ان ينقض عهده ايضاً مع نبوخذنصر، بتأثير الحزب الموالي لمصر في اورشليم، فجهز عليه الملك الكلداني جيشاً آخر هدّ ما بقي من معالم (اورشليم) وسبى جميع سكانها الى (بابل) سنة ٥٨٦ ق.م فتفرق اليهود تحت كل كوكب ببلاد بابل وآشور، وببلاد ماذي وغيرها حتى ضربت الامثال بتفرقهم (١) فلم يسع عقلاء اليهود إلا أن اتخذوا (بابل) وطناً ثانياً لهم فبنوا بيوتاً لسكناهم وانصرفوا الى الكسب والعمل بنشاط عظيم .

ومات (نبوخذنصر) سنة ٥٦١ ق.م فأخذ الوهن يتسرب الى مملكته، حتى اذا كانت سنة ٥٣٩ ق.م قرضها «كورش الفارسي» وأذن لليهود بالعودة الى قدس اسرارهم ومحط انظارهم (اورشليم) فعاد القليل منهم، وبقي من ألف الحياة البابلية، فكان يتقلب بين السعد والشقاء، والراحة والقلق . ولا ريب في ان القسم الاعظم من الاقلية اليهودية في العراق اليوم إن هي الا بقايا السبي المذكور . وكان هؤلاء يحترفون الزراعة والصناعة، فتحولوا عن الاولى إلى التجارة والصياغة والصيرفة وبيع الخمور، وهم يتجشمون في سبيل التجارة اخطار السفر ويركبون من اجلها الأهوال . لايحول دون الكسب والارتزاق لـــديهم اي حائل . أما بيع الخمور فقد اورد الحموي في مادة (قاطول) ما يؤيد تعاطيهم اياها منذ القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) .

---

(١) يوسف غنيمة في كتابه «نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق» ص٥٢

فحانة من عيــد اليهوذي انها   مشهرة بالراح معشوقة الأهل (١)

وقد احصت الحكومة البريطانية نفوس يهود العراق عام ١٩٢٠م فكانت ٨٧،٤٨٧ نسمة وقد احصتها الحكومة العراقية في عام ١٩٣٥ فكانت اكثر من هذا العدد بقليل ، امثا المجالس اليهودية في العراق «التي سيرد ذكرها » فتقدر نفوسهم بـ(١٠٠ , ١٢٠) نسمة يقطن ثلثاها بغداد وضواحيها ويلي بغداد في كثرة سكنى اليهود البصرة أما الباقون فتنتشرون في جميع انحاء القطر بحيث قلما تخلو منهم قرية . ولهم في امهات مدن العراق مؤسسات صحية وعلمية ينفق عليها اثرياؤهم مبالغ طائلة .

وتدير شؤون اليهود الخاصة مجالس روحانية وجسمانية موزعة بموجب قــانون وضع لهذا الغرض (٢) على ثلاث مناطق وهي : بغداد والبصرة والموصل ، وهناك مجلس روحاني أعلى في بغداد يتولى إعداد الروحانيين ويشرف على المقررات الدينية. اما المجالس الجسمانية في المناطق الثلاث المذكورة فتتولى ادارة المؤسسات والمدارس والتركات والمسقفات الموقوفة لأغراض خيرية ، وتجبى ضرائب على اللحوم تسمى (الغابيلة) فتنفقها على شؤون الطائفة : وهذه الضريبة قديمة العهد اذ ذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ٤٢١هـ (٣) .

وقد ضمن القانون الاساسي العراقي مساهمة يهود العراق في الحكم الوطني ، كما ضمنها لبقية الطوائف (٤) فلهم عضو في مجلس الاعيان واربعة اعضاء في مجلس النواب (٥) وعدد كبير من الموظفين في مختلف الدوائر الحكومية ونشاطهم في نواحي الثقافة والعلم والأدب مشهور ، وقد برز فيهم في الآونة الاخيرة كتاب وشعراء وصحفيون واطباء..الخ وعلى اثر اغتصاب فلسطين العربية واقامة دويلة لمتشردي اليهود فيها باسم (اسرائيل) اخذ هؤلاء اليهود العراقيون يتسللون الى فلسطين سراً وعلانية فشرعت «الوزارة السويدية الثالثة» قانوناً في النصف الاول من سنة ١٩٥٠م اباح لهؤلاء التخلي عن جنسيتهم العراقية فهاجر معظم يهود العراق اليها ولم يبق فيه الا أقل من ستة آلاف يهودي في سنة صدور هذا الكتاب

٣ ـ المسيحيون

احصت السلطات البريطانية العسكرية احصاء تقريبيا نفوس العراق عام ١٩٢٠م فكانت

---

١ ـ ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٧ ص١٤

«٢» وهو قانون الطائفة الاسرائيلية رقم ٧٧ لسنة ١٩٣١ وتجده في مجموعة القوانين والانظمة العراقية لسنة ١٩٣١ ص ٧٢١ - ٧٢٩

«٣» في ذكر سيرانى علي بن ماكولا الى البصرة الكامل ١٤١/٩

«٤» المادتان ٦ و١٨ من القانون الاساسي

«٥» المادة السادسة من قانون انتخاب النواب

٢،٨٤٩،٢٨٢ نسمة بينهم ٧٨،٧٩٢ مسيحياً. واحصت الحكومة العراقية نفوسه سنة ١٩٣٥م فكانت ٣،٣٥٣،٧٧٧ نسمة بينهم ٩٠،٠٠٠ مسيحياً وتدل السجلات المحفوظة في الكنائس العراقية التي تضبط الولادات والوفيات ضبطاً دقيقاً فتركن اليها السلطات الحكومية في حالات عديدة(١) على ان عدد المسيحيين في العراق لايقل عن ١٣٥،٠٠٠ نسمة . وهنالك من يدعي ان عددهم لا يقل عن نصف مليون نسمة ، ويزعم ان الحكومة تعرف ذلك ولا تعترف به لأسباب سياسية محلية ، او لاعتبارات دولية لا مجال لبحثها في هذه الالمامة .

والمسيحيون في العراق قسمان :

الاول : المتوطنون من بقايا سكان العراق القدماء من الآراميين ؛ ومعظمهم كانوا من النساطرة أتباع الكنيسة النسطورية الكبرى المؤسسة في آسيا منذ اواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي ، وكانوا يعرفون بأبناء الكنيسة الشرقية او النساطرة ، لاتباعهم البدعة النسطورية . وفي حوالي القرن الخامس عشر الميلادي نبذ اولئك النساطرة هذه البدعة الغربية وأعادوا اسمهم القديم اعني الكلدانيين . وفي القرن السادس عشر عاد بعض النساطرة الى الكلدنة .

الثاني : المهاجرون الى العراق من جهات مختلفة ؛ ولا سيما من ايران وتركية وهؤلاء هم الارمن والنساطرة الذين يزعمون انهم من بقايا الآثوريين ؛ وقد أضطرتهم ظروف الحرب العالمية الاولى (حرب ١٩١٤—١٩١٨م) الى هجرة ديارهم والالتجاء الى العراق وعددهم فيه زهاء (٢٥،٠٠٠) نسمة . يقطنون في القضاءين «زاخو والعمادية» في لواء الموصل وفي قضاء «راوندوز» في لواء اربل ، وقد يقطن بعضهم امهات المدن العراقية الرئيسية «كبغداد والبصرة والموصل وكركوك» وقد انخرط فريق من شبان النساطرة الآثوريين في بعض افواج القوات البريطانية في العراق وظل الباقون يحترفون الزراعة ورعي الماشية . وهناك قسم من المسيحيين المهاجرين ومعظمهم من الارمن والروم .

هؤلاء المسيحيون يؤلفون في العراق أقلية لا بأس بها . والمستوطنون منهم هادئون وادعون متفاهمون مع الاغلبية المسلمة ؛ مخلصون للحكم الوطني ، ميالون الى الثقافة والتطور ، يشغل لفيف منهم مناصب كبيرة في بعض دواوين الحكومة ، ويتعاطى الباقون الصناعة والتجارة والزراعة ولبعضهم رغبة فى العلم والفن . اما المهاجرون فمعظمهم مصدر قلق للحكومة على الدوام

وينقسم المسيحيون في العراق على الاجمال الى قسمين كبيرين : الكاثوليك وغير الكاثوليك فالكاثوليك هم الذين يؤمنون بتعاليم الكنيسة الرومانية ، ويعترفون بكون البابا خليفة ماربطرس

---

(١) قرار محكمة التمييز الصادر في ٢٦ شباط ١٩٣٦ وتجده فى كتاب «قضاء محكمة التمييز» لحسين جميل ص ١٥٣

(رئيس الحواريين) ومقره روما عاصمة ايطاليا . ويشمل هذا اللقب الكلدان ، والسريان واللاتين ، والأرمن الكاثوليك ، والروم الكاثوليك اما غير الكاثوليك فهم الذين لا يعترفون بسلطة البابا عليهم بل يخضعون لسلطات دينية طائفية ، وهؤلاء هم النساطرة واليعاقبة (١) ، والبروتستان ، والأرمن الأرثوذكس ، والروم الأرثوذكس . أما سبب هـذا الانقسام فيعود الى اختلاف العقيدة في السيد المسيح والعذراء . فالكاثوليك يعتقدون ان المسيح هو ابن الله حقاً ، وانه ولد من مريم العذراء حقاً ، متخذاً منها الطبيعة البشرية ، ومحتفظاً بإلهيته في الوقت نفسه . وعليه فإن تحديد العقيدة الكاثوليكية يكون بهذا الوجه «في المسيح طبيعتان طبيعة إلهية ، وطبيعة إنسانية ، واقنوم واحد — أي شخص واحد — وهو الاقنوم الإلهي » أما غير الكاثوليك فلا يقبلون بهذه العقيدة ، ولكنهم في الوقت نفسه يختلفون فيما بينهم فيما يختص بعقيدتهم في المسيح فبعضهم — كاليعاقبة — يعتقد على مثال ما يعتقد به الكاثوليك بأن مريم العذراء هي ام الله وبعضهم — كالنساطرة — ينكرون ذلك ، وهي نتيجة لما يعتقده الفريقان عن المسيح . فالنساطرة يقولون إن في المسيح طبيعتين وأقنومين ، أي ان هناك مسيحين: مسيحاً انسانياً بطبيعته الانسانية واقنومه الإنساني، — وهو الذي عاش على الأرض وصلب ومات — ومسيحاً إلهياً بطبيعته الإلهية وأقنومه الإلهي، — وهو الذي لم يمت ولن يموت — أما اليعاقبة فإنهم يعتقدون بأن في المسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة تضم الطبيعتين معا : الإلهية والبشرية

٤ — اليزيديون

في لواء الموصل جماعة يتراوح عددها من ٢١ الف الى ثلاثين الف نسمة (٢) يدعون اليزيدية ويطلبون رضاء الشيطان في أعمالهم، ولهم شعائر دينية غريبة، وعادات لم تألفها بقية الطوائف والنحل . وقد اختلف المؤرخون في أصلهم وفي صاحب الطريقة التي ينتمون اليها ، فذهب فريق الى انهم ينتسبون الى يزيد بن أنيسة الخارجي ، وارجعهم فريق الى أصل آري، ورأى أن (كلمة يزيدية) مشتقة من الكلمة الفارسية أو الكردية (يزدان) أي (الله) وزعم فريق ثالث أنهم من اتباع يزيد بن معاوية الأموي ، وهكذا دواليك .

والذي نراه ان اليزيدية « طائفة من الصوفية لهم طريق خاص كالحال في سائر طوائف القوم » (٣) وكانت تدعى «العدوية» عند ظهور مبدعها « الشيخ عدي بن مسافر الأموي

---

(١) ويطلق عليهم ايضا لقب السريان القدماء او السريان الارثوذكس

(٢) تقرير لجنة عصبة الامم عن الحدود بين تركية والعراق ص ٥٧

اما الاحصاء الذي اجرته الحكومة العراقية في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٧م فقد دل على أن عدد اليزيديين المسجلين في العراق هو ٣٢,٤١٠ نسمات منهم ١٥,٠٠٢ من الذكور و١٧,٤٠٨ من الاناث

(٣) احمد تيمور في رسالته: اليزيدية ومنشأ نحلتهم: ص٤٢

المتوفى عام ٥٥٧ للهجرة» وكان من آراء هذا الشيخ المتصوف صلاح يزيد بن معاوية واعتقاده بصحة خلافته ، ومن هذا الاعتقاد المجرد نشأ ايمان اتباعه العدويين به ، غير انهم خرجوا به الى الغلو في يزيد حتى اعتقدوا فيه الإلاهية واستغرقوا في الضلال والاوهام. فهم اذن مسلمون في الأصل، انحرفوا عن طريق الحق ومحجة الصواب، كما انحرف غيرهم من النحل فأصبحوا في نظر المسلمين من الكافرين .

يعتقد اليزيديون الآن بوجود إلهين: إله الخير، وإله الشر، ويرمزون الى الأول بالله تعالى والى الثاني بالشيطان الرجيم «ويسمونه طاووس ملك» فيقولون «إن الله الذي لا حد لصلاحه وجوده ومحبته للخلائق لا يفعل بهم شراً لأنه صالح . اما الشيطان فهو منقاد طبعا الى عمل الشر، لأنه مصدر الشر ومبدأه ، وعليه : فالفطنة تقضي على من يريد سعادة الحياة ان يهمل عبادة الله الصالح بطبيعته ، ويطلب ولاء الشيطان وحمايته تخلصاً من أذاه» (١) ولهم كتابان مقدسان يسمى احدهما « الجلوة » والآخر « مصحف رش » وفي كليهما من الاضطرابات والغموض ما فيهما، كما ان لهم رؤساء دين يتميزون بمراتب خاصة وامتيازات روحية لا تدرج فيها. اما صلواتهم فهي عبارة عن أذكار وأوراد خاصة يتلونها في اوقات خاصة . واما صيامهم فهو انقطاع عن الأكل والشرب ثلاثة ايام فقط لأنهم يزعمون ان حكم الصيام الذي جاء في القرآن نزل باللغة الكردية فترجم خطأً ثلاثين يوما ، فهو «سه روز» لا «سي روز» ولهم حج مخصوص لمرقد الشيخ عدي بن مسافر الاموي في مواسم مخصوصة من السنة .

ومن أهم عاداتهم واغربها ، انهم يحرمون أكل الخس واللهانة وبعض الخضر التي تسمد بعذرة الإنسان ، كما انهم يحرمون على أولادهم تعلم القراءة والكتابة ما عدا أولاد الرؤساء الروحانيين من سلالة الشيخ حسن (٢) ، ولا يدخلون الحمامات ولا المراحيض ، معتقدين انها من ملاجىء الشيطان —في نظر المسلمين— ، ولا يستخدمون الخيل ذكوراً واناثاً في حمل الاثقال اما ركوبها فجائز عندهم ، الى غير ذلك من المعتقدات الغريبة (٣)

والمعروف عن اليزيديين انهم من الشعب الكردي ، وهم يتكلمون الكردية ، اذا كانوا في صقع كردي ، والعربية ، اذا كانوا في صقع عربي ، ويسكن ثلثاهم في جبل سنجار ،

---

١ — القس سليمان صائغ في كتابه : تاريخ الموصل : ج١ ص٢٩٦

٢ — أخذ عقلاء اليزيدية يشعرون بالخسارة التي منيت بها طائفتهم من جراء تفشي الامية بين ظهرانيهم فسمحوا لبعض أبنائهم بالانخراط في المدارس الحكومية للارتشاف من مناهلها المترعة ، واتخذت الحكومة سياسة تشجيع أزاء هذه القضية ستثمر ثمراً يانعا عن قريب فيما نعتقد

«٣» — ولصاحب هذا الكتاب رسالة مطولة عن هذه الطائفة عنوانها «اليزيديون في حاضرهم وماضيهم» طبعت ثلاث طبعات واحتوت على معلومات فريدة في بابها

والثلث الآخر في قضاء الشيخان ، ويحترفون الزراعة وتربية الماشية ويكرهون التجـــارة ، وهم أقوياء أشداء مسلحون .

٥ — الصابئون

جاء في سورة البقرة في القرآن الكريم قوله تعالى « إن الذين آمنـــوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر » الآية .

فذهب المفسرون في تفسير كلمة « الصابئين » مذاهب شتى لا يتسع كتابنا التعرض لها بيد أننا نقول ان الصابئين الذين ذكرهم القرآن الكريم انقرضوا وعفّت أخبارهم ،فأصبح من الصعب الإلمام بتاريخ صحيح عنهم ، او اخبار لا يشوبها الاضطراب (١)

وذكر ابن النديم في (ص ٣٢٠ من الفهرست طبعة اوروبا) ان الحرانيين انتحلوا ديانة الصابئة لهم عام ٢١٨ه (٨٣٣م) ليتحاموا اضطهاد المأمون العباسي لهم ،حين انكر عليهم لحاهم وسحنة وجوههم ، فخيرهم بين الدخول في الاسلام او ذكر دين لهم ورد ذكره بالقـــرآن . وظاهر الأدلة التحقيقية المتوافرة يدل على ان الحرانيين انقرضوا ، انقراض الصابئة الذين ذكرهم الفرقان المبين . أما الصابئة الذين يشاهدون الآن في المدن والقرى القائمة على شواطىء دجلة والفرات : كالعمارة وقلعة صالح والشرش والناصرية وسوق الشيوخ...الخ فقد كتب الينا عنهم المستشرق الالماني المعروف الدكتور ه. ريتر يقول :

« أما الصابئة فالمشهور عندنا ان لا مناسبة اصلا بين صابئة العراق وصابئة حرّان على رغم اشتراك الطائفتين بالاسم . ومعلوم ان هذا الاسم اتخذه اصحاب الأديان الغير ذمية من القرآن ليتحاموا به عن التعقيبات الدينية ، فصابئة دجلة هم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية ، وتبعوا يوحنا المعمدان ؛ ثم لما رأوا ان اتباع عيسى غلبوا على اتباع المعمدان هاجروا من الأردن الى نهر آخر يجري من الشمال الى الجنوب وهو دجلة » (٢) انتهى بنصه .

يعتقد صابئة العراق ان الله تعالى خلق روحانيـــاً اسمه (هيّ قدمايا) وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنفوس المقدسة ، ثم خلق روحانياً آخر يدعى (هيّ تنيائي) وخلق معه عوالم أخرى لا يحصى عددها ، ثم خلق مخلوقاً ثالثاً يدعى (هيّ ثليثائي) وخلق معه مثل ما خلق مع سابقيه ، ثم خلق عوالم سبعة تدعى (آلمي دهشوخا)أي عوالم الظلام، وهي تستمد نورها من الشمس ، وارضنا من جملتها . وهم يرون ان الارض خلقت على شكل مربع ، وانها ثابتة غير متحركة ، ومقامة على هواءين : احدهما خارجي ، والآخر داخلي ، وتحتها مـــاء

«١» لصاحب هذا الكتاب رسالة عنوانها الصابئون في حاضرهم وماضيهم ، طبعت ثلاث طبعات فليرجع اليها من أحب الاستزادة من هذه المعلومات

«٢» من رسالة شخصية بعث بها صاحبها الى المؤلف بتاريخ ٢١ كانون الاول سنة ١٩٣١م

انبسطت عليه ، اما السماء فيقولون انها مكونة من سبع طبقات، وان الشمس تقع في الطبقة الرابعة ، والقمر في السابعة ، وان الارض والسماء مركبتان من مادتين ، هما : النار والماء . وهكـذا الكائنات الحية . ويقولون ان الموت انتقال لا اندثار . فالروح بعد ان تخرج من الجسد تنتقل من جسم الى آخر حتى تصل الى عالم الانوار . وان الروح لا تطهر الااذا خرجت من بدن طاهر ، لهذا يغسلون الميت في ساعة احتضاره ، ولا يبكون عليـه لان البكاء والعويل محرمان عليه ، زاعمين ان كل دمعة تذرفها العين على الفقيد تكوّن نهراً كبيراً في طريقه تكاد تعجز عن عبوره .

وتتلخص طقوس الصابئة الدينية في ان الصلاة عندهم عبارة عن وقوف وركوع وجلوس على الارض مع قراءة جمل تدل على الدعاء والخضوع لله تعالى بلا سجود. وهم لا يصومون لأن الصيام — في نظرهم — من باب تحريم ما أحله الله ، لكنهم يمتنعون عن أكل اللحوم مدة من الزمن ، على نحو ما يفعله النصارى في المواسم المخصوصة ، ويباح عندهم الطلاق، كما يباح تعدد الزوجات ، إلا انهم لا يجوزون العقد على الثيب... ولهم كهنة في درجات مخصوصة ، وثلاثة اعياد معلومة ، وكتب مقدسة مذكورة، وأعظم مهنة لهم صياغة الميناء، وهي من الفنون الجميلة التي لا يطلعون أحداً من غير أبناء ملتهم على أسرارها وكذلك يصنعون الاسلحة الجارحة والسفن الشراعية الخفيفة ، اما عدد نفوسهم فيتراوح من خمسة آلاف الى ستة آلاف نسمة(١) وقد اضطرتهم ظروفهم المعاشية الى التفرق بين سائر المدن والقرى لبيع ما يصوغون من الادوات الفضية والذهبية بعـد ان كانوا مجتمعين في المدن الساحلية لان طقوسهم الدينية لا تتم إلا بالارتماس في الماء الجاري لذلك نراهم لا يسكنون الا في الاماكن القريبة من الماء .

٦ — مذاهب اخرى

وهنالك طوائف اخرى من (العلي اللاهية) تتسمى بأسماء مختلفة وتقطن بعض القرى في اللواءين الموصل وكركوك ، وفي مندلي بلواء ديالى . كما ان في اللواءين (ديالى وبغداد) جماعات صغيرة من البهائية وغيرها من الطوائف التي لا نرى ضرورة للبحث عنها لقلة عددها وضآلة شأنها .

وقد كتبنا عن البهائية كتاباً قائماً بنفسه اسمه (البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم) فليرجع اليه من أراد الإلمام بمعرفة هذه الطائفة وكيفية ظهورها وأسرار ديانتها .

---

(١) اما الاحصاء العام الذي اجرته الحكومة العراقية في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٧م فدل على ان نفوس الصابئة في العراق هو ٦٤٦٨ نسمة منهم (٣٣٤٩) من الذكور (٣١١٩) من الاناث

جبال العراق ومعادنه

الجبال

يقسم العراق من حيث جغرافية أراضيه الى قسمين ، هما : العراق الاعلى ، والعــراق الاسفل . ويفصل بين هذين القسمين خـــط وهمي يمتد من دلي عباس (في لواء ديالى) الى هيت في (لواء الدليم) فيقع القسم الاول في شماليه ، وهو عبارة عن اراضي سهلة وأخرى مرتفعة ، تتخللها جبـــال شاهقة ووديان عميقة وانهار سريعة الجري ، ويقع القسم الثاني في جنوبيه ، وهو عبارة عن سهل واسع ينتهي بالخليج ، أي أن المناطق الجبلية في العراق تقع في شماليه ، وفي شماليه الشرقي ، وهي بذلك تكوّن له حدوداً طبيعية بينه وبين جارتيه: تركية وايران ، وتؤلف هذه المناطق جزءاً واحداً من ثمانية اجزاء من مجموع مساحة العراق البالغة ٤٥٣٫٥٠٠ كيلومتر مربع .

وتدل طبيعة الاراضي السهلة التي تحيط بها الجبال والهضاب على انها تكونت في قديم الزمان من رواسب البحار التي كانت تغمرها في فجر التاريخ ، وليس فيها إلا بعض التلول الحجرية او الكلسية الواقعة في سهل الجزيرة ، وفي جبلي : سنجار وعبد العزيز ، وكذلك في جوار (عنه) و (هيت) وفي أطراف الموصل .

والمناطق الجبلية في العراق إن هي إلا أجزاء من جبال حكاري ، وجبال كردستان (اي جبال زوغروس القديمة) الممتدة على الحدود العراقية ــ التركية، والحدود الايرانية ــ العراقية.

وتتصل جميع جبال الانضول وجبال ايران وجبال كردستان بعضها ببعض في جبل آرارات الذي يبلغ ارتفاعه سبعة عشر الف قدم فوق سطح البحر ؛ وهو من أعلى جبال القسم الغربي في الشرق الادنى وعلى قمته تتلاقى الحدود الايرانية والتركية والروسية ، فهي بهذا الاعتبار تكون نقطة العقدة لهذه الجبال. وليست قمة جبل آرارات إلا فوهة بركان منطفىء كما يقولون .

والذي يهمنا في هذا الباب هو البحث في جبال حكاري الواقعة في شمالي العراق ، وفي جبال كردستان الكائنة في شماليه وفي شماليه الشرقي. فالجبال الواقعة في العراق هي آخر جبال كردستان ، تفرعت منهـــا ، وامتدت نحو الجنوب من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، وانتهت في المنطقة الواقعة بين مصب نهر الخابور في نهر دجـــلة ، وبين أواسط نهر ديالى الذي يقطع فيه الحدود العراقية ــ الايرانية ، غير انها تجتاز تلك الحدود من شرقي (راوندوز) و (السليمانية) فتدخل الاراضي الايرانية وتلتقي بجوارها .

وتقع جبال كردستان الجنوبية الشاهقة على الحدود التي تفصل العراق عن ايران، ويبلغ

ارتفاعها نحو عشرة آلاف قدم ، وتروي هذه المنطقة مياه غزيرة ومنابع كثـيرة تجري في وديان عميقة ، ومضايق وعرة ، ثم تصب في نهر الزاب الاسفل ، وهي على الدوام مكسوة بالادغال والاشجار ، ومنحدراتها مغطاة بالاعشاب والازهار ، فترعى فيها مواشي القبائل الكردية السيارة ، وتقصدها القبائل القريبة الاخرى اذا امحلت مناطقها واحتاجت الى الكلأ لاغنامها اما اتجاهات هذه الجبال بوجه عام فهي من الشمال الغـربي الى الجنوب الشرقي ، وتقطعها طرق وعرة ، تمر بمناطق منيعة ، وتغمرها الثلوج في مواسم الشتاء .

وتقع جبال كردستان المتوسطة في منطقة الحدود التي تفصل العراق عن تركية ، وهي أيضاً منطقة وعرة المسالك تكتنفها جبال شاهقة ، ويقطع القسم المرتفع منها نهر الزاب الاعلى بروافده ووديانه ؛ وتسقيها عدة أنهر اشهرها : الزاب الاعلى والخابور والهيزل وبوتان صو وبتليس جاي ، لذلك نراها لا تنفك مكسوة بالأدغال والأشجار ، تسرح فيها اغنام الكرد كما ترعى في جبال كردستان الجنوبية وهي ايضاً ذات تربة خصبة .

وفي استطاعتنا ان نقسم المناطق الجبلية الشمالية في العراق الى الاقسام الثمانية التالية :

١ـ القسم الكائن بين نهر دجلة ونهر الهيزل، وتسمى جباله «جبال شرناخ» ويبلغ ارتفاع قمتها في (جبل الجودي) ٨٢٠٠ قدم ، وليس في هذا القسم غابات تذكر .

٢ـ القسم الكائن بين نهر الهيزل ونهر الخابور الاعلى ، وتسمى جباله (جبال كويان) ، ويبلغ ارتفاع قمتها في جبل مهرنار ٧٠٠٠ قدم وفي جبل التنّين (١٠،٠٠٠) قدم .

٣ـ القسم الكائن بين نهر الخابور الأعلى ونهر الزاب الأعلى ، وتسمى جباله (جبال آشيته) وهي موازية للحدود ، ويبلغ ارتفاع قمتها في جبل أفراز (١١،٠٠٠) قدم .

٤ـ القسم الكائن بين نهر الزاب الاعلى و (روبارشين) وتسمى جباله (جبال جوله مرك) وهي قسم من جبال حكاري ، ويبلغ ارتفاع قمتها في قلعة براغا (١٤،٠٠٠) قدم .

٥ـ القسم الكائن بين نهر كومل ونهر دجلة ، وفيه (جبل بي خير) الذي يبلغ ارتفاعه (٤٠٣٣) قدماً ، وجبل «تاتغ دريا» الذي يبلغ ارتفاعه ٣٩٠٠ قدم ، والجبل الابيض الذي يبلغ ارتفاعه ٣٦٠٠ قدم.

٦ـ القسم الكائن بين منبع « نهر كومل » ومنبع (نهر الخابور) وفيـه (جبل كاره) الذي يبلغ ارتفاعه في جنوبي العمادية ٧٢٠٠ قدم ، وجبل (كو) الذي يبلغ متوسط ارتفاعه (٥٢٠٠) قدم .

٧ـ القسم الكائن بين نهر الخازر ونهر الزاب الاعلى ، وفيه (جبال بارزان) التي يبلغ ارتفاعها في القسم الغربي (٥٨٠٠) قدم ؛ وفي القسم الشرقي (٥٧٠٠) قدم ، ويتفرع منها كل

من جبل بيرس ، وارتفاعه (٦٤١٠) اقدام وجبال عقرة وارتفاعها ٤٠٠٠ قدم ، وجبل برات وارتفاعه ٥٣٠٠ قدم.

٨ـ جبال (بر والي بالا) التي يبلغ ارتفاع قمتها في (سر عمادية) ٦٦٠٠ قدم ، وهي تقع بين نهر الخابور ونهر الزاب الاعلى قبل ان ينعطف نحو الشرق .

أما المناطق الجبلية الشمالية الشرقية فتقسم الى ثلاثة اقسام كبرى وهي (١) :

اولا : القسم الكائن بين الحدود وتابع راوندوز ، وفيه الجبال الواقعة بين (شمدينان صو) و (روبار برازكير) وارتفاع قمتها في جبل «شروان طاغ» احد عشر الف قدم وفي جبل « برادوست » ستة آلاف وثمانمائة قدم وفي جبل « بيران » ستة آلاف وثمانمائة قدم وفي جبل «قلندر» ٦٥٠٠ قدم وفي جبل «زوزيك» ٦٦٠٠ قدم ، وفي جبل «دولام مجال» ٦٣٠٠ قدم وفي جبل «حصار روست» ١٣٫٩٠٠ قدم وفي جبل «كروه كوتن» عشرة آلاف قدم وفي جبل «رشك كديران» ثمانية آلاف وخمسمائة قدم .

ثانياً : القسم الكائن بين تابع راوندوز والزاب الاسفل ؛ ويؤلف منطقة راوندوز وكويسنجق وفيه جبل «بيرمام» وارتفاعه ٢٩٠٠ قدم وجبل «هيبت سلطان» وارتفاعه ٣٥٠٠ قدم وجبل «سفين» وارتفاعه ٤٦٠٠ قدم وجبل « باباجيك جيك » ٣٢٠٠ قدم وجبل « حرير » ٥٦٠٠ قدم وجبل « بيجان » ٧٤٠٠ قدم وجبل « كاروخ » ٨٦٠٠ قدم وجبل «سرنه كور» ٥٠٩٠ قدماً وجبل «حاج ابراهيم» ١١٫٤٠٠ قدم وجبل «سركوتل» ٩٣٠٠ قدم

ثالثاً : القسم الكائن بين الزاب الاسفل ونهر ديالى ، وتتكون منه منطقة السليمانية ، وفيه جبل «قره طاغ» الذي يبلغ ارتفاع قمته في سكرمة ٤٤٥٠ قدماً وجبال « اينجيره » ٣٢٠٠ قدم وجبل « كوه بازان » ٣٢٠٠ قدم وجبل «كلبزرده» ٢٦٠٠ قدم وجبل «بيره مكرون» ٨٥٠٠ قدم وجبل «زرده دار» ٦٤٠٠ قدم وجبل «برازشيز» ٦٣٠٠ قدم وجبل «سرسر» ٥٢٠٠ قدم وجبل «بنجوين» ٥٩٠٠ قدم وجبال «حلبجه» ٤٥٠٠ قدم وجبال «هاورمان» الواقعة على الحدود في شرقي «كلعنبر» حيث يبلغ ارتفاع قمتها ٨٣٠٠ قدم.

هذا وان هناك جبالا اخرى متفرقة ، منها جبل « مقلوب » في شمالي الموصل الشرقي ، وفي غربي نهر الخابور ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٣٤٠٠ قدم ، والى غربيه جبل (باعشيقا) الذي يبلغ ارتفاعه نحو ٢١٥٠ قدماً وفي شمال اربل تقع جبال «ديره حرير» وارتفاعها ٣٦٠٠ قدم وجبال (دردوان) وارتفاعها ٢٥٠٠ قدم ، وكذلك يقع في غربيها جبل (دمير طاغ) البالغ ارتفاعه الفا قدم وجبل (قره جوق).

---

(١) راجع بحثنا مفصلا للجبال في « مفصل جغرافية العراق » للعميد الهاشمي ص ١٧٢

وفي غربي كركوك يقع جبل (باتوه) وعلوه الف ومائتا قدم ، وفي شرقيها جبل (قره حسن) وارتفاعه ٢٥٠٠ قدم ، وتمتد عدة جبال متوازية بين جبال (قره طاغ) و (كفري) لكنها واطئة ، فان اعلى قمة فيها تبلغ ١٥٠٠ قدم ؛ ثم يأتي جبل (حمرين) وهو يتألف من رواب عديدة رملية ترابية قاحلة ، لا نبت فيها ولا ماء ، ولا يتجاوز ارتفاعه ٧٥٠قدما في قسمه الكائن بين (شط العظيم) – بالتصغير – و (نهر ديالى) بينما يكون ارتفاعه في غربي دجلة ألفاً وستمائة قدم .

النفط

كانت مياه البحر منذ ملايين السنين تغمر ما نسميه اليوم بأرض العراق ، وكانت هذه المياه مليئة بحيوانات بحرية صغيرة تموت منها الملايين في كل لحظة فترسب في الطين الذي في قعر البحر ، ثم يكسوها طين جديد اذتستمر الانهر في صب طميها فيه . ولما تراكم هذاالطمي لملايين السنين غدا وزنه هائل الثقل ، وتحول الطين بضغطه الشديد وضغط البحر نفسه الى صخر صلب ، وقد وقعت بين ثناياه اجسام الحيوانات البحرية الصغيرة التي لا يحصى لهاعدد والتي كانت قد ماتت وترسبت في القعر وقد وقع الضغط عليها ايضاً . وبفعل هذا الضغط بما يوافقه من الحرارة وتفاعلات القوى الكهربائية تحولت على مر الاعوام الى نفط،وباستمرار الضغط من فوق اندفع هذا النفط الى الأعلى خلال الشقوق التي في الصخور–التي كانت طيناً من قبل–غير ان حركته الى الاعلى في النهاية توقفت لأن ضرباً جديداً من الصخور تشكل فوقها لاشقوق فيه ولا منافذ فتجمع النفط تحت هذا الغطاء الذي لا يخترق، وبقي حبيساً هناك، ثم توقفت حركته الجانبية ايضاً بفعل الرجات العنيفة التي اعترضت الارض فاندفع قعر البحر الى الاعلى بشكل قباب ضخمة وسلاسل من الجبال، وما كان بحراً اصبح ارضاً(١) وهكذا تكوّن

---

(١) كانت نظرية الخبراء الجيولوجيين قديما مبتنية على ان منابع النفط العراقي، ومنابع النفط الايراني هما من أصل واحد قد يتصل بمنابع نفط (باكو) الروسية . وأن المستودعات الرئيسية للنفط العراقي ثلاثة وهي:

أ – المستودع الذي يبتدىء من «زاخو» شمالا ويمر «بحمام علي» في جنوبي «الموصل» ثم يعبر «دجلة» فيمر بكركوك في (بابا كوركر) وبطوز خرماتو في « بولكخانة » المسماة « نفط طاغ » وينتهي الى « قصر شيرين » بجوار « خانقين » شرقا

ب – المستودع الذي يمتد من « القيارة » في جنوبي « الموصل » ويعبر « نهر دجلة » فيمر بـ « كفري » وينتهي الى «جبل حمرين» في جنوبيه الغربي

جـ – المستودع الذي يبدأ من خرائب «الحضر» التي تبعد ٨٣ كيلومترا عن «الموصل» غربا الى الجنوب وبعد ان يقطع « دجلة » في « الفتحة » ينتهي الى جوار « مندلي » بلواء ديالى

ولكن هذه النظرية نقضتها التحريات الجيولوجية في أعقاب الحرب العالمية الثانية (حرب ١٩٣٩ – ١٩٤٥) واثبتت ان منابع النفط غير مرتبطة بعضها ببعض ، وانما هي قبب خاصة كل قبة مستقلة منعزلة عن الاخرى تماما ، وتسمى هذه النظرية بنظرية القبب وهي التي شرحناها في المتن اعلاه

العراق وبقي النفط تحت السطح . اما الطبقات الرئيسية التي تحتوي على النفط والتي استقرت تحت الغطاء الصخري الذي لا يخترق فقد انثنت ولكنها لم تتحطم غير ان النفط صار حبيساً من كل جانب.

هذا آخر ما توصل اليه علماء الجيولوجيا عن كيفية تكون النفط في العراق ونحن ملمون الآن بموجز عن تاريخ استنباطه .

* * *

اقنع السير وليم نوكس دارسي انبراطور ايران مظفر الدين شاه في ٢٨ مايس من عام ١٩٠١م بمنحه اذناً بالتنقيب عن النفط في الاراضي الايرانية المتاخمة للعراق امده ستون عاماً فابتاعت حكومته البريطانية هذا الاذن منه بطريقة تكاد تكون الى الخرافة اقرب منها الى الحقيقة ، وتألفت « شركة النفط الانكليزية الفارسية » لتتولى هذا التنقيب ، وتقوم بما يتطلبه هذا المشروع من انشاءات ونحوها ، وقد بدأ الانتاج عام ١٩١٣ فعلا ولكن بكميات تكاد تكون ضئيلة . فانبرى الالمان واستعملوا نفوذهم العظيم في القسطنطينية لحصول على حصة لهم في هذه الغنيمة ، فأخذ الكفاح يدور بين المصالح البريطانية والمصالح الالمانية ، وقد زاده شدة وتعقداً تدخل المصالح الاميركية ، فاتفق الالمان والانكليز والفوا شركة اخذت من الحكومة العثمانية امتيازاً بالبحث عن النفط في كل الاراضي النفطية في ولايتي بغداد والموصل. فلما اضرم القدر نار الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤م، ظهر لجميع الدول التي اشتركت فيها ان النفط يجب ان يكون المحرك الرئيسي لجميع آلات الحرب وادوات القتال ، وان في الامكان ايضاً استعمال هذه المادة في توليد الدخان لحجب السفن الماخرة عباب المحيطات عن اعين الاعداء . فلما وضعت الحرب المذكورة اوزارها سنة ١٩١٨م تضاعف البحث عن النفط في مختلف انحاء العالم ، وصارت كل دولة تسعى لتحوز اكبر كمية منه حتى قال النائب الفرنسي سبيناس في جلسة المجلس المنعقدة في ٢٤ آذار ١٩٣١م « ان النفط كان ولا يزال وسيظل الى الابد الأس الحقيقي لدعامة الشعوب الكبيرة سواء أفي حالة الحرب ام في حالة السلم » (١) . وحيث اشتهر العراق بوجود هذا السائل الثمين في جوفه منذ اقدم العهود فقد اصبح قبلة انظار الرأسماليين الاجانب وحكوماتهم من خلفهم .

* * *

كانت قد اتت العراق عام ١٨٧١م بعثة فنية للبحث عن منابع النفط ، فوصل البحث بها الى ان النفط موجود فيه بغزارة ، الا انها استبهظت النفقات التي يستلزمها استنباطه ونقله الى سواحل البحر المتوسط ، فنصحت بعدم المجازفة والاقدام على ذلك لتعذر المواصلات

---

(١) نقلها الاستاذ « يوسف يزبك » الى كتابه « النفط مستعبد الشعوب » ص ٧ من المحضر الرسمي .

في ذلك الحين، ولأن النفط الروسي والنفط الامريكاني كانا يغمران الاسواق العالمية يومئذ، فلما نال السير دارسي الاذن المذكور عام ١٩٠١م، توجهت الى العراق بعثة فنية المانية ثانية لتستأنف البحث عن هذا السائل فصرحت، بعد درس عميق، ان تحت سطح العراق بحيرة من النفط لا ينضب لها معين، فشخص الدكتور روباخ الالماني الى العراق فوراً وبعد أن تأمل وضع البلاد الجغرافي والاقتصادي، ودرس الموضوع من جميع اطرافه، صرح ان مستقبل ينابيع النفط في العراق عظيم جداً، وان ارض العراق مشبعة بالقار والنفط وغازات الهيدروكاربونات فلما كانت سنة ١٩٠٣م نال المصرف الالماني الشهير اذناً بمسح مظان النفط في العراق تمهيداً للتعاقد مع الحكومة العثمانية على استنباطه.

وظهر بعد مدة ان لدى المصرف المذكور اشغالا تحول دون هذا المسعى، فأرادت الرأسمالية الامريكية ان تنال هذا الاذن، فكان السلطان عبد الحميد يماطلها ويسوفها حتى اذا كان إنقلاب عام ١٩٠٨م اتفق الرأسماليون مع البريطانيين والالمانيين على التوفيق بين اهدافهم وتأليف شركة تتولى مفاوضة الحكومة العثمانية لنيل هذا الاذن، فكانت (شركة الامتيازات الافريقية الشرقية المحدودة) المؤسسة عام ١٩١١م، التي ابدلت اسمها باسم «شركة النفط التركية» في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٢م هي التي تم الاتفاق عليها، فقدمت طلباً الى الباب العالي بالاذن للبحث عن مظان النفط في ولايتي بغداد والموصل معاً، وبعد مراجعات ومفاوضات طال امدها ارسل الصدر الاعظم الى السفير البريطاني كتاباً في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤م يقول فيه ان وزير المالية العثماني «يوافق على ان يؤجر شركة النفط التركية مناطق النفط المكتشفة او التي ستكتشف في ولايتي الموصل وبغداد» على ان يتم الاتفاق على التفصيل بعد ذلك فكانت هذه الرسالة المستمسك الوحيد الذي استندت اليه «شركة النفط التركية» في المطالبة بامتياز النفط في العراق بعد ذلك. وكانت المصالح الدولية التي لها شأن في هذه الشركة كما يلي:

٥٠ في المئة من الاسهم لشركة النفط الانكليزية الفارسية.

٢٥ في المئة من الاسهم لدوتش بنك الالماني.

٢٥ في المئة من الاسهم للشركة الهولندية الملكية.

فلما اندلع لهيب الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨م) وقف كل شيء عند حده، وصادر الانكليز حصص البنك الالماني في هذه الموافقة، لانهم كانوا قد دخلوا في حرب مع الالمان، واعتبروا هذه الحصص من ممتلكات العدو، الا انهم جوبهوا بمنافس جديد، فقد اصرت فرنسة على ان تحل محل الالمان في هذا المشروع؛ على حين ان الانكليز كانوا يريدونه

لأنفسهم كاملا . ولما كانت معاهدة سايكس ــ بيكو المنعقدة بــين انكلترة وفرنسة في ١٥ــ١٧ أيار سنة ١٩١٦ جعلت ولاية الموصل ضمن منطقة النفوذ الفرنسي ، وولايتي بغداد والبصرة ضمن منطقة النفوذ البريطاني ، وكان البريطانيون يرون ان (منطقة الموصل) الغزيرة بنفطها يجب ان تنقل الى منطقة نفوذهم ، اتفق الطرفان على ان تنقل هذه الولاية الى منطقة النفوذ البريطاني ، وان تحول حصة الالمان من نفطها الى الفرنسيين على ان يسمح لبريطانيا بمد انابيب للنفط من (ولاية الموصل) الى البحر المتوسط مارة بالاراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي في (سورية) وقد أقرت هذه التسوية (اتفاقية سان ريمو) المنعقدة في ٢٤ نيسان ١٩٢٠م

* * *

أثار ـ اتفاق سان ريمون ـ استياء حكومة واشنطن واعتبرته اتفــاقاً احتكارياً يغمط حقوقها في العراق مع ان اميركا ــ بصفتها احدى دول الحلفاء ــ لها الحق في ان تعامل على قدم المساواة معهن ، وهاك خلاصة الاحتجاج الذي ارسلته اميركا الى الحكومة البريطانية:

١ــ ان اتفاق سان ريمون نقض لسياسة الباب المفتوح .
٢ــ انه نقض لتعهد بريطانيا بصيانة مرافق العراق الطبيعية وادخارها لأهــل العراق.
٣ ـ انه بمثابة ابرام للامتياز سابق لأوانه .
٤ــ انه اغفل مصالح اميركا التي لها ما لسائر الحلفاء من الحقوق (١).

فلم يسع الحكومة البريطانية الا ان تذعن للواقع فأوفدت السرجون كادمن الى الولايات المتحدة سنة ١٩٢٢م ليعمل على الحد من موقفها، واستمرت المفاوضات بين الحكومتين تجري طي الخفاء ، فكانت تتقدم تارة وتتأخر طوراً حتى اذا انهت (لجنة الاستفتاء) التي اوفدتها (عصبة الامم) الى العراق عام ١٩٢٤م لتحقق في مشكلة الحدود بين تركية والعراق مهمتها ، وعقدت معاهدة انقرة بين تركية وبريطانيا والعراق في ٥ حزيران ١٩٢٦م التي تنازلت فيها الاولى الى العراق عن ولاية الموصل ؛ حيث كانت مدار الخلاف ؛ انتهت هذه المفاوضات على ان تكون للشركات الاميركية ٢٣،٧٥ في المئة من اسهم (شركة النفط التركية) وللشركات الفرنسية مثل هذه الحصة، وكذلك خصص ٢٣،٧٥ في المئة الى كل من شركة (شل) الهولندية وشركة النفط الانكليزية ــ الفارسية. اما الخمسة في المئة المتبقية فقد خصصت لمستر كولبنيكان الارمني العثماني الذي كان له الفضل الاكبر في الحصول على الوعد الصادر في ٢٨ حزيران

---

(١) سعيد حماده في كتابه (النظام الاقتصادي في العراق) ص ٨٨

١٩١٤م والذي كان يستغل آبار النفط الكائنة بجوار الموصل على الطريقة الابتدائية منذ زمن بعيد

* * *

جرى كل ذلك والحكومة العراقية التي تألفت في بغداد في ٢٣ آب ١٩٢١م. لا تعرف عنه شيئاً ثابتاً الا ما كان من امر (شركة النفط التركية) فانها كانت قد ادعت في اواخر عام ١٩٢٢م ان الحكومة العثمانية منحتها امتيازاً لاستخراج النفط في (ولاية الموصل) قبل ان تشب نار الحرب الكبرى، فعلى الحكومة العراقية ان تقره. فطلبت وزارة المالية الى مجلس الوزراء ان ينعم بالنظر في هذا الطلب، فقرر المجلس الوزاري في جلسته المنعقدة في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٣م ان يحال ادعاء الشركة الى مشاور الحكومة العدلي ليبدي فيه رأيه، وبعد ان اطلع المجلس على رأي المشاور، قرر في آب ١٩٢٣ عدم مشروعية الطلب إلا انه خول وزير المالية مفاوضة الشركة على اسس جديدة لمنحها امتيازاً جديداً (١).

وفي كانون الاول عام ١٩٢٣م وصل الى بغداد ممثل عن الشركة المذكورة هو المستر كيلينغ الذي صحب الجيش البريطاني في هجومه على العراق فاكتسب خبرة في الشؤون العراقية مع خبرته في شؤون النفط، فتألفت لمفاوضته لجنة من وزراء المالية والداخلية والاشغال، ولكن قبل ان يتوصل الطرفان الى نتيجة حاسمة، عاد الممثل الى بلاده ثم رجع الى العراق في شهر آب ١٩٢٤م. وجاءت بعده «لجنة الاستفتاء» لتحقق في قضية الموصل فاستأنف مفاوضاته. ثم ظهر من الاسئلة التي وجهتها اللجنة، ومن خطابات المعتمد السامي البريطاني في العراق انه ليس في وسع اللجنة ان تبت في هذا الخلاف ما لم يبت في امتياز النفط الذي جاء المستر كيلينغ الى العراق ليفاوض الحكومة فيه بالنيابة عن «شركة النفط التركية»

ومراعاة للمصالح الدولية الطالبة الاشتراك في استثمار نفط العراق على مبدأ الباب المفتوح لم تتمكن الشركة من حيازة امتياز لحصر حقوق استثمار النفط في ولايتي الموصل وبغداد بكاملها، فاقترح ان تعطى الشركة حق استثمار النفط في (٢٤) بقعة مساحة كل منها ٨ اميال مربعة لها الحق باختيارها حيث تشاء ضمن منطقة الامتياز الاصلية، ويكون للحكومة الحق بأن تعرض منح امتيازات لاستثمار البترول في باقي المنطقة بالمزاد العلني على سائر طالبي

---

(١) مقررات مجلس الوزراء : مجموعة تموز آب ايلول ١٩٢٢ م ص ٦٤ وهي :

اولا : ان الحكومة العراقية لا تعترف بالامتياز الذي تدعيه شركة النفط التركية

ثانيا : تفوض الحكومة العراقية الى معالي ساسون افندي المفاوضة اثناء بقائه في لندن مع الشركة المتقدمة لطلب امتياز النفط في العراق على ان يرفع معاليه كل طلب لامتياز استخراج النفط في العراق بعد التدقيق مشفوعا بملاحظاته الى الحكومة العراقية للنظر والبت في الامر » ا هـ

الأمتياز (١) وعلى هذا قرر مجلس الوزراء في الجلسة التي عقدها في ٥ آذار ١٩٢٥م تخويل وزير الاشغال والمواصلات التوصل مع مندوب الشركة الى شروط الامتياز (٢) على هذا الاساس . وفي ١٤ آذار ١٩٢٥م وقعها الطرفان فاستقال كل من وزيري الداخلية والمعارف وهما السيد رشيد عالي الكيلاني والشيخ محمد رضا الشبيبي احتجاجاً على هذا المنح بالشكل الذي تم الاتفاق عليه ، وقد عين ريع الحكومة العراقية — او حصة الملاكية — لقاء الحقوق التي منحتها للشركة في كل طن اربعة شلنات ذهباً خلال السنوات العشرين الاولى ثم تزداد هذه الحصة او تخفض بعد ذلك بنسبة أرباح الشركة . أما مدة الامتياز فكانت ٧٥ عاماً (٣) ولكيا توافق تركية على ابقاء الموصل للعراق فقد منحتها الحكومة العراقية عشرة في المئة من ريعها من نفط الولايتين بغداد والموصل لمدة ٢٥ سنة اعتباراً من تاريخ معاهدتها مع العراق وهو ٥ حزيران ١٩٢٦م .

وبينما كانت الشركة تواصل العمل بجوار كركوك — وكان الحفر في احدى الآبار قد وصل الى عمق ٤٦٥ متراً — انبثق النفط يوم ١٤ تشرين الاول ١٩٢٧م بغزارة لفتت أنظار العالم (٤) وحققت آمال الشركة (٥) فقررت الحكومة البريطانية ان تسرع في مد الأنابيب الى «حيفا» على البحر المتوسط مباشرة ، دون ان تمر بمنطقة النفوذ الفرنسي في سورية . ولما كانت اتفاقية سان ريمو حتمت مرور هذه الانابيب بهذه المنطقة ، اصرت الحكومة الفرنسية على تنفيذ الاتفاقية المذكورة فأدى هذا الخلاف الى توقيف اعمال الشركة (٦) حتى اذا حل عام ١٩٢٨م اتفق الطرفان على ان يجري النفط في خط أنابيب مزدوج قطره (١٢) عقدة واستيعابه مليونا طن سنويا وذلك من كركوك الى الحديثة على الفرات . اي ان يقطع مسافة قدرها ٢٤١ كيلومتراً ومن ثم يتشعب الى فرعين : يذهب الغربي الى طرابلس الشام على «البحر المتوسط» بعد أن يقطع الحدود العراقية — السورية بالقرب من «البوكمال» وطوله ٦١٠ كيلومترات ، والشرقي الى «حيفا» قاطعاً الحدود العراقية الفلسطينية في «ام الجمال» وطوله ٧٤٨ كيلومتراً وقد تم انشاء هذين الخطين في تموز ١٩٣٤م وفي تشرين الثاني ١٩٤٦ انشيء خط ثان قطره (١٦) عقدة وسعته ٤ ملايين طن يمتد من كركوك الى طرابلس

---

(١) النظام المالي في العراق ص ٨٨

(٢) مقررات مجلس الوزراء : مجموعة كانون الثاني وشباط ومارت ١٩٢٥

(٣) تجد نص الاتفاقية في مجموعة القوانين والانظمة العراقية لسنة ١٩٢٥ م ص ٤٤

(٤) تاريخ الوزارات العراقية ص ٣٥ من الجزء الثاني (الطبعة الاولى ١٩٣٤ م)

(٥) اذ كان معدل النفط الذي يستخرج من البئر في خلال ٢٤ ساعة ١٢٠٠٠٠ طن

(٦) « على طريق الهند » ص ١٩٨ من الطبعة الثانية .

ويبلغ عدد محطات الضخ في هذا المشروع الجبار (١٢) محطة ثلاث محطات منها في المنطقة المشتركة ، واربع في الفرع الشمالي على حدود طرابلس ، وخمس في الفرع الجنوبي على طريق حيفا ويبلغ متوسط المسافة بين المحطة والمحطة نحو ١٢٠ كيلومتراً .

وفي ٨ حزيران ١٩٢٩م استبدل اسم «شركة النفط التركية» باسم «شركة النفط العراقية المحدودة» I. P. C. . واجري تعديل امتياز ١٤ آذار ١٩٢٥م في ١٩ مايس ١٩٣١م. وفيه الغي نظام البقع ، وحددت مساحة الارض التي تنقب الشركة فيها بـ ٣٢,٠٠٠ ميل مربع شرقي دجلة واشترط أن يتم مد الخطوط على الوجه المذكور قبل نهاية عام ١٩٣٥م ، وان تمنح سلفات الى الحكومة العراقية لتلافي العجز المستمر في الميزانية. ولما نشبت الحرب العالمية الثانية في ايلول سنة ١٩٣٩م كانت الانابيب المذكورة تضخ نحو اربعة ملايين طن من النفط في السنة الواحدة . وبعد أن كانت البواخر حاملات النفط تنقل هذا الانتاج الى اوروبة لتصفيته هناك اسست شركات النفط مصفى لها في «حيفا» على البحر المتوسط لهذا الغرض ولكن الضخ الى هذه المدينة «حيفا» توقف منذ ان اغتصب اليهود فلسطين العربية وأقاموا دويلة لهم فيها في ١٥ أيار ١٩٤٨م فأنشأت الشركة خطا جديداً في نيسان ١٩٥٤ قطره (٣٠) عقدة وسعته (١٢) مليون وقد مد من كركوك الى (بانياس) على الساحل السوري .

* * *

نصت المادة الخامسة من اتفاقية ١٤ آذار ١٩٢٥م على ان تنتقي الشركة ٢٤ بقعة مستطيلة مساحة كل منها ثمانية اميال مربعة ، وتشرع في حفرها خلال ٣٢ شهراً من تاريخ الاتفاقية ، فاذا خالفت ذلك اصبحت الاتفاقية ملغاة . فلما اختلف البريطانيون والفرنسيون على طريقة مد الانابيب احجمت الشركة عن الحفر . فلما حلت اتفاقية ٢٤ آذار ١٩٣١م محل اتفاقية ١٤ آذار ١٩٢٥م «بعد تفاهم الطرفين» اصبح من حق الشركة أن تبحث عن النفط في الاراضي الواقعة في ولايتي بغداد والموصل المنحصرة بين ضفة دجلة الشرقية والحدود العراقية ـ التركية ، والحدود العراقية ـ الايرانية فقط . أما الاراضي الواقعة في الجانب الغربي من دجلة ، وفي الجانب الشمالي من عرض درجة ٣٣ شمالا ، فقد تركت الى الحكومة العراقية تتصرف بها على النحو الذي تراه صالحاً لها .

ولما كان الايطاليون قد حرموا الاستفادة من غنيمة الدول الاوربية في نفط العراق ، وكان الالمانيون قد استرجعوا مكانتهم الدولية بعد حرب ١٩١٤-١٩١٨م ، طالب الطرفان مجتمعين بحصة لهما من منابع النفط العراقي فتألفت شركة استثمار النفط البريطانية المحدودة B. O. D. على اساس أن يكون للمصالح البريطانية ٥١ في المئة فيها ، وللطليان ٢٤.٦ في المئة

وللالمان والفرنسيين والسويسريين ٢٥ في المئة . وقد نالت هذه الشركة امتيازاً في ٣٠ نيسان ١٩٣٢م شبيها بامتياز «شركة النفط العراقية المحدودة» في اتفاقية ٢٤ آذار ١٩٣١م على ان تعطي للحكومة العراقية عشرين في المئة من النفط الخام المستخرج بدون ثمن فتتصرف بـه الحكومة كما تشاء ، أو تبيعه من الشركة بسعر يتفق عليه ، دون ان تصدره الى الخارج ، وذلك علاوة على الاربعة الشلنات ذهبا التي تستوفيها عن كل طن (١) ، اما مدة الامتياز فهي ٧٥ عاماً . وقد انضمت (شركة النفط البريطانية) هذه الى (شركة نفط العراق) المذكورة قبلا وكذا الشركات التابعة لها وذلك في عام ١٩٣٥م .

والى جانب هاتين الشركتين كانت قد تألفت في ٣٠ آب سنة ١٩٢٥م شركة ثالثة سميت (شركة نفط خانقين) وهي فرع من شركة امتياز دارسي ، اي (شركة النفط الانكليزية — الفارسية) وهذه تستنبط النفط في اراضي النفطخانة الكائنة بين خانقين ومنـــدلي المعروفة بالأراضي المحوّلة التي (حولت) الى العراق بموجب اتفاقية تعديل الحدود المنعقدة بـــين الدولتين العثمانية والايرانية في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٣م . ولهذه الشركة اليوم مصفى على الضفة اليسرى من نهر الوند في موضع يبعد سبعة كيلومترات من خانقين شرقا ، انشىء عام ١٩٢٦م وهي تتولى بيع البانزين والنفط في جميع الاسواق العراقية فلا تصدر شيئاً من منتوجاتها إلى الخارج قبل أن تكون قد أمنت الاستهلاك المحلي .

* * *

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٨م منح امتياز نفط ولاية البصرة الى «شركة نفط البصرة» فكانت مدته ٧٥ عاماً ، وشروطه لا تختلف كثيراً عن شروط الامتيازات السابقة ، وكانت اعمال هذه الشركة في اولى مراحلها حين جوبهت بالحرب العالمية الثانية (١٩٣٩—١٩٤٥) اي بعد حصولها على الامتياز بأقل من سنة فكان طبيعيا أن تتوقف أعمال الحفر والتنقيب في هذه المنطقة، وان تكرّس جهود الشركة لأغراض الحرب. على ان علماء الجيوفيزياء «طبيعة الارض» في هذه الشركة استمروا يدرسون بكل جد وجلد الادلة المتيسرة لديهم من العراق والبلدان المجاورة وتوصلوا الى الاستنتاج بأن ظروف تكوّن وتجمع النفط يمكن أن تكون اكثر ملاءمة في الاراضي الغير معروفة جيولوجياً تحت سهول ومستنقعات منطقة البصرة من المناطق الواقعة في الشمال حيث يستطاع درس طبيعة سطح الارض بيسر وسهولة. فلما وضعت الحرب المذكورة أوزارها استأنفت الشركة أعمالها ، وبعد ست سنوات من الجهود المتواصلة بدأ النفط يسيل في تشرين الاول ١٩٥١ في خط للانابيب طوله (٧٢) ميلا وقطره (١٢) عقدة

(١) راجع نص الاتفاقية في مجموعة القوانين والانظمة العراقية لسنة ١٩٣٢ ص ١٥٦ — ١٦٦

واستيعابه أربعة ملايين طن في السنة وذلك من منبعه في «الزبير» الى مرفأ «الفاو» وكان عمق هذا المنبع ميلان وهو اعمق حقول النفط العالمية وأعمق حوالي اربعة اضعاف عمق آبار كركوك.

* * *

وفي عام ١٩٥٠م افتتحت مفاوضات جديدة بين الحكومة العراقية من جهة وبين شركة نفط العراق المحدودة وشركة نفط الموصل وشركة نفط البصرة من جهة ثانية بغية تعديل الامتيازات الممنوحة الى هذه الشركات في السنوات ١٩٢٥ و١٩٣٢ و ١٩٣٨ على اساس مقاسمة الارباح الناجمة عن عمليات هذه الشركات الثلاث في العراق على ان تنتج شركتا نفط العراق ونفط الموصل معاً (٢٢) مليون طن في السنة اعتباراً من عام ١٩٥٥ وتنتج شركة نفط البصرة ثمانية ملايين طن في السنة وبذلك يكون دخل العراق نحو ستين مليون ليرة استرلينية في السنة فإذا حالت الظروف العالمية دون استنباط النفط فإن الشركة تدفع الى الحكومة العراقية مبلغ خمسة ملايين ليرة استرلينية كحد ادنى في السنة ولمدة لا تتجاوز العامين وقد تم الاتفاق على هذا الاساس بتاريخ ٣ شباط ١٩٥٢ على ان ينفذ اعتباراً من ١٩٥١م فأخذت ملايين الباونات تنهال على خزينة العراق في كل سنة ؛ ولما كان العراق في حاجة ماسة الى مشاريع ري واسعة وخزانات لحفظ مياهه الفائضة وطرق وجسور ومعامل وبنايات فقد تأسس مجلس للاعمار ليقوم بدراسة هذه المشروعات وتنفيذها ويجد القارىء في ختام هذا الكتاب بحثاً مستقلا عن مجلس الاعمار وانجازاته .

المعادن الاخرى

يقول الخبراء الفنيون ان الدلائل المبنية على الاختبار والتنقيب تنفي وجود معادن ثمينة في العراق غير النفط .

أما معدن الذهب الذي وجد بجوار (الرطبة) فهو من القلة بحيث لا يتناسب مع النفقات الباهظة التي يجب صرفها للعثور عليه .

على ان معادن العراق المتيسرة اقتصادية ويمكن الاستفادة منها كثيراً . وصخور العراق مكونة من رواسب لم يجر التعدين فيها عدا صخور المنطقة الشمالية الشرقية، وهي نارية متغيرة.

فالفحم الحجري موجود بكثرة بجوار قرية (شرانش) الواقعة على الحدود التركية في الشمال الشرقي من (زاخو) كما انه موجود بكثرة في جوار (كفري) (١) وفي منطقة (إنجانة)

(١) كان الترك قد استغلوا منجما للفحم بجوار كفري مدة الحرب العالمية الاولى لتشغيل البواخر النهرية وكذا القطار الذي مده الالمان بين بغداد وسامراء بمعدل الف طن في السنة وقد ذكر ثي . تي ولسن في كتابه (تصادم في الولاء) ص ٤٨ ان مهندسا من شركة النفط الفارسية فحص هذا المنجم في حزيران ١٩١٩ م بامر من القيادة العسكرية فدل تقريره على انه لم يبق ما يستحق الاستغلال ، وان الفحم الذي استخرج منه نوع من القار المتجمد ودرجة حرارته واطئة ،

داخل (جبل حمرين) ويقال انه موجود بجوار (حلبجة) .

اما القار (اوالزفت) فموجود في اماكن مختلفة من العراق ، وهو من المعادن السائلة المبتذلة ، ويؤلف عروقا كثيرة منتشرة خلال الطبقات العائدة للعهد الكريتاسي ، في القسم الشمالي ، عدا منطقة عقره فإن للقار فيها منابع صغيرة تنبثق من الحجر الكلسي الكريتاسي . وفي (كفري) و (هيت) منابع للقار غير التي تقدم ذكرها ، وقد بحث عنها الاقدمون في اخبارهم واستعملوه ملاطاً في معابدهم ولا تزال آثاره ظاهرة للعيـــان في خرائب (أور) و (بابل) وغيرهما .

والكبريت كثير المقادير في العراق ، وتجاور منابعه عادة منابع القـــار في (كفري) و(الموصل) و(هيت) . وفي التقارير الرسمية ان في الموضع الذي يبعد مئة كيلومتر من مخفر (الشبكة) في البادية (الجنوبية) غربا منطقة كبريتية لا بأس بها يستخرج منها البدو حاجتهم من الكبريت لمداواة الجرب الذي يصيب إبلهم .

أما الملح في العراق فلا تكاد تضبط مواضعه ، لأن تربة العراق تصبح ملحا وقلوية بعد تجمع المياه فيها حيث تؤثر حرارة الشمس فيها فتبخرها وتترك املاحا صالحة للاستعمال ، وتكثر هذه الساحات في سهل الجزيرة بين جبل سنجار وبغداد على طرفي (الثرثار) وكذلك في جوار (الجبايش) و(المدينة) ــ كجهينة ــ و (الغبيشية) على ضفاف هور (الحمّار) وتعمل الحكومة الملح في (القاو) و (هيت) و (الطوز) و (الكوم) لأنه محتكر لها وخاضع لقوانين كمركية صارمة ، على ان هذا الاحتكار لا يحول دون استخراجه من قبل الاهلين في غفلة من السلطات الحكومية لكثرته .

والى جانب الفحم والقار والكبريت والملح ، توجد في العراق مقادير كبيرة جداً من احجار الكلس والرخام ، ومن معدني الجص والصلصال (الطين) ولا سيما في القسم الشمالي من العراق ، ويختلف نوعه باختلاف البقاع التي يكمن فيها ؛ وجميع هذه المواد تستعمل في البناء .

وفي العراق مقادير قليلة من المعادن الفلزية كالحديد ، والنحاس ، والرصاص ، والكروم ، والمغنزم ؛ والذهب ، والفضة ، والزئبق لم تدرس محاجرها درسا كافيا ، كما أن في اللواءين الموصل والدليم ، وفي قسم من لواء كربلاء مقادير من المياه المعدنية يستفيد من الاغتسال فيها اصحاب الامراض الجلدية .

ري العراق

تمهيد

« الرافدان » كلمة عربية أطلقت على النهرين «الفرات» و «دجلة» وهي مشتقة مـن : الرفد ، بمعنى العطاء والصلة ، كأن العراق عطية النهرين المذكورين ، كما أن مصر عطية النيل وهديته . وفي الواقع ان هذين النهرين عماد حياة العراق ، ولولاهما لكان القسم الاعظم منه صحارى قاحلة ، كما ان لها تأثيراً عظيما على الحركات العسكرية .

ولفظ «الفرات» عربي الاصل على القول المشهور ، وقد جاء ذكره في التوراة بهـذا الاسم(١)الاان هناك من يرى أن اسم الفرات ورد في اللغة البابلية والآشورية براتا Pu-rat-ta او براتو Pu-rat-tu ومنه جاءت التسمية العربية «الفرات» (٢)

اما لفظة «دجلة» فدخيل في لغة الضاد ، كما يظهر ، فقد اطلق الشومريون كلمة (ادجلا) على هذا النهر العظيم ثم زاد البابليون علامة تاء التأنيث عليها فقالوا : أدجلت i-Di-ik-lat واختصروها على توالي الايام فأصبحت (دجلة) غير ان الفرس الماذيين صحفوا هذه اللفظة فقالوا (تغرا) أي السهم (٣) وأطلق اليونانيون اسم (تجروديس) على هذا النهر فمضت الفرنجة تقول Tigris (٤) اما في العربية فهو (دجلة) وقد انحدر من الاسم البابلي .

* * *

تقع منابع نهر «الفرات» بالقرب من منابع نهر دجلة شمالا ، ويقترب مجراه من مجرى دجلة بالقرب من مدينة ديار بكر ، ولكن وجود الجبال الشاهقة في تلك المنطقة يحول دون اختلاطهما ببعضهما ، فترى الفرات يجري جنوبا بغرب ، وترى دجلة تسير جنوبا ، ويقترب النهران من بعضهما في وسط العراق حيث تقوم « بغداد » على دجلة ، و « الفلوجة » على الفرات ، والمسافة بين المدينتين ٦٩ كيلومتراً لكنهما لا يلبثان أن يبتعدا الواحد عن الآخر ، فيتجه الفرات جنوبا بغرب ، وتسيل دجلة جنوبا بشرق ، ويضطران الى الاقـتران في «القرنة» (٥) أو في «كرمة علي» على الاصح .

---

(١) « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات » « سفر التكوين » الاصحاح الخامس عشر العدد ١٨

(٢) راجع كتاب *Badge, By Nile and Tigris- I,169*

(٣) لشدة جريان هذا النهر

(٤) *A Primer of Assyriology. Ey A. Sayce, Revised edition 1925*

(٥) موضع اقتران دجلة بالفرات ومن ذلك جاء هذا الاسم لمدينة القرنة نفسها

وكان من حسن حظ العراق أن المياه في هذين النهرين دائمة الجري ؛ لكنها تقل وتكثر حسب المواسم وغزارة المطر ، ففي الربيع حيث تذوب الثلوج وتكثر السيول ، يمتلىء حوضا النهرين امتلاء يؤدي الى الغرق في بعض الاحيان فيتسبب عنه انتشار كثير من الامراض ، ولا سيا الملاريا . اما في الصيف وفي الخريف فان نسبة المياه تنخفض انخفاضاً بيناً حتى يصبح في امكان الرجل عبور النهر خوضاً في أماكن متعددة .

على ان من الاهمية بمكان أن نذكر هنا ان المياه التي تجري في حوض «دجلة» اكثر من التي تجري في حوض «الفرات» على الرغم من ان طول الفرات يزيد عن طول دجلة ٣٣٥ ميلا — ٥٥٠ كيلومتراً — وسبب ذلك ان المياه في دجلة تسيل في واد منخفض تجاوره جبال مرتفعة فتنحدر عليه سيول دافقة وتوابع كثيرة على حين ان المياه في الفرات تسيل وسط صحارى قاحلة بعيدة عن الجبال بعداً يحرمها هذا المعين ؛ ولهذا السبب نفسه نرى المياه في وادي الفرات تقل وتنضب كلما اقترب النهر من مصبه ؛ على حين انها تحافظ على مستواها في وادي دجلة .

الفرات

يعد الفرات اطول انهار آسية العربية اذ يبلغ طوله ١٤٦٥ ميلا او ٢٣٥٠ كيلومتراً ، وتستفيد من مياهه ثلاث دول شرقية : هي تركية وسورية والعراق ، فيبلغ طول ما يجري منه في اراضي الجمهورية التركية ٣٤٠ ميلا او ٥٤٥ كيلومتراً ، وطول ما يجري في اراضي الجمهورية السورية ٤٤٠ ميل أو ٧٠٦ كيلومترات . أما طول ما يجري منه في الاراضي العراقية فهو ٦٨٥ ميلا أو ١٠٩٩ كيلومتراً (١) وليس لنهر الفرات في الاراضي العراقية اي رافد .

وهو يتكون من منبعين مهمين يقعان بين « بحيرة وان » و « البحرالاسود » (٢) يقال لها : الفرات الغربي والفرات الشرقي ، ويسمي الترك هاتين الفراتين «مرادصو» و«قره‌صو» فالفرات اذاً ينشأ من اتحاد مياه « قره‌صو » بمياه « مراد صو » . وتنبع مياه « قره صو » في شمالي « أرضروم » في الجبل المسمى « روملي » وتجري الى الغرب الشمالي اولا ثم تتجه نحو الجنوب الشرقي في حدود ولاية « سيواس » حيث تلتقي بمياه « مراد صو » في الموضع المسمى « كبّان معدني » . أما مياه « مراد صو » فتنبع في جبل « آلاي طاغ » من سلسلة

---

(١) راجع فيما يتعلق بهذه المسافات ، العقيد الركن عبد المطلب الأمين في كتابه : « مبادىء السوق وجغرافية العراق العسكرية » ص ١٣٨ (بغداد ١٩٤)

(٢) Ionides, The Régime of the rivers Euphrates and Tigris - P. 37

«جبال آرارات» بجوار مدينة «بايزيد» الواقعة شمال شرقي «بحيرة وان» ، وبعد ان تختلط بمياه كثيرة نازلة من «اكري طاغ» تتحد بمياه «قره‌صو» في الموضع المذكور ، اي في «كبّان معدني» .

ويتلقى النهر الموحد «او المجرى المتكون من اتحاد مياه قره صو بمياه مراد صو» نهر الخابور في موضع يقع على مسافة ٥٤ كيلومتراً من جنوبي مدينة «ديرالزور» ويقطع الحدود السورية ـ العراقية بين مركز «قضاء البوكمال» السوري و «ناحية القائم» المسماة حصيبة ـ بالتصغير ـ العراقية في موضع يقع جنوبي دير الزور ٢٣٠ كيلومتراً .

ولاجل أن يلم القارىء بفكرة اجمالية عن الفرات يحسن بنا أن نقسمه إلى الأقسام الثلاثة التالية :

اولا ـ الفرات الاعلى : وهو القسم الكائن في اراضي الجمهورية التركية ، والمؤلف من اتحاد الفرعين «قره صو» و «مراد صو» وهذا يجري من الشرق الى الغرب ، فيمر بعدة مضايق ، ويترك في «جبال طوروس» زهاء ثلاثمائة شلال ، ثم يفصل أراضي الجمهورية التركية عن اراضي الجمهورية السورية في الموضع الذي اقيم عليه جسر الخط الحديدي «جسر نصيبين ـ حلب» .

ثانياً ـ الفرات الاوسط وهو القسم الممتد بين «جرابلس» الواقعة ضمن اراضي الجمهورية السورية ، وقصبة الفلوجة القائمة على مسافة ٦٩ كيلومتراً من بغداد غربا ضمن الاراضي العراقية .

ثالثاً ـ الفرات الادنى : وهو القسم الممتد بين «الفلوجة» و «كرمة علي» الواقعة على مسافة ١٥ كيلومتراً من قصبة «العشّار» جنوبا حيث يقترن دجلة بالفرات .

يجري الفرات في القسم الذي يقع جنوبي «الرمادي» في اراض سهلة ، وتتفرع من ضفته اليسرى اربعة جداول لها الاثر المحمود في ري الاراضي الزراعية الشاسعة ، وعمران القرى والمدن القائمة على ضفافها ، ولهذه الجداول نواظم في صدورها لتوزيع المياه ، وفيما يلي اسماؤها :

١ ـ جدول الصقلاوية : يجري هذا الجدول مسافة تقرب من خمسة عشر كيلومتراً في عمود مستقيم ثم يتفرع الى فرعين : شمالي يعرف باسم «جدول علي السليمان» ويبلغ طوله ١٤,٥ كيلومتراً ، وجنوبي يعرف باسم «جدول ابراهيم العلي» ويبلغ طوله ٢٨ كيلومتراً ويتفرع من كل من الفرعين المذكورين قنوات تسقي مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية الخصبة ، وتنصب في ذنائب متفرقة ، اما مساحة الاراضي التي يسقيها جدول الصقلاوية فتقدر بـ ١٩٢,٠٠٠ مشارة .

٢ً — جدول ابي غريب : يبعد هذا الجدول عن جدول الصقلاوية جنوبا ٢٣ كيلومتراً بطريق النهر ، وبعد ان يجري مسافة تقرب من ٢٤ كيلومتراً ينشطر الى فرعين : شمالي ، وهو عبارة عن امتداد الجدول نفسه ويبلغ طوله ٢٦ كيلومتراً ، وجنوبي يقرب طوله من ٢٢ كيلومتراً ، ويعدّ «جدول ابي غريب» من احدث الجداول الفنية ، وتتجاوز مساحة الاراضي الزراعية التي تستفيد منه ربع مليون مشارة .

٣ً — جدول اليوسفية : يقع هذا الجدول في جنوبي جدول ابوغريب ، ويبعد عنه ٤٩ كيلومتراً نهراً، ويبلغ طول مجراه الرئيسي ٥٥ كيلومتراً، وتتفرع من ضفتيه ثلاث وعشرون شاخة بين صغيرة وكبيرة ، لكل منها ناظم يوزع الماء توزيعاً سوياً ، وتتجاوز مساحة الاراضي الزراعية التي تستفيد من هذا الجدول ربع مليون مشارة ايضاً .

٤ً — جدول اللطيفية : هذا جدول حديث حفر في ايام الحكومة العراقية ، يقع في جنوبي جدول اليوسفية ، ويبعد عنه (٢٩) كيلومتراً بطريق النهر ويبلغ طول مجراه الرئيسي زهـــاء (٣٤) كيلومتراً ثم ينشطر الى شطرين : يسير احدهما نحو الشمال الشرقي فيبلغ طوله سبعة كيلومترات ويتجه الثاني نحو الجنوب فيمتد الى مسافة ثمانية كيلومترات ، وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية التي تستفيد منه اكثر من مئة الف مشارة (١).

بعد ان يبعد الفرات عن جدول اللطيفية (٤٨) كيلومتراً يستقبل السد العظيم الذي اقامه الخبير البريطاني الشهير ، سير وِيلْيم ويلكوكس ، بين سنتي ١٩١١م و١٩١٣م وعرف بسدة الهندية (٢) ، وقد انشيء ليحل محل السد الغاطس الـــذي اقيم قبله بخمس وعشرين سنة وعرف «بسد شندنفير» باسم المهندس الفرنسي المعروف في ايامه .

إن الجداول التي تعتمد على (سدة الهندية) وعليها مدار عيش سكان الفرات الاوسط سبعة : منها اربعة جداول رئيسية كبرى وهي : ١ — جدول الحلة ٢ — جـــدول الكفل ٣ — جدول بني حسن ٤ — جدول الحسينية . وثلاثة صغرى وهي : ١ — جدول الناصرية ٢ — جدول المسيب ٣ — جدول الاسكندرية . وفيما يلي تفصيل ذلك :

---

١) الدكتور أحمد سوسة في كتابه «وادي الفرات ومشروع سدة الهندية» ٢/١٠٥

٢) يبلغ طول هذا السد ٢٣٧ متراً ونصف متر ما بين الجدار الذي يسنده في الضفة اليمنى *Right abutment* والجدار الخارجي لممر السفن *Lock* ويبلغ عرضه بين التيغتين أربعة أمتار وله ٣٦ فتحة مقسمة الى ثلاثة أحواض في كل حوض ١٢ فتحة ولهذه الفتحات بوابات من المعدن تنزل وترفع بواسطة آلات معدة لهـــذا الغرض كما ينزل السيف في الغمد الا أن أعمادها من الحديد وفي نهاية السد من الضفة اليسرى فتحة لعبور السفن طولها ٥٥ متراً وعرضها ثمانية أمتار وقد أقيم فوقها جسر متحرك لتحقيق هذا العبور .

جدول الحلة

كان نهر الفرات في الايام التي سبقت انشاء سدة الهندية ، ينشطر في موضع السدةالحالي الى فرعين هما : فرع الحلة وفرع الهندية ، اما اليوم وبعد ان اقيمت «سدة الهندية» فقد اصبح فرع الحلة جدولا او نهراً قائماً بنفسه ، مزوداً بكميات منظمة من الماء تكفي لإرواء بساتينه وري ارضه ، واصبح فرع الهندية مجرى الفرات العام ، وصار يقسم بعد اجتيازه قرية الكفل بكيلومترين الى شطرين كبيرين هما : شط الكوفة وشط الشامية .

يبلغ طول جدول الحلة ، او شط الحلة كما سنسميه (١٠٤) كيلومترات ، وتبلغ المساحة التي تعتمد عليه زهاء مليون مشارة ، وهو يقسم في نهايته الى ثلاثة فروع : الدغارةوالديوانية والحرية ، فيبلغ طول فرع الدغارة (٧٧) كيلومتراً ، وتقوم عليه ثلاث قرى كبرى هي عفك والدغارة وآل بدير ؛ وفي كل منها مقاييس مائية تنظم الري في هاتيك الاطراف . وفرع الديوانية يبلغ طوله (١٢٤) كيلومتراً ، وتقوم عليه قرى وقصبات مهمة اشهرها : خان الجدول والديوانية وامام حمزة والرميثة . اما فرع الحرية فإنه يتفرع من ذنائب شطالحلة في نقطة تقع شمالي فرع صدر الدغارة مباشرة ، وبعد أن يسير ستةكيلومترات ينشطر الىفرعين شمالي يبلغ طوله (٢٠) كيلومتراً ، وجنوبي يبلغ طوله (٤٢) كيلومتراً ، وفرع الحرية من مشروعات الري المستحدثة .

إن على صدر شط الحلة ناظماً يبعد زهاء (٤٥٠) متراً من شمالي سدة الهندية يتألف من ست فتحات عرض كل منها خمسة امتار وارتفاعها ثلاثة امتار ، ويتفرع من ضفتي هذا الشط (٤٩) جدولا منها (٢٠) جدولا تتفرع من ضفته اليمنى (١) و (٢٩) جدولا تتفرع من ضفته اليسرى (٢) .

جدول الكفل

يتفرع هذا النهر من الضفة اليسرى لنهر الفرات – كما يتفرع نهر الحلة – في موضع يبعد (١٢٠) متراً من سدة الهندية شمالا ، ويجري موازيا لنهر الفرات مسافة (٦٩) كيلومتراً ،

---

١) وهي ١ – المهناوية ٢ – الخواص ٣ – عنانة ٤ – ابراهيمية ٥ – طهازية ٦ – يهودية ٧ – تاجية ٨ – عمود نهرالشاه ٩ – هور الشوك ١٠ – دوره ١١ – همينية ١٢ – أبو ضباع ١٣ – علاج ١٤ – أبو قمجي ١٥ عتاب ١٦ – الجربوعية ١٧ – الهاشمية ١٨ – الزرفية ١٩ – الحسينية ٢٠ – الابيخر «بالتصغير» ثم يأتي صدر الدغارة

٢) وهي ١ حصن البيكات ٢ المحاويل ٣ خنفارة ٤ بته ٥ خاتونية ٦ فندية ٧ النيل ٨ الجدول ٩ الوردية ١٠ بنشه ١١ دولاب ١٢ غنيه ١٣ أبو حسان ١٤ فنهره ١٥ بيرماته ١٦ مشيمش ١٧ حجاب ١٨ روبيانة ١٩ باشية ٢٠ كدس ٢١ تنوح ٢٢ البزل ٢٣ عوادل ٢٤ زبار ٢٥ عثمانية ٢٦ الشوملي ٢٧ الظلمية ٢٨ أبو جاغ ٢٩ الابيض «بالتشديد والتصغير» ثم يأتي صدر الدغارة ؛

وتقدر مساحة الاراضي الزراعية التي تستفيد منه بنحو (١٢٢,٠٠٠) مشارة ، وقداقيم ناظم رئيسي على صدر الجدول كما اقيمت نواظم عرضية في مواضع اخرى منه ، لتوزع المياه توزيعاً فنياً ، وهو يروي الاراضي الواقعة بين الضفة اليسرى لنهر الفرات كلها تقريباً والحدود الغربية لاراضي شط الحلة .

جدول بني حسن

يتفرع هذا الجدول من الضفة اليمنى لنهر الفرات في موضع يبعد عن « سدة الهندية » شمالا (٨٠٠) متر ، ويمتد الى مسافه تقرب من (٦٨) كيلومتراً ، وقد اقيمت على صدره ، وفي مواضع اخرى منه ؛ نواظم فنية لتوزيع المياه بحسب الحاجة ، وهو يروي الاراضي الواقعة بين الضفة اليمنى من نهر الفرات وطف الصحراء ، وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية التي تعتمد عليه (١٣٨,٠٠٠) مشارة .

جدول الحسينية

يقع صدر هذا الجدول (شمالي جدول بني حسن) في موضع يبعد عن سدة الهندية زهاء ثلاثة كيلومترات ، وهو جدول قديم يذكر (لونكريك) في كتابه « العراق في اربعة القرون الاخيرة» ص٢٧(١) ان السلطان سليمان القانوني لما زار العتبات المقدسة سنة ٩٤١هـ(١٥٣٤م) امر بكريه وتنظيمه لتزيد في كمية مياهه . وهو يجري جنوبا بغرب حتى يصل مدينة كربلاء فيبلغ طوله ٢٨ كيلومتراً ، ويتفرع الى فرعين : الرشدية والهنيدية فيجري الاول شمالا بغرب، ويجري الثاني جنوبا بشرق ، وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية التي تعتمد عليه وعلى ما يتفرع عنه ؛ (١٢٩,٠٠٠) مشارة ، وعلى صدره ناظم ذو ثلاث فتحات .

ـ(جدول الناصرية)ـ يتفرع هذا الجدول من الضفة اليسرى لنهر الفرات في موضع يبعد كيلومتراً واحداً من جنوبي (جدول المسيَّب) الذي سيأتي ذكره ، ويسير موازيا له فيبلغ طوله عشرة كيلومترات ، ويروي مساحة قدرها (٢٠,٠٠٠) مشارة .

ـ(جدول المسيب)ـ يتفرع هذا الجدول من الضفة اليسرى لنهر الفرات ايضاً في موضع يبعد عشرة كيلومترات من (سدة الهندية) شمالي قصبة (المسيب) مباشرة فيبلغ طوله ١٥ كيلومتراً ويسقي مساحة قدرها (١٨,٠٠٠) مشارة .

ـ(جدول الاسكندرية)ـ يسير هذا الجدول في اتجاه نهر قديم كان يعرف بنهر الاسكندرية ويروى ان الاسكندر الكبير هو الذي حفره واقام قرية الاسكندرية عليه (راجع ياقوت الحموي) (٢) وهو يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفرات في موضع يبعد كيلومتراً ونصف

---

(١) S. H. Longrigg, four Senturies of modern Iraq

(٢) معجم البلدان « مادة الاسكندرية » ٢٣٦/١

الكيلومتر من صدر النهر القديم فيسير ١٨ كيلومتراً وينشطر إلى فرعين يقال لأولهما المويلحة والثاني الجفجافة فيبلغ طول الاول ثلاثة كيلومترات والثاني ثمانية كيلومترات أما مقـــدار الاراضي التي يسقيها فتقدر بـ (٣٢,٠٠٠) مشارة .

يسمى (عمود الفرات) بعد أن يجتاز (سدة الهندية) ويبعد عن قرية (الكفل) كيلومترين (شط الهندية) فإذا اجتاز القرية المذكورة انشطر الى شطرين يسمى الايمن منهما (شط الكوفة) ويدعى الثاني (شط الشامية) أو (شط ابو كفوف) .

شط الكوفة

فشط الكوفة يجري جنوباً تاركاً (قصبة الجسر) على ضفته اليمنى ، ويستمر في جريانه حتى يبلغ (قصبة أبو صخير) فيتركها على ضفته المذكورة أيضاً وينشطر الى شطرين : يسمى الغربي منهما شط جحات أو البكرية ، ويسمى الشرقي شط المشخاب . فشط جحات هو الذي يسقي أراضي (ناحية الحيرة) وتتفرع من ضفته اليمنى أربعة جداول هي ١ ـ الاميرغازي ٢ ـ الفيصلي ٣ ـ الهاشمي ٤ ـ الحسيني . أما شط المشخاب فهو الذي يسقي أراضي المشخاب المعروفة (بناحية الفيصلية) وتتفرع عن ضفتيه جداول عديدة ونهيرات صغيرة أهمها :

الجداول التي تتفرع من ضفته اليسرى ستة وهي : ١ ـ شلال ٢ ـ عايش ٣ ـ الكوثري ٤ ـ التوبي ٥ ـ الاحيمر (ويقال له طبر داخل الشعلان) ٦ ـ الشروكي .

الجداول التي تتفرع من ضفته اليمنى تسعة وهي : ١ ـ إمجيهيله ٢ ـ الدبينية ٣ ـ فرعون ٤ ـ حسون ٥ ـ السواريه ٦ ـ البويهي ـ ويقال له طبر آل فتله ـ ٧ ـ طبر السيد نور ٨ ـ السريوي ٩ ـ ابو الدجيج .

شط الشامية

أما شط الشامية ـ ويقال له شط « أبو كفوف » فإنه بعد أن يخرج من عمود «شط الهندية» في جنوبي « ناحية الكفل » يسير ذات اليمين وذات الشمال حتى يدخل « قصبـــة الشامية » فيخترقها اختراقاً ، ثم ينحرف غرباً فيصب في « شط العطشان » الكائن في مقدم « قصبة الشنافية » على مسافة ثمانية كيلومترات منها ، حيث تصب فيه بقية الفروع الخارجة منه ، أو الخارجة من « شط الكوفة » فتنساب إلى الشنافية فالسماوة فالناصريـــة فسوق الشيوخ فهور الحمار .

ويتفرع من ضفتي (شط الشامية) اثنا عشر جدولا وهي :

الجداول التي تتفرع من الضفة اليسرى ١ ـ الامير زيد ٢ ـ الخنس ٣ ـ المهناوية ٤ ـ جيجان ٥ ـ العقر ٦ ـ نهر الحدادي .

الجداول التي تتفرع من الضفة اليمنى ١ - ابو حيايه ٢ - ابو جاموس ٣ - المجرى ٤ - الواشية ٥ - شط ابراهيم ٦ - جدول أبو بلامة .

ويتفرع من جدول « غماس » خمسة نهيرات صغيرة وهي : البعيوي ، صاحي ، الخمس النغيل ، الكحيل .

دجلة

اذا عدت أنهار العالم الكبرى وشطوطه العظمى كان نهر دجلة ، الذي يقطع العراق من الشمال إلى الجنوب في مقدمة هذه الانهار . وقد ذهب معظم الذين كتبوا عن هذا النهر الى انه ينبع من « بحيرة كوجلك » جنوبي مدينة « خربوط » حيث يتقوس نهر الفرات تماما ، أما الواقع فإن نهر دجلة يتفجر في سلسلة الجبال المرتفعة الكائنة في شرقي تركية (١) ، وانه يجري محاذيا لنهر الفرات شرقا ، وله منبعان يسمى الغربي منهما ، وهو الرئيسي ، دجلة ويسمى الثاني ، اي الشرقي ، بطمان صو ، فيتفجر العمود الرئيسي (اي الغربي) في شمالي (ديار بكر) قرب (بحيرة كوجلك) الواقعة على مسافة ٢٥ كيلومتراً من جنوبي شرقي «معمورة العزيز » تاركا مدينة « ديار بكر » على ضفته اليمنى ، ويلتقي بالفرع الشرقي « أي بطمان صو » في موضع يبعد مئة كيلومتر من الحدود العراقية الشمالية . اما الفرع الشرقي « بطمان صو » فإنه يتفجر في الجبال الكائنة جنوبي منطقة « موش » ويجري في اراض جبلية فيأخذ روافد كثيرة من الشرق ومن الغرب ، ثم يلتقي بالفرع الغربي « اي فرع دجلة » في نقطة تبعد نحو ٦٦ كيلومتراً من مدينة « ديار بكر » شرقاً .

وبعد ان يجري النهران الموحدان « دجلة ، وبطمان صو » مسافة مئة كيلومتر ، يلتقي بهما « نهر الخابور » الآتي من (زاخو) في موضع يقع شمالي « قرية فيشخابور » عند الحدود العراقية - السورية ، ثم يجري في اراض مكشوفة تكتنفها رواب قليلة الارتفاع ، واودية ضيقة ، ويكون جريان الماء سريعاً آناً وبطيئاً آناً ، حتى يصل « مدينة الموصل » فيبلغ طوله بينها وبين فيشخابور (٢٠٣) كيلومترات ، ثم يتلقى « الزاب الكبير » في جنوبي «قرية نمرود» و « الزاب الصغير » في جنوبي (قرية الشرقاط) فيتسع عرضه ، وتكثر مياهه ، ويجري نحو الجنوب تاركاً (تكريت) على شاطئه الايمن و (سامراء) على شاطئه الايسر حتى يتلقى نهر العُظيم - بالتصغير - جنوبي (قرية بلد) ويجري حتى يبلغ مدينة بغداد « عاصمة العراق » فيكون طوله بينها وبين فيشخابور (٦٨١) كيلومتراً . وعلى مسافة (٣٢) كيلومتراً نهراً من بغداد جنوباً يصب فيه « نهر ديالى » ويكوّن خطراً في ايام الفيضان فإذا اجتاز (قصبة

---

(١) M. G. ionides P. 112

الكوت » تلقى نهر الكلال ــ بالكاف الفارسية ــ فإذا بلغ (قصبة العمارة) تفرعت منــه مجموعة جداول كبرى من ضفتيه لتروي مزارع الشلب الواسعة ، وتصب في الاهوار الواقعة هناك : وأهم هذه الجداول :

١ ـ البتيرة ـ بالتصغير ـ ٢ ـ المجر الصغير ٣ ـ المجر الكبير ، على الضفة اليمنى .

١ ـ الكحلاء ٢ ـ المشرّح ـ بتشديد الراء ـ ٣ ـ المجرية ، على الضفة اليسرى .

وقد أقيمت على صدور هذه الجداول نواظم فنية للتصرف بالمياه الفائضةتصرفاًتقتضيه حالة مزارع الشلب ، وحاجة السكان ، ولا سيما في ايام انخفاض المياه في نهر دجلة فتجري مناوبة بينها وبين عمود النهر . وأحدث هذه النواظم الناظم الذي انشأه الانكليزفي عامي١٩٤٢ و١٩٤٣م على صدر الكحلاء ، وهو يتألف من اربع عشرة فتحة عرض كل منها اربعةامتار

يبلغ طول دجلة ما بين منبعه وملتقاه بنهر الفرات في « القرنة » أو في « كرمة علي » ١١٣٠ ميلا (١٨٠٠كيلومتر) يقع ٢٢٥ ميلا منها «٤٠٥ كيلومترات» في أراضي الجمهورية التركيه ، ويجري الباقي في أراضي الدولة العراقية (١) ونظرا لطول هذا النهر وأهميته فقــد اعتاد الجغرافيون أن يقسموه إلى قسمين : شمالي وجنوبي ، فالقسم الشمالي هو الذي يمتدبين منبع النهر « ومدينة بغداد » فيجري اولا في أودية ضيقة ، بين ضفاف مرتفعة ، وأراض جبلية وعرة ، ثم يجتاز قسما من الاراضي المتموجة ذات الاودية العريضة والضفاف المرتفعة فتتعذر الاستفادة منه سيحا ، ثم يسيل في اراض مكشوفة تعلوها سوية المياه احياناً ، ولاسيما في أيام الفيضان ، ويبلغ طول هذا القسم ٦٧٩ ميلا (١١٠٥كيلومترات) ؛ أما القسم الثاني من النهر فيسير في مجرى تكثر فيه الالتواءات والتعرجات ، وتتفرع منه جداول ونهيرات كثيرة (٢) لها الاثر الكبير في ري الاراضي الزراعية الشاسعة، واعمار البساتين اليانعة، ويبلغ طول هذا القسم ٤٥١ ميلا «٦٩٥ كيلومتراً » بين بغداد وموضع اقترانه بنهر الفرات .

ولنهر دجلة روافد متنوعة وأهمها ١ ـ نهر الزاب الكبير ٢ ـ الزاب الصغير ٣ ـ ديالى.

الغراف

الغراف ـ كشداد ـ نهر عظيم كانت ، وما تزال ، تعيش عليه أهم القبائل العراقية وأسعدها

---

١) العقيد الركن عبد المطلب امين في (جغرافية العراق العسكرية) ص١٢٨

٢) اهمها ١ جدول عزيز العاصي ٢ جدول إحمود ٣ أبو جاموس ٤ البغيــلة ٥ الحسينية الغربية ٦ الحسينية الشرقية ٧ جدول المزلاك ٨ الغراف ٩ ام طربالة ١٠ الفهادية ١١ السعدية ١٢ الكريمــة ١٣ البتيرة ١٤ المجر الكبير ١٥ المجر الصغير ، وهذه كلها تتفرع من الضفة اليمنى . اما الجداول التي تتفرع من الضفة اليسرى فهي :

١ الحفرية ٢ الشادي ٣ مغيكيط ٤ الجباب (ويقال له الحاوي) ٥ السفيجي ٦ الكحلاء ٧ المجرية

عيشة ورفاهية ، وهو سرّة العراق وجنة عدنه . وكان يظن أن مجراه الحالي انما هو مجرى نهر دجلة القديم فبرهنت التحقيقات التاريخية على أن « مجرى الدجيلة » هو المجرى المذكور .

يتشعب نهر الغراف من الضفة اليمنى من نهر دجلة في موضع يقابل « مدينة الكوت » وتتشعب من ضفتيه جداول عديدة ونهيرات كثيرة لارواء المساحات الشاسعة من الاراضي الزراعية الخصبة. وهو بعد ان يمر بأراضي الناحيتين: ام حلانة (الملغاة) والموفقية ، يهبط بالتواء فيمر بالحي ، وقلعة السكر ، فالكرادي . وقبل انحطاطه إلى «قصبة الشطرة» ينشطر إلى شطرين رئيسيين هما «شط البدعة» الذي يجري شرقا حتى ينتهي الى الاهوار و «شط الشطرة» الذي يجري جنوبا باتجاه الناصرية . ولتنظيم توزيع المياه بين هذين الفرعين أنشىء على صدر فرع البدعة ناظم ذي ست فتحات ، ويبلغ طول نهر الغراف زهاء ٢٣٠ كيلومتراً وعلى صدره ناظم له سبع فتحات سعة كل فتحة ستة أمتار مع هويس « ممر للسفن » لتأمين الملاحة فيه .

شط العرب

يبدأ « شط العرب » في « قصبة القرنة » الواقعة على مسافة (٧٥) كيلومتراً من البصرة شمالا ، وينتهي الى الخليج العربي جنوبي « قرية الفاو » فيبلغ طوله (٢١٨) كيلومتراً ، ويتراوح عرضه من ٤٠٠ متر إلى ١٢٠٠ متر ، بحسب المواضع التي يمر بها ، وتنساب فيه المياه الآتية من « هور الحويزة » من جهته اليسرى جنوبي القرنة ، كما تنصب فيه بقية مياه الاهوار المتكونة في « كرمة علي » شمالي البصرة ، واخيراً تصب فيه «مياه نهر كارون» عند مدخل (قصبة المحمرة) القائمة على مسافة (٣٢) كيلومتراً من البصرة جنوبا ، وتذهب هذه المياه الغزيرة طعمة سائغة للبحر إذ تختلط بمياه خليج البصرة (او الخليج العربي) جنوبي (قرية الفاو) .

وتتفرع من ضفتي (شط العرب) مئات من القنوات والنهيرات تسقي الملايين من أشجار النخيل القائمة على ضفتيه سيحا دون كلفة ولا نصب ، لان المد والجزر الناشئين من جاذبية الشمس والقمر يسببان صعود المياه وانخفاضها مرتين في كل (٢٤) ساعة فتمتلىء هذه الجداول كلما حصل المد ، ثم تنحسر المياه عنها نحو عمود (شط العرب) كلما حان وقت الجزر ، ولما كان تأثير هذا المد يمتد الى (قرية العزير) القائمة على بعد (١١٠) كيلومترات من (كرمة علي) شمالا فقد أصبحت البساتين القائمة على ضفتيه تؤلف أعظم بقعة نخيل في العالم .

ديالى

ديالى - بالالف المقصورة - اسم لنهر كبير يتألف من اتحاد « مياه آب شيروان » بـ « مياه حلوان » المسماة « نهر الوند » في موضع يبعد أربعة عشر كيلومتراً من قرية السعدية (قزلرباط) شمالا يقال له (المخلط) ويبلغ طوله من منبعه إلى موضع انصبابه في نهر دجلة

جنوبي بغداد (٤٥٠) كيلومتراً .

وتتألف مياه (آب شيروان) من تابعين : تابع شرقي يتفجر في بلاد ايران ، وآخر غربي يجري في (وادي تانجرو) ضمن الأراضي العراقية . ويلتقي هذان التابعان بجوار (شيخميدان) غربي (قصبة حلبجه) فيسيل المجرى الموحد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي حتى اذا انصبت فيه ميـــاه حلون (الوند) المتفجرة في سفوح (جبل كرند) الغربية سمي نهر ديالى وصار جريانه في واد عميق . فإذا اجتاز (جبل حمرين) مسافة ١٥٠٠ متر تشعبت من ضفته اليسرى الجداول الخمس التالية :

١ ـ الروز ٢ ـ الهارونية ٣ ـ شهربان ٤ ـ مهروت ٥ ـ خريسان .

كما انه يخرج من ضفته اليمنى ، في مدخل جبل حمرين ، شمالي الجداول الخمسة المذكورة جدول واسع يقال له الخالص ؛ وكل جدول من هذه الجداول يسقي مساحة واسعة مـــن الاراضي الزراعية الخصبة والبساتين المثقلة بأنواع الفواكه ولا سيما الحوامض .

و (ديالى) من الانهار المماو لة ليست كدجلة والفرات ، فهما مباحان ، لأن ماءه يسد بالمرة ويقسم بين الجداول المذكورة وما يتفرع منها من نهيرات وقنوات فلا يصب منه في دجلة شيء الا أيام الفيضان . وهو يختلف عن بقية الروافد العراقية في ثلاثة امور : اولها ان مصبه يقع ضمن حدود الدلتا العراقية في الجنوب . وثانيها ان كل المزارع التي عليه تقريباً تروى سيحاً وثالثها أن كل تصريفه الصيفي، الذي يبلغ معدله زهاء (٤٥) مـــتراً مكعباً في الثانية يستهلك لأغراض الري ، أي أن مجرى النهر يسد نهائياً وتقسم مياهه بـــين جداول الري التي تتفرع في الأقسام العليا منه . (١)

الخابور

ينبع هذا النهر من (جبال دريانوط) الشاهقة ، ويجري من الشمال إلى الجنوب ، وتصب فيه روافد كثيرة لكنها صغيرة ، وبعد أن يفصل بين القضاءين (العمادية وزاخو) يصب في دجلة شمالي (فيشخابور) فيبلغ طوله ١٦٠ كيلومتراً .

الزاب الكبير

ينبع هذا النهر في الجبال الواقعة بين البحيرتين (اورمية ووان) ويجري في واد ضيق تحيط به الجبال الشاهقة ، ويدخل الاراضي العراقية من شمالي (قصبة العمادية) وبعد أن يسقي الأراضي الزراعية الخصبة ، ويتلقى روافد صغيرة مختلفة ، يتجه نحو الجنوب الشرقي فيفصل بين اللواءين : الموصل وإربل ، ويصب في نهر دجـــلة ، في الموضع المسمى (المخلط) على

---

(١) الدكتور احمد سوسه في «تطور الري في العراق» ص ١٤٠

مسافة ٤٤ كيلومترا من الموصل شرقاً فيبلغ طوله ٣٢٠ كيلومترا .

الزاب الصغير

ينبع هذا النهر من الجبال الواقعة على الحدود الشرقية لمنطقة (لاهيجان) ويجري من الشمال الى الجنوب في ارض جبلية وعرة ، وبعد أن يأخذ روافد مختلفة تتسع رقعته ويشتد جريه حتى يتلقى نهر دجلة فيبلغ طوله ٣٠٤ كيلومترات .

العظيم بالتصغير

تتألف مياه هذا النهر من فرعين ينبعان في (جبال هاورمان) في (لواء السليمانية) يسمى أحدهما (خاصه‌صو) وهو الذي يمر (بمدينة كركوك) ويسقي سكانها ، ويسمى الثاني (آق صو) ، وهو الذي يمر من (طوز خرماتو) وبعد أن يقطع سلسلة (جبال حمرين) يصب في دجلة على مسافة قصيرة من قرية (بلد) فيبلغ طوله مئة كيلومتر ، ولكن الماء لا يجري فيه إلا في موسم الفيضان في فصل الربيع فقط .



آثار العراق العتيقة

تمهيد

يزخر العراق ببقايا مدن عتيقة واطلال دارسة وآثار تمثل حضارات مختلفة رأينا ان نفرد لها بحثاً خاصا في هذه الصفحات لتكون الماما موجزة عن الماليك والدول التي نشـأت وترعرعت في سقي الرافدين منذ فجر التاريخ مستندين في ذلك الى ادق التحريات التي اجراها الآثاريون ، والبحوث التي نشرتها مجلة «سومر» العراقية ومجلة « النجم » الموصلية . ولا شك في ان تصدير الكلام على الوية «العراق» بهذا الفصل الآثاري من شأنه ان يربط الماضي بالحاضر ، ويسلسل الحوادث تسلسلا تاريخيـاً يستلزمه البحث عن المدن والقرى العراقية كبيرها وصغيرها ولا يتضمن هذا الفصل مدن العراق القديمة وآثاره العتيقة كلها وانما يتناول اهم هذه المدن واشهر تلك الآثار وانا لنشكر الاستاذ فؤاد سفر شكراً جزيلا على تفضله بمراجعة هذا الموجز وتهذيبه له

١ ــ في لواء الموصل

أ ــ آشور

على مسافة ٩٩ كيلومتراً من الموصل جنوباً تنتصب على ضفة دجلة اليمنى قلعة أثرية شامخة تسمى اليوم «قلعة شرقاط» اختارها الانسان قديماً مسكنا له لمناعة موقعها ، وسعة الرقعة التي تشرف عليها ، وقد اتسعت بمرور الزمن حتى اصبحت العاصمة الاولى لأهم دولة ظهرت في شمال العراق ، ونعني بها الدولة الآشورية ، وبقيت عاصمة للملوك الآشوريين حتى اتخذ آشور ناصربال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ق.م) مدينة كالح عاصمة لملكه . ولكن على الرغم من ذلك فقد ظلت هذه العاصمة الاولى موضع عناية الملوك الآشوريين لأنها كانت مقرّ سيد آلهتهم (آشور) فكانوا يجددون أسوارها بين الفينة والفينة ، ويضيفون اليها بعض الزخارف والعمارات بين الحين والحين ، ويوصون بدفن رفاتهم فيها إذا ما توفوا . ولعل الزقورة (البرج المدرّج) الخاصة بمعبد الإله آشور التي جدد بناءها ووسعها شلمناصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م) من ابرز أطلال تلك المدينة الباقية إلى اليوم وقد اكتشفت فيها آثار كثيرة أهمها أصنام آلهة ، وتماثيل الكهنة ، وأضرحة بعض المشاهير ... الخ

ب ــ كالح

هي عاصمة الآشوريين الثانية وتنسب أقدم المباني المكتشفة فيها الى شلمناصر الأول (١٢٨٠ــ١٢٦٠ق.م) وهي لم تزدهر إلا في عصر آشور ناصربال الثاني (١) (٨٨٣ ــ ٨٥٩ق.م) وفي زمن ابنه شلمناصر الثالث (٨٥٩ ــ ٨٢٤ ق.م) اذ أصبحت عاصمة الانبراطورية الآشورية المترامية الأطراف . وتقوم خرائبها اليوم بالقرب من الضفة اليسرى لنهر دجلة في موضع يبعد

---

١ ــ تقول التوراة ان الذي اسس كالح هو آشور بن سام الذي خرج من سهل شنعار في اثناء حكم نسيبه نمرود فقد جاء في ١٠ / ١١ من سفر التكوين :

«من تلك الأرض خرج آشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح ورسن بين نينوى وكالح هي المدينة الكبيرة

عن جنوب شرقي الموصل بنحو (٣٥) كيلومتراً وتسمى (خرائب نمرود) وقد جرت فيها تنقيبات آثارية في منتصف القرن الماضي فعثر على منحوتات مهمة تزين اليوم القسم الخاص بالآثار الآشورية من المتحف البريطاني(١) كما أن في متحف الموصل الذي انشىء حديثاً، وفي المتحف العراقي نخبة ممتازة من الرقم الطين والقناني الخزفية والتماثيل العاجية واللقى الثمينة التي عثر عليها بنتيجة التنقيبات الحديثة خلال السنوات العشر الاخيرة ومن يزر اطلال مدينة كالح اليوم يشاهد فيها بقايا الزقورة التي شيدها شلمناصر الثالث، كما يشاهد تماثيل بديعة عند مداخل قصر آشور ناصربال ، وكثيراً من الالواح ذوات المشاهد الدينية والعسكرية، وبقايا مسناة مشيدة بالحجارة الكبيرة المهندمة استظهرتها البعثة الآثارية البريطانية التي نقبت فيها عام ١٩٥٢م .

ج ـ خرساباد

وهو الاسم القديم الذي يطلقه المؤرخون على اطلال مدينة سرجون الثاني، الملك الآشوري الذي حكم من عام ٧٢١ الى عام ٧٠٥ ق.م المسماة (دور شروكين) وتقع هذه الآثار على مقربة من نهر الخوصر في موضع يبعد عن شمالي الموصل نحو عشرين كيلومتراً . وقد دلت التنقيبات الآثارية التي جرت فيها في أوقات مختلفة على أن الملك سرجون الثاني أراد أن يحذو حذو الملوك الذين تقدموه في تخليد أسمائهم فقرر تشييد (دورشروكين) عاصمة له وانتقل اليها فعلا عام ٧٠٦ق.م قبل أن يتمها، فلما توفي في السنة التالية اهملت عاصمته وتحول ابنه سنحاريب ومن خلفه من الملوك الآشوريين ، إلى مدينة نينوى عاصمة ملكهم العتيد . وتقول المصادر التاريخية الموثوق بصحتها أن سنحاريب لم يكتف بهجر العاصمة التي بناها والده سرجون الثاني ويتركها طعمة لدواهي الحدثان ، وانما عمد الى خلع بعض المنحوتات منها ونقلها إلى نينوى وزين بها قصره الجديد . وقد وجدت بعض المنحوتات الاخرى مشوّهة تشويها مقصوداً منذ زمن بعيد . وكشف في هذه المدينة حديثا عن معبد واسع للإله الآشوري سيبتّي Sibitti الذي رمزه نجوم الثريا ووجدت في هذا البناء أنصاب كثيرة من الحجر لعبادة هذه الآلهة .

د ـ نينوى

يعد المؤرخون مدينة نينوى الشهيرة في التاريخ العاصمة الثالثة والاخيرة للدولة الآشورية، وتقوم اطلالها اليوم على الضفة اليسرى من نهر دجلة مقابل مدينة الموصل تماماً .

---

١ ـ في المتحف البريطاني اليوم حيوانان هائلان مجنحان، ولهما رأسان بشريان احدهما اسد والآخر ثور تمثيها رقم مسمارية وروايات خيالية وقد عثر عليها المنقب البريطاني هنري لايارد اثناء تنقيبه في هذه الطول في اواسط القرن التاسع عشر للميلاد فنقلها الى لندن في جلة ما نقل اليها من الآثار الاشورية المهمة يوم لم يكن للحكومة العثمانية = والعراق كان تحت حكمها اذ ذاك = اي اهتمام بمثل هذه الآثار وقد شاهدنا هذين الاثرين العظيمين في المتحف المذكور يوم زرنا العاصمة البريطانية

كانت نينوى في الالف الرابع قبل الميلاد قرية صغيرة لا شأن لها ولا اهمية ، فلما حل الآشوريون فيها حلولهم في القرى المجاورة نما كيانها ، واتسع عمرانها ، فأضحت مدينةذات شأن كبير ، يدير امورها ولاة يعينهم الملوك الحاكمون حتى اتخذها احد ملوك آشور عاصمة له في حدود عام ١٠٨٠ ق.م فشيد فيها معبداً للإله عشتار ، وعظم شأنها ايام الملك سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) إذ وسعها وشيد القصور الفخمة ، والمعابد الجليلة ، والثكنات العظيمة فيها ثم احاطها بسور وخندق وحصّنها بقلاع وزين ابوابها بتماثيل وزخارف عظيمة الشأن فظلت عاصمة الملوك الآشوريين حتى زوال حكمهم سنة ٦١٢ق.م.

ه ــ الحضر

(الحضر) مدينة عربية واغلة في القدم قائمة على وادي الثرثار بين دجلة والفرات في موضع يبعد عن الموصل جنوباً بغرب نحو ١٤٠ كيلومتراً .يحيط بهاسوران متداخلان عظيان طول الخارجي منهما ثمانية كيلومترات ، وطول الآخر ستة كيلومترات تقريباً ، وتحتفظ بقصور ومعابد وحمامات وآبار ومدافن يدل جميعها على انها كانت ذات صفةعسكريةخاصة فهي تفصح عن إحكام بناء ومتانة اتقان . وهناك طائفة بديعة من طيور منحوتة وعنقاوات وخيول وثيران برؤوس بشرية تألقت بها الجدران في إحدى الردهات ، وربما كانت تلك الردهة معبد إله الشمس وقد زرناها غير مرة .

والمعروف ان مدينة الحضر نشأت في حدود القرن الاول قبل الميلاد لتكون حصناً في الجزيرة بين الرافدين يحمي الطريق الرئيسية للقوافل بين العراق وأعالي سورية ثم اتسع هذا الحصن حتى أصبح مدينة ذات شأن فصمدت في وجوه الغزاة الرومانيين زمناً طويلا حتى تمكن منها سابور الاول عام ٢٧٠م ثاني ملوك السلالة الساسانية التي قضت على الفرثيين أحلاف الحضر فدخلتها جيوشه الغازية واعملت السيف في اهلها ، والمعول في قصورها ومعابدها ، وابادقبائلها.

لم تجر تنقيبات آثارية في هذه المدينة العربية من قبل الفرنجة . وفي عام ١٩٥١م .وجهت اليها « مديرية الآثار العامة » جهودها وعنايتها فعثرت على هياكل حجرية لبعض ملوكها وكهانها وقوادها نقلت بعضها الى متحف الموصل ، والبعض الآخر الى المتحف العراقي في بغداد . كما عثرت على لقى منوعة من الذهب والفضة ، وعلى مجموعة نفيسة من آثار مصنوعة من البرنز والنحاس ، وعلى قطع كثيرة من النقود الفضة والنحاس المتداولة بين السكان يومئذ . وما زالت الهمة منصرفة للبحث عن بقية مرافق هذه المدينة وآثارها العجيبة .

و ــ خنس وبافيان

(خنس) اسم قرية كردية تبعد نحو ١٢ كيلومتراً من شمالي شرقي عين سفني (مركز

قضاء الشيخان) وقد ورد هذا الاسم بشكل خنوسا في الكتابات الآشورية و (بافيان) اسم قرية يزيدية قريبة من قرية خنس الكردية وتقع هاتان القريتان على واد جميل يخترقه (نهر الكومل) أحد روافد الخازر ، وفي بطنه صخرة عاتية واقفة كالطود لاانحناء فيها ولاعوج، وعلى وجه هذه الصخرة نحوت آثار آشورية أبرزها صورة إلهين متقابلين واقفين على حيوانين خرافيين ، يقابلهما ملكان واقفان امامهما بخشوع يظن انهما صورتين لسنحاريب، وخلف الصور تجاويف تؤدي إلى اربعة مقابر ، والى جوارها كتابات آشورية دلت قراءتها على انها عبارة عن ادعية واوراد ، ووجد بينها اسم الملك سنحاريب ومشروعات الري الجسيمة التي اتمها والظاهر ان هذا الوادي كان مقدساً في حينه ، وان سنحاريب شق قناة من الكومل واجرى فيها الماء منه بالقرب من هذه المنحوتات واصلا اياه الى السهول المجاورة لعاصمة ملكه (نينوى) وانشأ حوله حدائق دائمة الخضرة .

٢ - في لواء بغداد

أ ـــ طاق كسرى

على الضفة اليسرى من دجلة الموضع الذي يبعد عن جنوبي بغداد (٣٠) كيلومتراً ويسمى « سلمان باك » ينتصب بقايا إيوان كسرى وهو عبارة عن طاق ربما كان من اعلى الطوق في العالم واكثرها خلوداً . فارتفاعه ثلاثون متراً وامتداده من فتحته إلى صدره (٤٨) متراً وثخانة جدرانه من اسفل سبعة امتار وإلى يسار إيوانه حائط شاهق يعلو حتى قمة الطاق اسندته مديرية الآثار العامة في عام ١٩٤٢م بمسند من الآجر والسمنت لتقيه الانهيار .

كان الساسانيون قد اتخذوا طيسفون عاصمة لهم فوسعوها وبنوا اسوارها وضموا اليها بعض القرى والمدن المجاورة حتى سماها العرب « المدائن » وقد بنى الساسانيون عدة قصور في هذه العاصمة اخلدها القصر الابيض الذي يظن ان سابور ذا الاكتاف بناه في منتصف القرن الثالث للميلاد ، ثم رممه كسرى انو شروان بعد خرابه واضاف اليه ما اضاف بحيث تغلب اسم هذا الملك على بانيه الأول فعرف واشتهر بإيوان كسرى وبقيته باقية الى اليوم .

ب ـــ تل حرمل

يقع هذا التل بالقرب من معسكر الرشيد في موضع « بغداد الجديدة » وهو عبارة عن مجموعة من الدور والعمارات المختلفة يحيط بها سور مستطيل الشكل طوله (٤٠٠) متر وارتفاعه اربعة امتار وفي وسط هذه الدور معبد كبير لعبادة خاني ونسابا اللذين كانا يرعيان اهل العلم والأدب . وقد دلت التنقيبات التي اجرتها مديرية الآثار العامة منذ عام ١٩٤٥م على انه كان بمثابة خزانة للوثائق الخاصة بمقاطعة « اشنونا » المسماة اليوم « تل اسمر » والتي تبعد عن « تل حرمل » نحو (٣٠) كيلومتراً او انه كان بلدة جامعية . يدل على ذلك اسم هذا الموقع الاثري القديم « شادبا » الذي يعني بالسومرية « ذا الرقم » او « ذا الكتابات » وتقول

نشرة المديرية المشار اليها عن هذا التل أن عهود الملوك الذين حكموا في « اشنونا » تمتد الى ثلاثة ادوار بوجه عام من منتصف العهد المسمى بالعهد البابلي القديم إلى نهاية سلالة بابل الاولى وبداية العهد الكشي (١٨٥٠ — ١٥٠٠ ق.م) واهم ما اكتشف في هذا التل الرقم الطين المتضمنة اخبار مختلف العلوم والرياضيات .

جـ — عقرقوف

على مسيرة نحو ثلاثين كيلومتراً من غربي بغداد تقوم زقّورة مدينة « دوركوريكالزو » التي شيدها الملك الكشي كوريكالزو في حدود عام ١٤٨٠ ق.م وانشأ فيها برجاً مدرجاً يرتقى الى قمته في ايام الاعياد والحفلات الرسمية . وقد ظلت هذه المدينة مزدهرة حتى نهاية السلالة الكشية ثم اخذت شهرتها تتضاءل ، ولم يبق من معالمها اليوم غيرآثارسورهاالخارجي الطويل ، وغير زقورتها المذكورة ولهذهالزقورة قاعدة ذات اربعة اوجه طول كل وجه نحو ٧٠ متراً . تتجه زواياها الى الجهات الاربع الاصلية امالرتفاعهافلعله كان يقرب من ٧٠ متراً وقد عرف هذا الموضع باسم عقرقوف منذ ازمان بعيدة ، واجرت « مديرية الآثار العامة » تنقيبات واسعة فيها منذ عام ١٩٤٢م فكشفت عن عدد كبير من الآجر المشوي المربع وعليه اسم الملك كوريكالزو ، كما كشفت عن جدران المعبد الذي كان فيها . ووجدت مجموعةمن اللقى الذهبية النفيسة ، ومن ألواح الطين المكتوبة بشؤون الكشيين والبابليين القدماء .

د — الآثار العباسية

تكلمنا عن الآثار العباسية في بغداد وسامراء بما فيه الكفاية في صلب بحثنا عن «لواء بغداد » في الفصل القادم فنكتفي بالإشارة الىذلك هنا .

٣ — في لواء ديالى

أ — تل اسمر

يقع « تل اسمر » في لواء ديالى على مسافة ثمانين كيلومتراً من شمال شرقي مدينة بغداد وهو بقية باقية من مدينة اشنونا الشومرية ، وقد جرت فيها حفريات اولية في اواخر عام ١٩٣٠م فعثر في التل المذكور على آثار قصر عظيم كان يسكنه حكام هذه المقاطعة ، كماعثر على قطع وألواح منقوشة في الرخام ، واسلحة نحاسية وبرونزية مختلفة ،وألواحطينيةمشوية وعليها كتابات تتضمن اخبار عقود واتفاقات وتعهدات ورسائل لملوك مقاطعة « اشنونا » وكانت « اشنونا » على اتصال وثيق بالعيلاميين والعموريين . وربما كان اقدم من عرف من ملوك هذه المقاطعة رجل يحمل اسماً غريب اللفظ هو « كيري كيري » الذي حكم في عام ٢١٨٧ ق.م وينسب الى مدينة اشنونا قانون سبق شريعة حمورابي بمأتي سنة وضعه على ما يظن الملك بيلي لاما .

ب ـ خفاجي

تقع بقايا مدينة خفاجي السومرية على بعد ٢٤ كيلومتراً شرقي بغداد ، وهي عبارة عن تلول منخفضة تندمج بالسهل بصورة تدريجية ، وتمتد حولها حقول تنبث بينها استحكامات ما زالت آثارها ماثلة للعيان ، وقد اجريت تنقيبات واسعة في هذه التلول مدة عشر سنوات منذ اواخر عام ١٩٣٠م فدل الآجر المشوي والألواح واللقى المختلفة التي عثر عليها فيها على ان تاريخ بعضها يرتقي الى عهد حمورابي سادس ملوك بابل . اما التماثيل النحاسية والخواتم الخزفية وادوات الزينة الذهبية واحجار العقيق واللازورد وغيرها التي عثر عليها اثناء هذه التنقيبات ، وكذلك انابيب الماء الخزفية المعدة للترع فقد دلت بصراحة على ان الشعب الشومري لم يستوطن جنوب المملكة من اور إلى كيش حسب ، وانما امتد شمالا نحو ٦٠ كيلومتراً وترك آثاراً نفيسة في خفاجي .

٤ ـ في لواء الكوت

أ ـ بادرايا

على مسافة كيلومترين من مدينة بدره الحالية آثار مدينة عافية يقال لها « تل العقر » وهي مجموعة تلول ممتدة الى مسافة بعيدة أهمها التل الكبير الواقع بقرب سرايا الحكومة على ضفة « الكلال » اليمنى ؛ ويقول اهل بدرة ان هذه التلول هي مدينة بدرة القديمة التي ورد ذكرها في كتب البلدان باسم (بادرايا) ويتفق معهم الآثاريون في ذلك إلا انهم يقولون إن اسم المدينة في العهود الشومرية والبابلية (دير) التي تعني باللغة الاكدية الحصن او البلدة او المكان المحصن . ولا يعرف تاريخ هذه المدينة على وجه التحقيق لعدم إجراء حفريات فيها وان كان الاعراب ما زالوا يعثرون على لقى مختلفة من نقود وخواتم وفخار يرتقي تاريخها الى الالف الثاني قبل الميلاد وقد وجدت فيها كتابات للملك الكشي كوريكالزو .

وتل العقر هذا واسع الشكل طول ضلعه نحو خمسمئة متر وارتفاعه نحو عشرين متراً ويحيط به من جهاته الاربع سور ما زالت معالمه واضحة ، وفي وسطه منخفض يدل مشهده على انه كان الشارع الرئيسي في المدينة .

ب ـ واسط

بنى الحجاج بن يوسف الثقفي عامل بني امية على العراق مقراً جديداً لجنوده الشاميين قبالة مدينة «كسكر» الايرانية في وسط العراق في موضع منعزل يتوسط بين البصرة والاهواز والكوفة ولهذا السبب سماه «واسطاً» وكان الشروع في البناء عام ٨٣هـ(٧٠٢م) والانتهاء منه عام ٨٦هـ (٧٠٥م) وبلغت نفقاته خراج العراق لمدة خمس سنوات . وكان قصر الحجاج المعروف بقصر القبة الخضراء في وسط المدينة ، والى جانبه المسجد الجامع، والسوق العامرة، وكانت مساحة هذا المسجد مئتا ذراع في مثلها ، وكانت السوق مزدحمة بالتجار من كل صنف ،

وكانت من السعة بحيث أشغلت أرضا تمتـــد من القصر الى شاطىء دجلة الشرقي ، وقطع الحجاج لأهل كل تجارة قطعة لا يخالطهم فيها غيرهم . وقد حافظت «واسط» على مقامها وعزها بعد وفاة بانيها سنة ٩٥ﻫ (٧١٣م) ودفنه فيها فكان لها شأن يذكر في بقية أيام بني أمية ، وفي أيام بني العباس حتى اذا كان فتح المغول للعراق اتي عليها ما اتى على بقية مدن العراق من خراب ودمار . ولما غيرت دجلة مجراها في القرن العاشر للهجرة اصبحت «واسط» خرائب وآكاماً تشاهـــد اليوم على مسافة (٢٤) كيلومتراً من مدينة الحي شرقاً وتسمى «منارة واسط» لوجود المنارة «مئذنة» بالجانب الشرقي منها ، وهي الأثر الوحيد الذي تهتدى القوافل به في طريقها وهي مختلفة بين بلدان الغراف وقراه .

٥ - في لواء الحلة

أ - بابل

تدل المراجع التي بين ايدينا على ان مدينة بابل وجدت منذ نحو سنة (٢٣٥٠ق.م) ولكنها لم تكن ذات شأن سياسي يذكر ، وان حمورابي سادس الملوك البابليين الذي تولى العرش عام ١٧٢٨ق.م بالغ في تعميرها وتسويرها واقامة القصور الفخمة فيها ، ثم كانت لها صفحة مجيدة في ايام نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م) وبعض الذين اعقبوه حتى اخضعهـــا كورش الفارسي الى حكمه عام ٥٣٨م ق.م .

و«بابل» مصحفة عن «باب إيلو» ومعناها «باب الله» أو «بيت الله» وتقع خرائبهـــا على مسيرة تسعين كيلومتراً من بغداد جنوباً ؛ وعلى مسافة ١٢ كيلومتراً من الحلة شمـــالا ، وتقطع شوارعها الفسيحة زوايا قائمة تقريباً . وما زال اثر هذه الشوارع والزوايا ماثلا للعيان . كما تشاهد فيها الى الآن بقايا قصرين فخمين من قصور نبوخذ نصر الثاني وهما : القصر الجنوبي والقصر الرئيسي . مع بقايا قصره المعروف الآن ببابل ، وهو الذي في اقصى الشمال من المدينة . اما دور السكن فكانت الى الشرق وإلى الشمال الشرقي من منطقة صرح بابل ويعرف الآن بالمركز . اما جنائن بابل المعلقة التي كانت احدى عجائب الدنيا السبع فلم يبق منها اليوم الا اثر ضئيل . اما اشهر آثارها الباقية الى الآن فباب عشتار وأسد بابل وبعض الصور الوحشية البارزة على الجدران .

ب - بورسيبا

على مسافة ١٥ كيلومتراً من جنوبي غربي الحلة ينتصب بناء آجري يبلغ ارتفاعه ٤٤متراً هو بقايا زقُّورة المعبد الذي شيده نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م) للإله نبو في مدينة بورسيبا ، ولكن الناس يسمونه خطأً «برج بابل» أما الاعراب المحيطون بهذا الاثر البابلي

فيسمونه « برس نمرود » وجاء تسميته « برس » بضم اوله وضم ثانيه في ياقوت الحموي ، ورحلة ابن بطوطه ، وغيرهما مما يدل على ان هذه التسمية قديمة . وعلى كل فبورسيبا مدينة كانت مجاورة لمدينة بابل وقد اتى الدهر عليها كما اتى على غيرها من المدن الآشورية والبابلية والكلدانية وغيرها فجعلها خرائب وآكاماً ترى في مواضع مختلفة من العراق .

جـ — تل الاحيمر

واسمه القديم «كيش» على مسافة ١٢ كيلومتراً من شرقي بابل ، ونحو ٢١ كيلومتراً من شمال شرقي الحلة الفيحاء رابية كبيرة مخروطية الشكل يسميها الاعراب المجـاورون « تل الاحيمر» لأن لونها يميل الى الاحمرار . وتروي المراجع التاريخية المستندة الى الحفريات التي جرت فيه انه بقية هيكل سومري سبق عهد البابليين بزمن بعيد ولكنه ظل موضع عناية الملوك الذين حكموا هذه المنطقة مدة طويلة . تلك هي مدينة كيش التي يرتقي تاريخها الى نحو سنة ٣٠٠٠ ق.م . وهذه زقورة هيكل البابا إله الحرب وزوجته . وقد نقبت في هذا الموقع بعثتا اوكسفورد وشيكاغو عام ١٩٢٣م فكشفتا عن آثار وكتابات كثيرة .

٦ — في لواء كربلاء

أ — الاخيضر

« الاخيضر » قصر عظيم قديم ، داخل حصن مربع منيع . يبلغ طول كل ضلع من اضلاعه نحو ١٧٠ متراً ، ويبلغ ارتفاع سوره ٢١ متراً وسمكه اربعة امتار ونصف المتر ، وسوره هذا مدعم بسلسلة من الابراج الشاهقة من اربع جهاته ، وفي كل زاوية من زواياه الاربع برج ضخم يبلغ قطره خمسة امتار ، وهو يقع على بعد خمسة وخمسين كيلومتراً من مدينة كربلا غرباً بجنوب ، ولا توجد عليه اية اشارة اوكتابة يستدل بواسطتهما على معرفة الزمن الذي شيد فيه هذا القصر ، او العهد الذي اقيم فيه الحصن الذي يحيط به ، وعلى هذا فإن كل ما كتب وقيل عن «الاخيضر» لا يتعدى حدود الفرضيات والتخمينات . الا ان هناك دلائل تشير الى انه لم يبن في وقت واحد لأن بعض المباني وتخطيطها لا يتناسبان بوجه من الوجوه مع التنظيم الدقيق الذي يشاهد في تقسيمات القصر والحصن . كما ان هنالك دلائل اخرى تشير الى ان باني القصر لم ير لزوما لإحاطته بحصن ضخم إلا بعد تقدم البناء . وقد زعم المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون الذي زار القصر مرات عديدة : ان الريازة الساسانية الطاغية عليه تسوغ القول بأن القصر بني لأحد ملوك الحيرة قبل الاسلام ، ولكن اكتشاف المسجد والمحراب في القصر بدد ذلك الوهم وجعل معظم الباحثين يقررون بأن البناء اسلامي صرف . وارتأى المستشرق الالماني هرتسفلد أن هناك شبها ظاهراً بين ريازة الاخيضر وريازة مباني سامراء

فاحتمل ان عهد البناء يجب ان يرتقي الى القرن الثالث للهجرة، وينسب المستشرق الانكليزي البروفسور كريسومل بناء الاخيضر الى عيسى بن موسى من ولاة الكوفة في زمن ابي جعفر المنصور . وعلى كل فإن في الجهة الشمالية الشرقية من هذا الاثر العجيب بناية طويلة تعرف بين الناس باسم «الكمرك» كما ان في الجهة الغربية الشمالية منه بناية اخرى لكنها اصغر من الاولى تعرف باسم «الحمام» والبنايتان حادثتان. وللمديرية الآثار العراقية العامة رسالة عن الاخيضر موجزة طبعتها عام ١٩٣٧م وهي مدار بحثنا وكنا قد زرنا هذا الاثر في هذا العام نفسه .

ب ــ الكوفة

مدينة الكوفة من المدن الاسلامية التي اسست في اوائل عهد الاسلام ، عقب الفتوحات الاولى التي جرت في القرن الاول للهجرة ، وقد ذكرنا تاريخ تأسيسها في ص (١٣٧) من هذا الكتاب ، واتينا على اسباب هذا التأسيس . ومسجد الكوفة مبني على ساحة مربعة الشكل تقريباً لأن طول اضلاعها الاربعة يختلف بعضها عن بعض قليلا فهو على التوالي ١١٠ –١١٦–١٠٩–١١٦ اما سور المسجد فيبلغ ارتفاعه ٢٠ متراً وهو مدعوم بأبراج مستديرة وصحنه محاط من جميع جهاته بصف من واحد من العقود خلف بعضها غرف صغيرة وخلف البعض الآخر رواق طويل ومازالت مديرية الآثار تنقب فيما حوله من الخرائب المجاورة للمسجد الجامع من الجهة الجنوبية فاستظهرت بقايا ثلاث دور للامارة احداها على انقاض الاخرى واقدمها الدار التي شيدها سعد بن ابي وقاص وهي مربعة الشكل ابعادها ١٧٦× ١٧٦ متراً في وسطها قبة خضراء .

٧ـ في لواء الدليم

ان اهم الآثار التي يجب وصفها والتحدث عنها في «لواء الدليم» ثلاثة وهي ١ـ هيت ٢ـ عانه ٣ـ القائم . ولما كنا تحدثنا عن المدينتين : هيت وعانه في الفصل الاخير من هذا الكتاب فقد ترتب علينا كتابة كلمة عن «القائم» فنقول :

القائم اسم قرية قائمة على ضفة الفرات اليمنى في اقصى الطرف الغربي من «لواء الدليم» تبعد عن غربي مدينة الرمادي (٣١١) كيلومترات ، وعن بلدة عانه (٩٥) كيلومتراً ، وفيها بقايا ركن من جدار قائم . كانت مركزاً لناحية القائم الى خمس عشرة سنة خلت، وعلى قمة هذا الجدار معالم درج يرتقي الى اعلاه من الداخل كالادراج التي تشاهد في المآذن او الابراج وقد جاء ذكره في كتب البلدان باسم «القائم الاقصى» وانه كان مرقباً عالياً بين الروم والفرس على طرف الحد بين المملكتين ، وذكروا ان بجواره كان قد بني دير نسب اليه وعرف باسم دير القائم الاقصى . وكان هذا الدير مأهولا زمن الرشيد ، خامس خلفاء بني العباس ، وان

الرشيد مر به في طريقه الى الرقة وزاره وطاف به إلا انه اصبح خراباً بلا سقف ولا باب في منتصف المئة العاشرة للهجرة ولم يظهر حتى الآن من يؤرخ زمن تشييد هذا الاثر (١)

٨ — في لواء الديوانية

أ ـ نفر

تقع بقايا مدينة نيبور « وتسمى اليوم نفّر بتشديد الفاء وفتحها وسكون الراء» بالقرب من مدينة عفك في موضع يبعد نحو ٢٥ كيلومتراً من شمال شرقي الديوانية . وكان الفرات قديما يمر بها فيشطرها شطرين . وقد جاء في الاساطير الدينية والاخبار التاريخية السومرية والبابلية ان مدينة نيبور كانت المركز الديني والثقافي لبلاد سومر في الالف الثالث قبل الميلاد ، ولهذا كانت موضع اهتمام الآثاريين قديماً وحديثاً. فقد نقب فيها المستر جون بيترسن في عام ١٨٨٩م ، وتلاه المستر هاينز في سنة ١٨٩٣م ووفقت البعثات الآثارية التي نقبت في هذه المنطقة لمعرفة مواضع المدينة المختلفة وحاراتها وسورها وقصورها ولا سيما منطقة المعابد فيها ، واظهرت بقايا الزقورة «البرج المدرّج» التي تعاقب على بنائها وتجديدها ملوك عديدون كما اظهرت بقايا معبد لرئيس آلهة المدينة « انليل ».

ب ـ الوركاء

اما الوركاء فتقع على مسافة ثلاثين كيلومتراً من « السماوة » جنوباً ، وكانت قديماً تسمى «اورك» ويسميها الاعراب اليوم « وركه » ووردت تسميتها في التوراة « ارك »(٢) وهي من اهم المدن السومرية القديمة ومن مراكزها الدينية المهمة في الالف الرابع قبل الميلاد. وتتكون اليوم من تلول ومرتفعات تشغل مساحة قدرها سبعة كيلومترات مربعة ، ويحيط بها سور عظيم يقرب طوله من عشرة كيلومترات . وقد نقبت فيها هيآت آثارية المانية في اوقات مختلفة فكشفت عن ماضيها ، وعثرت على اشهر مساكنها ومعابدها وقصورها .

جـ ـ اطلال الحيرة

كانت الحيرة عاصمة الملوك اللخميين وبلدة تجارية ، وميناء نهريا مهما. ثم اصبحت في تاريخ متأخر سوقاً لفنون العرب قبل الاسلام وآدابهم. وعلى مسافة بضع اميال من هذه المدينة فقط يقع «صندوق الصيد» المشهور بالخورنق . بناه احد ملوك اللخميين لكي يكون متنزها يتردد اليه «بهرام كور» ابن انبراطور الفرس يومئذ . وفي فاتحة القرن الخامس الميلادي نجد الحيرة

(١) على ان الراي الحديث في هذا الجدار هو ان بقايا مدفن برجي شبيه بالمدافن البرجية الموجودة في « تدمر » ومن الزمن ذاته اي من نحو القرن الثاني للميلاد .

(٢) جاء في العدد العاشر من الاصحاح العاشر من سفر التكوين بصدد « ارك »
« وكان ابتداء مملكته ـ اي مملكة نمرود ـ بابل وارك واكد وكلده في ارض شنعار »

تصبح مسكناً لطائفة من اساقفة المسيحيين ، وكانت حينئذ تابعة للانبراطورية الفارسية... ثم سقطت بيد خالد بن الوليد عند اول ظهوره في ارض العراق. والكوفة والمدينة الاسلامية الجديدة تقع على بعد اربعة اميال من الحيرة شيد قسم منها بمواد بنائية نقلت من خرائب الحيرة . ومجموعة اطلال الحيرة عظيمة الاتساع ، متباعد بعضها عن الآخر. حفرت في قسم من هذه الاطلال خنادق تجربية ، وجردت فيها بعض المباني ، ووجدت بيوت ذات ابواب مزينة الاكتاف بنقوش جبسية بديعة الحفر وكنيستان تعودان ربما الى العصر السادس الميلادي(١)

٩ — في لواء المنتفق

أ — أريدو

تقع أطلال مدينة اريدو ، على مسافة اربعين كيلومتراً من الناصرية غرباً ، وتعرف اليوم «بتل ابوشهرين» ويدل وضعها ومشهدها على انها كانت اقدس مدينة سومرية بعد «نيبور» ويقول الآثاريون انها كانت مركزاً لعبادة الإله «انكي» وأنها لم تكن مركزاً سياسياً مطلقاً ، لأنهم لم يتعرفوا حتى الآن على حكامها ، ولأن الطوفان محا كل أثر يستدل منه على انها كانت عاصمة لسلالة ملكية . على ان كثرة بقايا المعابد المنتظمة ودور الكهنة التي اكتشفت فيها ، دلت على ان تاريخها يرتقي الى «عصر العبيد» وحافظت على مكانتها كمدينة مقدسة في الادوار التاريخية المتأخرة . وقد قامت مديرية الآثار القديمة بالتنقيب في اطلالها منذ عام ١٩٤٦م فعثرت على بقايا معابد عديدة مشيدة الواحد فوق الآخر ، ويعلوها جميعاً زقورة مرتفعة كان قد بدأ بتشييدها « اورنمو» وأتمها «بورسن» من ملوك اور .!

ب — اور الكلدانيين

تقع خرائب اور على الضفة الغربية من نهر الفرات في موضع يبعد نحو خمسة عشر كيلومتراً عن جنوبي غربي مدينة الناصرية ، قاعدة لواء المنتفق في الوقت الحاضر ؛ وقد دلت بحوث الآثاريين وتحقيقاتهم على ان هذه المدينة كانت من اوائل المدن التي نشأت في الجانب الجنوبي من الارض التي تكونت من غرين دجلة والفرات قبل اكثر من ٥٠٠٠ ق.م وأن عبقرية الشعب السومري الذي سكنها هي التي جعلت لها شهرة عالمية واسعة ، ومنزلة سياسية مرموقة . فقد كان جنوب العراق من الوجهة الجيولوجية قعراً لخليج البصرة فارتفعت ارضه برسوب طمي النهرين العظيمين المذكورين حين فيضانهما ، فانحسر ماء الخليج رويداً رويداً عنه ، وصار جزءاً من اليابسة ، ومالبث السومريون المجاورون ان هاجروا اليه ، وجنوا خيراته بالزراعة والفلاحة بعد ان حولوا المستنقعات الى حقول خصبة

«١» تقرير عن التنقيبات في العراق خلال الفصول ١٩٢٩/١٩٣٢م ص ٤٥

بواسطة الترع وانظمة الري المتقنة . وقد كشفت الحفريات التي جرت في القسم الوسطي من اور عن آثار السور الذي كان يضم اعظم الهياكل فاذا به رباعي الشكل مستطيله يبلغ طوله نحو ثلاثة ارباع الميل وعرضه نحو ربع ميل .

ومن مفاخر اور ومظاهر عظمتها القديمة زقورتها الحمراء التي ما زالت تلفت انظار محبي الآثار منذ اقدم العهود ، فهي اعظم واحسن زقورات سهل شنعار على الاطلاق، الى تحف ذهبية هي آيات في الفن . كالخناجر والخوذ والتماثيل والادوات المختلفة التي عثر عليها في مدافن السومريين في هذا الموضع ، الامر الذي يظهر بجلاء ان قد كانت لأبناء اور من الصلات التجارية التي تربطهم بأبناء آسية الصغرى ومصر وسورية وايران والقفقاس والهند والافغان ، ما جعلهم يتفننون في صناعة المعادن الثمينة وصياغتها فيتقنونها على نحو غير مألوف في العراق ، هذا وقد دالت دولة اور لآخر مرة عند ما اسر العيلاميون آخر ملوكها «إيبي سن» وقضوا على المملكة قضاء مبرما ، وكان ذلك في حدود عام ٢١٧٠ ق.م .

جـ ــ تللو

تبعد مدينة تللو «ويقال لها لجش» نحو ١٥ كيلومتراً من شمال مدينة الشطرة ، بينها وبين مدينة الحي ، وتمتد اطلالها الى نحو ميلين ونصف ميل في عرض ميل وربع ، وحولها سور حفر بعضه ، وهو القسم الواقع في غرب تل الهيكل والباب الغربي المحصن ، وتقوم هذه الاطلال على الضفة الشرقية لشط الغراف الحالي ، وقد نقب فيها «دي سارزيك» قنصل فرنسة في البصرة بين سنة ١٨٧٧و١٩٠٠م فعثر على اقدم بناء دنيوي عرف في سومر ، كما عثر على نصب النسور الشهير الذي اقامه «أي اناتم» كعلامة فارقة بين تخوم لجش وتخوم جوخى . وكانت لجش من انفع مواضع شمر واكد ومن اكثرها نتاجاً ، وقد عثر المنقبون الاهلون الذين حفروا فيها أثناء غياب القنصل الفرنسي المذكور على تل خزانة كتب الهيكل فكان فيه نحو ٣٥,٠٠٠ صفيحة مشوية يرتقي تاريخها الى عام ٢٨٠٠ ق.م كما انه عثر على آثار سومرية كثيرة ترجع الى عهد سلالة لجش الشهيرة والى ايام كودياه .

د ــ سنكره

تقع خرائب سنكره ، واسمها القديم لارسه ، على الضفة الغربية من عقيق الفرات في موضع يبعد نحو ٢٤كيلومتراً عن شرقي الوركاء، التي تبعد عن جنوب السماوه ٣٠كيلومتراً. وقد دلت الاخبار التاريخية والتنقيبات البسيطة التي اجراها فيها لوفتس **Loftus** في منتصف القرن التاسع عشر و(بارو) في عام ١٩٣٣م على ان هذه المدينة كانت ذات شهرة واسعة في العهد البابلي القديم في حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م وكانت آنئذ تحت حكم العيلاميين حتى

فتحها حمورابي سادس ماوك بابل ، وضمها الى مملكة بابل العظيمة .

هـ — جوخى

«جوخى» مدينة صغيرة لا يتجاوز طول اخربتها الممتدة شرقاً الى غرب كيلومتراً واحداً الا ان تاريخها يزخر بالحوادث الخطيرة ، فقد قاومت جارتها تللو « لجش » مقاومة شديدة واستمرت الحروب الطاحنة بين المدينتين زمناً طويلا ، واستأثرت (اما) — وهـــذا اسم جوخى القديم — بمياه الفرات لنفسها مما اضطر لجش الى جلب الماء من دجلة بواسطة قناة حفرت خصيصاً لهذا الغرض ، بدلا من الماء الذي كان يجري اليها من عقيق الفرات ، ولم تنته هذه الحروب الا بالفتح الاكدي فإن سرجون قام في عام ٢٣٥٠ ق.م . بفتح جميـــع المدن ، وكوّن منها مملكة واحدة تحت حكم السلالة الاكدية .

١٠ — في لواء البصرة

ان اهم ما ينبغي ذكره من الآثار في «لواء البصرة» هو مدينة البصرة العتيقة ، ومسجد الامام علي (ع) وقبرا طلحة والزبير . ولما كنا بحثنا هذه الامور في ص ١٧٣ — ١٧٦ وفي ص ١٨٢ من هذا الكتاب فقد اكتفينا هنا بما بحثنا .

١١ — في لواء اربل

قلنا اثناء بحثنا عن «لواء اربل» ان مدينة اربل تتكون من قسمين هما : القلعة والسهل فقسم القلعة قديم جداً وكان الى ما قبل مدة قريبة « قلعة » تحمي اهل المـــدينة من غزوات الاعداء ، وهو يتقوم من عدة طبقات بنائية تقوم واحدة فوق الاخرى ، ويرجع اقدمها الى العهد الاكدي في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . فتتدرج هذه الطبقات في الارتفاع وتتعاقب عصورها التاريخية من بابلية الى حورية فآشورية ، وكانت المدينة في العهد الآشوري من امهات المدن الآشورية في العراق ، ولا سيا في عهد الانبراطورية الآشورية الثانية ، فقد جلب سنحاريب مياه نهر الباستور الذي يبعد عن شرقها حوالي ٢٥ كيلومتراً اليها بواسطة نفوق وكهاريز تحت الارض . ولم يشتغل أحد من المنقبين الآثاريين في هذا المرتفع لان البيوت ما زالت قائمة فوقه ومع ذلك فقد زاره كثير من الرجال والجغرافيين الآثاريين من يونانيين وعرب واوربيين وكتبوا عنه شيئاً كثيراً .

١٢ — في لواء كركوك

تقع خرائب نوزي قرب «قرية تركلان» التي تبعد ستة عشر كيلومتراً من جنوب غربي كركوك ، وتتكون هذه الخرائب من عدة تلول اكبرها التل المعروف بـ (تل يوغان تپه) وقد

نقب فيها «ادوردكير» عن معهد الدراسات الاميركية للابحاث الشرقية في عام ١٩٢٥ وأعقبه بعض المنقبين الاميركان . ويؤخذ من الحفريات في تلك المواضع ان الاسم القديم لنوزي هو «كاكزو Kakzu وكانت هذه المدينة قد اشتهرت في العهد الحوري في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . ولوحظ وجود عدة طبقات سكن تحت الطبقة الحورية ترجع الى ما هو اقدم من هذا العهد بل قد تصل في قدمها الى الالف الرابع قبل الميلاد كما ان فوق الطبقة الحورية طبقات بنائية احدث منها عهداً ترجع الى الادوار الآشورية والى ما بعد ذلك (١) .

١٣ — في لواء السليمانية

أ — بيكلي

هو اثر تركه الملك نرسي الساساني (٢٨٢—٢٩٧م) على الطريق في موضع يشرف على مضيق يقع في الجهة الجنوبية من جبال قره طاغ ، وهو عبارة عن بناية على جدرانها كتاباته ومنحوتاته المشهورة التي امر بنحتها في نحو عام ٢٩٣م اثر انتصاره على ابن اخيه الملك الشاب بهرام الثالث ، واغتصابه العرش منه عام ٢٩٣م . والكلمة لا بد ان تكون آرية ولعلها من بيكر Pikar اي الهيكل او الصورة المجسمة . ويطلق الكرد اسم بيكلي على المضيق الذي يقع فيه الاثر ويسمون الاثر نفسه (بدخانه) اي بيت الصنم .

هذا ما تفضل به علينا معالي السيد توفيق وهبي العالم المدقق المشهور ، وقد نقبت بعثتان المانيتان في موضع بيكلي في العامين ١٩١١ و ١٩١٣ وحاول احد الانكليز قبلهما نقل بعض احجار الاثر فأخفق ، وهو اليوم على مسافة قصيرة من جنوب السليمانية .

ب — شهرزور

يطلق اسم شهرزور على منخفض من ارض تسقيه مياه غزيرة ، ويؤلف البقعة الجنوبية الشرقية الواقعة في وادي «تانجرو» المترامية الاطراف الذي يصب ماؤه في نهر سيروان ، والذي يعد اوسع سهول لواء السليمانية . ومدينة السليمانية نفسها واقعة في نهاية الشمال الشرقي لهذا الوادي الجميل ويكوّن وادي « تانجرو » مع « وادي جرمكا — تابين » الذي يصب في نهر الزاب الاسفل دهليزاً محاطاً بسلاسل جبال زوغروس ، وأرى من الصواب تسميته دهليز السليمانية .

وهذا ما املاه علينا معالي السيد توفيق وهبي ايضاً بخصوص شهرزور المنطقة الاثرية المعروفة .

---

(١) كتب لنا الدكتور فرج بصمجي هذه النبذة والتي قبلها من (اربل) فله الحمد والثناء على ذلك

القسم الثاني

١ـ لواء بغداد
٢ـ لواء كربلاء
٣ـ لواء الحلة
٤ـ لواء الديوانية
٥ـ لواء المنتفق
٦ـ لواء البصرة
٧ـ لواء العمارة
٨ـ لواء الكوت
٩ ـ لواء ديالى
١٠ـ لواء السليمانية
١١ـ لواء كركوك
١٢ـ لواء اربل
١٣ـ لواء الموصل
١٤ـ لواء الدليم

التنظيمات الادارية في العراق

توطئة

كان العراق ـ وما زال ـ من اكثر الاقطار العربية تعرضاللتبدلالمستمر في نظمهالادارية لتعدد الدول التيتناوبت الحكم فيه ، واختلاف النظم الادارية في احدها عن الاخرى . ولما ظهر الاسلام في عام ٦٢٨م ، واشرقت انواره على هذه البلاد اصبحت الادارة في العراق خاضعة لحكم الخلفاء الراشدين في الحجاز ، ثم خضعت للشام بعد ان تولى الامويون امر المسلمين فلما آلت الخلافة إلى بني العباس في عام ١٣٢هـ (٧٥٠م) اصبحت هذه الادارة عراقية بحتة وإن تخللها نفوذ الديالمة والسلاجقة ردحاً من الزمن . ولما انتهت الخلافةالعباسية في عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) ودخل العراق في حكم المغول فالجلائريين فمن جاء بعدهم ، طرأ تغير على النظم الادارية التي كانت سائدة فيه ولكنها لم تتعرض إلى جوهر النظام القائم من حيث علاقة الارض بالفلاح ، والدهاقنة بالحاكمين ، وهكذاكان الامر في ايام الصفويين . فلما استولى السلطان سليمان القانوني على بغداد سنة ٩٤١هـ (١٥٣٤م) ادخل تعديلات هامة على نظم العراق الادارية فقسم البلاد الى سبعة عشر سنجقا (متصرفية) خصص ستة منهاالى قواده ولما عين مدحت باشا والياً على العراق في عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) طبقنظامالولايةفيه فتغيرت الاوضاع واحدثت الالوية والاقضية والنواحي والقرى ، ودامت الحال على هذا المنوالحتىكان الاحتلال البريطانيلبغدادفي ١٦ جمادىالاولى سنة١٣٣٥هـ (١١آذار١٩١٧م) فأقر الانكليز هذه النظم بعد ان عدلوها ببعض التعديل الذي اقتضته مصلحة الاحتلال . ولما تسلمت الحكومة الوطنية مقاليد البلاد في ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩هـ (٢٣آب ١٩٢١م) ابقت هذه النظم الادارية على حالها ثم صارت توسعها تارة، وتقلصها طورا بحكمالظروف والاحوال السائدة ولا ننسى الوضع المالي وتأثيره على هذا التوسع وذاك التقلص .

ينقسم العراق اليوم الى اربعة عشر لواء في كل لواء عدد من الاقضية يختلف باختلاف سعة القضاء واموره القبلية والادارية والزراعية، ولكل قضاء عدد من النواحي يختلفبمثل هذا الاختلاف ، وتتبع كل ناحية من هذه النواحي قرى مختلفة الحجوم ، غير متجانسة من حيث كثافة النفوس والوضع الزراعي اوالقبلي.

ويحكماللواء متصرف يعين بإرادة ملكية بناء على اقتراح وزير الداخليةومصادقةمجلس الوزراء ، ومرجع المتصرفين كلهم وزارة الداخلية الا ان لهم ان يتصلوا ببقية الوزارات

بحكم ولايتهم على امور اللواء المختلفة ودوائره المتشعبة . ويبلغ عدد المتصرفين في الوقت الحاضر اربعة عشر متصرفاً .

اما القضاء فيحكمه قائم مقام مرتبط بالمتصرف المختص فلا يجوز له أن يتصل بوزارة الداخلية ولا ببقية الوزارات التي لها دوائر خاصة في القضاء . ويعين القائممقام بارادةملكية بناء على اقتراح وزير الداخلية وموافقة رئيس الوزراء فقط ، وعدد القائم مقامين في الوقت الحاضر واحد وستون قائم مقام .

أما الناحية فيحكمها مدير يعين بأمر وزير الداخلية ويتصل بالقائم مقام التابع له . وعدد مديري النواحي الآن مئة وسبعون مديراً .

ولما كان كتابنا هذا ﴿ العراق قديماً وحديثاً ﴾ يطبع للمرة الثالثة ، بعد أن نفدت نسخ طبعتيه الاولى والثانية وقد طرأت تبدلات غير قليلة على تنظيمات العراق الادارية من حيث اكثار بعض الاقضية والنواحي ، وفك ارتباط بعضها والحاقها بالبعض الآخر فقد ابقينا هذه التنظيمات الادارية على ما كانت عليه في عام ١٩٤٨م سنةصدورالطبعة الاولى إلا أننا ننشر فيما يأتي قائمة بأسماء الألوية والأقضية والنواحي على ما هي عليه في عام ١٩٥٥م مع ذكر عدد نفوس كل لواء وقضاء والاشارة إلى مساحة كل لواء وكل قضاء كما جاءت في سجلات مديريتي النفوس العامة والمساحة العامة في العام المذكور .

اسم اللواء	اسم القضاء	المساحة بالكيلو متر المربع	عدد النفوس	النواحي
لواء بغداد – مركز اللواء بغداد	١– بغداد	١٩٨٤	٥٥٨٨٢٠	مركز بغداد، الاعظمية ، الكرادة الشرقية الدورة وسلمان باك .
	٢– الكاظمية	١٥٩٠	١١٥٧٦٠	مركز الكاظمية ، الطارمية ، ابوغريب .
	٣– المحمودية	١٣٣٨	٥٣٦٨٣	مركز المحمودية ، اليوسفية .
	٤– سامراء	٦٧١٤	٦٤٩٠٤	مركز سامراء ، بلد ، دجيل .
	٥– تكريت	١١٥٤	٢٤٠٣٨	بيجي .
	المجموع	١٢٧٨٠	٨١٧٢٠٥	
كربلا – المركز كربلا	١– كربلا	٤١٢٢	٧١١٦٣	عين التمر ، الحسينية .
	٢– النجف	٢١٨٣	٧٨١٠١	مركز النجف ، الكوفة .
	٣– قبائل رحل		١٢٥٠٠٠	
	المجموع	٦٣٠٥	٢٧٤٢٦٤	

اسم اللواء	اسم القضاء	المساحة بالكيلو متر المربع	عدد النفوس	النواحي
الحلة - المركز - الحلة	١ـ الحلة	١١٥٤	٨٠٠١٧	مركز الحلة ، المحاويل .
	٢ـ الهاشمية	١٧٧١	٥٣١٦٢	القاسم ، المدحتية .
	٣ـ الهندية	١١٤٩	٨٢٤٦١	أبو غرق ، الكفل ، الجدول الغربي .
	٤ـ المسيب	١٣٧٧	٤٥٥٦٦	جرف الصخر ، سدة الهندية ، الاسكندرية .
	المجموع	٥٤٥١	٢٦١٢٠٦	
الديوانية - المركز الديوانية	١ـ الديوانية	٢٢٩٧	٦١٨٨٣	الشافعية ، الحمزة ، المليحة .
	٢ـ عفك	٤٣٦٢	٤٥٧٤٧	مركز عفك ، الدغارة ، البدير .
	٣ـ السماوة	٤٥٢١	٨٣٤٥٩	الرميثة ، الخضر ، الخناق .
	٤ـ ابو صخير	١٥٥٢	٧٧٠٧٠	الحيرة ، الفيصلية ؛ القادسية .
	٥ـ الشامية	٢٣٦٨	١٠٩٩٥٧	الشنافية ، الصلاحية ؛ العباسية ، الغماس .
	المجموع	١٥١٠٠	٣٧٨١١٦	
المنتفك - المركز - الناصرية	١ـ الناصرية	٥٥٢٤	٨١٠١٥	البوصالح ، السنديناوية ، البطحاء (اور) .
	٢ـ الرفاعي	٣١٧٧	٧٩٥٦٤	مركز الرفاعي ، قلعة سكر ، الغازية .
	٣ـ سوق الشيوخ	٤٣٠٧	١١٣١٩٣	كرمة بني سعيد ، عكيكة ، الچبايش .
	٤ـ الشطرة	١٨٠٦	٦٨٠٩٥	سويج دجه ، الدوّاية .
	قبائل رحل		٣٠٠٠٠	
	المجموع	١٤٨١٤	٣٧١٨٦٧	
البصرة - المركز - البصرة	١ـ البصرة	٥٦٢٧	٢١٩١٦٧	شط العرب ، الهارثة ، الزبير .
	٢ـ القرنة	٣٩٨٩	٦٦٨٤١	السويب ، المدينة (بالتصغير) .
	٣ـ أبو الخصيب	٢٦٩٠	٨٢٧٩١	مركز ابي الخصيب ، السيبة ، الفاو .
	المجموع	١٢٣٠٦	٣٦٨٧٩٩	
العمارة - المركز - العمارة	١ـ العمارة	١١٠٠٨	١٩٢٩٨٥	مركز العمارة ، المشرح ، الكحلاء ، كميت ، المجر الصغير .
	٢ـ علي الغربي	٥٤٥٥	٣٥٩٨٢	مركز علي الغربي ، الشيخ سعد .
	٣ـ قلعة صالح	١٩٣٢	٧٨٠٥٤	مركز قلعة صالح ، المجر الكبير .
	المجموع	١٨٣٩٥	٣٠٧٠٢١	

اسم اللواء	اسم القضاء	المساحة بالكيلو متر المربع	عدد النفوس	النواحي
الكوت – المركز – الكوت	١– الكوت	٥١٣١	٨١٣٨٨	مركز الكوت ، الدجيلة ، النعمانية .
	٢– الحي	٢٣٩٣	٦٨٥٣٧	مركز الحي ، الموفقية .
	٣– بدرة	٣٦٦٦	١٦١٨٩	مركز بدرة ، زرباطية .
	٤– الصويرة	٥١١٩	٥٨٨٢٤	العزيزية ، الزبيدية .
	المجموع	١٦٣٠٩	٢٢٤٩٣٨	
ديالى – المركز – بعقوبة	١– بعقوبة	٦٨٥	٤٢٥١٥	مركز لواء ديالى .
	٢– الخالص	٣٦١٣	٦٩٢١١	مركز الخالص ، المنصورية ، بني سعد .
	٣– خانقين	٣٥٠٢	٥٦٧٩٩	مركز خانقين ، هورين شيخان ، قوره‌تو ، السعدية .
	٤– مندلى	٦٦٢١	٥٣٥١٨	مركز مندلى ، بلد روز .
	٥– المقدادية	١٧١٦	٥٠٣٧٠	ابو صيدآ ، كنعان .
	المجموع	١٦١٣٧	٢٧٢٤١٣	
كركوك – المركز – كركوك	١– كركوك	٥٧٠٢	١٤٧٨٠٦	مركز كركوك، قره‌حسن ، آلتون كوبري الملحة ، شوان .
	٢– كفري	٥٢٢١	٤٩٣٥٩	مركز كفري، بيباز، قره‌تپه، قلعةشيروانه
	٣– چمچمال	٢٤٥٥	٢٩٨١١	مزكز چمچمال ، آغجلر ، سنكاو .
	٤– طوزخرماتو	٦٩٩٨	٥٩٠٢٩	مركز طوزخرماتو ، داقوق ، قادركرم.
	المجموع	٢٠٣٧٦	٣٨٦٠٠٥	
السليمانية – المركز – السليمانية	١– السليمانية	٣١٤٠	٧٩٨١٣	مركز السليمانيــة ، تانجرو ، قره داغ ، سورداش ، بازيان .
	٢– حلبچه	٣١٥٣	٧١٤٩٣	مركز حلبچه،خورمال،وارماوه،پنجوين.
	٣– شهربازار	٢٠٤٣	٣٨٩٩١	مركز شهربازار ؛ ماوه‌ت ، سروجك .
	٤– بشدر	١٢١٦	٣٦١٠٣	قلعة دەزي ، ميركه .
	المجموع	٩٥٥٢	٢٢٦٤٠٠	

اسم اللواء	اسم القضاء	المساحة بالكيلو متر المربع	عدد النفوس	النواحي
اربيل – المركز – اربيل	١– إربل	٣٠٠٠	٦٩٢٨٠	مركز إربل .
	٢– مخور	٤٠٩٤	٤٤٨٢٨	مركز مخور ، الكوير ، كنديناوه .
	٣– كويسنجق	١٩٥٧	٣٠٢٠٢	مركز كويسنجق ، طقطق .
	٤– راوندوز	٤٢٠٥	٣٦٠٢٥	مركز راونـدوز ، بالك ، برادوست ، ميركه ، سور .
	٥– رانيه	٢٣٠٠	٢٧١٥٢	مركز رانيه ، جناران ، ناودشت .
	٦– الزيبار	٨٢٩	٦٦٠٤	بارزان ، مزورى بالا .
	٧– شقلاوه	١٧٨٥	٢٥٦٨٥	مركز شقلاوه ديره حرير ، صلاح الدين .
	المجموع	١٨١٧٠	٢٣٩٧٧٦	
الموصل – مركز اللواء – الموصل	١– الموصل	٨٠٥١	٢٧٣٣٨٩	الشورة الحمدانية ، الشرقاط ، تلكيف ، الحميدات .
	٢– العمادية	٣٠٥١	٤٣٣١٨	العمادية ، زوه ريكان ، برواري بالا .
	٣– دهوك	٢١٦٦	٣٩٢٤٨	دهوك ، دوسكي ، مزوري .
	٤– زاخو	٢١٦٨	٣٦١٥٩	سليفانى ، سندى ، كلى .
	٥– عقرة	٣١٥٧	٣٢٠٩٥	السورجية ، العشائر السبعة ، بيره كبره .
	٦– سنجار	٤٩٢٨	٣١٧٠٩	سنجار ، الشمال .
	٧– الشيخان	١٥١٣	٢٥٠٧٢	الشيخان ، القوش .
	٨– تلعفر	٤٧٣٦	٤٤٢٠٠	تلعفر ، زمار .
	قبائل الشمر		٧٠٠٠٠	
	المجموع	٢٩٧٧٠	٥٩٥١٩٠	
الدليم – مركز – الرمادي	١– الرمادي	١٥٥٠٣	٨٥٨٧٣	مركز الرمادي ، هيت .
	٢– الفلوجة	٤٤١٣	٤٨٧٩٦	مركز الفلوجة ، الكرمة .
	٣– عنه	٢٠٩٨٢	٣٣٣١٤	مركز عنه ، حديثة ، القائم .
	قبائل رحل		٢٥٠٠٠	
	المجموع	٤٠٨٩٨	١٩٢٩٨٣	

مجموع الالوية ٢٣٦٣٦٣ البادية الشمالية ٢٠٠٩١٠ البادية الجنوبية ٧٦٢١٦ بادية الجزيرة ٣٠٩٨٥

المجموع العام ٤٤٤٤٧٢ ٤،٨١٦،١٨٣

لواء بغداد

حدوده

يحد لواء بغداد شمالا لواء الموصل ، وقسم من لواء كركوك ، وشرقاً لواء ديالى وقسم من لواء كركوك ايضاً ، وغرباً لواء الدليم وقسم من لواء الموصل . اما من الجهة الجنوبية فيحده اللواءان الكوت والحلة ، وهو من اغنى الالوية العراقية ، سواء بكثافة سكانه ام بكثرة منتوجاته الصناعية والزراعية أم بالثروة المكدسة لدى تجاره ومتموليه والمصارف العامة فيه وهو الى ذلك اكثر الألوية ثقافة ، واغزرها علماً ، واسماها منزلة .

مساحة اللواء وعدد نفوسه

تبلغ مساحة لواء بغداد (١٩٣٥٧) كيلومتراً مربعاً .

اماعدد نفوس اللواء فبلغ (١٣٠٦٦٠٤) نسمات في احصاء سنة ١٩٥٧ العام عدا الاجانب

قبائل اللواء

تقطن لواء بغداد قبائل مختلفة هاجرت اليه في ظروف متباينة وأحوال مختلفة ، ولهذه القبائل افخاذ عديدة وفروع كثيرة اهمها :

أ القبائل القاطنة في قضاء سامراء : ١ ـ الصايح ٢ ـ العبيد ٣ ـ العزّة ٤ ـ خزرج ٥ ـ البوهيازع ٦ ـ قسم من الجبور و ٧ ـ السوامرة .

ويدعي السوامرة انهم من نسل النبي ﷺ وهم عدة فرق اشهرها :

أ ـ البو عيسى ب ـ ألبو بدري جـ ـ ألبو نيسان د ـ ألبو عباس هـ ـ ألبو دراج و ـ ألبو باز .

ب ـ القبائل القاطنة في قضاء الكاظمية : ١ ـ زوبع ٢ ـ بنوتميم ٣ ـ البوعامر ٤ ـ الدليم ٥ ـ المشاهدة ٦ ـ القرطان ٧ ـ الجعيفر ٨ ـ العكيدات .

وللدليم عدة افخاذ اظهرها أ ـ البوعبيد ب ـ البوفراج جـ ـ الفلاحات .

جـ ـ القبائل القاطنة في قضاء المحمودية : ١ ـ الغرير ٢ ـ الجبور ٣ ـ البومحي ٤ ـ القرهغول ٥ ـ زوبع ٦ ـ الانباريين ٧ ـ قسم البوعامر .

وفي مدينة بغداد أكثر من تسعين الف نسمة من قبائل بني لام والبومحمد الذين هاجروا من اللواءين الكوت والعمارة للارتزاق ، وفي لواء بغداد قسم من شمر طوقة القبيلة المتنقلة .

تنظيات اللواء الإدارية

يتقوم لواء بغداد من مركزه « وتتبعه اربع نواح: الأعظمية والدورة والكرادةالشرقية وسلمان باك ، ومن ثلاثة اقضية : سامراء والكاظمية والمحمودية . ولقضاء سامراء ثلاث نواح : تكريت وبلد والدجيل . ولقضاء الكاظمية ناحيتان : الطارمية وابوغريب . ولقضاء المحمودية ناحية واحدة هي ناحية اليوسفية » .

بغداد

« موجز تاريخها »

بعد ان بويع عبد الله السفاح بالخلافة العباسية سنة ١٣٢ للهجرة و٧٥٠ للميلاد ، وكثر انصاره في العراق وفارس ، نزل الكوفة ومعه اخوه المنصور، ثم بنى مدينة سماها «الهاشمية» إشارة الى ما يجمع بين العباسيين والعلويين. وكانت على مقربة من الانبار ـ المدينةالفارسية القديمة ـ في الموضع المعروف قديماً بقصر ابن هبيرة وانتقلا اليها (١)

ومات السفاح في « الهاشمية » ودفن حيث مات . اما المنصور فإنه اقام بها مدة ثارت عليه خلالها جماعة الراوندية انتقاماً لـ « ابي مسلم الخراساني » فكره سكناها كما كره اهل الكوفة لأنهم افسدوا جنده فتجافى عن جوارهم ، وراح يبحث عن محل يبتني فيه مدينة محصنة حتى استقر رأية ـ على اتخاذ قرية ـ بغداد ـ الفارسية على ضفة دجلة الغربية ، الواقعة فوق مصب نهر الصراة تماماً (٢) ـ مقر ملكه فباشر سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢م) بتأسيس مدينته الجديدة التي اتسعت حتى شملت ضفتي دجلة هناك .

« وقيل ان المنصور لما اراد ان يبني مدينة بغداد رأى راهباً (٣) فناداه فأجابه. فقال: هل تجدون في كتبكم أنه يبنى هاهنا مدينة ؟ قال نعم يبنيها مقلاص . قال فأنا كنت ادعى مقلاصاً في حداثتي . قال فإذاً انت صاحبها . فابتدأ المنصور بعملها سنة خمس واربعين «ومئة» وكتب الى الشام والجبل والكوفة وواسط والبصرة في معنى انفاذ الصناع والفعلة ، وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه ، وامر باختيار قوم من ذوي الامانة والمعرفة بالهندسة ، فكان ممن احضر لذلك : الحجاج بن ارطأة وابوحنيفة ، وامر فخطت المدينة وحفر الاساس وضرب اللبن وطبخ الآجر فكان اول ما ابتدأ به منها انه امر بخطها بالرماد فدخلها من ابوابها وفصلانها وطاقاتها ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماد ، ثم امر ان

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٠٩ في ترجمة معن بن زائدة .

(٢) هي ليسترنج في « بغدادفي عهد الخلافة العباسية » ص ١٦ ـ ١٧

(٣) وفي الطبعة الاوربية من ابن الاثير « اذ رأى راهبا ... الخ » ٥ / ٤٢٧

يجعل على الرماد حب القطن ويشعل بالنار ففعلوا فنظر اليها وهي تشتعل ففهمها وعرف رسمها وامر أن يحفر الاساس على ذلك الرسم » اهـ (١) .

واستخدم فيها مئة الف عامل جاء بهم من بلاد الشام والموصل وبابل وفارس « ووضع اول لبنة بيده وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (٢) ثم قال ابنوا على بركة الله» (٣) .

وامر المنصور ان يوسعوا في الحوانيت ليكون في كل ربض سوق جامعة تجمع التجارات وان يجعلوا في كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة ما يعتدل بها المنازل ، وان يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه او الرجل النبيه الذي ينزله او اهل البلد الذين يسكنونه ، وحدّ لهم ان يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعاً بالسوداء والدروب ست عشرة ذراعاً » (٤) .

وقد جعل المدينة مدوّرة لئلا يكون بعض الناس اقرب اليه من بعض ؛ ولا يعرف في اقطار الدنيا كلها مدينة مدوّرة سواها ، وعمل لها سورين من اللبن الكبير الحجم جداً ، وفتح في كل سور اربعة ابواب ، وكان السور الداخل اعلى من الخارج ، وبنى قصره في وسطها والمسجد الجامع بجانب القصر ؛ ولم يكن حول رحبة القصر بناء ولا دار ولا مسكن الادار الحرس ، وبنى القبة الخضراء فوق ايوانه وكان علوها ثمانين ذراعاً ، وعلى رأسها تمثال على صورة فارس في يده رمح (٥) ، وقد سقطت هذه القبة فجأة في جمادى الآخرة سنة ٣٢٩هـ (آذار ٩٤١م) . وكان يوم سقوطها اعصار كثيرة وامطار غزيرة ورعد هائل ، ثم أنشأ الشوارع المنتظمة اعتباراً من مركز الدائرة الى نصف قطر المحيط ، واقيمت على جانبيها الابنية العالية فكان اذا وقف الناظر في نقطة ما من نقاط الشارع يشاهد قصر الخلافة بكل سهولة ثم امر المنصور باجراء الماء اليها من قناتين احداهما من نهر دجيل الآخذ من دجلة والثانية

---

(١) الكامل لابن الاثير الجزري ج ٥ ص ٢٠٧ من الطبعة المصرية

وفي ص ٢٣٩ من المجلد التاسع من تاريخ الملوك والامم لابن جرير الطبري ان طبيبا راى المنصور يرتاد منزلا فقال : «انا نجد في كتاب عندنا ان رجلا يدعى مقلاصا يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء فاذا اسسها وبنى عرقا منها ، اتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها واقبل على اصلاح ذلك الفتق ، فاذا كاد يلتئم اتاه فتق من البصرة هو اكبر عليه منه فلا يلبث الفتقان ان يلتئما ثم يعود الى بنائها فيتمه ثم يعمر عمرا طويلا ويبقى الملك في عقبه » . فلما اخبر المنصور بذلك استوضح ذلك من الطبيب ثم قال لقد سميت مقلاصا وانا صبي ... الخ .

(٢) سورة الاعراف الآية ١٢٧ . (٣) الطبري ٢٣٩/٩

(٤) البلدان لليعقوبي ص ٢٤٢ من الطبعة الاوربية .

(٥) بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٣٨ .

من نهر كرخايا الآخذ من نهر عيسى الآخذ من الفرات ، وكانت تلك المياه تجري في مجار من خشب الساج لئلا تدخل دواب السقائين المدينة فتلوثها .

وجعل للمدينة أربعة أبواب : باب خراسان وباب الشام وباب البصرة وباب الكوفة وكان كل اثنين منها متقابلين وبين كل باب وآخر ٢٨ برجاً ، ولكل منها ازج بفتحتين — اي بيت طويل — « وعلى كل ازج من آزاج هذه الابواب مجلس له درجة على السور يرتقي اليه منها(١) » . وقد جلبت ثلاثة من هذه الابواب من واسط والكوفة والشام لهذا الغرض اما الباب الرابع فقد عمله المنصور وكانت كلها من الحديد الصلد ، وكان لا يدخل احد من عمومته ولا غيرهم من شيء من هذه الأبواب الا راجلا(٢) .

وذكر ابن رسته سبباً آخر لبناء بغداد فقال ما خلاصته : كان المنصور لما عزم على توجيه ابنه محمد المهدي لغزو الصقالبة سنة ١٤٠ للهجرة أتى بصحبته ،ولما ان وصل موضع بغداد أعجبه موقعها وحسن منظرها وصفاء مائها وهوائها فصمم على أن ينشىء هناك مدينة يجعلها عاصمة ملكه(٣) .

ويذهب البشاري المقدسي في « أحسن التقاسيم ص١١٩ » إلى ان أبا العباس هو الذي أحدث بغداد ثم بنى المنصور « مدينة السلام » ويوافقه على هذا الرأي صنيع الدولة في « در التيجان ص٢٣١ » ويزيد في القول أن السفاح كان قد عين موضع المدينة ورسم خططها وهندستها قبل المنصور ، ثم انتقل المنصور الى بغداد واتخذها مسكناً له وعاصمة لملكه « ونقل اليها الخزائن وبيوت الأموال والدواوين(٤) » وأمر باستئناف العمل فيها وتم بناء المدينة المدورة سنة ١٤٩هـ (٧٦٦م) . ولما أن أتم المنصور بناء بغداد حشر الناس اليها من كل بلد وأمها العلماء والسوقة والصناع والعمال من كل صوب « وأمر الناس بالبناء ووسع عليهم في النفقات »(٥) فاتسعت بإقبالهم عليها ، وبنيت الدور والقصور والجوامع والمعاهد والحمامات فيها ثم أقطع أصحابه وقواده قطائع فعمروها وسميت بأسمائهم حسب أمره .

وفي سنة ١٥١هـ (٧٦٨م) ابتدأ المنصور ببناء الرصافة بالجانب الشرقي لابنه وولي عهده المهدي ؛ فكان هذا القصر النواة التي نشأت منها بغداد الشرقية وازدهرت . وكان السبب في إنشائها « أن الراوندية شغبت على المنصور وحاربوه على باب الذهب ، فدخل عليه قثم بن

---

(١) الخطيب البغدادي ٧٤/١ « في تاريخ بغداد »

(٢) معجم البلدان ٢٣٦/٢

(٣) البلدان لليعقوبي ص ٢٣٧

(٤) « مناقب بغداد » لابن الجوزي ص ٩ و « تاريخ بغداد » للخطيب ٦٧/١

(٥) الاخبار الطوال للدينوري ص ٣٦٢

العباس بن عبد الله بن العباس ، وهو يومئذ شيخ كبير مقدم عند القوم ، فقـال له المنصور ما ترى ما نحن فيه من التياث العسكر علينا وقد خفت أن يخرج الأمر من أيدينـا ؟ فأشار بناء الرصافةوقال:إن فسد عليك أمر هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب فبنى الرصافة وعمل لها سوراً وهدفاً وميداناً وبستاناً وأجرى لها الماء وأقطع القواد هناك قطائع،وكل ذلك البناء بالرهص ــ أي الطين ــ إلا ما يسكنه المهدي وولده »(١)ولم يتم العمل فيها إلا في سنة ١٥٩هـ (٧٧٥م) . ثم نصبت ثلاثة جسور من القوارب على دجلة لتصـل الجانب الشرقي بالجانب الغربي .

وقد ذكروا انالمهدي لما جاءبعسكره الكثيف من الري إلى العراق أمره والده المنصور أن يعسكر في الجانب الشرقي من بغداد لئلا يحصل زحام للناس في داخل البلد ففعل المهدي ما أمره به والده . ثم أمره بعد ذلك أن يبني هناك « في الجانب الشرقي » «دوراً فالتحق بها الناس وعمّروها فصارت بقدر مدينة المنصور وبنى بها جامعاً أكبر من جامع أبيه ،وبها تربة الخلفاء فيها قبور جماعة من الخلفاء وقد كانت انقطعت العمارة عنها فبنى عليها الإمام المنتصر سوراً حسناً بالآجر » (٢) . وقد عرفت أولا بمعسكر المهدي ثم بغداد المهدي ،ثمالرصافة.

ولما صارت الخلافة العباسية إلى الرشيد سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) أصبحت بغداد « بقسميها الغربي والشرقي » المركز الوحيد لسياسة العالم الاسلامي بل الشرق كله ، فقد كانت عاصمة لأعظم ممالك العالم مساحة وعمراناً ، بل كانت بمثابة القلب لتلك الامبراطورية الاسلاميـة العظمى فامتدت الأبنية فيها حتى بلغ طول المدينة خمسة أميال ، وعرضها خمسة أميال . على انها أخذت بالهوي والهبوط منذ توفي الرشيد سنة ١٩٣هـ (٨٠٨م) وحدثت فتنة بين ولديه الأمين والمأمون تحولت إلى حرب أهلية بعد مدة وجيزة . فقد حاصر جند المأمون المدينة المدورة التي تحصن فيها الأمين أكثر من سنة ، وحدث ما حدث فيهامن الاضطراب والحرق والغرق والنهب والسلب حتى لقد رثاها عبد الملك الورّاق من قصيدة :

ماذا أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوني زماناً قرة العـين

وفي سنة ٢٠٤هـ (٨١٩م) نقل المأمون عاصمته من « مرو » إلى « بغداد » فأخذت بغداد تسترجع مقامها ، وتقدمت تقدماً محسوساً حتى فاقت الحالة التي كانت عليها في عهد الرشيد.

ولما آلت الخلافة الى المعتصم عام ٢١٨هـ (٨٣٣م) . أرغمته الاضطرابات التي قام بها الجند الترك على نقل عاصمته إلى سامراء سنة ٢٢١هـ (٨٣٥م) . فبدأت بغداد ترجع القهقرى

---

(١) ابن الجوزي ص ١٢ ــ ١٣ وابن الاثير ج ٥ ص ٢٢٣

(٢) مراصد الاطلاع لصفي الدين بن عبد الحق المتوفي سنة ٧٣٩ هـ ٤٧٢/١ من الطبعة الاوربية

وأخذت أهميتها تقل وتضعف فقد هجرها أرباب المهن والصناعات ، وانتقل عنها القواد واهل النباهة بعد ان لبثت خمسة وسبعين عاماً وهي عروس الشرق . وكان عمر الخلافة في سامراء قصيراً لم يصل الى الستين عاماً فقد اعاد المعتمد العاصمة الى مدينة المنصور سنة ٢٧٩هـ (٨٩٢م) ، ولكنها كانت قد فقدت اهميتها ، وتوالت عليها النكبات من الغرق والقحط والزلزال والفتن إلى أن دخلها هولاكو على رأس الجيش التتري في ٤ صفر سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) ، فخربها ، وأزال حصونها ، وجعلها قاعاً صفصفاً مدة من الزمن بحيث لم يُر فيها بعد تلك العظمة والجلال، والزخرفة والبهاء، غير الدمار والبوار . ثم امر فرممت الخرائب وأعيد إنشاء بعض المساكن والمخازن . ولكن سرعان ما أصيبت المدينة بنكبة ثانية لم تكن اقل من كارثة هولاكو : تلك هي هجوم تيمورلنك عليها في عام ٧٩٥هـ (١٣٩٣م) وعام ٨٠٤هـ (١٤٠١م) . فقد أباد ما بقي من عمرانها ، وقضى على البقية الباقية من معالمها ، وأحرق الحرث والنسل بحيث جعل الأهلين قرابين عيد الأضحى الذي صادف حلوله في غزوته الثانية (اي في عام ٨٠٤هـ — ١٤٠١م) ومع كل ذلك استطاعت «بغداد» ان تحتفظ بمركزها المهم وقيمتها الكبيرة ، وان تبقى مركزاً رئيسياً للعراق حتى اليوم .

وبقيت بغداد بعد موت تيمورلنك بيد اولاده حتى استولى عليها الشاه اسماعيل الصفوي سنة ٩١٤هـ (١٥٠٨م) ولما كانت سنة ٩٤١هـ (١٥٣٤م) استولى عليها السلطان سليمان القانوني وفي سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م) اغتصبها الشاه عباس الصفوي ، وفي سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م) استرجعها السلطان مراد الرابع بعد حصار دام اربعين يوماً ، فأخذت بالتحسن بعض الشيء بالقياس إلى ما كانت عليه ايام الحروب بين الفرس والعثمانيين الى ان كانت الحرب العالمية الاولى فسقطت بيد الجيش البريطاني صباح يوم الاحد ١٦ جمادى الاولى ١٣٣٥ هجرية (١١ آذار ١٩١٧م) ثم انتقلت الى الحكومة الوطنية التي قامت في العراق في ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ (٢٣ آب سنة ١٩٢١م) .

اسماؤها والقابها

اختلف المؤرخون في أوجه تسمية «بغداد» باسمها الحالي اختلافاً لا يخلو من الشك والتخمين قال ابن الانباري : « اصل بغداد للأعاجم والعرب تختلف في لفظها إذ لم يكن اصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم » (١) .

وقال حمزة بن الحسن الاصفهاني : « بغداد اسم فارسي معرب من باغ داذويه » لان بعض رقعة مدينة المنصور كان باغا بستانا لرجل من الفرس اسمه داذويه (٢) .

---

(١) معجم البلدان ٢/٢٣٠ (٢) المرآة الوطنية

وقال ابو الفداء : « وإنما سميت بغداد بهذا الاسم لأن كسرى اهدي اليـــه خصي من المشرق فأقطعه بغداد ، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له البغ فقال ذلك الخصي بغ داذ يقول اعطاني الصنم . والفقهاء يكرهون هذا الإسم من اجل هذا »(١) .

وقال موسى بن عبد الحميد النسائي : « كنت جالساً عند عبد العزيز بن ابي روّاد فأتاه رجل فقال له من أين انت فقال له من بغداد فقال له لا تقل من بغداد فـــإن بغ صنم وداد أعطى ولكن قل مدينة السلام ، فإن الله هو السلام والمدن كلها له »(٢) .

وقيل إنه كان بهذا الموضع صنم يعرف بـ «بغ» فسميت ارضه بغداداً وقيل غير ذلك .

ويرى بعضهم : أن هذا الإسم آرامي مبنى ومعنى وهو « بيث كذاذا » أي بيت الغنم أو الضأن مستدلا على ذلك بأن الفرس لم يدخلوا العراق إلا في المئة الرابعة قبل الميلاد وعلى عهد كورش وبغداد معروفة بهذا الاسم ، قبل الفرس بمئات السنين ، فكيف تكون الكلمة فارسية الأصل ؟ » (٣) .

ونقل ابن الجوزي قول عبد الله بن المبارك في بغداد « ان بغ شيطان وداد أعطيته»(٤).

وسميت بغداد بالزوراء لا زورار في مداخلها ، أي انحراف في أبوابها ، أو للانحراف الذي شوهد في محاريب جوامعها ومساجدها (٥) ، كما « ان الجهة الشرقية من بغداد سميت الروحاء أي التي فيها سعة وانفراج ، او الضحل لوقوعها عند منحنى النهر . وجاء في المسعودي ان هذين الاسمين الزوراء والروحاء كانا شائعين بين الناس في زمنه » (٦) . كذلك سميت هذه المدينة بمدينة المنصور ، بالنسبة والإضافة ، فإن أبا جعفر المنصور هو الذي مصرها، وقيل لها دار السلام لوقوعها على دجلة ، ولأن دجلة كان يقال لها وادي السلام «اولأن السلام هو الله فأراد مدينة الله » على رواية المعجم . ودعيت ببرج الأولياء لاحتوائها ما ينيف على الستين قبراً للعباد والصالحين .

ويقول بعض الفقهاء من المسلمين ان الخليفة المنصور بدل اسمها الفارسي «باغ داد» وسماها «مدينة السلام» فكان اسمها الرسمي لعاصمة الخليفة ، وعلى هذا نجد ان اسم «مدينة السلام» كدار لضرب النقود على العملة العباسية . وقد كتبت بغداد بسبعة اوجه : بغــداد وبغداذ ــ بمهملتين ومعجمتين وتقديم كل منهما ــ وبغدان وبغدين ومغذان وهي في جميع هذه اللغات تذكر تارة وتؤنث طوراً على ما في القاموس (١/٢٧٨) وياقوت (٢/٢٣١) .

---

(١) تقويم البلدان ص ٢٩٢

(٢) ياقوت الحموي ٢/٢٣١

(٣) لغة العرب ٤/٨٣

(٤) مناقب بغداد ص ٦

(٥) البلدان لليعقوبي ص ٢٦٨

(٦) بغداد في عهد الدولة العباسية ص ١٩

وقد جوز اللغويون تصريف « كلمة بغداد » كما جوز العرب ذلك قديماً فقالوا «تبغدد الرجل » إذا انتسب اليها او تشبه بأهلها .

قدمها

ومن المؤرخين — كما قدمنا — من يرى ان بغداد وجدت قبل ان يعمرها المنصور بمئات السنين وفيما يلي خمسة ادلة من آحاد غيرها يستدلون بها على هذا القدم :

١ — ذكر ياقوت الحموي في المجلد الثاني من معجمه ٢/٢٣٢ ان اهل الحير اخبروا المثنى ابن حارثة الشيباني ذات يوم بأن بالقرب منهم قرية تقام فيها سوق عظيمة في كل شهر (١) فيأتيها تجار الفرس من مختلف الأنحاء ، فأراد المثنى ان يغزوها فجاء الى الأنبار وتحصن فيها وطلب إلى مرزبانها ان يوافيه فلما حضر اعلن المثنى عن رغبته في اصطحاب بعض الادلاء لأنه يريد غزو « سوق بغداد » فأجابه المرزبان إلى طلبه وسار المثنى « حتى وافى السوق ضحوة فهرب الناس وتركوا أموالهم فأخذ المسلمون من الذهب والفضة وسائر الامتعة ماقدروا على حمله » وكان ذلك في عام ١٣هـ — ٦٣٤م ، أي قبل ان يمصرها المنصور ب ١٣٢ عاماً .

٢ — « وجد كل من رونصون عام ١٨٤٨م ... وبونيون وهاربر عام ١٨٨٩م واوبير عام ١٨٥٣م قطعاً من الآجر نقش عليها اسم بختنصر الثاني مأخوذة من محجر لا يزال جزء منه باقياً الى اليوم على الضفة الغربية لدجلة » (٢) مما يدل على ان هذا المكان كان موضعاً لمدينة واغلة في القدم .

٣ — « عثر النقابون على طائفة من الرقم الآشورية والجداول الجغرافية البابلية وفيها اسم بغداد على عهد الملك آشور بنيبل المعروف أيضاً عند الاثريين وعلماء التاريخ باسم سردنبال المولود سنة ٦٦٨ قبل الميلاد والمتوفى سنة ٦٢٦ » (٣) .

٤ — « جاء في « دائرة المعارف الاسلامية » وفي كتاب « بغداد في عهد الخلافة العباسية » (٤) انه في العصر الاخير من دولة الساسانيين ، كانت بغداد الواقعة في الجانب الغربي من دجلة ، بقعة خصبة جداً وزاهية بأنواع الورود والرياحين ، وكان الملوك يتخذونها متنزهاً يقضون فيها الصيف لاعتدال هوائها وكثرة بساتينها وجودة ارضها .

٥ — وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٣ « وكانت بغداد قديمة فمصرها امير المؤمنين

---

(١) يثبت الخطيب البغدادي في ١ — ٢٥ من تاريخه هذه الرواية بهذه الصيغة « وكانت بغداد في ايام مملكة العجم قرية يجتمع فيها راس كل سنة التجار ويقوم بها للفرس سوق عظيمة »

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ص ٤ من المجلد الرابع .

(٣) مجلة المؤرخ ص٢٩ من المجلد الاول

(٤) وفي كتب عربية وافرنجية كثيرة .

المنصور رحمه الله وابتنى بها مدينة وابتدأها في سنة خمس واربعين ومئة » اه ، وفي البلدان لليعقوبي ص٢٣٧ لم تكن بغداد مدينة في الايام المتقدمة وإنما قرية من طسوج .

حياتها العلمية

وكانت بغداد حاضرة العالم الإسلامي في ايام بني العباس ، وملتقى قوافل الشرق ، انبثق منها فجر العلم فأضاء بنوره البلاد القاصية والدانية ، وبلغت من الحضارة والعمران والسعة ما لم تبلغه اي مدينة في ذلك العصر ، واستدامت حقول العلم ورياض الادب زاهية نضرة يقصدها طلاب العلم للارتشاف من ينابيع مدنيتها المترعة ، والاقتطاف من ثمار جنانها الواسعة في حين ان الامم كانت تتسكع في ميادين الضلالة وتتخبط في دياجير العمى .

اجل كانت بغداد تزهو بالفلاسفة والعلماء ، والفقهاء ، والاطباء ، والشعراء ، والادباء واصحاب الفنون الجميلة ونحوهم ، كما كانت تزدان بالمكتبات العظيمة التي كانت تضم بين جدرانها ما ينيف على عشرات الالوف من الكتب ، والذي يجدر الالتفات اليه هو كثرة المؤلفات والآثار الجليلة التي اوجدها عصر النهضة العلمية في بغداد ، وقد بلغ من رواجها بحيث اسست هناك سوق كبيرة تعرف بسوق الوراقين — اي سوق باعة الكتب — وهي مختصة ببيع الكتب فقط ، ويجلس فيها العلماء والشعراء (١) « وكان بسوق الحلاويين خزانة كتب فيها اثنا عشر الف مجلد » (٢) .

محلاتها واسواقها وقصورها

بلغت بغداد في عهد الرشيد وابنه المأمون منتهى السعة والعمران ، فقد تجاوز عدد محلاتها الكبرى التي احصاها المؤرخون اربعين محلة ، كل منها مدينة كبيرة ، اما اسواقها فكانت كثيرة لانها كانت اعظم ممر تجاري في الشرق كافة ؛ وكانت هذه الاسواق تنقسم الى اقسام خاصة — كما هي الحال في المدن العظمى لهذا العصر — كسوق العطارين ، وسوق النجارين ، وسوق الحدادين .

اما القصور والمتنزهات فيها فكانت من الكثرة بحيث لا يحصى عددها ، إذ كان للخلفاء والوزراء وقواد الجند وأرباب المناصب والبيوتات الرفيعة ولع شديد في بناء القصور وكانوا يصرفون الاموال الطائلة لبناء قصر واحد . واول من شاد الابنية منهم المنصور فإنه بنى « قصر القبة الخضراء » او « قصر الذهب » في وسط المدينة المدورة ، وقصر الخلد على ضفة دجلة ، وبنيت للمهدي عدة قصور فخمة منها « قصر الرصافة » في المحلة الشمالية من بغداد الشرقية ، وقصر الفردوس كما شرع في بناء قصر التاج ، للخليفة المعتضد فأتمه ابنه المكتفي

---

(١) مناقب بغداد ص ٢٦ (٢) ابن الجوزي ص ٢٨

وشيدت للبرامكة عدة قصور أهمها « قصر يحيى البرمكي » و « قصر دار الخلد » وكان المعتضد محباً للعمارة فبنى قصرين له بالجانب الشرقي وهما : قصر الفردوس وقصر الثريا وبنى المقتدر « دار الشجرة » التي كانت اعجوبة الدنيا في زمانها . ولو انا اردنا ان نذكر اسماء جميع القصور في ذلك العهد لعادت هذه الإلمامة موضوعاً قائماً بنفسه .

مساجدها وجوامعها وانهارها

كان مجموع عدد المساجد والجوامع في بغداد ، على ما نقله ابن رسته ٤٥,٠٠٠ منها ٣٠,٠٠٠ بالكرخ ، وما بقي وهو ١٥,٠٠٠ في الرصافة ، وذلك عدا ما زاده الناس. وكانت ببغداد انهار تجري في المحال والدور ، يأخذ اكثرها من نهر عيسى بن علي الهاشمي، وكان نهر عيسى هذا يأخذ من الفرات ويمر قريباً من السور في الجانب الغربي . اما نهر كرخايا فكان مخرجه من « الصراة » وكان الصراة (١) في الجانب الغربي ايضاً ، وقد مد المنصور انهاراً كثيرة لاهل الكرخ منها « نهر الدجاج » و « نهر القلائين » و « نهر الطابق » ... الخ .

اما الحمامات فقد ذكر عددها ابن الجوزي في «مناقب بغداد ص ٢٤» والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد ١/١١٧ » فقالا انها كانت ستين الف حمام وبإزاء كل حمام خمسة مساجد، فتكون ثلثمائة الف مسجد .

بغداد اليوم

كانت بغداد الى ثلث قرن مضى ، بلدة قليلة السكان ، محدودة العمران ، تنحصر بين سور قديم تهدم معظمه ولم تبق الا ابوابه ، ولم يكن فيها ما يميزها عن سائر المدن العراقية . اما اليوم فقد تغيرت بغداد تغيراً تاماً وانشيء في اطرافها احياء جديدة ، فصارت تمتد من « الصليخ » بجوار « الاعظمية » شمالا الى جسر ديالى القائم على طريق الكوت جنوباً، ومن مرقد الشيخ عمر السهروردي بالرصافة شرقاً الى جسر الخر بالكرخ غرباً في مساحة لا تقل عن مئة كيلومتر مربع .

يمر بها دجلة فيشطرها الى شطرين يدعى الغربي منهما « الكرخ » ويسمى الثاني «الرصافة» وهو اكبر رقعة واكثر عمراناً وازدحاماً ، والاسمان قديمان معروفان ، وقد اقيمت على

---

(١) كان الصراة فرعا من نهر عيسى ، ويمر ببعض احياء بغداد . وقد ذكره ابن تحرير ابو الحسين محمد ابن المظفر بن عبد الله بن المظفر بن تحرير الشاعر البغدادي الرقيق المتوفي سنة ٤٥٥ هـ في هذه الابيات

خليلي ما احلى صبوحي بدجلة	واحسن منه بالصراة فبوقي
شربت على الماءين من ماء كرمة	فكانا كدر ذائب وعقيق
على قمري افق وارض تقابلا	فمن شائق حلو الهوى ومشوق
فقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى	فقال نعم ، هذا اخي وشقيقي

ضفتيه في الجانبين المذكورين القصور العامرة والفنادق الحديثة والمتنزهات الكثيرة وكـذا الحدائق المليئة بالزهر العبق والورد العطر ، وتقوم عليه « في حدود أمانة العاصمـة » أربعة جسور حديدية : جسران في قلب العاصمة ، وآخران يربط أحدهما الأعظمية بالكاظمية ويقوم الآخر في مدخل الطريق المؤدية إلى « الكرادة الشرقية » مضافاً إلى جسر الصرافية المعد للقطار خصوصاً فإذا تأمل الشاعر وضع هذه الجسور والمناظر التي تطل عليها ، تذكر ابن الجهم إذ يقول:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن ليَ الشوق القديم ولم أكن ... سلوت ولكن زدن جمـراً على جمر

وفي الرصافة أربعة شوارع رئيسية متوازية تقريباً ؛ تقطع المدينة من شمالها إلى جنوبها أولها شارع النهر وهو أقدمها إلا انه غير منتظم ، وثانيها شارع الرشيد الذي افتتحته الحكومة التركية في الحرب العالمية الاولى وأتمته السلطات البريطانية بعد احتلالها بغداد ، وثالثها شارع الملك غازي الذي فتحته « أمانة العاصمة » عام ١٩٣٦م أما الشارع الرابع فقد شُرع في فتحه عام ١٩٥٥م وتتفرع من هذه الشوارع الرئيسية شوارع عرضية هي من الاهمية بمثابة الشرايين في تنظيم حركة المرور وتتصل بها شوارع عريضة واسعة تمتد بامتداد الاحياء الجديدة التي انشئت خارج المدينة وجميع هذه الشوارع مبلطة ومفروشة بالقار وقد رصفت جوانبها رصفاً جميلا وقامت عليها أشجار الزينة المختلفة وخلفها القصور والعمارات القُور ، فإذا جاءها الليل وانيرت بالمصابيح الكهربائية تكونت فيها أشكال تخلب القلوب .

وأجمل الشوارع الخارجية في « الرصافة » شارع أبي نواس القائم على عدوة دجلة اليسرى وهو يمتد من « الباب الشرقي » حتى نهاية « الكرادة الشرقية » فتراه يعج في الاماسي والاصباح بالغيد الحسان والشبان الاماليد ، وترى المقاهي والمتنزهات والمصطبات المكتظة بروادها وقد توسطت الحدائق الزاهية ، وكلها تطل على دجلة حيث ينساب بأمواجه المتراقصة ، وقـد طافت فوقه القوارب والطيور المائية ، وانعكست عليه ظلال الأشجار المورقة فيخال الانسان انه يطالع كتاب « الف ليلة وليلة » أو كأنه يعيش حقيقة ويحيي حياة « الف ليلة وليلة » بسحرها ولذائذها ومجونها .

هذا في « الرصافة » أما « الكرخ » فيخترقه شارعان رئيسيان يمتدان من مطلع الجسرين الحديديين المذكورين الى خارج المدينة يسمى أحدهما « شارع الملك فيصل » والثاني « شارع الامير عبد الإله » ويصل بينهما شوارع عرضية ، لها ما لشوارع « الرصافة » العرضية من الاثر المحمود في تنظيم حركة المرور ، وتتفرع منها شوارع رئيسيـة اخرى تمتد بامتـداد الاحياء الجديدة في « الكرخ » اما شارع « الملك فيصل الاول » فهو اوسع شوارع العاصمة

واعرضها على الإطلاق ، يحيط بكل بيت من البيوت القائمة على جانبيه سياج من الرياحين المنعشة وتتوسط ساحته حدائق منتظمة ومسوّرة ، وتقطع الممرات العامة فيه جنائن فيهامن الورد والزهر الوان فاتنة، ومن اشجار الزينة السامقةأنواع متعددة،وترى المقاهي والمصطبات ملأى بروادها ، هذا يلعب النرد ، وذاك يتجاذب أطراف الحديث ، وآخرون قد أعيتهم اتعاب النهار ، فجاءوا يروضون أفكارهم واجسادهم الى ساعة متأخرة من الليل ، يغازلون القمر بأشعته مرة ويمتعون النظر بالأنوار الكهربائية مرة اخرى .

وكانت المنازل في بغداد تبنى بالآجر متلاصقة مكشوفة على طراز قديم ، واسلوب غير صحي . اما الآن فان الاهلين يضيفون الى الآجر المذكور الحديد والسمنت وسائر المواد الإنشائية الحديثة ، ويحيطونها بالحدائق والساحات على اسلوب انيق وطراز هندسي بديع ، وعلى هذا اصبح لبغداد منظران لكل منهما جماله وسحره ، ونعني بهما بغداد القديمة وبغداد الجديدة، اما بغداد القديمة فقد كانت منحصرة ضمن بقايا السور الذي المعنا اليه : دور عتيقة ، وازقة ضيقة واسواق قديمة بالية . اما بغداد الجديدة ، التي تتجلى في احيائها العصرية فهي صورة مصغرة — ان لم تكن كاملة — لبعض الأحياء الحديثة في بيروت والقدس والقاهرة : دور فسيحة تحيط بها الجنائن الغن ، وشوارع عريضة تزينها الحدائق الجميلة ، واسواق عصرية حافلة بأنواع البضائع الاجنبية والوطنية ، ومن العمارات التي يجدر ذكرها هنا، البلاط الملكي والمستشفى الملكي وبهو الامانة وقاعة الملك فيصل ومقر وزارة الدفاع ودار البرلمان وبناية مجلس الوزراء وصرح الحكومة القديم وبنايات امانة العاصمة والمحاكم العدلية وعمارات المصارف الحديثة ودور التمثيل والسينما والسفارات والمفوضيات والقنصليات العائدة للدول المختلفة وساحات سباق الخيل والمتاجر العديدة والفنادق الشهيرة والنوادي الفخمة والكليات على اختلاف اسمائها ، والمدارس الثانوية والابتدائية ودور التهذيب على تباين درجاتها . اما المساجد والجوامع والأضرحة المقدسة ذوات القباب المزخرفة بالقاشاني الملون والمنائر المرتفعة وكذلك الأديرة والكنس ، فليس في بغداد ما يماثلها من المناظر فهي تخلب الألباب وتبهر الابصار . واما المباني الجديرة بالذكر في « الكرخ » فأشهرها المطار المدني الذي يعد من المطارات الفخمة وقصرا الزهور والرحاب الملكيان وقصر الملح والمحطة العالمية والبلاط الملكي الجديد وبناية مجلس الامة ودور بعض الوزراء المتمولين واثرياء الحرب العالمية الثانية وبناية جمعية التمور ومدينة المنصور وما يتبعها من ساحة لسباق الخيل ونادي المتمولين وقصور جميلة للمترفين وتليها عمارات مدينة المأمون التي أنشأتها المصارف الحكومية لذوي الدخل المحدود والسفارتان البريطانية والايرانية ، ومحطات قطار البصرة وقطار الموصل

وما يتصل بها من دوائر ومنازل ومصانع ، ومحطة الاذاعة اللاسلكية ... الخ .

وفي بغداد عدا ما تقدم عدد لا يستهان به من المعامل والمصانع والمختبرات والمعسكرات والمؤسسات الخيرية والملاجىء الانسانية وغيرها . ويقصدها في كل عام الوف مؤلفة من إيران والهند والافغان لزيارة العتبات المقدسة ، وكذلك تقصدها البعثات العلمية من بعض الأقطار الاسلامية والعربية لتنهل من منابع العلم في مدارسها ، والبعثات الاثرية من سائر الاقطار الغربية للتنقيب عن الآثار القديمة المخزونة طي تربتها منذ أقدم العصور . وتروج التجارة في بغداد رواجاً كبيراً فهي عاصمة العراق ومقرّ هيآته التشريعية والتنفيذية ،وملتقى طرق المواصلات البرية والجوية في الشرق الأوسط .

واذا استمرت « بغداد » على تقدمها الحاضر بالمقياس الواسع الذي يجري فيها الآن ولم يحدث ما يعاكس هذا التقدم أو يوقفه فقد تسترجع عصري الرشيد والمأمون إن لم تفقهما في بعض المناحي .

النواحي الملحقة بمركز اللواء

١ ـ ناحية الاعظمية

كان موضع « الاعظمية » الحالي مقبرة عامة تدعى « مقبرة الخيزران » وكان بجوارها محلات وعمارات أشهرها « الشماسية » و « دار الروم » و « الخضيرية » ـ بالتصغير ـ «ولما توفي الإمام ابو حنيفة سنة ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م ـ دفن في هذه المقبرة ، وفي سنة ٤٥٩هـ ـ ١٠٦٧م بنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي مشهداً وقبة على قبره وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية » (١) فلم تزل العمارة هناك في توسع وتقدم حتى غلب عليها اسم « الأعظمية » تيمناً باسم الامام الاعظم (رض) .

كانت « الاعظمية » الى اواخر سنة ١٩٣٠م قرية صغيرة ليس فيها الا اعقاب افراد من عشيرة العبيد الذين جاء بهم السلطان مراد في القرن الحادي عشر الهجري ليكونوا حماة لقبر الإمام من تعدّي الفرس ، ومن لف لفهم فلما ازدحمت « بغداد » بساكنيها وصار الناس يتطلعون إلى المنشآت العصرية والهواء الطلق ، فتحت فيها شوارع فسيحة ، وقامت بها قصور عديدة ومرافق كثيرة ، وغرست على جوانب طرقها المزفتة اشجار الزينة المختلفة فأصبحت قصبة كبيرة تمتد قصورها الى مسافات شاسعة حتى تتصل ببغداد تقريباً ، ومن الآثار الماثلة فيها الآن المسجد المنسوب إلى بشر الحافي ومسجد الشيخ جلال والمقبرة الملكية وكلية بغداد والمدرسة العلمانية والثانوية المسائية ، وهي على ضفة دجلة اليسرى ويربطها بالضفة

---

(١) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص٢٠ ـ ٢١ وقد صحح الدكتور مصطفى جواد رواية كتاب « مساجد بغداد » كما يلي : « والصحيح انه كان في أيام بنائه اياها مستوفيا لمملكة ابي ملكشاه وهو السلطان الب ارسلان ولم يكن ملكشاه قد سلطن يومئذ »

اليمنى جسر حديدي فخم طوله ٣١٦متراً وعرضه تسعةامتار مع ممرين عرض كل منهما ثلاثة امتار وبجوارها إلى الشمال «الصليخ» وهو «الشماسية» قديماً وقد اخذ بالعمران الآن مثلها وزيادة.

٢ – ناحية الكرادة الشرقية

كانت « الكرادة الشرقية » حتى دخول الانكليز بغداد سنة١٣٣٥ﻫ (١٩١٧م) قرية صغيرة فيها بضع قصور لاثرياء بغداد ، وجملة دور للفلاحين مبنيّ معظمها بالطين ،ومسقف بجذوع النخل ، وكان اهلها يسقون بساتينهم بالكرود « مفردها كرد » فسمّيت قريتهم بـ « الكرادة » أو لأنهم يحملون الخضر التي يزرعونها إلى بغداد على ظهور الدواب فقيل لهم « الكرادة » من كرد الدابة إذا ساقها والنسبة اليها كرادي . اما اليوم فهي قصبة واسعة شيدت فيها القصور السامقة وفتحت لها الشوارع العريضة المعبدة ذوات الاشجار الباسقة والألوان المتعددة وأنشئت في دورها وأرباضها الحدائق الجميلة ، وتتصل هذه القصور والجادات بعمران بغداد تقريباً من الناحية الشمالية اما من ناحيتها الجنوبية فإنها تتصل بجسر ديالى وقد تتعداه . وليس في الكرادة الشرقية من المنشآت العامة غير «المسبح» ومن العمارات شبه الرسمية غير « السفارة الاميركية » والمدارس الحكومية وبعض المرافق الحديثة .

٣ – ناحية سلمان باك

سميت هذه الناحية باسم الصحابي الشهير «سلمان الفارسي» المدفون فيها ومدفنه وسط جامع واسع يقصده البغداديون في ربيع كل سنة للنزهة وللزيارة وقد جدّدته الحكومة في عام ١٩٥٨م وهي على مسافة ٣٠ كيلومتراً من بغداد جنوباً ، بيوتها كثيرة ، وحوانيتها قليلة ،ليس فيها الا الحاجات الاولية وهذه البيوت والحوانيت مشيدة بالآجر المنتزع من اطلال «طيسفون» المدينة الفارسية الشهيرة وقد فتحت في مركز الناحية في السنوات الأخيرة شوارع مستقيمة فرشت بالقار وقامت على جانبيها بنايات جميلة مثل سراي الحكومة والمستوصف والمكتبة العامة ونادي الموظفين .. الخ وهي على مسافة قصيرة من المسجد المذكور ولم يزل ينتصب في وسطها مابقي من « إيوان كسرى » الذي لا يزال يناطح السماء بعلوه ويحكي عظمة بانيه ويبهر الابصار بهندسته فارتفاعه نحو ٣٠ متراً والمسافة بين جداريه الأيمن والايسر اكثر من ٣٥متراً وامتداده من فتحته حتى صدره نحو ٤٨ متراً وثخن جداره من الاسفل سبعة امتار، وكان على مقربة من هذا الإيوان قبران محترمان يرقد فيهما الصحابيان العربيان عبد الله الانصاري وحذيفة بن اليمان فأشرفا على الغرق لان مياه دجلة كانت – وما تزال – تنال من الشاطىء فنقلت الحكومة بقايا رفاتيهما إلى جامع « سلمان الفارسي » في عام ١٣٥٠ﻫ ١٩٣١م بمهرجان عسكري فخم .

٤ – ناحية الدورة

هذه الناحية اسمية ليس فيها عمران ولا سكان ، وإنما هي مرجع الزراعين والفلاحين

القاطنين في اراضيها الزراعية الشاسعة ، ومركزها قصر قائم على ضفة دجلة اليمنى في دورة أخذت اسمها منها ، ويقع هذا القصر على مسافة خمسة كيلومترات من العاصمة جنوباً .

ويقابل « ناحية الدورة » على « ضفة دجلة اليسرى » معسكر الرشيد الذي يضم معظم آليات الجيش العراقي ومؤنه وطائراته وسائر تجهيزاته . وفي هذا المعسكر منشئات رسمية كثيرة وميادين للتمرين مختلفة ، وكان الجيش البريطاني قد أشغله منذ احتلاله بغداد في سنة ١٩١٧م حتى انتقل الى الجيش العراقي عام ١٩٣٧ .

١ ـ قضاء سامراء

سامراء من المدن العراقية الواغلة في القدم والعمران ، فهناك من يقول ان وجودها سبق ظهور الإسلام بزمن بعيد ، إذ دلت بعض الحفريات على أن بعض مواطنها كانت مأهولة منذ زمن ما قبل التاريخ (١) وانها من بعد ان بلغت أبعد شأو في المدينة والحضارة أخذت في الهوي والهبوط شأن كل موجود حتى جاء المعتصم بالله فجدد بناءها سنة ٢٢١هـ ـ ٨٣٥م، ومنهم من يرى انها مدينة عباسية بحتة ، اختطها المعتصم بن الرشيد في السنة المذكورة على الجانب الشرقي من دجلة ، وحمل اليها الاغراس المختلفة من سائر انحاء المملكة الاسلامية ، وزينها بالقصور والبرك والميادين ، ثم جاء بعده بعض الخلفاء العباسيين فأقاموا فيها القصور ، فبنى هارون الواثق بالله القصر المعروف بالهاروني ، وأضاف اليها اخوه جعفر المتوكل على الله القصر المسمى بالجعفري ، وشيد المعتمد على الله ابن المتوكل القصر المسمى بالمعشوق ، والمعروف الآن بالعاشق . وكان الناس قد اتسعوا في العمران في زمن المتوكل أكثر مما اتسعوا في بغداد حتى اتصل من « الدور » إلى « بلكوارا » او « المنقور » كما يعرف الآن ، فلم تزل المدنية في سامراء في تقدم وتوسع حتى غدت اجمل مدن العراق وبقيت دار متعة وعز وسطوة للعباسيين اكثر من خمسين عاماً ، ثم قلب لها الدهر ظهر المجن فجعلها خرائب وآكاماً تمتد اليوم على شاطىء دجلة الايسر إلى نحو من ثلاثين كيلومتراً .

---

(١) جاء في ص٧٦ كتاب « بلدان الخلافة الشرقية » الذي الفه المستشرق الانكليزي ليسترنج عام ١٩٠٥ م وعربه الاستاذان : كوركيس عواد وبشير فرنسيس عام ١٩٥٤م ما يلي عن قدم سامراء :

« كانت مدينة سامراء التي اتخذها سبعة من خلفاء بني العباس عاصمة لهم مدى نصف قرن ونيف اي من سنة ٢٢١ الى ٢٧٩هـ (٨٣٦ ـ ٨٩٢) معروفة قبل الفتح العربي ، لم يقيت بعد ان تهاوت من ذروة عزها الذي لم يدم كثيرا مدينة ذات شان ردحا طويلا من الزمن واسمها بالارامية سامرا فامر الخليفة المعتصم ، حين اقام فيها ، ان تسمى سر من رأى ، وبهذه الصيغة الاخيرة وجد اسمها في النقود العباسية المضروبة فيها، وكانت التسمية مع ذلك تلفظ بصور مختلفة ذكر ابن خلكان ستا منها اشهرها سامراء ، وهو الاسم الذي اختاره ياقوت عنوانا لبحثه عن هذه المدينة » اهـ

اما سامراء الحالية فإنها كانت إحدى المحلات الشهيرة في ايام المعتصم وكان يسكنها الإمام علي الهادي ، فلما توفي (ع) سنة ٢٥٤هـ — ٨٦٨م دفن في بيته ، ولما توفي ابنه الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ — ٨٧٣م دفن الى جوار ابيه فاتخذ شيعتهما مرقديهما مزارين(١)وقد

(١) اصل الحضرة في سامراء دار ابتاعها علي الهادي ، الامام العاشر » من دليل بن يعقوب النصراني (أ) فلما توفي الامام سنة ٢٥٤ هـ — ٨٦٨ م دفن في داره ولما توفي ولده الحسن العسكري ، الامام الحادي عشر ، سنة ٢٦٠هـ — ٨٧٣ م دفن الى جوار ابيه فكان قبرا الامامين عليهما السلام نواة حضرتهما (ب) فلما كانت ايام ناصر الدولة الحمداني سنة ٣٣٣هـ — ٩٤٤م بنى قبة على الضريحين وسورهما بسور متين . فلما كانت ايام الدولة البويهية انفق معز الدولة ، ثالث ملوكهم ، اموالا جزيلة لمواصلة تعمير قبة العسكريين وسرداب الغيبة، وجعل لضريحيهما صندوقا من الخشب ورتب لهما الحجاب ، واجرى لهم الارزاق (ج) فلما انتقل الملك الى ابن اخيه ، عضد الدولة البويهي ، امر هذابعمارة الروضة والاروقة،ووسع الصحن، وشيد سورا للبلد الذي اخذ بالاتساع وكان ذلك في عام ٣٦٨هـ ٩٧٨م . وفي سنة ٤٤٤هـ — ١٠٥٢ م امر البساسيري بعمارة عالية على قبر الامامين . وفي سنة ٦٤٠هـ — ١٢٤٢م « وقع حريق في مشهد سر من رأى اتى على ضريحي علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين واعادتهما الى اجمل حالاتهما، وكان الضريحان مما امر بعملهما ارسلان البساسيري» (د). اما العمارة التي تشاهد للعسكريين في سامراء اليوم فقد شرع في تشييدها احمد خان الدنبلي ، من حكام اذربيجان ، في حدود سنة ١٢٠٠ هـ ١٧٨٥م واتمها ولده حسين قلي خان الدنبلي سنة ١٢٢٥هـ — ١٨١٠م وكان ذلك برعاية المرزه محمد السلماسي فقد انفق الوالد وولده مبالغ طائلة على توسيع الصحن والاروقة ، وابدلا الاخشاب بالاحجار ، وكتبا آيا من الذكر الحكيم في اعلى الجدران كما هو ثابت للعيان ، وفي سنة ١٢٨٥هـ — ١٨٦٨ م امر ناصر الدين شاه ايران بتجديد شباك الضريحين ، وغشى القبة بالذهب الابريز ، والمآذن بالقاشاني البديع كما هو مسطور على جوانب القبة الاربعة .

وصحن سامراء عبارة عن ثلاثة صحون يتصل احدها بالآخر ، وصحن الهادي والعسكري ، اكبرها اذ يبلغ طوله ٧٨ مترا و٨٠ سنتمترا وعرضه ٧٧ مترا وعشرة سنتمترات ، وعدد الايوانات في كل من ضلعيه الشرقي والغربي ١٨ ايوانا « بما فيها الباب » وعددها في الضلع الجنوبي ستة عشرايوانا عدا ايوان الباب . ومن هذا الصحن يتشعب مصلى طوله ٤٠،٨٠ مترا وعرضه ٣٨،٥٠ مترا ، وهو الصحن الثاني ، اما الصحن الثالث وهو صحن الغيبة ، فطوله ٦٣،٨٠ مترا وعرضه ٦١،٣٠ مترا . وعلى ذكر سرداب الغيبة نقول ان البعض من الكتاب والمؤرخين يسندون الى الشيعة امرا غريبا هو انهم يعتقدون بأن المهدي ، الامام الثاني عشر دخل هذا السرداب ومنه سيخرج ، وانه الآن فيه لا يأكل ولا يشرب حتى يأتي زمن خروجه . اما الواقع فان الشيعة لا تقول بأكثر من غيبته من هذا السرداب ، وانه سيخرج من مكة او من بوضع آخر فيملأ الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

وفي سرداب الغيبة باب خشبي جميل باق من عهد الخليفة العباسي «الناصر لدين الله» وهو مكون من عدة اقسام مشبكة ومزخرف بنقوش وكتابات بديعة تدل على دقة عظيمة في صنعة النجارة ،ورقة متناهية في الذوق

(أ) تاريخ بغداد للخطيب ٥٧/١٢ في ترجمة الامام علي الهادي (ع)

(ب) تاريخ سامراء للشيخ ذبيح الله ص٢٣٩

(ج) وشايح السراء في شأن سامراء للشيخ محمد السماوي ص٢٩

(د) الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص١٥٢

بنوا حولها العمارات ، وأنشأوا الدور والمنازل العامة فحافظت على عمرانها ووضعها إلى ما بعد انقراض الدولة العباسية ، فلما شرع في التنظيمات الادارية في العراق على عهد الوالي مدحت باشا عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز قضاء ، وهي اليوم على مسافة ١٢٨ كيلومتراً من شمالي بغداد ، اكثر بيوتها مبني بالآجر المنتزع من سامراء القديمة ، وجل سكانها من العشائر المحيطة بها وهم ، او اكثرهم ، يدعون السيادة وانهم من نسل الامامين العسكريين عليهما السلام وكان هؤلاء يعيشون على زوّار العتبات المقدسة من الايرانيين والهنود والافغان ، فلما وقف سيل هؤلاء او كاد ، انصرف الاهلون الى الارض يحرثونها ويزرعونها ليعيشوا على غلالها ويتجروا بخيراتها ، وقد ادى هذا التحول الاقتصادي الى ارتفاع مستوى المعيشة فيها فصاروا يأخذون مياه شربهم من الحنفيات بعد ان كانوا يستقونها من النهر على يد السقائين ، واخذوا يستنيرون بالكهرباء بعد ان كانوا يتخذون الزيوت للانارة ، وانتشرت في أرجائها الحدائق العامة والخاصة بعد ان كانت بلقعاً ، اما جوها فإنه لم يزل لطيفاً كما ان نسيمها لم يزل نقياً عليلا ، وقد نصب لها جسر من زوارق حديدية فسهل لها المواصلات بعد ان كان الناس يعبرون النهر بالزوارق الخشبية ، ومما زاد في اهميتها مرور « قطار الشرق السريع » بها وتدل سجلات النفوس على ان نفوس قضاء سامراء بلغت في نهاية سنة ١٩٤٧ (٦٤٩٠٤) نسمات عدا الاجانب.

اما الاسباب التي حملت المعتصم على بناء سامراء فكانت سياسية ودينية معاً ، فإن الخليفة المذكور كان يتظاهر بالانتصار للمعتزلة حتى ان مسلمي بغداد لم يعودوا ينظرون اليه بالعين التي كانوا يرمقونه بها سابقاً ، هذا إلى ان المعتصم كان أول من انشأ جيشاً من المماليك الذين اشتراهم النخاسون من اسواق تركستان حتى بلغ عددهم ٧٠٫٠٠٠ بين غلمان وشبان فكان

العني ، وهذا هو نص هذه الكتابة نقلا من رسالة «باب الغيبة» لمديرية الآثار القديمة في العراق الصادرة سنة ١٩٢٨ » س٦/٧

« بسم الله الرحمن الرحيم قل لا أسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى . ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ، هذا ما امر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين الذي طبق البلاد احسانه وعدله وغمر العباد بره وفضله قرن الله أوامره الشريفة باستمرار النجح واليسر ، وناطها بالتأييد والنصر وجعل لايامه المخلدة جدا لا يكبو جواده ، ولآرائه المجدة سعدا لا يخبو زناده في عز تخضع له الاقدار لتعطيه عواصيها ، وملك تخشع له الملوك لتملكه نواصيها ، بتولي المملوك محمد بن الحسين بن سعد الموسوي الذي يرجو الحياة في ايامه المخلدة ويتمنى انفاق بقية عمره في الدعاء لدولته المؤيدة استجاب الله ادعيته وبلغه في ايامه الشريفة امنيته ذلك في ربيع الثاني من سنة ست وستمائة هلالية وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وعترته وسلم تسليما » اهـ ،

وجود مثل هذا الجيش في عاصمته لا يخلو من الخطر « وكان اولئك الاتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يميناً وشمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدراً لا يعدون على من فعل ذلك فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد فخرج ... حتى صار إلى موضع سر من رأى وهي صحراء من ارض الطيرهان لا عمارة بها ولا انيس فيها إلا ديراً للنصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من الرهبان ، وقال ما اسم هذا الموضع ؟ فقال له بعض الرهبان : نجد في كتبنا المتقدمة ان الموضع يسمى سر من رأى ، وانه كان مدينة سام بن نوح ، وانه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر فقال انا والله ابنيها وأنزلها ... » (١) فلما انتقل اليها بعسكره سميت بالعسكر ، او المعسكر ، والنسبة اليها عسكري ، ومنه اطلق على الامامين المدفونين فيها « العسكريان » وينسب اليها بهذه النسبة جماعة من العلماء والفضلاء (٢) .

وقد اختلف المؤرخون واللغويون في أصل كلمة « سامراء » اختلافهم في أصل كلمة بغداد إلا أن هناك شبه إجماع على أن هذه الكلمة مشتقة من «سر من رأى» يوم كانت المدينة عامرة ومزدهرة ، ثم أصبحت « ساء من رأى » لما تهدمت وتقوضت ، وخففها الناس فقالوا فيها « سامراء » بالمد . وقد ذكرها الألوسي في « شرح الطرة على الغرة » (٣) فقال « قال ابن بري عن ثعلب وابن الاعرابي وأهل الاثر يقولون أن اسمها القديم ساميراء سميت بسام بن نوح (ع) لانه أقطعه إياها فكره المعتصم ذلك وقال سامراء » .

ومع أن « ياقوت الحموي الرومي » يرى في سامراء « لغات سامرا مقصور وسامراء ممدود وسر من رأى مهموز الآخر وسر من را مقصور الآخر » (٤) فإن هناك من يرى أن أصدق رواية رويت في اسمها هي « سامراء » بالمد حيث ذكرها البحتري شاعر المتوكل في صلب بابك الخرّمي في زمن المعتصم فقال من قصيدة :

أخليت منه البذ وهي قرارة ونصبته علماً بسامراء

وللبحتري قصيدة ثانية يذكر فيها « سامراء » بالمد من أبياتها :

وأرى المطايا لا قصور بها عن ليل سامراء تذرعه

وقد مر ابن جبير بسامراء سنة ٥٨٠هـ — ١١٨٥م فقال في وصفها : مدينة سر من رأى وهي اليوم عبرة من رأى . اين معتصمها وواثقها ومتوكلها ؟ مدينة كبيرة قد استولى عليها الخراب إلا بعض جهات منها (٥) .

---

(١) البلدان لليعقوبي ص٢٥٦/٢٥٧ من الطبعة الاوربية (٢) وقد قام في سامراء بعد المعتصم سبعة من خلفاء بني العباس هم : الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد وكان الامير (المعتمد) هجر سامراء وعاد الى بغداد سنة ٢٧٩هـ — ٨٩٢م .

(٣) ص٢٨٩ (٤) معجم البلدان ص١٢ من المجلد الخامس (٥) رحلة ابن جبير ص١٨٥

وتزخر سامراء اليوم بآثار عربية اسلامية مهمة ، وقد قامت هيئات آثارية المانية قبـل الحرب العالمية الاولى بتنقيبات وحفريات واسعة فيها وشرعت مؤخراً مديرية الآثارالعراقية بأعمال الحفر والتنقيب في اماكن مختلفة منها فعثرت على مقدار جليل من هذه الآثار اودعته دار الآثار العربية في بغداد كما سبق للانكليز والالمان ان نقلوا مقداراً كبيراً منها الى متاحف لندن وبرلين ، اما الآثار الماثلة اليوم فكثيرة واهمها :

١ ــ المسجد الجامع الذي بناه المعتصم من سنة ٢١٨ الى سنة ٢٢٧ للهجرة(٨٣٣ــ٨٤٢ للميلاد) ومئذنته الملوية المبنية بشكل برج حلزوني مدرج يبلغ ارتفاعه ٥٢ متراً (١) ويشبه هذا النوع من الابراج تلك التي كان يتفنن في بنائها الكوشيون لمعابدهم ويقال لها (زيقورات) فيسوقون الى قممها اغنامهم لتضحيتها وتقديمها قرباناً لآلهتهم . ويعتبر هذا المسجد الجامع من اضخم المباني العباسية الباقية حتى اليوم اذ يبلغ طوله ٢٤٠ متراً وعرضه ١٦٠ متراً ولا يقل ارتفاع جداره الحالي عن عشرة امتار ، ويدعم جدرانه من الخارج اربعون برجاً وحوله ساحة فسيحة مسورة طولها ٤٤٤ متراً وعرضها ٣٧٦ متراً .

٢ ــ بيت الخليفة : وهو يتكون من ثلاثة اواوين كبيرة وسراديب متعددة مع هاوية كبيرة تعرف بهاوية السباع او الهبيّة ، وجدران مختلفة وغرف عديدة .

٣ ــ جامع ابو دُلف وملويته في : القسم الشمالي من سامراء ، وهو قريب الشبه بالمسجد الجامع من حيث التخطيط العام كما ان مئذنته ملوية الشكل ايضاً ولا تزال دعائمه واروقته وجزء من سوره قائمة . ويبلغ طول جدرانه ٢١٥ متراً، وعرضها ١٣٨ متراً وله ثمانية عشر باباً

٤ ــ قصر المنقور : وهو المعروف قديماً باسم (بلكوارا) ــ على رأي الآثاري الالماني المشهور هرتسفلد ــ ويظهر من اطلاله ان محيط سوره الخارجي ١٢٠٠ متر ، ومساحته تزيد على ثلاثة اضعاف مدينة سامراء الحالية (٢).

٥ ــ المعشوق . على ضفة نهر الاسحاقي في الجانب الغربي من سامراء ؛ ويعرف اليوم بالعاشق . بناه المعتمد على الله في اواخر ايام حكمه في سامراء، وتبلغ مساحته ١٣١×٩٦ متراً

٦ ــ القادسية ــ وهو سور عظيم من اللبن يدعمه ١٤٠ برجاً حول مساحة مثمنة الشكل طول كل ضلع من اضلاعها ٦٣٠ متراً وقطرها ١٦٥٠ متراً .

وفي سامراء آثار كثيرة غير ما ذكرنا منها : سور عيسى ، وسور اشناس ، وشيخ ولي ،

---

(١) الملوية مئذنة مخروطية الشكل تستند الى قاعدة مربعة يصعد الى قمتها من سطح مائل عريض يدور حولها من خارجها دوران الحلزون يبلغ طول ضلع قاعدتها ٣٢ مترا غير ان قطر القمة يصبح ستة امتار .

(٢) نشرة مديرية الآثار ــ سامراء ــ ص٦٩

والكوير ، وقبة الصليبية ، وتل العليق ، وساحة الفروسية ، وغيرها . وقد قامت مديرية الآثار القديمة سنة ١٩٤٠م بترميم بعض هذه الآثار ، وفتحت متحفاً في (سامراء) وضعت فيه مخططات ومصورات مهمة عن آثارها ، وجمعت جزءاً مما عثرت عليه من زخارف جصية وجبسية جميلة وآثار زجاجية وفخارية من الفسيفساء (١) والآجر المزجج على اشكال زهرية او على هيأة الكاشي المعرق .

وكان يحيط بسامراء ــ الحالية ــ سور ضخم يبلغ طول محيطه كيلومترين ولا يتجاوز قطره الاعظم ٧٨٠ متراً ، عمَّره في حدود سنة ١٢٥٠هـ ــ ١٨٣٤م زين الدين السلماسي وقد انفق على تعميره احد ملوك الهند كما جاء في « شرح الطرة (٢) » ولهذا السور اربعة ابواب باب القاطول وباب الناصرية وباب بغداد وباب الملطوش ، وقد هدمت مديرية الآثار العامة الباب الغربي ــ اي باب القاطول ــ في عام ١٩٣٦م . وبنت الحكومة منه صرحاً لها وداراً للبلدية ومستشفى للاهلين ومدرسة للبنين ونادياً للموظفين ودائرة للبرق والبريد . وهدمت الباب الجنوبي ــ اي باب الناصرية ــ فبنت خارجه مسلخاً ومذبحة . وحولت الباب الشرقي ــ اي باب بغداد ــ الى متحف محلي تعرض فيه نماذج الآثار المنتزعة او المستخرجة من الحفريات التي تقوم بها المديرية المذكورة .

وفي مدخل سامراء يقع مشروع الثرثار الذي يقي بغداد من الغرق وهو مؤلف من قسمين هما : ١ ــ القناة التي تصل دجلة بمنخفض وادي الثرثار ويبلغ طولها ٦٢ كيلومتراً و(٢) سدة على نهر دجلة مقابل مدينة سامراء لحجز المياه الفائضة وتحويلها الى القناة . وتتكون هذه السدة من سبع عشرة فتحة عرض كل منها (١٢) متراً ترفع بالقوة الكهربائية وبالعتلات التي تدار باليد إذا انقطع تيار الكهرباء . اما طول السدة فهو (٤٤٩) متراً . ويتضمن المشروع ايضاً ناظم من ست وثلاثين فتحة عرض كل منها ١٢ متراً مجهزة بأبواب من حديد لامرار تسعة آلاف متر مكعب من الماء في الثانية ، كما يتضمن بناء اسس لتوليد القوة الكهربية تقدر طاقتها الانتاجية بمئة واثني عشر الف كيلو واط وقد بلغت نفقات حفر القناة وإنشاء السدة حوالي ستة عشر مليون دينار وبوشر فيه سنة ١٩٥٢م فتم افتتاحه في الثاني من نيسان عام ١٩٥٦م وهو من مشاريع مجلس الاعمار المدعمة بواردات العراق من النفط .

---

(١) جاء في القاموس المحيط ٢ ــ ٢٣٥ من طبعة بولاق سنة ١٣٠١ هـ : الفسيفساء الوان من الخرز تركب في حيطان البيوت من داخل .

(٢) في كتاب «قصص العلماء» المطبوع باللغة الفارسية في ايران ان السيد ابراهيم بن السيد محمد باقر الموسوي الحائري هو الذي سعى واهتم في بناء هذا السور .

نواحي القضاء

لقضاء سامراء ثلاث نواح وهي : ١ ــ ناحية تكريت ٢ ــ ناحية بلد ٣ ــ ناحيةدجيل

ناحية تكريت : ــ كانت تكريت (مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، فسيحة الساحة، حفيلة الأسواق ، كثيرة المساجد ، غاصة بالخلق ... ولها قلعة حصينة على الشط هي قصبتها المنيعة(١) أما اليوم فهي قرية اثرية كبيرة راكبة عبر دجلة اليمنى في موضع يبعد ٧٦ كيلومتراً عن سامراء شمالا . بيوتها قليلة ، ومرافقها عتيقة ، ونفوسها زهاء ٣٠٠٠ نسمة جل مهنتهم صنع الاكلاك وتسييرها بين بغداد والموصل ، أما الباقون فيمتهنون الزراعة .

كانت تكريت في اول عهدها قلعة حصينة بناها الرومان ، ويشهد عليها اسمها لأن معنى تكريت في اللغة الرومانية Moenia Tigridis أي قلعة دجلة ، وقد فتحها عتبة بن فرقد السلمي سنة ٢٠ للهجرة (٢) .

ناحية بلد : ــ كانت « بلد » ولا تزال من نواحي دجيل المعروفة بكثرة بساتينها؛ ووفرة مزارعها ، وجود اهلها ، إلا أنها تحولت عن موضعها الأصلي قليلا ، كما تحولت معظم القرى والقصبات ، فإن بلد التي يذكرها ياقوت الحموي (٣) في القرن السابع للهجرة ، لا يشاهد منها الآن غير الأطلال في بعض البساتين الواقعة شرقي بلد الحالية .

وبلد الحالية قرية كبيرة فيها من النفوس زهاء ٧٠٠٠ نسمة ، ومن العمارات والبيوت ما يبشر لها بمستقبل باهر ، وفواكه هذه القرية وزراعتها عماد عيش أهلها ، وهي على مسافة ٣٩ كيلومتراً من سامراء جنوباً وعلى مسافة كيلومترين منها قبر ابي جعفر محمد بن علي الهادي الإمام العاشر عليه السلام ، وسط مسجد واسع الأرجاء شيده في حدود سنة ١٢٥٠هـ ــ ١٨٣٤م الشيخ زين الدين السلماسي ، وأنفق عليه الأمير حسين خان السردار .

ناحية دجيل : ــ مركز هذه الناحية قرية سميكة ــ تصغير سمكة ــ القائمة على نهر دجيل في موضع يبعد عن مركز القضاء ــ سامراء ــ جنوباً ٥٥ كيلومتراً . وهي قرية قديمة من قرى دجيل الشهيرة، تكثر فيها الأعناب والرمان وسائر الفواكه، ويزرع في أرضها أفخر الحبوب ، وفيها من النفوس زهاء ١٥٠٠ نسمة وعمارتها قروية ساذجة لكنها كثيرة وقد سميت الناحية اخيراً بناحية الابراهيمية .

ويقطن دجيل قبيلتان : الخزرج والمحاويل، وهما معاديتان بعضهما البعض وتقطن خزرج في طرفها الغربي أما المحاويل فتقطن في طرفها الثاني أي الشرقي .

---

(١) رحلة ابن جبير : ص١٨٦ وكان ابن جبير قد رآها في عام ٥٨٠ هـ (١١٨٥ م)

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص٣٢٨

(٣) معجم البلدان ٢ــ٢٦٧ .

٢ـ قضاء الكاظمية

الكاظمية ـ ويسميها البعض الكاظم والكاظمين ـ إحدى المدن المقـدسة في العراق ، وهي قصبة كبيرة تحيط بثلاث جهات منها البساتين الكثيرة ، ذات الأشجار المختلفةوالنخيل الوارف ، وتجاورها من الجهة الرابعة مستنقعات ومدابغ وكور عديدة للطاباق ،ولهذهأسوأ تأثير على صحة الأهلين وان دفن معظمها . تبعد عن بغداد شمالا خمسة كيلومترات ، وكانت تربطها بها سكة ترام بالية أنشأتها شركة أهلية فيعهدولايةمدحتباشاسنة١٢٨٦هـ–١٨٦٩م فرفعت عام ١٩٤٦م لانتفاء الحاجة اليها .

طرقها ضيقة معوجة ، وعماراتها القديمة متداعية متلاصقة ،اماشوارعهاالحديثة فعريضة مزفتة ، وفنادقها الحادثة أنيقة ، فهي تجمع بين القديم والجديد . ومع ان الكاظمية لا تبعد عن شاطىء دجلة الأيمن إلا كيلومتراً واحداً فإن اتجاه العمران يبتعد عن النهر كلما تقرب النهر اليها بخلاف ما يجري في قصبة الأعظمية القائمة ، قبالتها على عدوة دجلة اليسرى ، من حب إقامة القصور والبيوت والمتنزهات على النهر ،وسببذلك ان رغبة السكان والمهاجرين متجهة إلى التقرب من الحضرة المقدسة أي مرقد الإمامين . على أن لبعض الأغنياء قصوراً أنشأوها بالقرب من النهر ـ تجاه الأعظمية ـ في السنوات الأخيره ، ولكنها في معزل عن المدينة . وتدل إحصاءات سنة ١٩٤٧ للنفوس على ان عدد نفوس قضاء الكاظمية كانت (١١٥٧٦٠) نسمة .

لا يعلم بالضبط كيف قامت العمارة الاولى في « الكاظمية » ومن قام بتشييدها أولا . الا أن ياقوت الحموي يصفها فيسنة ٦٢٣هـ ـ ١٢٢٦م بقوله :

« وهي مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقـبرة احمد بن حنبل رضي الله عنه والحريم الطاهري وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد وهي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق ... وكان أول من دفن فيها جعفر الاكبر بن المنصور .. وكان المنصور أول من جعلها مقبرة » (١) .

ويروي حمد الله المستوفي الذي جاء بعده بقرن أن « الكاظمية بلدة قائمة بنفسهـا يقدر محيطها بستة آلاف خطوة وفي وسطها قبر الإمامين » (٢) .

وكان الرحالة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٧هـ ـ ١٣٧٥م قد زار بغداد قبيل وفاته ، وذكر الكاظمية بقوله : (وفي هذا الجانب ـ الغربي من بغداد ـ قبر موسىالكاظمبنجعفر

---

(١) معجم البلدان ٨ـ١٠٧ « مادة بمقابر قريش »

(٢) كتاب نزهة القلوب طبعة ليسترنج ص٣٥

الصادق والد علي بن موسى الرضا ، وإلى جانبه قبر الجواد ، والقبران داخل الروضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه الواح الفضة (١) .

والذي نراه ان المنصور لما شرع في إنشاء مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ ــ ٧٦٢م جعل موضع (الكاظمية) مقبرة خاصة سماها (مقبرة قريش الكبرى) فلما توفي ابنه جعفر الاكبر سنة ١٥٠هـ ــ ٧٦٧م كان اول من دفن فيها ، فلما توفي الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم لاشتهاره بكظم الغيظ في ٢٥ رجب ١٨٣هـ ــ ٧٩٩م ودفن فيها دعيت بالكاظمية تيمناً باسمه ولما مات حفيده الامام محمد بن علي الملقب بالجواد (لكثرة جوده) في اليوم الخامس ذي الحجة ٢٢٠هـ ــ ٨٣٥م دفن الى جواره فبنى شيعتهما عمارة حول القبرين وزخرفوها وزينوها ولا يزال القسم الغربي من صحنهما يسمى (صحن قريش) إلى اليوم .

المشهد الكاظمي

يقع المشهد الكاظمي في وسط مدينة الكاظمية ، ويحيط به سور ضخم مستطيل طوله ١٢٣ متراً وعرضه ١١٨ متراً ، وله تسعة ابواب ذوات اسماء خاصة لدى الاهلين(٢) وفي كل من ضلعيه الكبيرين ٢٥ إيواناً ، وفي ضلعه الشرقي ٢٣ إيواناً . وتشرف هذه الايوانات على ساحة الصحن ، وفي نهاية كل منها غرفة صغيرة مستقلة ، وقد شيدت هذه الغرف لطلاب العلم ، يوم كانت المراقد المقدسة كمدارس زاخرة بالطلاب الذين يتناولون مخصصاتهم من كبار العلماء ، اما الآن فهي مهجورة الا من قراء القرآن ، اولئك الذين يتلونه في بعض الغرف التي اتخذت مدافن ومقابر خاصة للموتى من الاسر المعروفة .

وجميع جدران الصحن مغشاة بالقاشاني البديع ، وتعلوه كثير من السور والآيات القرآنية مسطورة بالخط العربي الثلثي الجليل . وهو يتقوم من طابق واحد ، بخلاف الصحن العلوي في النجف فإنه يتقوم من طابقين ، وفيه ساعتان دقاقتان كبيرتان جلبتا من بلجيكا تمتازان بدقتهما أنصافاً وأرباعاً .. وتتوسط هذا الصحن عمارة المرقد المقدس ويسمى الحضرة أو الحرم الشريف ، وأول ما يستقبله الزائرون ثلاث إيوانات كبيرة مزخرفة البناء ، قائمة على أعمدة عالية من الخشب ، منقوش في أعلاها مختلف النقوش الهندسية البديعة ، وكل ايوان مستقل بذاته ، اي انه يبتدىء بمثل ما ينتهي من وجود محل خاص لاجتماع الخــدم وحفظ أحذية الزائرين . وفي وسطه الباب الكبير مطلي بالفضة ، وقد تفنن مهرة الصياغ في نقش هذا الباب وزخرفته بالنقوش وآي القرآن الكريم وأبيات من الشعر لابن ابي الحديد ، وقد

---

(١) رحلة ابن بطوطة ١٤١/١ من طبعة مصر .

(٢) فتح الباب التاسع في اواخر عام ١٩٥٥م واوائل عام ١٣٧٥هـ

زين وجه الجدار مما يلي الباب بالذهب على هيأة الطاباق المربع ، وعقد في أعلى كل باب شبه محراب او قوس ، مزين بأشكال هندسية بارزة ومتداخلة من قطع المرايا اللامعة ، فيتكون من كل ذلك منظر يأخذ بالأبصار جماله وروعته .

ويؤدي الباب او الأبواب ، التي تتوسط هذه الايوانات الثلاثة الى اروقة مستطيلة وضعت سقوفها على هيئة منحنية او مقوسة معقودة من الآجر المشوي المغشى بمختلف النقوش والاشكال من المرايا المقطعة على اشكال هندسية خلابة المنظر ،فائقةالصنع، فيخيل اليك وهي تتماوج باللآلىء كأنها قطع من السحاب الصغيرة في الليالي المقمرة . وتتصل هذه الأروقة ببعضها من الداخل بحيث يمكنك ان تقوم بدورة كاملة حول الحرم من الخارج ، وتجد خلال هذه الدورة مصطبات كثيرة هي قبور جملة من العلماء والعظماء وفي الاروقة ستة ابواب كبيرة من الفضة تؤدي الى مدخل الحرم ، وهو ساحة مربعة مفروشة بالرخام الازرق ، يتوسطها القبر الشريف .

وهيئة القبر مستطيلة الشكل يحيط بها مشبكان : أحدهما من الفولاذ ، وهو الداخلي ، والآخر من الفضة الناصعة البياض ، وهو الخارجي . ويتكون المشبك الخارجي من حلقات مربعة جميلة ، وداخل المشبك الفولاذي صندوقان من الخشب المرصع بالعاج تحتهما رفاتا الامامين واهم ما يلفت النظر في هذه الحضرة ان لكل من الامامين ، موسى بن جعفر ومحمد الجواد قبة مستقلة ولكن القبتين بنيتا على طاق واحد .

تاريخ المشهد الكاظمي

لا نعرف كتابا يعين بالضبط تاريخ انشاء العمارة الاولى حول ضريح الجوادين عليهما السلام ، ولكن المعروف والمشهور أن العناية به تحققت منذ عهد البويهيين . فقد امر معز الدولة البويهي سنة ٣٣٦هـ — ٩٤٧م (بأن يعاد بناء الضريح وتعقد فوقه قبتان ويدار على المقبرة حائط كالسور ويرتب لهاجماعة من الديالمة والمراوزة حتى تسهل على الناس الزيارة وينبسط الامن)(١) . ولا يزال التاريخ يجهل نوع هاتين القبتين ، فلما كانت سنة ٣٦٧هـ — ٩٧٧م بنى الملك ابو شجاع عضد الدولة فناخسرو سوراً على الضريح ووفر النقود والصلات على سائر المقيمين في المشاهد المقدسة كالمقيمين بالمدينة المنورة والمقيمين في مشهد الامام علي بن ابي طالب بالنجف ، ومشهد الحسين بن علي بالحائر من كربلاء ومشهد موسى بن جعفر بمقابر قريش ، ولما كانت سنة ٤٣٣هـ — ١٠٥١م وقع خلاف بين اهل السنة وشيعة علي بن ابي طالب في بغداد

---

(١) مصطفى جواد في مشهد « الكاظمين » وهي رسالة مخطوطة في مديرية الاثار العامة رقمها ٦٢٨٥.

أدى الى ان يهجم الاولون على مشهد الجوادين « فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديـل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ، ونهبوا ما في الترب والدور وادركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وحرقوا جميع الترب والآزاج ، واحتـرق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي الجواد ، والقبتان الساج اللتان عليهما ، واحترق ما يقابلهما وما يجاورهما من قبور ... فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما الى مقبرة احمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر » (١) ويرى الشيخ محمد السماوي (٢) ان ابا الحارث البساسيري والملك الرحيم البويهي رمما في سنة ٤٤٤هـ - ١٠٥٢م المشهد الكاظمي ، وجعلا الضريحين في صندوقين ، وعقدا عليهما قبة ، وحوطاهما بحائط ، وجعلا للمشهد بهواً واسعاً متصلا بمسجد ، والمسجد بمئذنة ، وذلك بعد الأحداث المذكورة . ولما غرقت بغداد سنة ٤٦٦هـ - ١٠٧٣م غرق ايضاً مشهد الامام موسى ابن جعفر وتهدم سوره فتبرع ابو البركات شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي - امير بني عقيل - بألف دينار انفقت على عمارته ، ولما كانت سنة ٤٩٠هـ - ١٠٩٦م « عمر المشهد المذكور مجد الملك أسعد البلاساني - احد ارباب الدولة السلجوقية ، ورفع القبـة وزينها بالفسيفساء ، واتخذ لضريحي الامامين ملبنين من الساج ، وبنى مئذنتين وداراً للزوار وكانت العمارة قد اتسعت وكثر سكانها ، واكثرهم علويون ، على ما هو معروف فاستوجب الحال ان يرتب لهم نقيب من آل ابي طالب يدير أمورهم ويتولى شؤونهم)(٣) .

قيل ان الناصر لدين الله اثر آثار حسنة في المشهد الكاظمي ، ونظم الصحن بأروقة وحجر وجدد ملبن الضريحين وجعلهما من الساج المطعم ، وتولى ذلك الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد المقدادي القمي وشرف الدين ابو تميم ، معد بن الحسين الموسوي . والظاهر ان بناءه لمشهد موسى بن جعفر كان بعد غرق بغداد العظيم الذي حدث سنة ٦١٤هـ - ١٢١٧م (٤) .

وفي سنة ٦٢٢هـ - ١٢٢٥م احترقت قبة الامامين : الكاظم والجواد ، وكذا الملبن الذي على الضريحين ، وكان على كل ركن منه رمانة من المعدن فشرع الخليفة ، الظاهر بأمر الله في عمارة القبة ومات ولم يفرغ منها ، فأتمها ابنه ، الخليفة المستنصر بالله (٥) ، وجعل للقبرين ملبناً وللمشهد اروقة عظيمة فخمة ، وفي سنة ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م زادت دجلة وأغرقت الكاظمية

---

(١) ابن الاثير ١٩٩/٩ من طبعة مصر .

(٢) في ارجوزته «صدى الفؤاد الى حمى الكاظم والجواد » ص ١٣/١٢ « مطبعة الغري »

(٣) الدكتور مصطفى جواد ص ٧ من رسالته الخطية

(٤) الشيخ محمد السماوي ص١٤ .

(٥) الفخري لابن الطقطقي ص ٢٤٠

فأمر المستعصم بالله بعمارة السور في السنة الجديدة .

وقد اصاب المشهد الكاظمي في ايام هولاكو سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م شيء من التخريب فأمر بإصلاحه مؤيد الدين محمد بن العلقمي (١) .

وفي اوائل القرن الثامن للهجرة صار المشهد كالمدينة اتساعاً وارتفاعاً ومعيشة ، كما دلّ على ذلك قول الصفدي صلاح الدين المتوفى سنة ٧٦٤هـ - ١٣٦٢م ، ومنه اخذ ابن الساعي (طبعة بولاق ص١١) . وفي سنة ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م امر السلطـان اويس بن الشيخ حسن الجلائري بترميم المشهد الكاظمي وبنيت فيه قبتان ومنارتان ، وللضريحين صنـدوقان من الرخام ، وزينت الروضة بالآجر الكاشاني .

وفي سنة ٩٢٦هـ - ١٥١٩م جدد عمارة المشهد الكاظمي ، على طراز العمارة الفارسية ، الشاه اسماعيل الصفوي بأن جعل له صحوناً واسعة جـداً ، واروقة وحجراً لطلاب العـلم والمجاورين وجعله آية من آيات الفن البنائي الخالد كما هو ثابت حتى ايامنا . وقـد فضض الابواب والعتبات ، وزين مناطق القبتين من داخل بالآيات من القرآن الكريم والمقرنصات البارعة ، يدلنا على ذلك ما هو مسطور على الرواق المقابل للداخل الى الحضرة من بـاب القبلة وهو :

(امر بإنشاء هذه العمارة الشريعة سلطان سلاطين العالم ظل الله على جميع بني آدم، ناصر دين جده الاحمدي ، رافع اعلام الطريق المحمدي ، ابو المظفرشاه اسماعيل بن شاه حيدربن جنيد الصفوي الموسوي خلّد الله لاعلاء الوية الدين المبين ملكه وسلطانه وايد لهدم قواعد اهل الضلال حجته وبرهانه وحرر ذلك في يوم سادس شهر ربيع الثاني سنة ٩٢٦) (٢) .

وفي سنة ١٠٣٢هـ - ١٦٢٢م من حكم الصفويين ببغداد اضاف الشاه عباس الاول الى الضريحين شباكاً من الفولاذ ، وحسّن في البناية تحسينات كبيرة . وفي سنـة ١٠٤٥هـ - ١٦٣٥م امر الشاه صفي الدين الثاني بتقوية قواعد المنارات الاربع ، وبناء اربع منارات صغـار اخرى هي التي لا تزال باقية الى يومنا . وفي سنة ١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م امر ناصر الدين شاه القاجاري بتفضيض الشباك وتزيين المنارات بالقطع المذهبة ، وكتب على باب المراد بالذهب هـذه

---

(١) عباس العزاوي في كتابه « العراق بين احتلالين » ١/٢٠١ . وفي رسالة (تاريخ الامامين الكاظميين) للشيخ جعفر نقدي — ولما ولي علاء الدين عطا ملك الجويني سنة ٦٥٧هـ من قبل السلطان هولاكو ، قـام بترميم المشهد الشريف وزين الجدران من داخل الروضة وخارجها والرواق والصحن بالقاشاني النفيس وزاد في الزينة والمعلقات وغيرها — ص ٧١

(٢) قرانا في كتاب — مساجد بغداد واثارها — ص١١٧ للعلامة المرحوم السيد محمود شكري الالوسي نصا لهذه العبارات الخالدة يختلف كثيرا من النص الذي نقلناه بنفسنا

العبارة « السلطان بن السلطان ناصر الدين شاه قاجار ١٢٨٥هـ » وفي الباب الذي عرف بعد ذلك بالفرهادي « ناصر الدين شاه » .

وفي اواخر القرن الثاني عشر للهجرة طلب فرهاد ميرزا ، احد مشاهير ايران واحد ابناء عمومة ناصر الدين شاه من الحكومة العثمانية ان تأذن له بتجديد سور المشهد الكاظمي وان ينشأ بعض العمارات فأجيب الى طلبه فبنى السور كله بالقاشاني الملون ، وفرش الساحة بالرخام الابيض ، وعمق في السراديب المعدة لدفن الموتى ، وكتب على السور سور العاديات، والقدر والضحى ، والحاقة ، وبعض ما قيل عن النبي العربي ﷺ وحرر رخامة مستطيلة بهذه العبارة « قد امر بعمارة هذا الصحن والايوان من قصد بعمله وجه المنّان ، وبلوغ غرفات الجنان الجناب المستطاب الأشرف الامجد ، معتمد الدولة فرهاد ميرزا ادامه الله تعالى واعز اجلاله واقباله بجاه محمد وآله الطاهرين سنة ثمان وتسعين بعد المائتين والالف من الهجرة النبويـة المقدسة على صاحبها آلاف التحية والثناء » (١) .

وممن دفن في داخل المشهد الكاظمي ، في الايوان المستطيل الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الذي انتهت اليه رئاسة الامامية في وقته ، وقد ولد في عكبرى سنة ٣٣٦هـ - ٩٤٧م وتوفي في بغداد سنة ٤١٣هـ - ١٠٢٢م وكان استاذ الشريف الرضي، وقبره في مرقي ضريحي الإمامين . ومنهم الشيخ الطوسي ، محمد بن محمد الحسن الطوسي نصير الدين ، وكان ولد في طوس سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م وتوفي في بغداد سنة ٦٧٢هـ - ١٢٧٣م فدفن في البهو الغـربي الكبير من الحضرة . وفي الكاظمية قبران ينسبان الى « الرضي » و « المرتضى » وهما ليسا بعيدين بعضهما عن بعض الا بأمتار وكذلك ليسا بعيدين عن صحن مرقد الامامين وعلى مرقدي الشريفين قبتان ومزار .

وعند مدخل الصحن من جهة القبلة يشاهد الى اليمين جامع فخم يدخل اليه من باب في جدار الصحن الكاظمي ، وفي هذا الجـامع مدفن الامام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري الكوفي وكان مولده في الكوفة سنة ١١٣هـ - ٧٣١م ومات عام ١٨٢هـ - ٧٩٨م وكان قد تولى القضاء في بغداد فكان اول من دعي « قاضي القضاة » في الاسلام ، وكان صاحب الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت (رض) .

- (نواحي القضاء) -

لقضاء الكاظمية ناحيتان هما : ١ً - ناحية الطارمية ٢ً - ناحية ابي غريب .

---

(١) لاتزال هذه الكلمات مسطورة فوق ايوان باب القبلة من الداخل ، وهي تختلف من تلك التي نقلهـا المرحوم العلامة الالوسي في ص١١٩ من «مساجد بغداد وآثارها » اما قبر المرحوم « فرهاد ميرزه » فهو في غرفة مزينة مؤثثة تقع في مجاز باب المراد من الصحن

ناحية الطارمية : ـــ مركزها القرية القائمة على ضفة دجلة اليمنى في موضع يبعـــد عن بغداد زهاء ٦٥ كيلومتراً مقابل قرية « الجديدة » والمسماة قرية الطارمية ، وليس فيهـــا من العمران ما يستحق الذكر عدا مركز الناحية ودار المدير والمستوصف والمدرسة .

ناحية ابو غريب : ـــ هذه ناحية جديدة استحدثتها الحكومة في عام ١٩٤٤م ،واتخذت مركزها في مزرعة أبي غريب القائمة على مسافة خمسة عشر كيلومتراً من بغداد غرباً وكان الغرض من إحداثها تسهيل المراجعات على الزراع المقيمين فيها .

٣ ـــ قضاء المحمودية

لم تكن السيارات والقُطر ، بل لم تكن حتى العجلات ، قبل خمسين سنة ، ميسورة في العراق ، فكان المسافر من بلد إلى آخر يركب الخيل والبغال والحمير في أسفاره إن لم يمش على قدميه ، لهذا فقد أنشأ رجال البر والإحسان منازل وخانات في الطرق العامة لراحـــة المسافرين ، ولا سيا الذين يقصدون العتبات المقدسة،ومن جملة هذه الخانات ، خان المحمودية الذي شيده جد المؤلف السيد جعفر السيد محمود عام ١٢٨٥هـ ـــ ١٨٦٨م وأسماه باسم ابيـــه محمود . ثم صار الناس ينشئون حوله الحوانيت والأكواخ قياماً بما يحتاج اليه المسافرون فلم تزل في تقدم وتأخر حتى غدت قرية كبيرة تشاهد اليوم على مسافة ٣٥ كيلومتراً من بغداد جنوباً ، حيث تغدو فيها السيارات وتروح ، كما يمر بها الخط الحديدي الممتد بـــين بغداد والبصرة ، وهي مركز القضاء المسمى باسمها ونفوسها ٢٣٠٠ نسمة ، أما نفوس القضـــاء فقد بلغت في سجلات سنة ١٩٤٧ : (٥٣٦٨٣) نسمة .

فيها شارعان متوازيان يشقانها من الشمال الى الجنوب فتقوم على جانبي أحدهما الحوانيت والمقاهي ، وعلى جانبي الثاني البيوت والعمارات وبعض المخازن . وفيها عدة مدارس للبنين والبنات ودائرة للبرق والبريد ، وناد للموظفين ، وحمام عام ، وفندق للمسافرين وبضعة دور للموظفين وسراي بسيط جداً ، وأشجار للزينة كثيرة ، وهي مشهورة بجصها القوي الناصع البياض فتراه ينقل الى جهات مختلفة ، على الإبل تارة ، وبالقطار تارة اخرى .

ـــ (نواحي القضاء) ـــ

للقضاء ناحية واحدة يقال لها ناحية اليوسفية .

ناحية اليوسفية : ـــ مركز هذه الناحية دار للحكومة مقامة على جدول اليوسفية المتشعب من الفرات ، بين بغداد والمحمودية وليس حوله غير اكواخ الفلاحين ودار المدير وبناية صغيرة للكاتب وبناية جميلة لدائرة الري التي تتولى المشارفة على توزيع المياه على المزارع والحقول.

لواء كربلا

توطئة

من بين الألوية العراقية التي تمتاز بقدسيتها ، وبتاريخها الحافل بالامور العظام والحوادث الجسام في تاريخ هذا القطر الناهض ، لواء كربلا المحصور بين الوية الحلة والدليم والديوانية فقد اخبرتنا الأسفار التاريخية عن معارك خطيرة دارت رحاها في ربوع هذا اللواء ، وتجلت فيها الفضائل والمعجزات ، كما تجلى النبل والثبات على مبادىءالشرف والاستقامة والتضحية في سبيل مكارم الاخلاق ، واخبرتنا عن مدن كبيرة ، وحصون منيعة أنشئت في أرجائه لم يبق منها اليوم غير الأنقاض والطلول الدوارس ، ولا يعرف عنها التاريخ الا النزر اليسير .

يحد لواء كربلا شمالا لواء الدليم ، وجنوباً لواءالديوانية ،وشرقاً اللواءان الحلة والديوانية وغرباً بادية الشام وشيء من أراضي المملكة العربية السعودية ، وتعمل فيه أفخر الأعبئة ، وانفس الصنائع والبسط ، فالنحاس يصنع على انواعه ولا سيا « السماورات » لصنع الشاي ، والصياغة الدقيقة والوشي بالتطريز من الامور المشهورة فيه كما انه تعمل فيـــه سبح التسبيح والترب التي تتخذ من تراب « كربلا » تبركاً للسجود عليها ... الخ .

مساحة اللواء وعدد نفوسه

تبلغ مساحة لواء كربلاء ٦٠٦٥ كيلومتراً مربعاً .

أما عدد نفوسه فقد بلغ في احصاء سنة ١٩٥٧ (٢١٧،٠١٥) نسمة عدا الاجانب.

قبائل اللواء

١ ـ المسعود : واشهر افخاذها أ ـ الغرير ب ـ الهرير جـ ـ الكوام .

٢ ـ الزقاريط :وأشهر افخاذها أ ـ المغره ب ـ الحجلة جـ ـ الشريفات .

٣ ـ اليسار : واشهر افخاذها أ ـ البوجمعان ب ـ آل ظاهر .

٤ ـ بنو سعد : واشهر افخاذها أ ـ آل رباح ب ـ آل علي .

٥ ـ الوزون ٦ ـ السلالة ٧ ـ الطهامزة ٨ ـ النصاروه ٩ـ العامرية ١٠ـ قبائل عنزه الرحالة.

تنظيمات اللواء الإدارية

يتقوم لواء كربلاء من قضاء النجف الذي تتبعه ناحية واحدة هي ناحية الكوفة ، ومن

ناحيتين ملحقتين بمركز اللواء مباشرة وهما : ١ ـ الحسينية و ٢ ـ عين التمر .

كربلاء

« كربلا » مدينة اسلامية كبرى مشهورة في التاريخ ، وقد عرفت بهذا الاسم قبل الاسلام بزمن بعيد ، وليس من الميسور استيفاء البحث عن قدمها لندرة مصادر البحث والاستقصاء ، وعدم وجود مراجع تاريخية وافية موثوق بصحتها .

كربلا في التاريخ القديم : ـ وقد رأى بعضهم أن التوصل الى معرفة تاريخ كربلاالقديم قد يأتي عن معرفة نحت الكلمة وتحليلها اللغوي فاحتمل ان تكون لفظة كربلاء « منحوتة من كلمة كور بابل العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية منها نينوى القريبة من اراضي سدة الهندية ثم الغاضرية وتسمى اليوم اراضي الحسينية ، ثم كربلة ـ بتفخيم اللام بعدها هاء ـ وتقرب اليوم من مدينة كربلاء جنوباً وشرقاً ، ثم كربلاء او عقر بابل ، وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضريات وبأطلالها اثريات مهمة ثم النواويس ، وكانت مقبرة عامة قبل الفتح الاسلامي ثم الحير ، ويسمى الحائر ، وهو اليوم موضع قبر الحسين(ع) الى حدود رواق بقعته المشرقة او الى حدود الصحن الشريف » (١) وغير ذلك من القرى الكثيرة .

والذي يبعث الشك في هذا الاحتمال التاريخي اللغوي عدم تشخيص الحدود الجغرافية لهذه القرى على وجه التحقيق والثبوت ، وهذا ما يجعله احتمالا مجرداً .

ويرى آخرون ، ان لفظة كربلاء مركبة من الكلمتين الآشوريتين « كرب » اي حرم ، و « ايل » اي الله ، ومعناهما « حرم الله » مما يدل على ان هنالك منسكاً كان يسمى بهذا الاسم ، وذهب غيرهم الى ان الكلمة فارسية المصدر مركبة من كلمتين هما « كار » اي عمل و « بالا » اي الاعلى فيكون معناهما «العمل الاعلى» اي السماوي وبعبارة اخرى (محل العبادة والصلاة) .

اما (ياقوت الحموي) فقد ذكر لهذه التسمية ثلاثة اوجه (فالكربلة رخاوة في القدمين يقال جاء يمشي مكربلا فيجوز على هذا ان تكون ارض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك ويقال كربلت الحنطة اذا هززتها ونقيتها ... فيجوز على هذا ان تكون هذه الارض منقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك ، والكربل اسم نبت الحماض ... فيجوز ان يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبته هناك فسمي به) (٢) وقد جاراه السيد حسن الصدر في هذه التعليلات وادعى ان كلمة كربلاء (مشتقة من الكربة بمعنى الرخاوة ، ولما كانت ارض هذا

---

(١) السيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه « نهضة الحسين » ص ٦٦

(٢) معجم البلدان ٢٢٩/٧

الموضع وخوة سميت كربلا ، او من النقاوة من كوبلت الحنطة اذا هززتها ونقيتها ولما كانت هذه الارض منقاة من الحصى والدغل سميت كربلاء ، او ان الكربل نبت الحماض كان يكثر في هذه الارض ، فسميت به ، والاظهر من هذه الوجوه الثاني ، الوسط » (١) .

واري ان اطالة البحث في قدم كربلاء والتوصل الى معرفة تاريخها عن طريق التحليل اللفظي يعي المؤرخ فيجعله يتخبط في ديجور من التوهمات والاحتمالات ، وقد لا يصل الى نتيجة قاطعة (وقد روي ان الحسين رضي الله عنه لما انتهى الى كربلاء واحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال ما اسم تلك القرية ، واشار الى العقر ، فقيل له اسمها العقر ، فقال نعوذ بالله من العقر فما اسم هذه الارض التي نحن فيها ، قالوا كربلاء ، قال ارض كرب وبلاء ، واراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان) (٢) حيث شاءت الاقدار ان تقع تلك المأساة التاريخية العظمى . وقد سبق لابيه الامام علي (ع) ان نزلها قبله في سفره الى صفين وشوهد متأملا فيما بها من اطلال وآثار فسئل في ذلك فقال ان لهذه الارض شأناً عظيما (فها هنا محط ركابهم وها هنا مهراق دمائهم ، فسئل عن ذلك فقال : ثقل لآل محمد ينزلون ها هنا) (٣) .

هذا معظم ما لهذه الارض من قيمة تاريخية تحفظها لها اسفار التاريخ القديم ، وقد حصل كثير من التغيير والتبديل في مجرى الفرات وتقسيمه لمدنه وقراه ، وقد يمكن تعيين مواضع المدن المشهورة التي انشأها البابليون ومن جاء من بعدهم بتتبع الآثار والحفريات التي تعرف بالقرينة ، وان كان ذلك يحتاج الى مجهود كبير ووقت طويل .

كربلا في التاريخ الحديث : ـ اما كربلا اليوم فمدينة واسعة ، ذات شوارع فسيحة ، ومرافق عظيمة ، وهي جاثمة على ضفة الترعة الحسينية اليسرى ، يحيط بها النخيل الوارف ، وتحفها البساتين ذات الفاكهة المختلفة الصنوف ، وتكسوها على الدوام الحلل من الخضرة وحين يحتضنها الربيع تهب الاطيار والعنادل من اوكارها صداحة مغردة على منابر الرياض وقنن الخمائل ، واكاليل الورود ، فتملأ القلوب بهجة ، وتحيي في النفس عذاب الافراح والمسرات ، وهي الى ذلك ذات مؤسسات فخمة ، وعمارات جليلة ، واسواق منظمة ومدارس دينية وحكومية واهلية كثيرة ، ورياض وغياض ، وحدائق وجنان .. والترعة الحسينية التي تغذي هذه المنابع الحيوية قديمة جداً ؛ وقد وسعها وزاد في عمقها السلطان سليمان القانوني

---

(١) رسالة خطية عنوانها « نزهة الحرمين في عمارة المشهدين » ص ١٧ « من نسختنا »

(٢) ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ١٩٥/٦٠

(٣) الدينوري في « الاخبار الطوال » ص ٢٥٠

عام ٩٤١هـ - ١٥٣٤م لتأتي بالماء مستمراً ولأجل ان تجعل الاراضي التي تغمرها مياهها حولها بساتين وحقولا مثمرة (١) .

وتقسم كربلاء الى قسمين : يسمى الاول كربلا القديمة ، وهو الذي اقيم على انقاض كربلا المشهورة في التاريخ (٢) ويسمى الثاني كربلا الجديدة ، وهو الذي خطط في ولاية المصلح الكبير مدحت باشا عام ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م . وبني بعد عام ١٣٠٠هـ على طراز عصري واسلوب هندسي بديع الا انه اقيم مع الاسف على ارض سبخة تنز فيها المياه فتأكل اسس المباني فيؤدي ذلك الى انهيارها . وكان يحيط بالجهة الجنوبية من كربلا الى قبل بضع سنوات مستنقع كبير ، هو علة وجود بعض الامراض المزمنة فيها كالملاريا والروماتيزم والتدرن الرئوي ، لذلك ترى الاهلين صفر الوجوه ؛ هزيلي الاجسام ، معرضين للادواء المختلفة ، ومع ان السلطات المسؤولة بذلت هماً تذكر وجهوداً كثيرة في تجفيفه فإن فيه آثار وبالة محسوسة حتى الآن .

واشهر المباني الحديثة في كربلا ، رباط الهنود الاسماعيلية ، المعروفين بالبهرة ، فإنه كبير جداً وفيه مشروع اسالة ماء خاص به ، ومؤسسة للكهرباء وصيدلية توزع فيها الادوية مجاناً ومنها بناية دائرة الماء والكهرباء وصرح الحكومة ، ودائرة البرق والبريد ، وعمارة القنصلية الإيرانية ، والمستشفى الحسيني المجاور لمحطة القطار ، ودائرة البلدية الى عدد كبير من الفنادق الحديثة المعدّة لإيواء الزوار ، ومكتبة الاوقاف العامة ، ومكتبات خاصة وتجارية كثيرة . . الخ

وفي كربلا قبور جماعة من عظماء المسلمين كقبر المرزه شفيع خان رئيس الفرقة الشيخية (٣) . وقبر السيد كاظم الرشتي ، صاحب الفرقة الكشفية (٤) وقبر حسين علي شاه رئيس الطريقة

---

(١) لونكريك في «العراق في اربعة قرون الاخيرة» ص٢٧

(٢) وهي التي زارها الرحالة الشهير ابن بطوطة عام ٧٢٧هـ-١٣٢٦م وقال في وصفها :

«وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر »

« تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» ١-١٣٩

(٣) الشيخية اتباع الشيخ احمد زين الدين الاحسائي الذي كان فيلسوفا اشراقيا وعالما اخباريا في الفقه الجعفري الاثني عشري الا انه اخترع لنفسه اصطلاحات خاصة لبعض الكلمات وصار يطابق بين الفلسفة الاشراقية وبين الاحاديث والادعية فكثر غرماؤه وخاف المغبة فهاجر الى الحجاز باهله وعياله وتوفي في الطريق سنة ١٢٤٢هـ فدفن في المدينة المنورة .

(٤) الطريقة الكشفية وليدة الطريقة الشيخية ، وزعيمها السيد كاظم بن السيد قاسم الرشتي من ابرع تلامذة الشيخ احمد الاحسائي ، وكان يرى في بعض ظواهر الدين ما لا يقبله العقل فيحتاج الى تأويل وتفسير، وعلى هذا ادعي بانكشاف الاسرار والاستار لديه فسميت جماعته بالكشفية وكانت وفاته في عام ١٢٥٩هـ

الصوفية (١) وقبر مؤمن دده رئيس الطريقة البكتاشية (٢) وقبر احمد بن فهد الحلي صاحب الكرامات ، والإحسائي ... الخ . وفي الصحن الحسيني قبور بعض الملوك الديالمـة ، وفي رواق الروضة الحسينية قبور بعض الملوك القاجاريين .

ويصل كربلا بالقطار الممتد بين بغداد والبصرة فرع حديدي، يبتدىء من المدينة وينتهي بسدة الهندية طوله ٣٦ كيلومتراً ، وتربطها بالعاصمة وبسائر الاطراف جادات بلطت حديثاً بالزفت والقار وهي على مسافة ١٠٤ كيلومترات من بغداد تقطع بالسيارة وغيرها اما نفوسها فتقرب من ٣٥,٠٠٠ نسمة ، ويخمن عدد زوارها في المواسم الخاصة بربع مليون نسمة في كل زيارة ؛ ولازدياد رغبة الزوار الايرانيين في الاقامة فيها ومجاورة الامام الراقد في تربتها فان معظم الاهلين يتقنون اللغة الايرانية ، وقد يتفاهمون بها بعضهم مع بعض .

وقد هجم الوهابيون على كربلا عام ١٢١٦هـ -١٨٠١م في جمع يقرب من ستمئة هجان واربعمئة فارس فاهتبلوا فرصة ذهاب جل الاهلين الى النجف فهدوا اركان الصحنين الحسيني والعباسي ، ونهبوا ما في الحضرتين من نفائس ومجوهرات ثمينة واقتلعوا « القضب المعدنية والسياج ثم المرايا الجسيمة ، ونهبت النفائس والحاجات الثمينه من هدايا الوزراء والامراء وملوك الفرس ، وكذلك سلبت زخارف الجدران ، وقلع ذهب السقوف واخذت الشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة والابواب المرصعة وجميع ما وجد من هذا الضرب وقد سحبت جميعها ونقلت الى الخارج ، وقتل زيادة على هذه الافاعيل قراب خمسين شخصاً بالقرب من الضريح وخمسمائة ايضا خارج الضريح في الصحن ... ولقد قدر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة وقدره الآخرون خمسة اضعاف ذلك » (٣) اهـ . وكان قد تفشى في بغداد في تلك الآونة الطاعون فاضطر الباشا ان يهجرها الى الخالص ، فلما سمع بهذه الكارثة امر فسورت المدينة بسور رخاص بقي قائما الى اواخر ايام الترك العثمانيين في العراق حيث هدوه ولم تبق الا ردم منه في الطرف الغربي .

وعلى بعد خمسة كيلومترات من كربلا غربا يشاهد « قبر الحر بن يزيد الرياحي » الذي

---

(١) الصوفية طريقة عرفت من اقدم العهود ، شعارها الزهد في الدنيا ، والانصراف الى ذكر الله تعالى بكل ما في وسع المرء من جهد وطاقة ، وقد تفلسف بعض رجالها واساطينها في العقيدة فاعتقدوا بوحدة الوجود ، متحررين من القيود الشرعية والعرفية .

(٢) البكتاشية طريقة من الطرق الاسلامية المعروفة ، تنسب الى احد الاولياء المسمى «حاج بكتاش ولي» الذي ولد في نيسابور وذهب الى الانضول فهدى الانكشارية الى الاسلام الا ان اتباعه غلوا في طريقته حتى تركوا اكثر الفرائض اليومية والامور التعبدية فلم يأتلف بهم اكثر المتشرعة من المسلمين .

(٣) S. H. Longrigg, Four Centuries of modern Iraq P. 229

ارسله ابن زياد لمقاتلة الحسين بن علي عليهما السلام فوخزه ضميره واضطره للانضمام الى اصحاب الامام فاستشهد معه في تلك المعركة ودفن حيث قتل ، ولهذا نرى معظم زوار كربلا يقصدون زيارته ايضاً . وقد رأيت على غرفة القبر رخامة كتب عليها « قد عمر هذا المكان بهمة اقا حسين خان شجاع السلطان في ١٤ محرم سنة ١٣٢٥ هجرية » ، وكان الشاه اسماعيل الصفوي قد اظهر القبر في اثناء زيارته للعراق عام ٩١٤هـ - ١٥٠٥م ، وبنى عليه قبة وجعل له صحناً بسيطاً .

وعلى مسافة ١١ كيلومتراً من المدينة شرقاً ، بينها وبين المسيب ، تشاهد قبة من القاشاني الملوّن ، تلك هي قبة « عون بن عبد الله بن جعفر الطيار » وامه زينب بنت علي (ع) وقيل الخوصاء (١) ، ويروى عن سبب دفنه في هذا الصقع المنعزل ، ان خاله الحسين كان قد ارسله لاستثارة المسيب بن نجبة الفزاري وجماعة من بني اسد فاعترضه اسحق بن خويه الذي عهد اليه قائد جيش يزيد حراسة المشرعة ومنع اصحاب الحسين من اخذ الماء منها وقتله فدفن في محله .

وقضية الإمام الحسين بن علي مع يزيد بن معاوية مشهورة ، ليس من شأن هذا الموجز ان يتعرض لذكرها ، ولما استشهد في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦٠هـ - ٦٨٠م دفن في الحائر الذي المعنا اليه في صدر هذا المبحث ، وضريحه اليوم مقام وسط صحن عظيم تتلألأ فوقه قبة مغشاة بالذهب ، وفي ركنيها مئذنتان مطليتان بالذهب ايضاً ،وكان السلطان سليمان القانوني قد جدّد القبة مع مئذنتيها في اثناء زيارته لكربلا عام ٩٤١هـ - ١٥٣٤م ، فلما جاء بعده السلطان ناصر الدين شاه ايران انفق على تغشيتها مجدداً بالذهب الابريز سنة ١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م كما هو مكتوب على حائط القبة بسطر من ذهب ، ويبلغ ارتفاع هذه القبة ٣٥ متراً .

وضريح الحسين (ع) عبارة عن مصطبة من الخشب الصاج المرصع بالعاج الفاخر يعلوها مشبكان : احدهما من الفولاذ الثمين ، وهو الداخلي ، والآخر من الفضة الناصعة البياض وهو الخارجي ، ويبلغ طول المشبك الفضي الخارجي خمسة امتار ونصف متر ، وعرضه اربعة امتار ونصف متر ، وفوقه اوان ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة ، وفي كل ركن من اركانه رمانة من الإبريز الخالص يبلغ قطرها قرابة نصف متر . ويتصل بهذا المشبك شباك آخر لا يختلف عنه بشيء ، ولا يحجز بينهما حاجز ، الا انه يقصر بمتر وتقريباً ١٢ سنتمتراً من كل من جانبيه ، وقد رقد تحته علي بن الحسين المعروف بعلي الاكبر الذي قتل مع والده في يوم واحد فدفن الى جانبه . وامام هذا المشبك ساحة لا يطأها البعض من زوار الحضرة الحسينية ، لأن تحتها مراقد الشهداء الذين حاربوا في صف الإمام فقتلوا معه وهم ملحدون

---

(١) ويقال ان هذا القبر هو قبر عون بن علي «ع» الا ان القول الاول اشهر .

في قبر واحد . وفي الزاوية الجنوبية من هذه الساحة مشبك من الفضة طوله أربعة أمتـــار وثمانين سنتمتراً يتصل بالحائط ويعرف بمراقد الشهداء ، وعلى مسافـــة نصف كيلومتر من غربي الصحن الحسيني ، مرقد اخيه العباس . وسط صحن فخم وفوقه قبةمن القاشاني الملون وفي جانبيها مئذنتان مطليتان بالذهب ، وهو لا يختلف عن صحون الأئمة من حيث الضخامة وهندسة البناء وما في الحضرة من نفائس ومجوهرات .

يرتقي تأسيس الحضرة الحسينية الى ايام قتل الحسين(ع) فقد جاء في ص٢٦٥ من كتاب « كامل الزيارة لابن قولويه » وفي كتاب « اقبال العلماء لابن طاووس » ص٣٨ ان الذين دفنوا الحسين « اقاموا رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق » ولعل المراد بقولها ان الذين دفنوه « بنو اسد اهل العامرية » وعلى كل فقد خرب الرشيد،خامس خلفاء بني العباس ، هذه البنية على ما جاء في كتاب « تسلية المجالس وزينة المجالس » لمحمد ابن ابي طالب ، ثم اعيدت على عهد المأمون ، حتىاذا حكم الخليفة العباسي المتوكل امرفي عام ٢٣٦هـ — ٨٥٠م « بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب وهدم ما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه ، وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن ابي طالب ولأهل بيته » — تاريخ ابي الفداء ص ١٨٨ من المجلد الثاني من الطبعة الاوروبية(١) فلما قتل المتوكل وقام بالأمر بعد ابنه المنتصر عطف على آل ابي طالب واحسن اليهم وفرق فيهم الاموال وأعاد القبور في ايامه الى ما كانت عليه « راجع بحار الانوار للمجلسي ١٠٢/٢٢ » وقد تهدمت بناية المنتصر سنة ٢٧٢هـ - ٨٨٦م كما في كتاب « امان الاخطار لابن طاووس » فقام محمدبن زيدالداعي وجدد العمارة « كما في فرحة الغري » وانتهى منها سنة ٢٨٠هـ - ٨٩٣م (كما في كتاب مجالي اللطف بأرض الطف للشيخ محمد السماوي ص ٤٠) ولما زار عضد الدولة الضريح الحسيني سنـــة ٣٧١هـ - ٩٨١م بالغ في تشييد الابنية حوله واجزل العطاء لمن جاوره . وفي ١٤ ربيع الاول سنة ٤٠٧هـ - ١٠١٦م « احترقت قبة الحسين والاروقة . وكان سببه انهم اشعلوا شمعتـــين كبيرتين فسقطتا في الليل على التآزير فاحترقت وتعدت النار » - ابن الاثير١٠٢/٩-فقام وزير الدولة الديلمي الحسن بن اسماعيل وجددها ، وهي البناية التي شاهدها ابن بطوطة سنة ٧٢٧هـ - ١٣٢٦م . وفي سنة ٧٦٧هـ - ١٣٦٥م شيد السلطان اويس الايلخاني المسجد والحرم؛ واتمه واكمله ولده احمد بن اويس سنة ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م .وقد وجد هذا التاريخ في المحل المعروف عند اهل كربلاء « بنخل مريم» عند الرأس الشريف. وفي سنة ٩٣٠هـ -١٥٣٢م اهدى الشاه

(١) تقول كتب الشيعة المعتبرة : ان المتوكل العباسي بعد ان حفر قبر الحسين «ع» امر فأجرى الماء عليه وعلى ما حوله من القبور « فحار » الماء — اي رجع — ولذلك سمي موضع القبر بالحائر الحسيني

اسماعيل الصفوي صندوقاً بديع الصنع الى القبر الحسيني . وفي عام ١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م شيد السلطان مراد الرابع القبة وجصصها . وفي سنة ١١٣٥هـ — ١٧٢٢م انفقت زوجة نادر شاه مبالغ طائلة لتعمير الروضة . وفي سنة ١٢٣٢هـ — ١٨١٦م انجز « فتح علي شاه » تذهيب القبة ... الخ . والواقع ليس في كربلا ما هو جدير بالذكر اكثر من هذه القباب الفخمة والمنارات الذهبية الشامخة ، فإن الشخص أنى كان من جهات هذه المدينة الاربع لا يشاهد غير القباب والمآذن تبدو في الابكار والآصال كأنها احرف او سطور من نور تحدث الايام والدهر بصمت وجلال عما حدث في هذه البقعة من وقائع جسام ، واحداث كان لها اثر بعيد في التاريخ الاسلامي .

ناحية الحسينية : — ومركزها خان العطيشي — بالتصغير — الواقع في منتصف طريق كربلا — المسيب ، وهو مرجع القبائل والمزارعين في الناحية المذكورة وقد انشئت حوله بعد عام ١٩٥٠م بنايات حسنة كالمدرسة والمستوصف ومخفر الشرطة ودور المعلمين ونحوها .

ناحية عين التمر : — ومركزها القرية المسماة شفاثى — بالالف المقصورة كحبالى كما في تاج العروس — وهي قرية كبيرة تبعد عن كربلا غرباً ٥٨ كيلومتراً ، ولها ذكر في التاريخ القديم اذ كانت من قرى « عين التمر » المعروفة في زمن الفتح . فيها نخل كثير تسقيه المياه الكبريتية الكثيرة في هذه القرية ، وعليها سابلة القبائل النجدية ، واكثر بيوتها مبنية بالطين واللبن ، ومسقفة بجذوع النخل الا ان للحكومة فيها مباني عصرية حديثة منها المدرسة والمستوصف ودائرة البريد والسراي ومركز الشرطة ... الخ .

قضاء النجف

« النجف » بلدة واسعة ، قائمة على رابية مرتفعة ، فوق ارض رملية فسيحة . تطل من الجهتين الشمالية والشرقية على مساحة واسعة من القباب والقبور منها الدارس ومنها لم يزل بارزاً للعيان وهذه المقبرة العظيمة المشتملة على كثير من القباب والقبور البارزة تدعى وادي السلام ، وتشرف من الجهة الغربية على بحر النجف الناضب(١) ، ويشاهد القادم من مسافة بعيدة مرقد الامام علي بن ابي طالب(ع) تتجلى فوقه قبة كأنها هي قطعة من الذهب الإبريز ، تطاول الشمس لمعاناً ، وتفاخر السحاب سمواً .

والنجف ارض عربية كانت قديماً مصيفاً او متنزهاً للمناذرة ، ملوك الحيرة ، وبعد انقراض تلك الدولة ودخول المسلمين في العراق ، ودفن الامام علي فيها ، ابتدأ عمرانها سنة

---

(١) كانت تحيط بالنجف بحيرة من الماء هائلة وقد جفت هذه البحيرة ثم عاد اليها الماء ، ثم جفت ثم عاد، وكان آخر جفافها عام ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٧م .

١٧٠هـ — ٧٨٦م على اثر كرامة ظهرت للخليفة العباسي الخامس ، هارون الرشيد ، في العام المذكور(١) فأقام قبة على القبر المذكور بعد ان كان مخفياً اتقاء له من تعرض الخوارج وبني امية ، ووضع عليه قنديلا من الفيروز المرصع بالجواهر اليتيمة ، وآنذاك اختار لفيف من العلويين وخاصتهم مجاورة هذا القبر فبنوا حوله مساكنهم فلم تزل في توسع حتى زارها عضد الدولة البويهي في جمادى الاولى سنة ٣٧١هـ — ٩٨١م فبذل اموالا طائلة لتشييد العمارة الفخمة حول قبر الامام فاتسع عمرانها وازدادت اهميتها ، وقصدها التجار والباعة من جميع الصنوف والاطراف ، فلما كانت سنة ٤٤٨هـ — ١٠٥٦م انتقل اليها العلامة الطوسي ، محمد ابن الحسن ، خليفة السيد المرتضى على كرسي التدريس والتصنيف في بغداد اثر حادث مؤلم حصل له ، وتبعه جماعة من تلامذته فكانت « النجف » مقرهم ودار هجرتهم ،وانتقلت اليها الحركة العلمية فكانت من مراكز التعليم المهمة في العراق . وفي القرنين السابع والثامن للهجرة توسعت العمارة فيها توسعاً عظيما ، وازدحمت بالسكان من مختلف الطبقات ازدحاماً كبيراً ولا سيما بعد ان بذل بعض الملوك الايلخانيين والجلائريين وغيرهم اموالا طائلة على تعمير المدارس والمساجد والتكايا فيها ، وحفر الانهار من مسافات بعيدة ليوصلوا الماء اليها ، واجروا الارزاق والصدقات على من حل فيها ، وقد زارها ابن بطوطة ، الرحالة الشهير ، سنة ٧٢٦هـ — ١٣٢٥م وقال في وصفها : « وهي مدينة حسنة في ارض فسيحة صلبة من احسن مدن العراق واكثرها ناساً واتقنها بناء ، ولها اسواق حسنة نظيفة . دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين ثم سوق الفاكهة ثم سوق الخياطين والقيسارية ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة » اهـ ولكن سرعان ما اخذت في التوقف والهبوط شأن كل موجود ، ولا سيما في القرن الحادي عشر للهجرة ، يوم كانت الحروب الطاحنة بين الصفويين والعثمانيين تحصد الارواح حصداً ، فلما كان القرن الثاني عشر ،عادت

---

(١) ينقل هذه الكرامة ابن خلكان في «وفيات الاعيان» والدميري في «حياة الحيوان» ٣١٩/٢ ، وابن طاووس في «فرحة الغري» ص٥١/٥٢ ، والنسابة الشهير جمال الدين الحسيني في : «عمدة الطالب» ص٤٧ ، والحافظ الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» ص٣٢٣ وغيرهم من المؤرخين، وخلاصتها: ان الرشيد خرج ذات يوم يطلب صيدا في ظهر الكوفة واطلق الصقور والكلاب على ظباء كانت بجانب الغريين فجاولتها ساعة ولم تتمكن منها ، لان الظباء لجأت الى اكمة هناك ، فرجعت ورجعت الظباء . وتكرر الحال مرارا فتعجب الرشيد [illegible]؟ وسأل شيخا من بني اسد كان هناك عن السر في ذلك ، فقال لي الامان ؟ قال نعم ، قال هذا قبر [illegible] ابن ابي طالب، فتوضأ الرشيد وصلى ، ثم أمر فبنيت قبة من الطين فوق القبر وطرحت عليها الحصباء ثم؟ جصصت القبة بالجص ، وفي روضة الامام اليوم صورة من الفسيفساء هي آية في الابداع، يظهر عليها رسم رجل؟ يستند الى شجرة اثل وبيده قوس يصطاد ظبيا ، والى جانبه شادن وكلب صيد يشير بها الى تلك الكرامة، وهي في سماء القبة من جهة الشمال وانت داخل الى الروضة .

النجف تسترد مكانتها ، وتزدهر فيها رياض العلم من جديد ، فنبغ فيها جملة من فطاحل العلماء والادباء واللغويين ، وقد اثمرت هذه النهضة ثمرتها في القرن الثالث عشر فأنجبت نخبة صالحة وغدت مدرسة دينية كبرى يرتشف من حياضها المترعة عشاق العلم والادب ، ويتخرج فيها عدد كبير من دعاة الاصلاح ، ورجال الدين ، وهي في العراق اليوم ، كالأزهر في مصر ، فيها من شيوخ الادب واساطين العلم وقواميس اللغة ما في ارض الكنانة .

وللنجف سمعة ادبية ممتازة ، وميزة عن مراكز العلم تكاد تنفرد بها ، فقد نبغ فيها في مختلف العهود شعراء كانوا كالاقمار في سماء الادب اضراب : السيد محمد سعيد الحبوبي ، والسيد جعفر الحلي ؛ والسيد ابراهيم بحر العلوم . ودرس في حلقاتها جل العلماء والفضلاء الذين انتشروا في الآفاق لنشر العلم وبث روح الفضيلة في الناس ، وقد حافظت على عروبتها في البيئة والمعاش والمسكن على الرغم من نزوح الاعاجم اليها في طلب العلم ، ولا غرو في ذلك فقد حازت النجف الرئاسة الدينية والزعامة العلمية منذ القرن الخامس للهجرة حتى اليوم وان اختلفت في بعض العهود شدة وضعفاً .

وقد حصنت النجف حتى الآن بأربعة اسوار في عهود مختلفة وازمان متباعدة : اولها السور الذي اقامه عضد الدولة سنة ٣٧١هـ — ٩٨١م (١) والثاني السور الذي بناه ابو محمد ابن سهلان ، الوزير البويهي في حدود سنة ٤٠٠هـ — ١٠١٠م (٢) والثالث السور الذي شيد قبل القرن الثاني عشر للهجرة ولا يعرف مشيده على وجه التحقيق والثبوت ، اما السور

---

(١) كما في «روضات الجنات» ص٢٣٩ وفي كتاب «بستان السياحة» ص٥٧١ و«دار السلام» ص١٤٩

(٢) ذكر ابن الاثير في حوادث عام ٣٩٩هـ—١٠٠٨م في ج٩ ص٧٥ من كامله ان ابا محمد بن سهلان مرض مرضا شديدا فنذر أن يقيم سورا على مشهد الامام علي (ع) اذا شفي من مرضه ، فلما من الله عليه بالعافية ، امر ابا اسحاق الارجاني ان يقيم السور الذي نذره ، فكان ثاني سور شيد للنجف اهـ.

ويرى الدكتور مصطفى جواد ان في رواية ابن الاثير هذه بعض الوهم ، وان ابن سهلان سور مشهد الامام ابي عبد الله الحسين بن علي كما في «المنتظم» ج٧ ص٢٤٦ ص٢٨٣ ج٨ ص١٣ وهذا نص كلام الدكتور :

« ذكر الحسني في ص١٠٨ من كتابه العراق قديما وحديثا نقلا من تاريخ ابن الاثير ان ابا محمد ابن سهلان الوزير بنى في سنة ٣٩٩ سورا لمشهد الامام علي عليه السلام بالنجف وذلك وهم من ابن الاثير(رح) فان ابن سهلان سور مشهد الامام ابي عبد الله الحسين بن علي . قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٠٠ «وفي جمادى الاولى بدىء ببناء السور على المشهد بالحائر . وكان ابو محمد الحسن بن الفضل بن سهلان قد زار هذا المشهد وأحب ان يؤثر فيه اثرا ثم نذر كذا لاجله ان يعمل عليه سورا مانعا لكثرة من يطرق الموضع من العرب وشرع في قضاء هذا النذر ففعل وعمل السور واحكم وعرض ونصبت عليه ابواب وثيقة وبعضها حديد وتم وفرغ منه وتحصن المشهد وحسن الاثر به » وذكر هذا السور في موضع اخر وثالث بما لا يدع شكا في حقيقته وموضعه اهـ

الحالي ، اي الرابع ، وهو اضخمها واقواها ، فقد امر بتشييده الصدر الأعظم نظام الدولة محمد حسين خان العلاف ، وزير فتح علي شاه القاجاري عام ١٢٢٦هـ — ١٨١٠م بعد ان تكررت هجمات غزاة نجد من الوهابيين على المشاهد المقدسة في العراق واضطر العلماء والاشراف إلى مكاتبة اهل البر والإحسان لتسوية النجف ووقايتها من غزاة نجد .

مناخ النجف وعمرانها

هواؤها في الصيف حار يابس ، وفي الشتاء برد قارس ، وحين تشتد الحرارة في موسمها او تهب الرياح اللافحة « السموم » يلتجيء سكانها إلى سراديب منحوتة نحتاً بديعاً تتفاوت في العمق تفاوتاً كبيراً ، ويبلغ متوسط عمق الواحد منها عشرين متراً . وقد يخرج بعضهم إلى المزارع والبساتين ، التي تبعد عن المدينة ثلاثة كيلومترات ، او الى جسر الكوفة ، الذي يبعد عنها تسعة كيلومترات طلباً لنقاء الهواء . والنجف على بعد ٧٥ كيلومتراً من كربلا شرقاً وقد احصت الحكومة نفوسها فكانت ٤١٨٠٠ نسمة ، وتدل السجلات الرسمية لسنة ١٩٤٧م على أن نفوس القضاء المسجلة (٧٨٠٦٣) نسمة .

شوارعها مستقيمة فسيحة ، وعماراتها جليلة مرتفعة ، واسواقها عريضة منظمة،ولاسيما السوق الكبير ، الذي يبتدىء من سور المدينة الشرقي « أي من المدخل العام للمدينة »وينتهي عند صحن الإمام ، وإن استقامته تمكن الواقف في مدخل النجف ان يرى داخل الحضرة بكل سهولة ، رغم طوله وازدحامه بالمارة ، وفيها اربع محلات رئيسية فقط وهي: المشراق والحويش والعمارة والبراق ، وفي عام ١٣٥٠هـ — ١٩٣١م فتحت الحكومة المحلية ، على عهد القائم مقام النجيب السيد جعفر حمندي ، خمس ابواب في سور المدينة ، وخططت ساحة كبيرة في جنوبها ، وأعلنت بيعها من الأهلين ، فاشتراها الموسرون والتجار ، وعمروا فيها القصور الشاهقة والدور المنيفة والمقاهي والحدائق ، والحوانيت والمخازن،وأنشأت السلطات الأميرية فيها المدارس الجليلة والحدائق العامة والمتنزهات المختلفة ومستشفى واسعاً على احدث طراز وقد سميت هذه المحلة الجديدة بالغازية تيمناً باسم الملك غازي ، وهي لا تزال آخذة في الاتساع والازدهار بعد ان زال سور المدينة من الوجود او كاد واتسع العمران اتساعاً واسعاً حتى كاد يبتلع الطريقين المؤديين إلى الكوفة وابي صخير .

وفي النجف مقامات كثيرة (١) ومساجد أثرية عديدة (٢) ومدارس دينية مختلفة(٣) ،

---

(١) كمقام زين العابدين (ع) ومقام المهدي (عج) (٢) كمسجد الحنانة ومسجد عمران بن شاهين ، ومسجد الخضراء، والمسجد الطوسي (٣) كمدرسة الاخوند ومدرسة المعتمد،ومدرسة القوام ومدرسة السيد كاظم، وتدرس الدروس في هذه المدارس، وفي حلقات التدريس بالصحن على شكل خاص لا كما يجري في المدارس

فضلا عن المدارس الرسمية الكثيرة ، وخزائن الكتب المخطوطة والمطبوعة لا تحصى (١) ، ومطابع وصحف ومجلات لا يستهان بها ، وفيها عدا ما تقدم قبور بعض الأنبياء ، وجماعة من السلاطين والوزراء واكابر العلماء ، كعضد الدولة البويهي ، وولديه شرف الدولة وبهاء الدولة ، وبعض الملوك الحمدانيين والايلخانيين والصفويين والقاجاريين والهنود وغيرهم ، ويربطها بالكوفة سكة حديدية « ترامواي » أنشأتها شركة اهلية عام ١٣٢٥هـ — ١٩٠٨م طولها ٩٦٠٠ متر ، وقد رفعتها في عام ١٩٤٨م بعد ان تيسرت السيارات اللازمة للتنقل بين النجف والكوفة وعبدت الطريق بين هاتين المدينتين .

والذي يؤسف له كثيراً ، بعد البلدة عن الفرات ، ولكن حفرت للنجف ترع ونهيرات كثيرة لإيصال الماء اليها ، غير ان ما يجري فيها لا يسد حاجة الاهلين فضلا عن الزائرين ، فقد دلت الإحصاءات الرسمية على ان متوسط عدد الزوار للنجف في المواسم المخصوصة يتجاوز ثلث مليون نسمة في كل زيارة وهو عدد كبير يحتاج الى مياه غزيرة ، وفي التاريخ اساطير كثيرة ، وروايات غريبة ، عن المساعي التي بذلها الايرانيون والملوك الهنود لارواء سكان الغرّي امتزجت فيها الحقيقة بالخيال ، واختلط التاريخ بالاسطورة ، وفي سنة ١٣٤٨هـ — ١٩٢٩م ربطت النجف بالكوفة بأنابيب نصبت لها مضخات تدفع فيها المياه دفعاً ، فكانت أحسن وسيلة لارواء السكان حتى الآن .

أسماؤها

وللنجف اسماء ، النجف والمشهد والغري : سميت بالنجف لأنها مرتفعة ، والنجف لغة طف الوادي وحاشيته المرتفعة ، وسميت بالمشهد ، لأن فيها مرقد الامام علي (ع) ومشهده ، وهو اللفظ الفصيح للروضة ، وقيل بل لأن المشهد مجمع الخلق ومحفلهم ، وكل مكان يشهده البشر ويحتشدون فيه فهو مشهد . أما سبب تسميتها بالغري فحكاية طريفة ينقلها المؤرخون في كتبهم ، ويذكرها ياقوت الحموي في معجمه (٢) ، وخلاصتها ان المنذر بن امرىء القيس ابن ماء السماء أمر أثناء سكره بقتل نديمين له من بني اسد وهما : خالد بن نضلة وعمر بن مسعود ، وكانا قد ثملا وكلماه بما غاظه ، فلما صحا ورآهما قتيلين ، سأل عن السبب فأجيب عما أمر به ، فغمه ذلك كثيراً ، وامر ان يبني عليهما طربالان (٣) ثم قال : « ما أنا بملك إن

---

(١) كالمكتبة الحيدرية ومكتبة آل كاشف الغطاء ، ومكتبة آل بحر العلوم ، ومكتبة آل الطريحي ، ومكتبة الشيخ محمد السماوي الخ.

(٢) معجم البلدان ٦—٢٨٣

(٣) الطربال بناء كالصومعة .

خالف الناس امري ، لا يدخل احد من وفود العرب إلا بينهما » وجعل له في السنة يومين يوم بؤس ويوم نعيم ، يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويغري الطربالين بدمه ، ويحسن في يوم نعيمه الى كل من يلقاه فدعيت هذه البقعة بالغريين منذ ذلك الحين .

وكانت هذه الأرض تعرف عند رجال الدين ، يوم دفن الامام فيها ، بالذكوات البيض والذكوات البيض ربوات ثلاث معروفة في النجف حتى اليوم ، تسمى إحداها «جبل الديك» وهي الربوة الواقعة في شمالي القبر ، والثانية « جبل النور » وهي الربوة الواقعة إلى جنوبيه الشرقي ، اما الثالثة ففي جنوبيها الغربي ، وتسمى جبل «شريشفان» ــ تصحيف شرف شاه ــ .

وخير ما نختم به الكلام عن النجف ، وصف مشهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام لأنه آية من آيات الفن وجمال الهندسة وسمو الريازة ولأنه اضخم وافخم الأضرحة المقدسة في كربلا والكاظمية وسامراء فنقول :

مشهــد الامام علي

يقع مشهد الامام علي(ع) في وسط مدينة النجف ، ويحيط بــه سور رباعي ضخم طول كل من ضلعيه الشرقي والغربي ٨٤ متراً ، وطول ضلعه الشمالي ٧٤ متراً ، والجنوبي ٧٥ متراً ، ولن يقل ارتفاعه عن ٣٥ متراً . ولهــذا السور خمسة ابواب ذوات اسمــاء خاصــة لدى النجفيين (١) وفي كل من ضلعيه الغربي والجنوبي اربعة عشر إيواناً ، وفي كل من ضلعيــه الشرقي والشمالي خمسة عشر إيواناً ، وفي كل إيوان حجرة هي مقبرة احد المشاهير ، وقد شيدت هذه الحجرات لتكون مأوى لطلاب العلم ، أما الآن فهي مهجورة إلا من قراء القرآن .

والصحن مؤلف من طابقين وجميع جدرانه مزدانة بالقاشاني الملون ، وعلى حواشي الجدران العليا آيات من القرآن الكريم مسطورة بأحرف عربية كبيرة متداخلة تداخلا جليــاً ، وفي وسطه تعقد حلقات التدريس ، ومجالس الوعظ والارشاد ، ويحيط به بهو واسع يظلله من جهة الغرب فقط ساباط مرتفع تتوسطه سماوة مستديرة وقد هدمت المباني التي كانت تحيط بصحن النجف واستعيض عنها بجادة تدور حول الصحن فتؤدي خدمة جليلة للزائرين ومناعة صحية للساكنين وتجعل للروضة الحيدرية منظراً ساحراً ومقاماً مشهوداً .

ويتوسط هذا الصحن إيوان واسع ، مرتفع ومسقف ، وكل سقوفه وجدرانه مغشاة بقطع الذهب والمرايا ، وفي ركنيه مئذنتان عظيمتان مرتفعتان ، وهما مغشاتان بالذهب ايضاً ، وقد انفق على هذه التغشية السلطان نادر الدين شاه إيران سنة ١١٥٦ هـ ــ ١٧٤٣ م ملايين من الاموال

---

(١) وهي باب «الطوسي» ويقابله «باب القبلة» ويجاوره (باب القاضي) ثم (الباب الكبير) والى جواره باب صغيرة .

ويؤدي الايوان المذكور إلى رواق يدور حول الحضرة طوله ٣١ متراً وعرضه ٣٠متراً وهذا الرواق مزين بقطع المرايا ذات الأشكال الهندسية البديعة والتخاريب المزوقة المختلفة ، وله أربعة ابواب متقابلة ، بابان فضيان يدعى أحدهما الباب الكبير ويسمى الثاني باب المراد وبابان من خشب الساج الفاخر احدهما مغلق والثاني مفتوح يقال له باب الرحمة ، ومن هذه الأبواب يدخل الى الحضرة ذات الهيبة والجلال ، والروعة والبهاء ، فقد علقت فيها قناديل الذهب المرصعة بالأحجار الكريمة وانتشرت في ارجائها الثريات التي توقد فيها الانوار الكهربائية وغشيت جدرانها بالفسيفساء الجميلة وفرشها ارضها بالرخام الايتالي الثمين. والحضرة مربعة الشكل طول كل ضلع من اضلاعها ١٢ متراً و٦٠ سنتمتراً ، ولها خمسة ابواب اربعة من الفضة الناصعة البياض والخامس من النحاس الأصفر الثمين : اما مرقد الامام فيتوسط هذه الحضرة ويحيط به مشبكان أحدهما من الفضة الخالصة ، وهو الخارجي ، والآخر من الحديد الفولاذي وهو الداخلي ، وفي وسط المشبك الثاني مصطبة من الخشب المرصع بالساج ، رقد تحتها الامام علي ، بطل الاسلام عليه السلام . وفي التاريخ النجفي ان عدد القباب والبنايات التي شيدت فوق قبر الامام او حوله كما يلي :

١ً — القبة التي شيدها الرشيد ، خامس خلفاء بني العباس ، سنة ١٧٠هـ — ٧٨٦م وهي التي تكلمنا عنه بإسهاب في صدر هذا المبحث .

٢ً — فلما كانت ايام محمد بن زيد المعروف بالداعي ، المتوفى عام ٢٨٧هـ — ٩٠٠م الذي حكم طبرستان أيام المعتضد العباسي بنى على القبر قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً على ما ذكره ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ج٢ ص٤٥ (طبعة مصر) .

٣ً — ولما زار عضد الدولة البويهي مدينة النجف سنة ٣٧١هـ — ٩٨١م رأى ان يجدد القبة التي على القبر « فأتى بالصناع والاساتذة من الاطراف وخرب تلك العمارة ، وصرف اموالا كثيرة جزيلة ، وعمره عمارة جليلة حسنة » — إرشاد القلوب ج٢ ص١٤٨ .

٤ً — وقد احترقت العمارة المذكورة ولم يبق منها الا القليل ، وذلك سنة ٧٥٣هـ — ١٥٣٢م — عمدة الطالب في انساب ابي طالب ص٤٤ — وفي عام ٧٦٠هـ — ١٣٥٨م أنشئت عمارة رابعة لم يذكر مؤرخوا القرن الثامن للهجرة اسم صاحبها . ولم ينسبوها إلى احد ، الا ان بعض المتأخرين يرتأي انها من آثار السلطان اويس بن الشيخ حسن الجلائري(١) ، مستشهداً على ذلك بالخدمات الكثيرة التي أسداها إلى آل البيت .

---

(١) الشيخ محمد السماوي في عنوان الشرف في وشي النجف ص٥٢ ، اما السيد حسن الصدر فيقول في رسالته الخطية ، نزهة الحرمين في عمارة المشهدين ، انه لم يتحقق صاحب هذه البناية .

٥ً – ثم ادخل الشاه عباس الصفوي ، إصلاحات كبيرة على هذه العمارة يوم زار النجف سنة ١٠٣٢هـ – ١٦٢٢م .

٦ً – ولما زارها حفيده الشاه صفي ، وجد ان ساحة الصحن ضيقة ، والعمارة متضعضعة فأمر بهدم بعض جوانب الصحن وتوسيعه ، وتوسيع الحرم العلوي توسيعاً عاماً ، فكانت خامسة العمارات التي اقيمت على قبر الامام ، وهي قائمة الى اليوم وكان البدء في إنشائها عام ١٠٤٧هـ – ١٦٣٧م .

٧ً – ولما زار النجف نادر شاه سنة ١١٥٦هـ – ١٧٤٣م بذل اموالا طائلة على قلع الحجر القاشاني عن القبة والايوان والمئذنتين ، واستبداله بالالواح المطلية بالذهب الخالص ، كما هو مدون بالحروف الذهبية على جهة الايوان الذهبي ، وعلى المئذنتين ايضاً .

ناحية الكوفة

لقضاء النجف ناحية واحدة تدعى ناحية الكوفة .

ناحية الكوفة : – لما تغلب سعد بن ابي وقاص على الفرس ونزل عاصمتهم المدائن ، بعث الى عمر بن الخطاب (رض) يخبره بهذا الفتح ، فلما وصل وفده الى الخليفة رأى الوانهم قد تغيرت وحالهم قد تبدلت ، فسألهم عن ذلك ، فقالوا وخومة البلد غيرتنا ، فأمر ان يرتادوا منزلا يُنزلون فيه المسلمين لأن العرب لا يوافقهم من البلاد إلا ما وافق إبلهم . وكتب الى سعد أن « ابعث سليمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلا برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر » (١) ففعل سعد ذلك ، فاختاروا مكاناً وراء الفرات بينه وبين الحيرة ، وبنوها اولا بالقصب ، كما بنوا البصرة ، لتكون المنازل قريبة من الخيام ، فلما خافوا الحريق استأذنوا البناء بالطين فأذن لهم ، وكان ذلك في عام ١٧ للهجرة و٦٣٨ للميلاد . ولا يزال مسجد الكوفة الذي خططه سعد في العام المذكور قائماً حتى اليوم (٢) ويرى الناظر الى ما حوله من الانقاض والآكام فلا يفتأ ان يتخيل انه وسط بلدة الكوفة (٣) الذائعة الصيت التي انجبت العلماء والفقهاء ورجال الحرب يوم كانت محط رجال العلم تفوق علـّتها «البصرة» في النصف الاخير من القرن الاول للهجرة حتى القرن الثالث ، ويشاهد على طرف من هذا المسجد قبرا مسلم بن عقيل وهاني بن عروة اللذين قتلهما عبيد الله بن زياد عامل يزيد بن معاوية على الكوفة سنة ٦٠هـ

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٢ ص٢٥٩ .

(٢) المسجد مبني على ساحة مربعة الشكل تقريبا طول كل ضلع من اضلاعه هي على التوالي ١١٠ ، ١١٦ ، ١٠٩ ، ١١٦ وسوره مرتفع ومدعوم بأبراج مستديرة ارتفاعها ٢٠ مترا .

(٣) سميت الكوفة بالكوفة «لاستدارتها وقيل بسبب اجتماع الناس بها وقيل لكونها كانت رملة حمراء ولاختلاط ترابها بالحصى » – تاج العروس في مادة كوف ٦/٢٤٠ –

لسعيهما في اخذ البيعة للحسين(ع) وفيهما يقول عبد الله بن الزبير الشاعر الاسدي :

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي في طمار قتيل

وكانت الكوفة مقر خلافة الامام علي(ع) شرفها بمقدمه بعد واقعة الجمل الشهيرة وبها بويع ابو العباس بالخلافة عام ١٣٢هـ - ٧٤٩م واليها ينسب الخط الكوفي والمذهب الكوفي في النحو .

وعلى مسافة كيلومتر واحد منها شرقاً تقع قصبة « الجسر » مركز «ناحية الكوفة» وهي قصبة جميلة ، فيها اسواق عظيمة وبنايات أنيقة واشجار للزينة وحدائق كثيرة وكان يربطها بالنجف سكة ترام طولها ٩٦٠٠ متر أنشأتها شركة اهلية في عام ١٣٢٥ للهجرة ثم رفعتها عام ١٩٤٨م .

وكانت هذه القصبة مركز تجارة الفرات الاوسط الى ثورة عام ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م ، فأنكرت عليها السلطات الاجنبية ان تكون مركز عداء ومركز تجارة عظيمة في آن واحد فأهملتها ، ولكنها رغم ذلك فهي قصبة فاتنة يمر بها « شط الكوفة » فتقع على ضفتـه اليمنى ويصلها بالضفة اليسرى جسر حديدي شامخ متين البناء ، ضخم الركائز ، بديع الانوار يبدأ من ساحة واسعة جميلة التنسيق ، وتنتهي الى رفيقين رائقين : احدهما نادي المثنى للموظفين بحدائقه الغن واشجاره المنوعة ، والآخر مستشفى الفرات الضخم ، وهو مستشفى عظيم يتسع لاكثر من أربعمئة سرير تعالج فيه انواع الحميات وتجري في صالاته الواسعة مختلف العمليات . وهنالك طوار يمتد على الساحل الايمن يحاذيه شارع جميل مستقيم تقوم على جهته المحاذية للنهر اشجار الزينة السامقة ، وعلى الاخرى العمارات الانيقة ومرافق الحياة الاقتصادية بمعاملها ومخازنها وصنائعها فإذا جاءها المساء انيرت بالاضواء الكهربائية فتكون لها مناظر زاهية جداً .

وفي « الجسر » قصر فخم للعائلة المالكة تنزل فيه كلما قصدت الاضرحة المقدسة في النجف وكربلا للزيارة . تتوفر فيه وسائل التبريد والتدفئة الحديثة وتحيط به الرياض والغياض الكثيرة .

لواء الحلة

حدود اللواء

يقع لواء الحلة في ارض سهلة تكثر فيها المياه الجارية ، والبساتين اليانعة ، وتزرع فيها الحبوب على اختلاف انواعها ، واشجار الفاكهة على تباين اسمائها، فهومن اغنى الوية العراق بزراعته لانه يستفيد من منظومة الري المستندة الى « سدة الهندية » فوائد جليلة . يحده من الشمال لواء بغداد ومن الشرق لواء الكوت ومن الجنوب لواء الديوانية ومن الغرب لواء كربلا .

مساحته وعدد نفوسه

مساحة لواء الحلة ٥٤٥١ كيلومتراً مربعاً ونفوسه ٣٥٣٦١٤ نسمة بحسب الاحصاء العام الذي تم في عام ١٩٥٧م .

قبائل اللواء

ان القبائل الرئيسية في لواء الحلة هي :

١ً ـ ألبو سلطان ٢ً ـ الجحيش ٣ً ـ اليسار ٤ً ـ خفاجه ٥ً ـ الجبور ٦ً ـ آل فتله ٧ً ـ بنو حسن ٨ً ـ المعامرة ٩ً ـ شمر ١٠ ـ الجنابيون ١١ ـ ألبو عامر ١٢ً ـ آل مسعود « وبضمنهم بنو سعيد » .

فأهم أفخاذ قبيلة ألبو سلطان ١ً ـ آل حمد و٢ً ـ آل محمد .

وأهم أفخاذ قبيلة الجحيش : ١ً ـ آل عبد الواحد وتوابعهم في دجلة و ٢ً ـ ألبوموسى وتوابعهم في الفرات .

وأشهر أفخاذ قبيلة اليسار : ١ ـ آل هديب ٢ ـ إسبطة ٣ ـ الدوله

وللجبور خمسة افخاذ وهي : ١ ـ آل واوي ٢ ـ بني منصور ٣ ـ الدرارجة ٤ ـ العويديين ٥ ـ المحامدة .

ولشمر ثلاث فرق رئيسية وهي ١ ـ الجراونة ٢ ـ الجدي ٣ ـ الكيضة « وزان البيضة »

اما قبائل خفاجة وآل فتلة وبني حسن والمعامرة والجنابيين وألبو عامر وآل مسعود فإن لكل منها افخاذاً وفروعاً عديدة لو أردنا درجها هنا لاحتجنا الى عدة صفحات فكان لا بد من الإشارة اليها .

تنظيمات اللواء الإدارية

يتقوم لواء الحلة من مركزه وتتبعه ناحية واحدة هي « ناحية المحاويل » ومن ثلاثة أقضية

وهي ١ ـ قضاء الهندية وفيه ثلاث نواح : الكفل وأبو غرق والجدول الغربي و٢ ـ قضاء المسيب وفيه ثلاث نواح ايضاً : الاسكندرية وجرف الصخر والسدة و٣ ـ قضاء الهاشمية وله ناحيتان هما : القاسم والمدحتية .

الحلة المزيدية

كانت « الاسرة المزيدية » تقطن ضواحي البصرة ، وكانت لها إمارة رسمية واسعة من قبل ملوك الدولة البويهية ، فحدث بينها وبين بني دبيس « من زعماء خوزستان » معركة هائلة في سنة ٤٠٥ للهجرة(١) ـ ١٠١٤م من اجل الاستيلاء على الجزيرة الدبيسية الواقعة بنواحي خوزستان اضطرت الامام ابا الحسن علي بن مزيد الاسدي للمهاجرة إلى النيل(٢) في السنة المذكورة ، وقام منهم في النيل ثمانية امراء(٣) اولهم ابو الحسن المذكور ، وثامنهم الامير علي ابن دبيس ، واستمر حكمهم من سنة ٤٠٥هـ ـ ١٠١٤م الى سنة ٥٤٥هـ ـ ١١٥٠م .

وكان الإمير الرابع ، صدقة الأول بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي قد تولى الامارة سنة ٤٧٩هـ ـ ١٠٨٦م وبقي فيها ٢٢ عاماً ، وكان جواداً حليماً ، وصدوقاً محبوباً ، فعظم نفوذه واتسعت رقعة ملكه ، وكثرت امواله حتى صار يلقب ملك العرب(٤) مضافاً الى لقبه السابق « سيف الدولة » فحسده الوزير الاغر ابو المحاسن الدهستاني ،وزير السلطان بركيارق ، على هذه النعم وكتب اليه سنة ٤٩٤هـ ـ ١١٠٠م يقول إنه تخلف عنده لخزينة السلطان الف الف دينار وكذا وكذا ديناراً لسنين كثيرة فيجب إرسالها فوراً اوتسلب بلاده فغاظ هذا الكتاب صدقة فقطع الخطبة للسلطان وصار يخطب لاخيه محمد(٥) ثم ان صدقة اعتزم المقاطعة بعد هذا فانتقل بأهله وعسكره من بلدة « النيل » عابراً الفرات ونزل بأرض الجامعين في المحرم سنة ٤٩٥هـ ـ ١١٠١م ليبعد عن الطلب وكانت بقعة الجامعين « اجمة تأوي اليها السباع فنزل بها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وتأنق اصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق واحسنها مدة حياة سيف الدولة(٦) .

وقتل صدقة سنة ٥٠١هـ ـ ١١٠٧م فاستمر خلفاؤه يشيدون المباني الضخمة والمنازل

---

(١) الكامل لابن الاثير ٩/٨٥ من الطبعة المصرية .

(٢) النيل قرية كبيرة قريبة من الحلة قائمة على نهر النيل المنسوب الى الحجاج بن يوسف الثقفي رغم قدمه

(٣) يوسف كركوش في «مختصر تاريخ الحلة» ص٩

(٤) ابن خلكان في «وفيات الاعيان» ١/٢٢٩ من الطبعة المصرية .

(٥) ابن الاثير ص١٠٧ من المجلد العاشر .

(٦) ياقوت الحموي في «معجم البلدان » ٣/٣٢٨ من الطبعة المصرية.

العامة حتى اصبحت مصراً كبيراً ومأوى للحجاج وقد مد لها الناصر لدين الله العباسي جسراً في سنة ٥٨٠هـ — ١١٨٤م اهتماماً بالحاج واعتناء بسبيله ، وكانوا قبل ذلك يعبرون في المراكب فكان اول جسر اقيم فيها « ومر بها الخليفة المستعصم سنة ٦٤١هـ — ١٢٤٣م لوداع والدته وكانت قاصدة الحج ، فراقه طلاقة هوائها واريج نسيمها فأمر بإنشاء دار له على شاطىء الفرات عندها ليقضي بعض ايام السنة فيها. ولما جاء هولاكو الى بغداد سنة ٦٥٦هـ — ١٢٥٨م هرب اكثر اهل الحلة الى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم وحضر اكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاووس العلوي الى حضرة السلطان وسألوه حقن دمائهم فأجاب سؤالهم »(١) ونالوا على عهده كل حظوة وكرامة حتى جعلت النقابة العامة في العراق للسيد علي بن طاووس الحلي ، ولكن سرعان ما ساء حالها على عهد الدولة الجلائرية ولا سيما في ايام تيمورلنك . ولا تزال « محلة الجامعين » معروفة في الحلة باسمها القديم إلى الآن وهي تخفي ، بلا شك ، آثار معظم عمران الحلة القديم .

وقد زار الحلة الرحالة الشهير ، ابن جبير الاندلسي ، في سلخ المحرم ٥٨٠هـ — ١١٨٤م ووصفها قائلا « هي مدينة كبيرة عتيقة الوضع مستطيلة لم يبق من سورها إلا حلق من جدار ترابي مستدير بها وهي على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها ، ولهذه المدينة اسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية ، وهي قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخيل داخلا وخارجاً ، فديارها بين حدائق النخيل ، وألفينا بها جسراً عظيما معقوداً على مراكب كبار متصلة من الشط الى الشط ، تحف بها من جانبها سلاسل من حديد كالأذرع المفتولة عظما وضخامة ترتبط الى خشب مثبتة في كلا الشطين تدل على عظم الاستطاعة والقدرة »(٢) .

وزارها بعده الرحالة العربي المعروف « ابن بطوطة » سنة ٧٢٧هـ — ١٣٢٦م وقال عنها انها « مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقها ، ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات ، وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة بها داخلا وخارجاً ، ودورها بين الحدائق ، ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل »(٣) اهـ .

ووصف « ابن بطوطة » في الحلة وجسرها يبدو شبيهاً بوصف « ابن جبير » له ما عدا

---

(١) ابن الفوطي في «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة» ص٣٣٠

(٢) رحلة ابن جبير ص٢١٣ من الطبعة الاوروبية لدي غويه .

(٣) رحلة ابن بطوطة ص١٣٨ من المجلد الاول من الطبعة المصرية التقدمية .

القليل من الفروق . وقد مر بها صفي شاه حفيد الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٤٢هـ-١٦٣٢م في طريقه إلى النجف ، لزيارة الأسد الرابض في تربتها ، علي بن ابي طالب(ع) ، فأمر أن يحفر منها نهر لإيصال الماء إلى أرض الغري فكان نهر الشاه من آثاره الخالدة إلى اليوم .

وقد حاول الوهابيون غزو الحلة في سنة ١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م فشيد لها سور من الطين والآجر المستخرج من أطلال بابل بقي محكماً ومتيناً حتى احتل البريطانيون العراق سنة ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م فهدموه لأغراض عسكرية بحتة .

ولما باشر الوالي مدحت باشا التنظيمات الإدارية في العراق سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م جعلت الحلة مركز متصرفية تابعة لولاية بغداد وفي سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م جعلت مركز قضاء تابع للواء الديوانية فذهبت اهميتها وهاجر اكثر اهلها ولا سيا بعد أن تحول مجرى الفرات : فلما تم الاحتلال البريطاني للعراق جعلت مركز متصرفية كما كانت من قبل .

صفتها اليوم

كانت الحلة قرية كبيرة تركب ضفتي النهر المسمى باسمها ، وكانت طرقها ضيقة وعرة وبيوتها صغيرة غير منظمة . تشرب من ماء النهر مباشرة ، ويتطبب اهلها في مستشفى وضيع جداً أما اليوم فهي بلدة واسعة تكتنفها صفوف النخيل النضرة ، وتظلل شوارعها انواع الأشجار الباسقة ، وتزين ساحاتها أجمل الحدائق الزاهرة، يمر بها « شط الحلة » فيشقها شقين يسمى الأيمن منهما « الصوب الكبير » ويدعى الثاني « الصوب الصغير » وقد شيدت على ضفتيه المباني اللطيفة والدور الأنيقة والمرافق المختلفة : وأقيم عليه جسران يرتكز احدهما على أعمدة حديدية مثبتة إلى القعر وهو في وسط المدينة أمام بناية الشرطة ، والآخر في المدخل الشمالي لها ويقوم على قواعد مسلحة فيسهلان العبور على الاهلين ووسائل النقل المختلفة، ويفصل المباني عن النهر في كلا الجانبين شارعان معبدان يمتدان بامتداده ، وعلى جانبيه طواران من الآجر حفظاً لها من تخريب المياه ، ولها عدا ما تقدم شوارع رئيسية تتشعب منها شوارع عرضية وكلها معبدة تعبيداً يزيد البلدة بهجة ويجعل المرور فيها سهلا حتى على السيارات .

بيوتها كثيرة وأزقتها ضيقة وأسواقها حفيلة ، تزدحم عادة بكثرة الرائدين والوافدين من القرى والملحقات فهي من مراكز التموين المهمة للقبائل والقرى المجاورة .وأبرز المباني فيها صرح الحكومة الذي تم إنشاؤه سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م فهو على جانب من الفخامة يضم دوائر الإدارة والمالية والمعارف والعدلية والطابو والمحكمة الشرعية ...الخ، وتليه في الأهمية بناية دائرة الري فمقر مديرية الشرطة فالمدرسة الإعدادية فالمستشفى القديم فجمعية التمور فنادي الموظفين فالمكتبة العامة ، فدار الضيافة ، فعمارات الأغنياء فقصور أصحاب الثراء ،

وفي نهاية البلدة للذاهب إلى النجف بناية ضخمة للسجن وساحة كبيرة للألعاب ومتنزهات مرتفعة قلدت فيها « جنائن بابل المعلقة » وإلى جانبها مستشفى حديث يعد من أحدث المستشفيات في الشرق الأوسط كما أن في مدخل المدينة « للقادم من بغداد » مستشفى فخم بناه آل مرجان الكرام وقدموه هدية للحكومة فسمي باسم العائلة ، ومحلة جديدة تسمى « حي بابل » هي مجموعة بيوت عصرية أنشأتها الحكومة للموظفين ومتنزهات عامة للأهلين وقصور فخمة للمتمولين ومرافق حكومية وأهلية تسر الناظرين ، وهذا الحي آخذ بالاتساع سنة بعد سنة .

وينقسم عمران الحلة (الفيحاء)(١) إلى قسمين القديم وهو ما بني بحجارة بابل القديمة في طرق ملتوية وشوارع ضيقة . والحديث وهو ما استخدمت فيه وسائل البناء الحديثة من السمنت والملاط والحديد ووسائل التبريد والتدفئة . فالأول سقيم لا ينفذ اليه النور إلا قليلا والثاني عصري اتبعت فيه الأساليب الحديثة والتزويقات الانيقة ، ولكل من هذين القسمين عشاق ومريدون . وهي على مسافة ١٠٤ كيلومترات من جنوبي بغداد ، فيها من النفوس ٤٨٨٠٨ نسمة ويمر بها القطار الممتد بين بغداد والبصرة فيزيد في أهميتها وتجارتها .

منزلتها العلمية

لما افل نجم الدولة البويهية من بغداد سنة ٤٤٧هـ - ١٠٥٥م واستولى عليها الملك السلجوقي طغرل بك فأسر آخر أمرائها الملك الرحيم اشتد الضغط على خليفة السيد المرتضى على كرسي التدريس والتصنيف ، محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ - ١٠٦٧م، حتى احرقت كتبه ، فنفد صبره ، وهجر هو وبعض تلاميذه بغداد ميممين وجوههم شطر النجف عام ٤٤٨هـ - ١٠٥٦م . فكانت النجف مقرهم ودار هجرتهم . ولما تمصرت الحلة سنة ٤٩٥هـ ١١٠١م كان امراؤها المزيديون على جانب من الفضل والكمال وحب العلماء والأدباء فكثرت الملابسات بين سكانها وسكان الغري ، ولا سيما أن المسافة بين البلدين قصيرة ، فأدى ذلك إلى أن تصبح (الفيحاء) دار هجرة لطلاب العلوم والمعارف ، وتدرجت في الشهرة والرقي حتى بلغت نهضتها العلمية أوج عظمتها طوال القرن السابع للهجرة ، فقصدها عشاق الفضل والكمال ، وارتادها العلماء والبلغاء ، وذاع صيتها حتى روت بعض الكتب الخطية أن قد عاش فيها في قرن واحد زهاء خمسمئة عالم . ويكفي ان نقول ان الوافد اليها اليوم يرى القبور العديدة والمراقد الكثيرة إما لمحدث فاضل ، أو لمفسر كامل ، أو لفقيه عالم ، اضراب محمد بن ادريس والشيخ ورّام ومنتجب الدين وابن نما وأولاد آل سعيد وآل طاووس ، وتلامذة المحقق

---

(١) الحلة لغة القوم النزول . وقد سميت الحلة بذلك لان بني مزيد حلوا فيها فصارت حلتهم أي محلتهم ومجلسهم اما سبب كنيتها بالفيحاء فلسعتها وطيب تربتها.

الحلي وغيرهم ، وحسب الحلة فخراً ومباهاة أن يكون بين ابنائها البررة العلامة ابن المطهر الحلي والشاعر المفلق صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ - ١٣٤٩م الذي يقول في الحلة :

ما حلة ابن دبيس — إلا كحصن حصين
للقلب فيهـا قرار — وقرة للعيون
ان اصبح الماء غوراً — جاءت بماء معين
وحولها سور طين — كأنه طور سين(١)

ولكن سرعان ما ركدت هذه النهضة فيها ركودها في بقية الأنحاء العراقية وان كانت لا تزال تحتفظ ببقية صالحة من تلك الشعلة المتقدة والزمرة الصالحة .

مشهد الشمس

وعلى مسيرة كيلومترين من الحلة في الشمال الشرقي يشاهد المسافر الى (طويريج) مئذنة بديعة على هيأة المئذنة المنسوبة الى الست زبيدة بجانب الكرخ من بغداد، واخرى تهدم قسمها العلوي ولا يزال قسمها السفلي محكماً ، مع بناية من الطين مربعة الشكل يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها ٢٥ متراً ويقال لهذه المجموعة الاثرية (مشهد الشمس)وفي رواية يتناقلها اهالي تلك الانحاء عن تاريخ هذا المشهد ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كان قد وصل الى هذا الموضع في طريقه الى صفين ، وقد قاربت الشمس المغيب ،ولم يكن قد صلى بعد فدعا الله ان يعيد الشمس الى كبد السماء ليؤدي فريضته فعادت بإذن الله قراب رمحين،وبعد ان صلى الامام سارت نحو الغروب فبني هذا المشهد إكراماً لهذه الذكرى(٢). أما الكتابة التي وجدت هناك فتدل على ان نبوخذنصر الملك البابلي ، هو الذي أقام هذا المشهد اكراماً لآلهة الشمس فلما جاء المسلمون حافظوا عليه الى يومنا هذا . فأنت ترى الرواية الاسلامية تطابق الرواية البابلية بالاسم وتخالفها بالسبب ، وقد تكون منقبة الامام علي(ع) وقعت في هـــذا المحل الذي شيده القدماء لآلهة الشمس .

ناحية المحاويل

هذه ناحية زراعية جسيمة ، فيها مقاطعات شاسعة ، وقبائل كثيرة منوعة ، وهي ملحقة

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي ص١٧٥

(٢) جاء في ص٧٦ من كتاب «الاشارات الى معرفة الزيارات» لابي الحسن علي بن ابي بكر الهروي المتوفى بحلب سنة ٦١١هـ المطبوع في دمشق سنة ١٩٥٣م ما نصه :

مدينة الحلة بها مشهد الجمجمة يقال انها خاطبت عيسى بن مريم (ع) ويقال علي بن ابي طالب (رض) والصحيح ان عيسى بن مريم لم يدخل العراق ، وبها مشهد الشمس يقال ردت لحزقيل النبي (ع) ويقال ليوشع ابن نون (ع) وقيل لعلي بن ابي طالب والله اعلم وبها الجامعان ومشهد علي بن ابي طالب (رض).

بمركز اللواء مباشرة ، ومركزها قرية (المحاويل) القائمة على بعد ٢١ كيلومتراً من الحلة شمالا والتي تستقي مياهها من نهر يسمى باسمها ، ويخرج من صدر شط الحلة الذي يبعد عنها ثمانية كيلومترات ، وتقع قرية المحاويل على الطريق الرئيسية بين بغداد والحلة فتمر بها السيارات غادية رائحة ، وتقوم على طرفيها اشجار الزينة الباسقة والمقاهي الشعبية الكثيرة والعمارات الطينية المتنوعة ، اما المباني الحكومية فيها فهي السراي والمستوصف ومخفر الشرطة ودور سكن الموظفين وكلها بنايات متوسطة تتناسب مع اهمية الناحية وفيها مدرستان عامرتان انشئتا حديثاً فزادت الناحية اناقة و جمالا .

١ - قضاء الهندية

سميت «الهندية» بهذا الاسم لوقوع اراضيها على ضفتي « نهر الهندية » الذي انفق على حفره المهراجا الهندي المعروف « آصف الدولة » جد النواب اقبال الدولة في عام ١٢٠٨هـ -١٨٩٣م لايصال الماء الى مدينة النجف فنسب اليه، ومركز قضاء الهندية قصبة «طويريج» التي تبعد عن الحلة شرقاً ٢٤كيلومتراً . وهي روضة مدن الفرات الاوسط . متوسطة بعمرانها ، جميلة بمناظرها ، حسنة بموقعها ، تمتد على ضفة النهر اليمنى ، ويربطها بالضفة اليسرى ، التي بدأت العمارة فيها مؤخراً ، جسر حديدي متين بني عام ١٩٥٥ وتحيط بهـــا الحقول والبساتين التي تسقيها الجداول والنهيرات الكثيرة ، وتنير شوارعها وبيوتها الاضواء الكهربائية منذ عشر سنوات ، وفيها من النفوس (٦٨٠٠) نسمة ، اما نفوس القضـــاء ف (٨٢٤٦٦) نسمة بحسب احصاء عام ١٩٤٧م .

اسواقها مستقيمة طويلة ، وشوارعها عريضة مزفتة ، ورصيفها الممتد على ضفة النهر اليمنى من اجمل ما تقع عليه العين فيها ، وقد غرست الاشجار المختلفة على جانبي هذاالرصيف، كما غرست علي جوانب بقية شوارعها ، ويرى في وسط القصبة ميدان فسيح تزينه حديقة غناء وتشغل جانباً منه بناية « مشروع اسالة الماء » وامام هذه الحديقة صرح الحكومة الواسع ودار القائم مقام المشيدة على الطراز الحديث ، وعلى مسافة قصيرة منها بناية المدرسة الابتدائية وسائر المدارس الرسمية تحف بها حدائق واسعة ودور للاهلين كثيرة .

وقد اشتهرت القصبة بزرع التنباك بكميات كبيرة نظير ما تشتهر به المدن الكردية في الشمال وينقل هذا النوع من التبغ الى كربلا حيث يجفف ويحشى بالاكياس ليرسل الى مراكز الاستهلاك كما تشتهر بكثرة الفواكه والحاصلات .

وتجثم على امتداد ضفتي النهر ، واطراف القصبة ، معامل ابتدائية لتصفية الشلب ليكون رزاً تدعى بـ (المجارش) وهي زهاء ثلاثين مجرشة ويشتغل فيها زهاء الف وخمسمائه عامل

فترد كميات الشلب الطائلة من اطراف « المشخاب » و « الشامية » والقضاء نفسه فتجرش فيها وتصدر الى مختلف الانحاء ، وهذا ما يجعلها مخزناً من مخازن التموين الكبيرة ، وتساعدها على ذلك سهولة المواصلات النهرية والبرية .

قيل سميت (طويريج) بهذا الاسم محرفة عن لفظة طويريق ــ بالتصغير ــ اي طاروق او مستطرق على لغة من يلفظ القاف جيما ــ وهي حديثة كما يظهر فإن الطاعنين في السن يؤكدون ان العمارة فيها بدأت عام ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م بدأ بها رجل من زحّاف ، وزحاف جماعة كبيرة تعيش في ظل الاسرة القزوينية الشهيرة ، ولكثرتها قال احد الظرفاء يخاطب احد السادة القزاونة .

ادجاج زحاف عليك تزاحفت   بيض العمائم في الليالي السود

نواحي القضاء

١ ــ «ناحية الكفل» : الكفل ناحية جميلة المنظر ، نقية الهواء ، زاهية الاديم، تبعد عن الحلة ٣٠ كيلومتراً في جنوبها الشرقي (١) ويقطنها زهاء ٣٠٠٠ نسمة جلهم من القبائل ، ويقسم عمود الفرات في جنوبها الى قسمين كبيرين هما : فرع الشامية (ويقال له ابوكفوف) وفرع الكوفة . فيها اسواق مستقيمة طويلة مسقوفة بالآجر المعقود ولكنها مقفرة الا من بعض الباعة ، ويتردد اليها بعض اليهود من مختلف الانحاء لزيارة النبي حزقيال المعروف بذي الكفل لأنه كفل الشعب الاسرائيلي بالنجاة من البابليين ، والمدفون في مسجد قديم في هذه القصبة، تقوم على طرف منه مئذنة جميلة الصنع هي موضع اقصوصة طريفة: فقدادعى الحاج ذرب رئيس بلدية الكفل في عهد السلطان عبد الحميد ، ان مسجد الكفل من المنشآت الاسلامية الدينية بدليل وجود مئذنة فيه يؤذن عليها للصلاة ، فأنكر اليهود وجود هــذه المئذنة وقالوا ان المسجد المذكور من منشآتهم الدينية ، فندبت حكومة بغداد احد موظفيها ليحل عقدة الخلاف فجاء الى الكفل وجلس في ظل المئذنة فكتب تقريراً خلاصته « ان لا مئذنة في مسجد الكفل » وكان اليهود رشوه بالمال الجزيل ، فلما رفع الامر الى حكومة الآستانة ندبت لجنة للتحقيق ، ولكنها بمجرد وصولها الى بغداد توصل اليها اليهود بالمال ايضاً ، فأيدت التقرير الاول دون ان تصل الى قصبة الكفل ، اما المئذنة فلا تزال قائمةحتى اليوم وقد رممتها مديرية الآثار القديمة مؤخراً وأعادت اليها رونقها على اساس انهــا احد الآثار التي تركها الجايتو خان المغولي في العراق .

---

(١) ذكرها ياقوت الحموي في ٢ ــ ١٥٣ من معجمه باسم « برملاحة » وقال في وصفها :

« موضع في ارض بابل قرب حلة دبيس بن مزيد .. وفيها ايضا قبر حزقيل المعروف بذي الكفل يقصده اليهود من البلاد الشاسعة للزيارة » ،

٢ ـ « ناحية ابوغرق » : هذه الناحية مهمة جداً من الوجهتين الادارية والمالية . اما كونها مهمة من الوجهة الادارية فلأنها موطن قبائل كثيرة (كآل فتلة واليسار وطفيل والمراشدة) وأما كونها مهمة من الوجهة المالية فلأن فيها مقاطعات زراعية جسيمة تنبت فيها الحبوب المختلفة ومركزها بناية ساذجة تقع في مقاطعة القص في موضع يتوسط طريق الحلة ـ طويريج ويجاور هذه البناية دار المدير ومخفر الشرطة وصرائف الفلاحين .

٣ـ «ناحية الجدول الغربي» : مركز هذه الناحية قرية الرجيبة الواقعة في محل يبعداربعة كيلومترات عن مركز القضاء غربا ، وهي قرية كبيرة الا ان بيوتها متباعدة ، وهي الى العرائش والاكواخ اقرب منها الى البيوت الحجرية ، والمنازل الصحية ، وتأخذالقريةمياهها من جدول صغير يقال له « ام طراريد » وهو يتشعب من جدول « بني حسن » وينتهي الى «اراضي ام نعجة» قرب الكوفة . واهم قبائل الناحية بنوحسن وكريط والدعوم وجليحة .

٢ـ قضاء المسيب

يمتاز قضاء المسيب عن بقية الاقضية في لواء الحلة بقدمه، وبخطورته التاريخية،وبموقعه الجغرافي . فان اهل الكوفة بعد ما نقضوا بيعة الامام الحسين بن علي (ع) وحاربوه في ارض الطف، اجتمع قسم ممن تخلف عن نصرته ، بسبب مضايقة السلطة له ، في دار سليمان بن صرد الخزاعي وقرروا القيام بالثأر له ، واتفق الرأي على رئاسة سليمان ، فان قتل فمن بعده المسيب ابن نجبة الفزاري (١) متخذين القرية التي سميت بعد ذلك باسم المسيب المذكور (٢) مقراً للحركات الحربية ، لأن المؤن والارزاق التي كانت ترد على العراق من سورية ، ومن سائر الاطراف ، كانت ترسل بطريق النهر مارة بالمسيب . وقد سمي هؤلاء بالتوابين ، لأنهم تابوا وندموا على ما فعلوه بابن بنت رسول الله ﷺ فرأوا ان يغسلوا العار الـذي لحق بهم فحاربوا ابن زياد محاربة انتهت بقتلهم عن بكرة ابيهم .

هذا مجمل تاريخ هذه المدينة بعد الاسلام . اما الآثار المشاهدة ، والتلول المرتفعة التي تحيط بها ، فإنها تدل على وجود عمران قديم سبق بناء هذه القصبة ، ولا شك في ان موقعها

---

(١) ابن الاثير ٦٨/٤ والطبري ٧٤/٤

(٢) كتب الينا الدكتور مصطفى جواد يقول : ان المسيب بلدة حديثة ، واما المسيب بن نجبة الفزاري فقد قتل في صدر الاسلام ، فلو كانت المسيب من ذلك الزمان لاخذتها معاجم البلدان ... ونحن نرجح انها سميت باسم المسيب اخي دبيس بن صدقة المزيدي صاحب الحلة اهـ

قلنا : لو كان قدم البلدة يستلزم ذكرها في معاجم البلدان لذكرت هذه المعاجم «المسيب» كما ذكرت «الحلة» اذا كان المسيب اخا دبيس بنى له حقامدينة باسمه كما بنى دبيس حلته المشهورة. على ان من المحتمـل ان يكون بناء المدينة حادثا ولكن الارض كانت تسمى باسم صاحبها سواء كان المسيب بن نجبة الفزاري او المسيب اخا دبيس

الجغرافي وكونها اول مدينة تصل اليها السفن في الفرات الاوسط يقضي بأن تكون مركزاً تجارياً في جميع ادوارها ومختلف عهودها .

اما المسيب اليوم فقصبة راكبة عبري الفرات في موضع يبعد عن الحلة شمالا ٤٢ كيلومتراً يطل بعض بيوتها على النهر ، وتكتنفها الحدائق والبساتين ، أنّى انساب الماء وتدفق شريان الحياة وتجري فيها السيارات رائحة غادية ، كما يمر بها الخط الحديدي الممتد بين بغداد والبصرة . وقد انشيء فيها جسر حديدي ثابت لاغراض عسكرية عام ١٩٣٦م ، فزاد في اهميتها ، ولهذا الجسر فتحة لولبية تستعمل لعبور السفن .

وليس في الفرات الاوسط قصبة تماثل « المسيب » في بكورها واماسيها لجمال موقعها وحسن منظرها ، وصفاء اديمها ، ورقة هوائها ، ورحيق مائها ، ووجود الكهرباء فيها فكأن الطبيعة الفاتنة جعلتها روضة رقّت حواشيها ، وانقت نواحيها ، الا ان الــذي يوجب الاسف هو ان «المسيب» تقع على منعطف يتجه اليه الفرات اتجاهاً قوياً « فيخرب سدة ام الصخول » التي تحيط بجانبها الغربي ، ويؤدي ذلك الى تهدم البيوت القائمة على ضفة النهر اليسرى، والى حدوث بعض المستنقعات في اطرافها كلما فاض النهر ؛ والحكومة مهتمة الآن لمكافحة كل ذلك .

وفي (المسيب) اسواق حفيلة ، وبنايات عصرية مختلفة ، ومرافق حكومية كثيرة ، منها السراي والمستشفى ومدارس البنات والبنين الخ . وهي تشتهر بجودة السمن وكثرة السمك وفيها من النفوس ٥٥٠٠ نسمة ، اما نفوس القضاء كله ف (٤٥٥٦٦) نسمة بحسب آخر احصاء رسمي جرى في ١٩ تشرين الاول عام ١٩٤٧م .

نواحي القضاء

ناحية الاسكندرية :— روى ياقوت الحموي عن اهل السير أن الاسكندر المقدوني « بنى ثلاث عشرة مدينة وسماها كلها باسمه ثم تغيرت اساميها بعده . . . ومنها الاسكندرية التي بارض بابل » (١) . والاسكندرية اليوم قرية كبيرة فيها سراي للحكومة ، ومخفر للشرطة ومدرسة للبنين ، ومستوصف صحي ، وفيها عدة بيوت مبني معظمها بالطين وبالآجر المستخرج من الآثار القديمة(٢) ويمر بها جدول صغير يسمى باسمها كما تمر بها كافة السيارات

---

(١) معجم البلدان ص٢٣٥—٢٣٦ من المجلد الاول من طبعة مصر .

(٢) «المعروفان البلدة الحديثة—الاسكندرية— قامت حول خان بناه في المائة الثامنة عشرة للميلاد امير فارسي يدعى محمد حسين خان ينزل فيه الزوار الايرانيون في طريق زيارتهم كربلاء والنجف »

الاستاذ كوركيس عواد في (سومر) ٨/٢٥٠

التي تقصد كربلاء والنجف وهي تبعد عن المسيب ١٥ كيلومتراً وفيها من النفوس ٥٠٠ نسمة وتتبعها قبائل الجنابيين والترابيين والمسعود .

٢ـ ناحية جرف الصخر : هذه الناحية مجموعة مقاطعات زراعية مهمة ، تراجع المدير المقيم في قرية الرويعية القائمة على ضفة الفرات اليمنى في موضع يبعد عن المسيب ١٤ كيلومتراً وهي قرية جميلة حديثة فيها مخفر للشرطة ، ومستوصف للاهلين ومدرسة للبنين وبضعة دور للموظفين ، وعلى مقربة منها بنايات للجيش العراقي ومصانع لبعض اسلحته الخفيفة .

٣ ـ ناحية السدة : المراد بالسدة هنا «سدة الهندية» التي تكلمنا عنها باسهاب في بحثنا عن «ري العراق» . وقرية السدة مركز هذه الناحية ، وهي قرية كبيرة اكثر بيوتها من الطين واللبن ، وجل سكانها من القبائل والموظفين ، ولدائرة الري فيها مبان جليلة ودور فاخرة خصصت للموظفين الموكول اليهم امر المشارفة على صيانة السدة وتوزيع المياه منها ، وهي تبعد عن المسيب غرباً ٨ كيلومترات عذبة الهواء ، جميلة المنظر ، كثيرة السمك ، رخيصة المعيشة وكثيراً ما اتخذت مصيفاً ومتنزهاً لطلاقة هوائها وصفاء اديمها . اما نفوسها فزهاء الف نسمة .

٣ - قضاء الهاشمية

بعد ان ادال العباسيون الدولة الاموية اليهم في العراق سنة ١٣٢ للهجرة و ٧٥٠ للميلاد كان اول رجل ولي الخلافة منهم عبد الله السفاح (١) فلما كثر انصاره في العراق وخراسان نزل الكوفة ومعه اخوه ابو جعفر المنصور ، وبنى عاصمة لملكه على مقربة من مدينة الانبار في الموضع المعروف بقصر ابن هبيرة سماها « الهاشميه » اشارة الى ما يجمع بين الهاشميين والعباسيين (٢) فلم تزل عاصمة ملكه في ازدهار وتقدم الى ان خلفه اخوه المنصور ، فأقام فيها بضع سنين ، ثم ثارت جماعة الراوندية فكره سكناها فابتنى مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م ، وانتقل اليها فبقيت «الهاشمية» اسماً لمسمى . ثم بعد مرور الف ومئتي سنة اختطت الحكومة العراقية في عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م قرية عصرية على مقربة من طلول عاصمة السفاح العباسي سمتها «الهاشمية» تيمناً باسم تلك المدينة التاريخية ، وجعلتها مركز قضاء تابع للواء الحلة ، وهي تقوم اليوم على ضفة الفرات اليسرى « فرع الحلة » في موضع يبعد عن جنوبيها ٣٠ كيلومتراً .

فيها شارع عريض مستقيم ، وبضع دور للموظفين ، وسراي وضيع ، ومدرسة لابأس

---

(١) سمي السفاح سفاحا لكثرة ما سفح من دماء بني امية

(٢) وفيات الاعيان ابن خلكان ج٢ ص١٠٩ في ترجمة معن بن زائدة .

بها وحوانيت صغيرة يتدارك منها الموظفون بعض حاجاتهم ، إذ ليس فيها من الأهلين الا بضعة أنفار ، فنفوس القصبة ٨٠٠ بين موظفين وأهلين وتلاميذ ، ويمر بها القطار الممتدبين بغداد والبصرة فيعبر جسراً متيناً عالياً تحف بجانبيه بساتين كثيرة ورياض زاهرة ، وتدل السجلات الاميرية لسنة ١٩٤٧م أن نفوس القضاء المسجلة حتى نهاية هذه السنة بلغت (٥٣١٦٢) نسمة .

نواحي القضاء

لقضاء « الهاشمية » ناحيتان وهما : ناحية القاسم ، وناحية المدحتية .

ناحية القاسم : — مركزها قرية « القاسم » التي تبعد عن الهاشمية غرباً ٩ كيلومترات وقد سميت باسم « القاسم بن موسى بن جعفر(ع) » إذ فيها قبره ، وهو أخو الرضا (ع) فتقصد زيارته من جهات مختلفة(١) وليس فيها من العمران إلا المباني الطينية القليلة وإلا دار المدير والكاتب ودور بعض الموظفين ، غير أنه تقام فيها سوق عامة في كل يوم جمعة تعرض فيها الأصواف والالبان والاغنام وسائر الحيوانات ومقادير صغيرة من الحبوب .

ناحية المدحتية : — مركزها قرية (الحمزة) التي تبعد عن الهاشمية جنوباً بشرق ٤ كيلومترات ويقال لها (المدحتية) أيضاً ، وإنما سميت باسم الحمزة لوجود قبر الحمزة بن عبد الله ابن الحارث بن العباس بن علي بن ابي طالب(ع) فيها فتقصد زيارته من جهات مختلفة ايضاً وهي قرية كبيرة فيها حوانيت كثيرة وبيوت عديدة ومرافق مختلفة — لا تجد مثلها لا في (الهاشمية) ولا في (القاسم) — وفيها من النفوس أكثر من الفي نسمة جلهم من قبيلة البو سلطان وقد اطلعنا على فرامين عثمانية تؤيد وجود هذه القرية في ربيع الأول ١٠٢٩هـ واول صفر سنة ١٠٧٢هـ وتقول هذه الفرامين أن سدانة المزار (أي قبر الحمزة) لآل نجم الهلال وهي العائلة التي تتولى السدانة المذكورة حتى اليوم . ويأخذ أهل المدحتية مياههم من نهير يدعى (روبيانة) في مدخل القرية .

— (قرى اللواء) —

تحيط بالحلة ، وبأقضية لواء الحلة ، قرى عديدة تتراوح بيوت كل منها من مئة الى مئتي دار ، وهذه الدور مبني بعضها بالطين واللبن ، والبعض الآخر بالحجارة والطاباق ، وكان بعض هذه القرى بلاداً تاريخية مشهورة بوقائعها وشهرة علمائها وسعة تجارتها وكثرة زراعتها

(١) كانت هذه القرية تسمى «شوشه» وقد ذكرها ابو الحسن علي بن ابي بكر الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ وقال عنها :

« وتحت الحلة قرية يقال لها شوشه بها قبر ابي القاسم بن موسى بن جعفر رض»

—كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ص٧٦—

ولكن سرعان ما أناخ الدهر عليها بكلكله فجعلها اسماً لمسمى ، ومن الأحرى أن نـــذكر أسماءها هنا للتاريخ فحسب :

ألبو مصطفى ، خنفاره ، بتة وهي(١) ، بتة رؤوف الأمين ، قلعة النائب ، المحاويل ، الصبّاغية ، المفتية ، الإمام ، السورة ، برنون،كويرش ، جمجمة ، جرف الوردية،كريطعة عتايج ، دولاب ، فهره ، كويخات ، السادة ، برمانه ، الحصين،الرواشد ،عنّانه،سنجار، النخيلة ، جرف الكراد ، الطهمازية .

ياسيّة ، مزيدية ، إمام الحمزة(٢) ألبو سعبر ، شرفه ، علاج ، خيكان الكبير ، خيكان الصغير ، الغلّيس ، معيميرية ، سعيدية ، رشيدية ، حويش السيد ،دبلة «وقدسميت ابراهيمية في سنة ١٩٣٦م » بصيرة ، حِدّة ، جناجه ، جديدة العفيفات ، جديدة الحاج عبيد،إمام القاسم(٣) ، شرفة(٤) ، رزفية .

جناجه(٥) ، الرجيبة(٦)،

الإسكندرية(٧) ، الرويعية(٨) .

---

(١) بته مأخوذة ومحرفة من بت وهي كلمة فارسية معناها الصنم كما انها اسم معبود من معابد الفرس لا تزال اطلاله شاخصة في هذه القرية .

(٢) مركز ناحية المدحتية .

(٣) مركز ناحية القاسم .

(٤) غيرالشرفة التي على الجهة اليسرى .

(٥) غير جنانه التي في قضاء الهاشمية .

(٦) مركز ناحية الجدول الغربي .

(٧) مركز ناحية الاسكندرية بقضاء المسيب .

(٨) مركز ناحية جرف الصخر بقضاء المسيب ايضاء .

لواء الديوانية

نظرة عامة

يقع لواء الديوانية في القسم الجنوبي من العراق ، ويحده اللواءان « الحلة وكربلا » شمالا واللواءان « الكوت والمنتفق » شرقاً ، وأراضي المملكة العربية السعودية « نجد » جنوباً وغرباً ؛ وأراضيه سهلة منبسطة ، ويعتبر القسم الواقع منها على ضفةشط الهندية ونهر الفرات اليمنى أرضاً صحراوية لا نبت فيها ولا ماء ، ويقطع نهر الفرات (بفرعيه) اللواء من الشمال إلى الجنوب فيسقي مزارعه وبساتينه الكثيرة ، إذ تكثر فيه مزارع الـرز والحبوب وحقول النخل والأشجار المنوعة .

مساحة اللواء وعدد نفوسه

تبلغ مساحة لواء الديوانية (٨٢٫٩٢٠) كيلومتراً مربعاً .

ويبلغ عدد السكان فيه (٥١٧١٤٧) نسمة بحسب إحصاء سنة ١٩٥٧م العام.

قبائل اللواء

لما كان جل نفوس هذا اللواء من القبائل ، وكانت هذه القبائل كثيرة الفروع والأفخاذ فإننا ندوّن أسماءها بصورة عامة اولا ، ثم نذكرها موزعة حسب الاقضية التي تقطنها .

قبائل اللواء الرئيسية هي :

١ - بنوا إحجيم ٢ - آل شبل ٣ - الغزالات ٤ - آل فتلة ٥ - بنو حسن
٦ - الاكرع ٧ - آل بدير ٨ - السعيد ٩ - بنوا أزيرج ١٠ - الخزاعل
١١ - آل زيّاد ١٢ - كعب .

(قبائل قضاء السماوة) - في قضاء السماوة ثلاث قبائل رئيسية وهي : ١ - بنوا إحجيم و ٢ - بنوا ازيرج و ٣ - بنوا عارض . وتتألف قبيلة بني إحجيم من الفروع الاربعة عشر التالية :

١ - ألبوحسان ٢ - الاعاجيب ٣ - ألبوجيّاش ٤ - الظوالم ٥ - آل زياد ٦ - البركات ٧ - الصفران ٨ - الجوابر ٩ - آل توبة ١٠ - آل محسن ١١ - آل فرطوس ١٢ - آل عيسى ١٣ - المشاعلة ١٤ - آل غليظ ١٥ - آل عبّس .

أما قبيلة بني ازيرج فتتألف من أحد عشر فخذاً وهي :

١ - آل شويكة ٢ - آل دخان ٣ - آل مصال ٤ - المراشدة ٥ - الزرفات

٦ ـ ألبو صالح ٧ ـ شبانات ٨ ـ العواتي ٩ ـ آل توم ١٠ ـ آل هويشه ١١ ـ العماريين .
وأما بنو عارض فيقال إنهم من چبشه وهم رعاة للخـزاعل . ويطلق لقب « چبشه » الآن على بني عارض والعياش وبني سلامه .

(قبائل قضاء عفك) : وفي قضاء عفك ثلاث قبائل رئيسية ايضاً وهي : ١ ـ عفـك و ٢ ـ الاكرع و ٣ ـ آل بدير .

فأفخاذ عفك عشرة وهي : ١ ـ آل حمزة ٢ ـ المخاضرة ٣ ـ البحاحثة ٤ ـ آل شيبـة ٥ ـ البراجع ٦ ـ جليحه ٧ ـ آل غانم ٨ ـ البركات ٩ ـ ألبوناشي ١٠ ـ حجام .

وأفخاذ الاكرع اثنا عشر وهي : ١ ـ آل شبانه ٢ ـ الهلالات ٣ ـ آل عمر ٤ ـ آل الحمد ٥ ـ آل مجاوير ٦ ـ المرمّض ٧ ـ ألبونايل ٨ ـ زبيـد ٩ ـ الطواريف ١٠ ـ الكروش ١١ ـ الشواحن ١٢ ـ الرواشده .

أما افخاذ آل بدير فقسمان : ١ ـ ألبو حسين ٢ ـ الفراحنة .

(قبائل قضاء الشامية) ـ في قضاء الشامية عشر قبائل رئيسية وهي :

١ ـ الخزاعل (خزاعة المعروفة في التاريخ) ٢ ـ آل فتلة ٣ ـ آل شبـل ٤ ـ آل زياد ٥ ـ بنو حسن ٦ ـ كعب ٧ ـ آل بدير ٨ ـ الحميدات ٩ ـ العوابد ١٠ ـ آل علي (وهذه الثلاث الاخيرة من بني حسن) . وفي الشامية ايضاً قبيلة لها شأنها تسمى (الكرد) .

(قبائل قضاء ابو صخير) : في قضاء أبي صخير خمس قبائل رئيسية وهي :

١ ـ آل فتلة ٢ ـ الغزالات ٣ ـ آل شبل ٤ ـ آل ابراهيم ٥ ـ قسم من العبودة .
وتقطن في ناحية الدغارة التابعة الى مركز لواء الديوانية قبيلة السعيد ، وهي من زبيد .

﴿ تنظيمات اللواء الادارية ﴾

يتقوم لواء الديوانية من خمسة اقضية وهي :

١ ـ قضاء الديوانية وتتبعه ثلاث نواح وهي : ١ ـ ناحية الحمزة ٢ ـ ناحية مليحة ٣ ـ ناحية الشافعية
٢ ـ قضاء السماوة وتتبعه ثلاث نواح وهي : ١ ـ ناحية الخناق ٢ ـ ناحية الخِضِر ٣ ـ ناحية الرميثة .
٣ ـ قضاء عفك وتتبعه ناحيتان هما : ١ ـ ناحية الدغارة ٢ ـ ناحية آل بدير .
٤ ـ قضاء الشامية وتتبعه أربع نواح هي : ١ ـ ناحية الشنافية ٢ ـ ناحية الغماس ٣ ـ ناحية العباسية ٤ ـ ناحية الصلاحية .
٥ ـ قضاء ابو صخير وتتبعه ثلاث نواح وهي : ١ ـ ناحية الحيرة ٢ ـ ناحية الفيصلية ٣ ـ ناحية القادسية .

الديوانية

كان نفوذ القبائل العراقية في القرنين الثاني عشر للهجرة والثامن عشر للميلاديسودمعظم أنحاء العراق فلا سلطان للحكومة إلا في مراكز الولايات وفي الحواضر الكبرى. اماالدساكر والضياع فكانت تتنازع حكمها القبائل الرئيسية واهمهاالمنتفق والخزاعل وبنولام، وكانت هذه القبائل تقطع الاراضي الزراعية ، وتقيم الحدود الشرعية، وتجبي الضرائب والرسوم القانونية، وتزاول معظم الاعمال التي تزاولها الادارات المحلية القائمة الآن في البلاد وكأنهـا مؤسسات رسمية قائمة بنفسها .

و(الديوانية) في الاصل دار ضيافة انشأها رؤساء الخزاعل ايام حمد آل حمود الذي ابتدأت رئاسته حوالي سنة ١٦٠٠هـ (١٧٤٧م) ليقيم فيها كاتبهم الذي يعهدون اليه امور الجباية ولينزلها ضيوفهم المدنيون الذين كانوا يترددون عليهم ولا يزال العراقيون يطلقون اسم (الديوانية) على الغرفة التي تخصص لاستقبال الزائرين والضيوف . ثم صار الناس ينشؤون حولها الصرائف فالاكواخ فالبيوت فلم تزل العمارة في تقدم وتوسع وازدهار فلما اخذ النفوذ القبلي يتضاءل عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز قضاء في سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) فأصبحت مصراً يقطنه التجار والباعة والصناع والحاكة وغير ذلك من المستبضع المعهود عند طبقات كل مدينـة اليوم وأصبحت نفوسها زهاء عشرين الف نسمة .

هذا هو موجز تاريخ تمصير « الديوانية » الحالية . وقد ورد اسم الديوانية ايضاً في عدد من كتب السواح الاجانب اقدمها عهداً ما جاء في ص٣١٥ من المجـلد الثاني من كتـاب Niebuhr المطبوع سنة ١٧٧٨م في كوبنهاغن وهذا نصه :

« واخيراً جاء سليمان الكهيا الى السماوة بقطعاته المسماة ايج آغاسي وقد امره الباشاالقائم في بغداد آنذاك أن يعود الا انه استمر في تقدمه حتى بلغ الديوانية وكان فيها قائد اسمه علي آغا »(١) وقد تكون هذه الديوانية في موضع آخر .

كانت « الديوانية » الى ثلاثين سنة خلت قرية صغيرة قائمة على الضفة اليسرى من نهر الفرات «فرع الحلة» في موضع يبعد عن بغداد جنوباً ١٩٣ كيلومتراً. اما بعد التاريخ المذكور فقد شرع الاهاون والسلطات الحكومية في البناء على الضفة اليمنى فقامت ثكنات للجيش وعدة بنايات للضباط، وجملة دور للموظفين والمتمولين ، وثكنة للجيش يجاورها مطار واسع . واتسع العمران على هذه الضفة بعد عام ١٩٥٠م حتى فاق الذي على الضفة اليسرى بشوارعه ومرافقه وحدائقه وفنادقه وأسواقه ومقاهيه ونواديه . على ان هذا العمران اتسع على الضفة الاصلية

---

(1) Niebuhr, Qrundriss der Stadt Bagdad vol II P. 315

اتساعاً قلب الاوضاع العامة فيها رأساً على عقب فهنالك الشوارع الفسيحة المبلطة،وهنالك الدور الحديثة القور والمخازن العصرية المنوعة والمؤسسات الحكومية الفخمة كصرح الحكومة والمستشفى الملكي ومستشفى الامراض الصدرية ودوائر الري والاشغال والبلدية والإدارة المحلية ودور السينما ومعامل صنع الصودا والثلج ونحوها .وفي الديوانية مدرستان ثانويتان عصريتان احداهما للبنات والاخرى للبنين وعدد ليس بقليل من المدارس المتوسطة الابتدائية المنشأة حديثاً للجنسين الخشن واللطيف ، وفيها جسران يربطان صفتي النهر فيسهلان العبور على الساكنين في الجانبين أحدهما حديدي مقابل السراي والآخر خشبي مقابل السوق .وتشرب المدينة من مشروع إسالة عصري ، وتنار بالكهرباء ، ويمر بها القطار الممتد بين بغداد والبصرة فيزيد في أهميتها وخطورتها .

ومدينة « الديوانية » لا تزال تفتقر الى بساتين كثيرة وكثيفة تحيط بها لتمنع الاتربة من النفوذ اليها إذا ما هبت ريح صرصر ، لأن حدائقها الحالية لا تفي بهذا الغرض .

١ - قضاء الديوانية

هذا قضاء (داخلي) يقيم قائم مقامه في قصبة الديوانية نفسها ، فينظر في قضايا القبائل والمزارعين التابعين للقضاء المذكور ويبت في منازعاتهم ، وترتبط به ثلاث نواح وهي :

١ - ناحية الحمزة و ٢ - ناحية مليحة (بالتصغير) و ٣ - ناحية الشافعية .

ناحية الحمزة : الحمزة قرية متوسطة الحجم ، قبلية العمارة ، تبعد عن الديوانية ٣٢ كيلو متراً وترتبط بها قبائل كبيرة ، قوية الشكيمة ، صعبة الإرادة ، وفيها مزار يقصد من جهات مختلفة يقال له قبر السيد احمد الغريفي البحراني الملقب بالحمزة .

ناحية مليحة : تقوم هذه الناحية على الجدول المسمى (رشادي) عند نقطة التقاطع للطريق العام بين الحلة والديوانية ، وهي ناحية قبلية مهمة ، مقاطعاتها جسيمة ، واراضيها خصبة ، ومياهها غزيرة ، ويبعد مركز الناحية عن الديوانية ٢٣ كيلومتراً .

ناحية الشافعية : هذه الناحية الداخلية ، يقيم مديرها في مركز القضاء ، ويدير شؤون القبائل والمزارع الملحقة بناحيته ، فيقضي في المنازعات ، ويحل المشكلات ويؤمن جباية الواردات .

٢ - قضاء السماوة

(السماوة) مدينة زراعية ضخمة ، تكتنفها الاشجار والبساتين المثمرة ، وتتخلل بعض مبانيها وميادينها الحدائق والرياض النضرة ، وتقرب منها مقالع للملح كثيرة . وهي في ارض خصبة منبسطة . قال ياقوت الحموي في ٥/١٢٠ من (معجم البلدان) نقلا عن ابي المنذر

(إنما سميت السماوة لأنها ارض مستوية لا حجر بها) إهـ .

امتدت اليها يد الإصلاح والتعمير في السنوات الاخيرة فشملت كل ناحية من نواحيها كما ادخل عليها الكثير من وسائل التقدم الحديثة كتنظيم الشوارع،ورصف الطرق والاستضاءة بالكهرباء وتحسين المرافق الصحية ، وكإنشاء المساكن العصرية، والعمارات الواسعة، والمدارس المنوعة ، وهي تقع عند ملتقى فرعي (شط الهندية) وهما شط الكوفة وشط ابو كفوف على خط طويل يساعد على رسو السفن فيه ، ويسهل أعمال الري في الاراضي القائمة على عدوتيه وتتجمع بالقرب منها أوشال الجداول والنهيرات المتفرعة من الفرات ، ولهذا يشعر الناس ولا سيما المسافرون بملوحة في مياهها .

وتعتبر السماوة نقطة اتصال مهمة في العراق لوقوعها في منتصف طريق بغداد ـ البصرة فهي تبعد عن الاولى جنوباً ٢٨٢ كيلومتراً وعن الثانية شمالا ٣٣٣ كيلومتراً ويمر بها القطار الممتد بين هاتين الحاضرتين فيزيد في أهميتها ، لأن عليها سابلة معظم القبائل النجدية وعامة العشائر المحيطة بها ، فهي من هذه الناحية مركز مهم من مراكز التجارة المعروفة في الفرات الأوسط ، وللقطار فيها محطة كبرى يجاورها ناد وملعب ودور للعمال .

ويخترق بلدة (السماوة) عمود الفرات فيشطرها إلى شطرين: كبير،وهو الكائن على الضفة اليمنى ، وصغير وهو ما كان على الضفة اليسرى ، فهو مثل بغداد في اختراق دجلة إياها وفي وسط الجانب الكبير سوق طويلة تتفرع منها أسواق صغيرة واخرى متداخلة فيهـــا انواع المرافق والحاجات ، وفي نهايته منازل معدة لنزول المسافرين تجاورها مجارش لتصفية الشلب ومستشفى لحماية الأطفال . اما الجانب الصغير ففيه بيوت بعض المتمولين وجل الموظفين ، وقد شيد فيه مؤخراً سراي للحكومة وناد للموظفين ومستشفى للاهلين وحدائق عامة للنزهة ودار للسينما وعلى ضفتي النهر في الجانبين المذكورين عدد كبير من المنشآت العصرية والدور الحديثة يطل على رصيفين معبدين ومغروسين بالاشجار ، وكان يربط هذين الجانبين جسر خشبي هزيل يضطر السلطة الى الانفاق على ترميمه في كل عام فأبدل مؤخراً بآخر حديدي معلق طوله بين الكتفين (١٥٦) متراً وعرضه ثمانية امتار مع ممشيين عرض كل منهما متران وله ثلاث فتحات وقد كلف انشائه نحو نصف مليون دينار وعلى مسافة قصيرة من شماليه جسر متين خصص لعبور القطار عليه يسمى (جسر البربوتي) .

وكانت (السماوة) مسورة بسور من لبن يقيها عادية الغزاة النجديين(١) فهدمته السلطة في عام ١٩٣٧م وحولته إلى حلقة من الشوارع المعبدة ، والمباني الجميلة ، والحدائق النضرة

(١) شهد العراق غارات نجدية كثيرة ، ولا سيما في القرن الثالث عشر للهجرة والتاسع عشر للميلاد، فكان لا بد من تسوير المدن والقصبات المعرضة لمثل هذه الغارات .

وقد انشأت ثكنة فخمة للشرطة تتجمع فيها قواها كلما اضطرب حبل الامن في هاتيك الاطراف.

وتمتاز (السماوة) بصنع نوع من الكساء الوطني الفاخر يسمونه الازُر (مفردها إزار) يتخذون مواده النسيجية من صوف الغنم الذي يكثر في مراعيهم فيتولونه بعنايتهم ويلونونه بألوان زاهية فاتنة ، وهي من الصناعات اليدوية المعروفة بمتانتها وجمالها ، والتي لها شهرة ورواج في سائر انحاء العراق . اما نفوس القصبة فـ (٢٠٧٣٢) نسمة حسب آخر إحصاء جرى فيها وأما نفوس القضاء فـ (٨٣٤٥٩) نسمة بحسب الإحصاء العام الذي جرى في عام ١٩٤٧م .

لقضاء السماوة ثلاث نواح وهي : ١ - الخناق (كشداد) ٢ - الخضر (كإبل) ٣ - الرميثة .

« ناحية الخناق » هذه ناحية مركزية ، يقيم مديرها في مركز القضاء ويراجعه فيه رجال القبائل المرتبطة بناحيته فيفصل في منازعاتهم ، ويقضي في دعاواهم ، ويجبي الضرائب الاميرية منهم .

« ناحية الخضر » الخضر قرية قبليّة صغيرة مبنية بالطين واللبن على ضفة الفرات اليسرى في موضع يبعد (٣٢) كيلومتراً عن السماوة جنوباً ، أما صرح الحكومة فإنه على الضفة اليمنى ، وهو عسكري فخم تشغله الإدارة والشرطة معاً ، وبين الجانبين عبارة (جسر سيار) لعبور الاهلين وفي الناحية مستوصف صغير ، ودائرة للبرق والبريد ، ومدرسة للبنين ومحطة فخمة للقطار ، هي أشبه بالقلعة او بمخفر الشرطة المسلح منها بمحطة قطار لانها كائنة في منطقة قبلية واسعة ويمر بها الخط الحديدي الممتد بين بغداد والبصرة .

(ناحية الرميثة) : الرميثة - بالتصغير - ويقال لها (العوجة) و (الابيض) - بالتصغير وتشديد الياء - ناحية جسيمة باتساع اراضيها ، مهمة بكثرة قبائلها ، خطيرة بدقة موضعها يقوم مركزها المسمى باسمها على الضفة اليسرى من النهير المسمى باسمها في موضع يبعد عن السماوة (٢٦) كيلومتراً شمالا بينها وبين الديوانية ، ويربطها بالضفة اليمنى جسر خشبي قائم على أوتاد مثبتة في قعر النهر . ويقوم على هذه الضفة صرح عسكري فخم مع دائرة للبرق والبريد فقط ، وكانت تجاور هذا الصرح منازل عامة وحوانيت ومقاه كثيرة ومحل لوقوف السيارات وفندق للمسافرين ، فرفعت الحكومة كل ذلك بعد انتقاض عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٥م لئلا يتخذها الثوار معاقل يتحصنون بها مرة اخرى . أما الجانب الايسر من النهر ففيه السوق ودور الاهلين ، والمستوصف ومدرسة البنين ، والمقاهي وسائر المنشآت ، وعلى ضفتي النهر في الجانبين المذكورين شارعان جميلان مغروسان بأشجار الزينة المنوعة ، وتحيط بها بساتين

كثيرة فيها الفواكه والاعناب المختلفة .

وفي الرميثة ناظم للري عند منتهى النهر انشيء في سنة ١٩٣٩م لتوزيع المياه بين القبائل توزيعاً عادلا بواسطة قنوات وجداول حفرت لهذا الغرض .

وتحتفظ « الرميثة » بذكريات وطنية خالدة ، فقد اطلقت منها الرصاصة الاولى في الثورة العراقية التحررية لسنة ١٣٣٨هـ — ١٩٢٠م ، وهي عذبة الماء نقية الهواء ، جميلة المنظر ، حسنة الموقع ، فيها زهاء (٣٠٠٠) نسمة .

٣ — قضاء عفك

يقسم (نهر الحلة) في ذنائبه على مسافة ٤٢ كيلومتراً من الديوانية شمالا ، إلى قسمين : يتجه أحدهما وهو الأيسر ، نحو الديوانية والرميثة ويقال له « شط الديوانية » ويجري الآخر نحو الشرق فيتجه الى اراضي ناحيتي « الدغارة » و « آل بدير » ويسمى « شط الدغارة » وقد اقيمت على الضفة اليسرى من القسم الثاني ، في محل يبعد عن الديوانيــة شرقاً (٣٦) كيلومتراً قرية كبيرة يقال «عفك» واتخذت مركزاً للقضاء الذي سمي باسمها لأهميتها القبلية ، واتساع أراضيها الزراعية ، إذ ليس فيها عمران او مدنية كما في بقية مراكز الأقضية ، وقد فتحت السلطة المختصة في الزمن الأخير شارعاً عريضاً فيها يحاذي النهر وتقوم عليه الاشجار السامقة . أما سوق القرية فصغيرة جداً يتعاطى أصحــاب الحوانيت فيها إصلاح البنــادق وصنع الآلات الجارحة كالسكاكين والخناجر ، وبيع بعض الحاجات الاولية والعقاقير التي يستعملها الافراد في مداواة مرضاهم ، وقد انتبهت الحكومة الى عدم وجود عمارات صالحة فيها فشيدت على الضفة اليمنى صرحاً عسكرياً فخماً ، وثكنة للشرطة الخيالة وثلاثة مدارس للبنين واخرى للبنات ونادياً ودوراً للموظفين ومستوصفاً صغيراً للاهلين ، اما نفوس عفك فهي ٣٩٧٠ نسمة جلهم من القبائل المحيطة بها ، واما نفوس القضاء فهي ٤٥٧٤٧ نسمــة بحسب السجلات الحكومية لسنة ١٩٤٧م . وكان بين الجانبين جسر خشبي للعبور قائم على قوارب خشبية هزيلة فاستبدل بآخر حديدي في سنة ١٩٤٥م .

لقضاء عفك ناحيتان وهما : ناحية الدغّارة وناحية آل بدير .

ناحية الدغارة : الدغارة — كشدّادة — قرية قبلية كبيرة تفوق قريــة « عفك » نظاماً وسعة وعمراناً ، تبعد عن الديوانية شمالا ١٥ كيلومتراً وتقوم على الضفة اليمنى من النهر المسمى باسمها . وقد اقيم على ضفته اليسرى مؤخراً صرح للحكومة ودار للمدير وناد للموظفين ، ويصل بين الضفتين جسر من حديد أنشيء حديثاً ، وفيها سوق حسنة ، وشوارع منظمــة ومدرسة ابتدائية واسعة ، وبعض عمارات للمتمولين جميلة .

ناحية آل بدير : — يقع مركز هذه الناحية على احد فروع « نهر الدغارة » الذي ينقسم في جنوبي « عفك » إلى ثلاثة فروع ، فيها دار إمارة حسنة ، ومدرسة للبنين ، ومستوصف صغير للأهلين ، وفندق صغير للمسافرين لأنها ممر للسيارات التي تقطع الجزيرة إلى لواء الكوت عن طريق هذه القرية وفي مركز الناحية جسر خشبي هزيل لتأمين عبور الأهلين وحركة عمران جديد .

٤ — قضاء الشامية

« الحميدية » قصبة حادثة أنشئت سنة ١٣١٥هـ — ١٨٩٧م في عهد السلطان عبد الحميد وسميت باسمه تيمناً ثم أبدلته الحكومة العراقية باسم « الشامية » في عام ١٣٤٢هـ و ١٩٢٤م كما أبدلت أسماء عدد كبير من القصبات والقرى ، وهي قائمة على الضفة اليسرى من الفرع الأيسر من نهر الفرات المعروف بـ « شط ابو كفوف » في موضع يبعد عن الديوانية غرباً ٣٧ كيلومتراً ، وكان يصلها بالضفة اليمنى جسر هزيل قائم على قوارب من خشب لعبور السيارات الصغيرة وسائر وسائط النقل الخفيفة فأبدل بآخر حديدي متين يفتح لعبور السفن بين حين وحين.

كانت هذه القصبة قبل ربع قرن بؤرة لأمراض مستوطنة أهمها : الحمى المرزغية ووجع المفاصل « روماتيزم » لكثرة ما يحيط بها من المستنقعات الناشئة من زراعة الشلب ، فعمدت الحكومة إلى إبعاد مناطقه عنها ، وتولت البلدية دفن بعض هذه المستنقعات فخفت وطأة هذه الأدواء او كادت تزول ، ومع ذلك نرى الرطوبة تشتد فيها أشهر الشتاء ، كما ان وخامة الهواء تغشي جوّها أشهر الصيف في الصباح والمساء ، ولو ان مروجها الخضر وبساتين نخلها الفيح المحيطة بها لم يغير شيئاً من معالمها .

ويخترق « الشامية » من الشرق الى الغرب شارع طويل مستقيم تقوم عليه سلسلة من المقاهي والمخازن والحوانيت ، وتنتشر في اطرافها عمارات جديدة لبعض الموسرين ، ومدارس حكومية للبنات والبنين ودور اميرية للمصالح العامة ولسكن الموظفين . وتقوم على الضفة الاخرى من النهر دور عصرية أنشأتها البلدية للموظفين بعد أن اقتطعت مساحة كبيرة من النخل وحولتها إلى حدائق وممرات منظمة . وللحكومة فيها صرح واسع ومستوصف حسن ، ودائرة للبلدية جميلة ، واخرى للبرق والبريد ، وغيرها لجمعيات تعاونية . اما اسواقها القديمة فقد هدمت واستعيض عنها بسوق عصرية مزوّدة بجميع الضروريات ، وأما نفوسها فتعد ٦٣٨٢ نسمة بينها شرذمة من اليهود صغيرة تسيطر على اقتصاديات القضاء ، وتدل سجلات الحكومة على أن نفوس القضاء المسجلة بلغت حتى أواخر عام ١٩٤٧م (١٠٩٩٥٧) نسمة

لقضاء الشامية أربع نواح وهي : ١ ـ ناحية الشنافية ، ٢ ـ ناحية الغماس ، ٣ ـ ناحية

العباسية و ٤ ـ ناحية الصلاحية .

ناحية الشنافية : ـ الشنافية قصبة متوسطة الحجم ، كانت المركز العام لتجارة الفرات الاوسط يوم كانت التجارة تتبع طريق النهر قبل ان تمد السكة الحديدية بين بغداد والبصرة ولهذا يشتغل أكثرية سكانها في بناء السفن وتسييرها حتى اليوم ، وهي تقع على ضفتي عمود الفرات المكوّن من فرعيه ـ فرع الكوفة وفرع ابو الكفوف ـ في غربيها ، وبين الضفتين جسر سيار لعبور الاهلين يسمونه « ثريمة » بالتصغير ، فيسمى ما على الضفـــة اليسرى من القصبة « الرماحية » ، وما على اليمنى « الخسف » .

وتشتهر الشنافيه بخصب تربتها ووفرة غلالها وسعة تجارتها وقوة جصها ،وينقل الجص منها إلى مختلف الأنحاء لشهرته في الجودة والقوة . وهي « الشنافية » تبعد عن مركز القضـــاء « الشامية » جنوباً ٤٥ كيلومتراً وعمرانها قروي بسيط ، وسرايها قديم كالحصن واسواقها حافلة بكل ما هو ضروري للسكان والمسافرين .

ناحية الغماس : ـ الغماس ـ كشداد ـ قرية كبيرة ، كثيرة النفوس ، قليـــلة العمران ، تقوم على الضفة اليسرى من « شط الشامية » في موضع يبعد عن مركز القضاء ٣١ كيلومتراً جنوباً . تحيط بها الاهوار وتكثر فيها البساتين ، ولا يزرع فيها من الحبوب غير الشلب ولهذا تنتشر فيها الملاريا والبلهارزيا ، ونظراً الى ان مستواها واطىء جداً فقد دفنت الحكومـــة ارضاً تبعد عن شمالي الغماس كيلومترين وشيدت فوقها صرحاً فخماً تشغله الادارة والشرطة والبرق والبريد . كما شيدت بالقرب من الصرح مدرسة للبنين وحديقة ومقهى للاهلين وبناية لموظفي دائرة الري الذين يشرفون على السدود ومراقبة النقارات « النكارات » .

ناحية العباسية : ـ مركز هذه الناحية قرية « أبو شورة » وهي الى الكوفة التابعة لقضاء النجف اقرب منها الى الشامية « مركز القضاء » ، فيها سراي قديم ودار حكوميـــة خاصة للمدير ، ومدرسة كبيرة للبنين واكواخ قروية لافراد الشرطة ، وتقع هذه القرية على الضفة اليمنى من « شط ابو كفوف » ويربطها بالضفة اليسرى جسر سيار نقل اليها من العباسية وفي شرقيها قرية كبيرة تدعى « الصليبجية » وتعد هذه القرية مركز تجارة للرز ولتصدير الأسماك، وفيها اعناب كثيرة تفيض عن الحاجة فتصدر .

ناحية الصلاحية : ـ مركزها قرية صغيرة تبعد عن مركز القضاء شمالا ١١ كيلومتراً على ضفة الفرات اليسرى،فيها صرح عسكري فخم ومدرسة اميرية حسنة ومستوصف في داخل السراي مع دائرة للبريد لا بأس بها .

٥ - قضاء ابو صخير

ينشطر عمود الفرات بعد اجتيازه «سدة الهندية» وابتعاده عن «قرية الكفل» بكيلومترين الى شطرين كبيرين : يسمى الايمن منها «شط الكوفة» والثاني «شط ابوكفوف» وبعد ان يبلغ الشطر الاول ناحية الكوفة ويسقي اراضيها الزراعية الواسعة ، ينحدر نحو الجنوب فيتفرع من ضفته اليمنى في «صدر المشخاب» فرع يقال له «چحات» او «البكرية» وتقوم على ضفته اليمنى قرية كبيرة تسمى «ابوصخير» وهي مركز القضاء المسمى باسمها .

قيل لنا انه «لما حفر نهر البكرية - أو چحات - وجدت في قعره صخرة كبيرة اتعبت الحفارين حتى اعجزتهم فسموا الموضع التي وجدت فيه تلك الصخرة وقامت عليه القرية ابوصخير ، ولا تزال آثار هذه الصخرة تشاهد في قعر النهر المذكور كلما جف ماؤه» اه .

وقيل لنا : ان اول بنية اقيمت في «ابي صخير» كانت للسيد محمد السيد حسن زوين ، وانها أقيمت في العقد الثامن من القرن الثالث عشر للهجرة ، واسرة زوين معروفة في هذه القصبة وفي اطرافها ، فلما كانت ايام السلطان عبد الحميد انشأ السلطان فيها مخزناً لما يرد اليها من غلال املاكه «السنيّة» فتوسعت فيها العمارة بعض التوسع .

لم يكن في «ابي صخير» قبل عشر سنوات عمران واسع ولا منشآت تستحق الذكر ، وكانت اهميتها - ولا تزال قائمة على القبائل المرتبطة بها من ناحية الادارة الحكومية ، واشهر هذه العشائر : آل فتلة ، والغزالات ، وآل شبل ، وآل ابراهيم . اما سراي الحكومة فيها فكان قديماً متهدماً يجاوره مسجد انشيء عام ١٣٠٠هـ ، فاتخذ مدرسة لتعليم الاولاد بدلا من ان تقام فيه الصلاة ، وتقرب منهما دائرة للبرق والبريد ومستوصف صغير لا يفي بالحاجة . اما اسواقها فصغيرة لا تجد فيها غير الاشياء الطفيفة .

وقد فتح فيها في السنوات الاخيرة شارع عريض قامت على جانبيه بعض البيوت والمقاهي والمخازن كما بنيت فيها مدرسة للبنات واخرى للبنين ودار للحكومة متين وناد للموظفين ودائرة للري واخرى للبريد ومعظم دورها والمؤسسات الحكومية فيها مبني بالآجر المقتلع من اطلال الحيرة القديمة ، وهي تبعد عن النجف جنوباً ١٨ كيلومتراً ، وعن مركز اللواء «الديوانية» غرباً ٥٣ كيلومتراً ، وتحيط بجهتين منها بساتين النخل الكثيفة ، وهواؤها جيد ، وماؤها عذب ، ويربطها بالضفة اليسرى من النهر جسر مقام على زوارق حديدية لابأس به وفيها زهاء ١٨٠٠ نسمة اما نفوس القضاء فقد بلغت حسب سجلات ١٩٤٧م (٧٧٠٧٠) نسمة .

ناحية الحيرة : - مركز هذه الناحية ، بلدة الجعّارة كشداد - وهي قديمة قائمة على

انقاض مدينة الحيرة الشهيرة ، فيها سوق طويلة مظلمة ، ومنازل قروية كثيرة ، وخانات تجارية واسعة لا تجد مثلها في مركز القضاء «ابو صخير» ، وتحيط بها غابات نخل كثيفة تجعل الهواء فيها وخماً والحالة الصحية غير مستقرة ، وهي على مسافة كيلومترين من ابي صخير .

ناحية الفيصلية :ـ كانت هذه الناحية تسمى «ناحية السوارية» حتى اواخر سنة ١٩٢٦م على اسم ابن سوار من رجال مبدر آل فرعون الذي اسس هذه القرية في عام ١٩١٦م ثم سميت بناحية الفيصلية تيمناً باسم الملك فيصل الاول ، باني كيان العراق الحالي ومجـدد نهضته ، وهي من القرى الحديثة تقوم على ضفة النهر اليمنى في موضع يبعد عن مركز القضاء ١٢ كيلومتراً ويربطها بضفة النهر الاخرى جسر خشبي عائم وفيها من الحوانيت والمخازن والبيوت مثلما في الجعّارة ، كما ان فيها صرحاً فخماً للحكومة هو احسن مبانيها الاميرية ، ومدرستان احداهما للبنات واخرى للبنين وفندقان للمسافرين ومسجد للمصلين وتطل مقاهيها على النهر فتكسبها منظراً جميلا ونفوسها اكثر من ثلاثة آلاف نسمة .

ناحية القادسية :ـ هذه ناحية جديدة استحدثتها الحكومة قبل بضع سنوات لتقوية النفوذ الحكومي بين القبائل ، وتأمين توزيع المياه على مزارع الشلب ، وبث الاطمئنان والمساواة بين المزارعين ، ومركزها ناظم «ابوعشرة» الذي يبعد عن الفيصلية جنوبا تسعة كيلومترات . وفيه صرح للحكومة متوسط الحجم ودار لمديرية الناحية واخرى للكاتب وثالثة لمفوض الشرطة وقد انشئت مؤخراً مدرسة لتعليم البنين . وترتبط بهذه الناحية قبائل الغزالات وآل شبل .



لواء المنتفق

توطئة

هنالك عدة روايات في اسباب تسمية قبائل هذا اللواء بالمنتفق . فمن المؤرخين من يرى ان (اتفاق) عمائر المنتفق الثلاث «بني مالك وبني سعيد والاجود» كان سبباً لهذه التسمية ، ومنهم من يرى ان جدّ بني المنتفق كان يحترش اليرابيع قبل الاسلام «اي يخرجها من نافقائها» على حين يقول آخرون أن هذا الجد كان يقيم في نفق « شبه مغارة » لشدة الحر ، فقيل لجماعته المنتفقة ، والرواية الاولى اكثر شيوعاً ، ولعلها اكثر انطباقاً على وقائع التاريخ . فإن العمائر الثلاث المذكورة قد اجتمعت واتحدت في هذا السهل المنبسط منذ زمن بعيد ، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته (ج٢ ص٣٠٢) أن بني عامر المنتفق قد خلفوا القبائل التي هزمت الفرس يوم ذي قار ، وذكر السيد ابراهيم الحيدري في كتابه «عنوان المجد» ان قبائل المنتفق بطن من ربيعة بن صعصعة من العدنانية (١) .

يحد لواء المنتفق من الشمال الخط الفاصل بين الوية الكوت والديوانية والمنتفق ، ومن الجنوب البادية الجنوبية ، ومن الشرق لواءا « البصرة والعمارة » ومن الغرب لواء الديوانية

مساحة اللواء وعدد نفوسه

مساحة لواء المنتفق ١٤٨١٤ كيلومتراً مربعاً

وعدد نفوسه ٤٥٥،٦٤٤ نسمة بحسب سجلات الاحصاء العام لسنة ١٩٥٧م .

قبائل لواء المنتفق

عمائر لواء المنتفق ثلاث : بنو مالك ، وبنو سعيد ، والاجود .

فأشهر قبائل بني مالك هي : ١ - آل ابراهيم ٢ - ألبوصالح ٣ - حجام ٤ - اهل السعفة

واشهر قبائل بني سعيد هي : ١ - بني سعيد ٢ - البزّون ٣ - آل عيسى .

وأشهر قبائل الاجود هي : ١ - الحسينات ٢ - آل ازيرج ٣ - البدور ٤ - الشريفات ٥ - بني ركاب ٦ - العصوم .

وهنالك قبائل اخرى تشترك مع الاجود في الراية اهمها : ١ - العبودة ٢ - آل حميد ٣ - خفاجه ٤ - آل غزي ٥ - ألبوسعيد .

---

(١) ص٩٤ من نسخة « مكتبة المتحف العراقي » الخطية ورقمها ٢٣٠ (مخطوطات) .

وفي اللواء عدا العشائر الثلاث وافخاذها المذكورة ، قبيلتان مشهورتان هما : ١ - بنو اسد ٢ - بنو خيكان (بالكاف الفارسية) .

تنظيمات اللواء الادارية

في لواء المنتفق ثلاث اقضية وهي: ١ - قضاء سوق الشيوخ ٢ - قضاء الشطرة ٣ - قضاء الرفاعي ، ولكل من هذه الاقضية بضع نواح سيأتي ذكرها اثناء الكلام عليها . اما مركز اللواء فتتبعه ثلاث نواح وهي : ١ - ناحية البوصالح ٢ - ناحية اور ٣ - ناحية السديناوية

الناصرية

كانت تتجاذب طرفي الفرات الادنى منذ عهد غير بعيد قبيلتان من اكبر قبائل العراق وهما الخزاعل (خزاعة المعروفة في التاريخ) والمنتفق ، فكان نفوذ الخزاعل يمتد من (الحلة) الى (السماوة) شمالا ، وكان نفوذ (المنتفق) يمتد من (السماوة) الى ظهر (البصرة) جنوباً فسعت الحكومة العثمانية للقضاء على نفوذ المنتفق مستعينة بطرق ثلاث :

(١) انقسام العائلة على نفسها واستغلال هذا الانقسام .

(٢) السعي في افراز ما يمكن افرازه من اراضي المنتفق .

(٣) استعمال القوات التأديبية عند الضرورة والحاجة .

وكان «السعي في افراز ما يمكن افرازه من اراضي المنتفق» اكثر هذه الطرق نجاحاً ، فقد كانت ديار المنتفق اقطاعية تقطع بأكياس معاومة على الزعيم السعدوني «وكانت المشيخة للسعدون يومئذ» فأفرزت منها «السماوة» في سنة ١٢٦٨هـ ١٨٥١م فجعلتها ملحقة بالحلة ثم حصلت مجادلة بين والي بغداد وشيخ المنتفق فسارت مفرزة من الجيش فاحتلت «سوق الشيوخ» في عام ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م . فلما كانت سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م عين مدحت باشا والياً على العراق .

«وقد دلت سيرته في السابق كما حققت اعماله فيما بعد على انه جيء به من اوروبة الى هذه الولاية النائية بغية الاصلاح والتجديد (١) .

وكان مما «قام به هذا الوالي في باب ادارة العشائر انه استقدم الى بغداد الشيخ ناصر باشا السعدون المتربع على مسند المشيخة وكان قد بقي من مدة مشيخته مدة قليلة فقدم الشيخ ناصر باشا في ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م . فأبان له الوالي خطة التجدد التي يجب السير عليها فرغبه في قبول تحويل المشيخة الى متصرفية بالفعل لا بالاسم مع بناء حاضرة في ارجاء المنتفق تسمى الناصرية - على اسمه - وعده له حسنات الاستقرار في موضع العدول

(١) لونكريك «العراق في اربعة القرون الاخيرة ص٣٢٢ (بغداد ١٩٤١)

عن الحل أو الترحال ، والسعي وراء ترقية الزراعة فتفرس الشيخ ناصر باشا في هذا الأمر ففقهه وعلم ان وراء الاكمة ما وراءها ... وان وسائل المقاومة التي لديه لا تجدي نفعاً ... فانصاع للامر وعين متصرفاً» (١) للمنتفق و «اصبحت اراضي المنتفق واقطاعياتهم اراض اميرية تفوض الى آل سعدون» (٢) وغيرهم بموجب قانون الاراضي الذي ادخله مدحت باشا الى العراق في ايام ولايته .

ومما يؤثر عن منصور باشا السعدون ـ الاخ الاكبر لناصر باشا السعدون ـ انه كان يرى ان تأسيس « الناصرية » سيؤدي الى اضعاف المشيخة السعدونية والقضاء عليها ، فعارض في ذلك معارضة شديدة ، ولكنه تجاه تصميم اخيه وعزمه على تحقيق رغبة الوالي مدحت باشا لم يرَ مندوحة من الموافقة على انشائها ، الا انه اشترط ان تشاد على منخفض من الأرض لتكون تحت خطر مياه بحيرة «ابوجدّاحة» (٣) التي يدخلها ماء الفرات « حتى اذا ارادت بهم الحكومة سوءا سلطوا عليها مياهها واغرقوها بأقل من لمح البصر ، اما الوالي فانه كان ابعد عن هذا التفكير ولهذا فقد امر بتحكيم السداد لوقاية المدينة من الغرق» (٤) .

واستدعي المهندس البلجيكي جولس تلي Julis Tilly فخطط المدينة المقترحة تخطيطاً عصرياً رائعاً بأن جعل لها شوارع عريضة متقاطعة تقاطعا هندسياً جميلا ، ثم شرع في اقامة صرح فخم للحكومة فكان اول بنية اقيمت فيها وكانت هذه البناية لا تزال ماثلة للعيان حتى سنة ١٩٥٠م حيث هدمت واستعيض عنها بسراي محكم حديث ، ثم قصدها التجار والباعة والزراع والحاكة من شذاذ الآفاق ومختلف القبائل ، وكل منهم يبني له بيتاً اومنزلا و«كان اول من بنى فيها داراً للسكنى نعمة الله نعوم ـ بن آكوبجيان بن سركيس . . . وبنى اسواقاً وخانات وقهوات» (٥) .

وهكذا اتخذت «الناصرية» مركزاً لمتصرفية لواء المنتفق ، وعين ناصر باشا السعدون متصرفاً على اللواء المذكور ، فلم تزل في تقدم وتوسع حتى اصبحت ابدع مدينة في العراق من حيث التخطيط الهندسي ونظام الابنية ، ومن حيث فسحة الشوارع واستقامتها ، فلما

---

(١) يعقوب سركيس في « مباحث عراقية » ٧٩/١

(٢) علي الشرقي في « ذكرى السعدون » ص٢٩

(٣) سميت هذه البحيرة ببحيرة «أبي جداحة» او «ابي قداحة» لان فيها موادا فصفورية «تقدح» الشرر فيتطاير في الفضاء . وقد صرفت الحكومتان العثمانية والعراقية مبالغ طائلة لتجفيفها ومع ذلك فان بها آثار وبالة محسوسة كلما طغى الفرات او فاض

(٤) عبد الرزاق الحسني في «موجز تاريخ البلدان العراقية» ص١٠٠ من الطبعة الثانية .

(٥) مجلة « لغة العرب » ص٢١ من المجلد الثاني لسنة ١٩١٢م

كانت سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م) فصل (لواء البصرة) من بغداد وجعل (ولاية) فعين ناصر باشا المذكور والياً عليها .

وتقوم مدينة (الناصرية) اليوم على ضفة الفرات اليسرى في موضع يبعد بالقطار عن جنوبي بغداد ٣٨٧ كيلومتراً وعن شمالي البصرة ٢١٤ كيلومتراً ويصلها بالسكة الحديدية الممتدة بين هاتين الحاضرتين فرع حديدي يمتد من (خرائب اور) وينتهي بالجانب الايمن من البلدة طوله ١٦ كيلومتر ، ويصل بين الجانبين جسر خشبي عائم وتقدر نفوسها بـ ١٥,٩٠٠ نسمة .

بيوتها الحديثة جميلة ، وعماراتها القديمة تسير مع الزمن ، و شوارعها الرئيسية معبدة ومزفتة ومرافقها العامة كثيرة ومختلفة ، ومن المنشآت العصرية فيها : الثكنة العسكرية وهي جسيمة تقع على الجانب الايسر من الفرات تجاه المدينة وبجوارها المطار ، ثم المستشفى الملكي ، وهو فخم يسع زهاء خمسين سريراً والحديقة العامة ، والمدرسة الاعدادية وكذا نادي الموظفين ودار البلدية ودائرة البرقوالبريد، وثكنة الخيالةوقيساريتان جميلتان ،وسوق لبيع اللحوم ومحل كبير لوقوفالسيارات هذاعدا المساكن الحديثة والفنادق العصرية وعدا المخازن والرياض والغياض .

وكانت السيطرة التجارية في (الناصرية) بأيدي اليهود شأنها في أكثر المدن العراقية ، فلما صدر قانون اسقاط الجنسية العراقية عن اليهود الذين أعربوا عن رغبتهم في التخلي عنها والسفر الى فلسطين في عام ١٩٥٠ م ، تولى المسلمون هذه المهنة ، وبرعوا فيها . أما الميل الثقافي فينحصر في افراد قلائل وذلك لركود الحركة العلمية فيها ، وان وجدت بعض المدارس الحكومية . ويتعاطى السواد الاعظم من الاهلين البيع والشراء للحصول على قوتهم اليومي ومناخها غير جيد مما جعل الحالة الصحية على الاجمال غير مرضية فإنك ترى مياه النزيز مثلا تنز أيام الفيضان حتى في الشوارع المزفتة ، أما ايام انخفاضه (أي عند الصيهود) فان طعم الماء يقترب من المجاجة .

ويشمل الهدوء (الناصرية) بوجه عام ، وتسودها السكينة والوداعة بنوع خاص لقلة وسائل النقل ، او قلة الحركة فيها ، وسكانها خليط من مختلف المدن وشتى القبائل المتباينة في الاخلاق والعادات والمذاهب والميول ، ولهذا ترى الروح القبلية غالبة فيها ، كما أن الانانية غالبة على نفوس المتمولين فيها . ويكثر صيد السمك في (الناصرية) وفي اطرافها حتى انه ليباع بأبخس الثمن وكثيراً ما يجفف ويحفظ للشتاء .

النواحي الملحقة بمركز اللواء

١ ـ ناحية ألبوصالح : كانت قرية «ألبوصالح» صغيرة مهملة لا عمران فيها ولا بنية تذكر ، لانها قرية قبلية اتخذتها الحكومة مركزاً للناحية دون ان تكون لها غاية اخرى ، فلما كان انتقاض سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م شيدت الحكومة صرحا عسكرياً فخماً فيها ، ومدرسة اولية واسعة ، وداراً للمدير واخرى للكاتب وثالثة لمفوض الشرطة ، فدبت فيها حركة عمران حسنة ، وينتظر ان تكون من القرى الكبيرة بعد حين ، وهي تبعد عن مركز اللواء ٤٢ كيلومتراً .

٢ ـ ناحية أور : مركز هذه الناحية قرية «البطيحة» - بالتصغير - الواقعة على مسافة ٣٩كيلومتراً من الناصرية غرباً ، وهي كبقية القرى ، صغيرة لا يجد فيها المرء مايؤمن راحته الا ان فيها داراً للمدير وسرايا قديمة للحكومة ومخفراً للشرطة لا بأس به ، وتجاورها اطلال مدينة « اور » الكلدانية القديمة ، التي كانت مهد الحضارة وموطن العمران .

٣ ـ ناحية السديناوية : هذه ناحية داخلية ، يقيم مديرها في مركز اللواء ، ويراجعه فيه افراد القبائل التابعون لناحيته .

١ ـ قضاء سوق الشيوخ

كان موضع قصبة «سوق الشيوخ» الحالي يسمى قديماً بسوق النواشي ، والنواشي فخذ من بني اسد ، فكان افراد هذه القبيلة يبتاعون منها ما يحتاجون اليه من طعام وكساء قبل ان يرحلوا الى البادية ، فلما نزل آل سعدون هذه السوق ايام مشيخة عبد الله المحمد المانع-الذي هو اخو سعدون الذي اشتهرت باسمه الاسرة - اشتهرت السوق المذكورة بسوق الشيوخ ، لان آل السعدون كانوا شيوخ المنتفق اي زعماؤه ، فلما حل ثويني محل ابيه في المشيخة على المنتفق في سنة ١١٧٥هـ - ١٧٦١م امر ان تكون هذه السوق ثابتة (١) ، اي مركزاً ثابتاً لمهمات الشيوخ المذكورين ، ومخزنا لذخيرتهم ، وملجأ حصيناً يلجأون اليه عند الحاجة ، وخطط لهذا الغرض عمارة على الضفة اليمنى من الفرات في موضع يبعد عن الناصرية غرباً ٣٠كيلومتراً . فلما انتهت المشيخة الى حمود الثامر السعدون تظاهر بالارتياب من الحواضر ، وكانت الحكومة العثمانية تعمل يومئذ على توسيع الحركة العمرانية في جنوبي العراق لتقضي على النفوذ القبلي وتمدن الرؤساء والشيوخ ، فانتهز الوالي مدحت باشا ذلك فرصة فأسس لواء المنتفق وجعل «سوق الشيوخ» مركز قضاء تابع لها منذ عام ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠م فلم

---

(١) يرى الاستاذ يعقوب سركيس في «مباحث عراقية» ٣٩/١) ان سوق الشيوخ لم تشيد الا بعد سنة ١٧٨١م (١١٩٦ هـ) .

تزل في تقدم وتوسع حتى غدت مدينة كبيرة يقطنها زهاء عشرة آلاف نسمة من النجديين وحضر من العراقيين المتجمعين من هنا وهناك طلباً للرزق ورغبة في الكسب . وهناك شرذمة من الصابئة تنفرد بيوتها ومعابدها في طرف من المدينة يمتد على شاطىء النهر الايسر وهذه الشرذمة من الصابئة ـ كما هو ديدنها في سائر الامصار تمتهن الحدادة والصياغة ف « سوق الشيوخ » سوق مشايخ المنتفق .

كانت (سوق الشيوخ) إلى خمس وعشرين سنة خلت عبارة عن غابة من النخيل وبؤرة من المستنقعات تجعل الهواء فيها وخماً والحالة الصحية غير مرضية ، إلا أن السلطات الادارية قطعت في السنوات الاخيرة ، ولاسيما في عام ١٩٣٥م ، مساحة كبيرة من النخيل المذكور ودفنت بعض المستنقعات محـولة إياها إلى حدائق عامة ، وارباض واسعة ، ومبان جسيمة فلطف الهواء ، وانتعشت الحالة الصحية إلى حدما ، كما أنها أنشأت مشروعاً للكهرباء وآخر للماء ، ومدت جسراً عبر النهر لتسهيل المرور ، وفرشت بعض الشوارع بالاسفلت وهدمت سور الطين الذي كان يحيط بها ، فزاد ذلك في أهميتها ووسع حركة العمران فيها .

وكانت في (سوق الشيوخ) سوق قديمة أحرقها الثوار في انتقاض عام ١٩٣٥م فجددها أصحابها على شكل جميل كما أنشئت فيها حديثاً مبان جميلة ، وسراي فخمة للحكومة تضم دوائر الشرطة والادارة الماليـة والطابو والمحكمة ، ومدارس للبنين والبنات ، ونادياً واسعاً للموظفين الخ . . . وحديقة واسعة جداً هي أحسن ما في هذه المدينة من المتنزهات ، وتدل شجلات الحكومة لسنة ١٩٤٧ م على أن عدد نفوس القضاء (١١٣١٩٣) نسمة .

لقضاء « سوق الشيوخ » ثلاث نواح وهي عكيكة وكرمة بني سعيد والجبايش .

ناحية عكيكة :ـ بالتصغير ـ ومركزها موضع قروي ساذج يسمى « المخفر » فيه مخفر للشرطة فخم جداً شيد على صدر نهر الفسحة المتشعب من الفرات على مسافة سبعة كيلومترات من مركز القضاء شمالا بعد ثورة (سوق الشيوخ) سنة ١٩٣٥م وإلى جانب هذا المخفر بناية للمدرسة الأولية ودار مدير الناحية ودار الكاتب أما أفراد القبائل هناك فيقيمون في الصرائف والأكواخ ، وأما عدد النفوس التابعة إلى هذه الناحية فيتجاوز ٢٠,٠٠٠ نسمة .

ناحية كرمة بني سعيد : مركزها قرية (الكرمة) القائمة على الضفة اليمنى من الفرات في موضع يبعد عن مركز القضاء سبعة كيلومترات ، فيها مخفر للشرطة فخم جداً شيد بعد انتقاض عام ١٩٣٥م أيضاً مع مدرسة للبنين ، وبناية لسكنى المدير ، وأخرى للكاتب وصرائف واكواخ لسكان الناحية وبجوارها عرائش للصابئة الساكنين في هاتيك الأطراف وينقسم الفرات عند مدخل هذه الناحية إلى عدة شعب تزيدها رونقاً .

ناحية الجبايش : مركز هذه الناحية قرية الجبايش (التي كانت مركز قضاء الجبايش قبل بضع سنوات) فيها دار فخمة جداً للحكومة ، وفيها مدرسة حسنة البناء ، ومنازل حجرية للموظفين شيدتها الحكومة على حسابها ، ويسكن مدير الناحية في جناح من السراي لأنه على جانب من السعة وتنار هذه البيوت بالكهرباء وتتدارك ماءها من مشروع اسالة أنشىء حديثاً وتستفيد المقاهي من ذلك بعض الفائدة .

وأصل كلمة الجبايش (الكبائس) وهذه محرفة عن كبيسة من الكبس وهو الضغط ، ولما كانت تلك الاطراف مغمورة بالمياه طوال أشهر السنة فقد اعتاد السكان هناك أن يجلبوا التراب من سائر الأطراف «لكبسه» في الماء بعد أن يضيفوا اليه القصب والبردي وغيرهما حتى تكبس فتحصل من ذلك جزر صغيرة منتثرة في ذلك المسطح المائي الواسع كبيوت يسكنها بعض الأسر من عشيرة بني أسد ويسكنها أصحاب المصالح والحوانيت من الغرباء ، ولا بد لكل جزيرة من هذه الجزر أن تمتلك مشحوفاً «أي بلماً صغيراً» للتجوال بين الجزر اوللوصول إلى المدرسة أو السراي أو غيرهما ، والمعروف ان هذه الاطراف كانت معمورة في ايام بني العباس ، زاهية بحضارتها ، مشهورة بحاصلاتها ، ولكن كتب لها الخراب كما كتب لغيرها في هذه الديار . ويعتمد سكان الجبايش في الجزء الاكبر من موارد حياتهم على جمع القصب وحياكة الحصر وتصديرها الى سائر الأنحاء بكميات كبيرة

٢ ــ قضاء الشطرة

ينشطر (نهر الغراف) قبل انحطاطه الى (الشطرة الحالية) بخمسة كيلومترات الى شطرين يذهب الأيسر منهما إلى (هور الحمار) ، ويسمى (شط البدعـــة) ويمر الثاني بالشطرة ثم يتفرع الى عدة فروع . وقد اقيمت على الضفة اليمنى من الشطر الثاني قصبة الشطرة الجميلة التي كتب لها نحس الطالع ان تكون في محيط الفتن التي وقعت في المنتفق قبل الحرب العالمية الاولى (حرب عام ١٩١٤ ــ ١٩١٨ م) فجعلتها بيوتاً مقوضة الجدران ومبان قليلة العمران وقيساريات عصرية مهملة . فلما تم الاحتلال البريطاني الأول للعراق ، واعيدت النظم الادارية فيه ، وتألفت الحكومة العراقية ، شرع في تنظيم (الشطرة) مرة اخرى ، فنشطت حركة العمران فيها ، وعاد اليها من كان قد هجرها ، وانتقل اليها ارباب الكسب والارتزاق من سائر الأنحاء وأخذت تسترد منزلتها القديمة بالتدريج . وفي عام ١٩٣٠م شرع في البناء على الضفة المقابلة لقصبة الشطرة بعد ان مد جسر حديدي فشيدت دار للقائمقام ، وناد للموظفين ومدارس للبنات والبنين ، وبضع دور للموسرين ، كما اخذ العمران يتسع على الضفة اليمنى (الاصلية) فبنيت الأنزال للشيوخ ، والدور للموظفين ، والمرافق العامة للحكومة والأهلين

واقيم فيها مشروع للماء ، وآخر لتوليد القوة الكهربية .

وخلاصة تاريخ الشطرة ان جماعة من اهل (الغراف) كانوا قد اسسوا قرية كبيرة في اراضي خفاجة اطلقوا عليها لفظة (الشاهينية) وهو اسم مدينة معروفة في التاريخ الحديث للأمير عمران بن شاهين، وقد اضمحلت هذه القرية في حدود عام ١٢٠٢هـ — ١٧٨٧م على اثر جفاف النهر الذي كان يرويها فانتقلوا الى جدول (الحليلية) الذي كان يغذيه نهر (الغراف) واسسوا عليه قرية باسم (الشطرة) بقيت مأهولة بالسكان زهاء تسعين حجة ونيف (١) .

وكان نعوم سركيس التاجر البغدادي المعروف ، يتردد الى (سوق الشيوخ) ويقيم فيها لمشترى الاصواف وغيرها وتصديرها الى بغداد ، وذلك قبل مشيخة ناصر السعدون بعشر سنوات ، فلما كانت مشيخة ناصر باشا المذكور سنة ١٢٨٣هـ — ١٨٦٦م ، قرّبه اليه واتخذه اميناً له ومستشاراً في بعض شؤونه ، مع بقائه على تجارته ، فكان في هذه الحقبة يصدّر الحبوب الى البصرة والتمور الى الهند . وكان لحمد الجاسم وكيل نعوم سركيس في الشطرة (منتر) على الغراف يدّخر فيه ما يشتريه له من غلال (٢) وموقعه اليوم في مدخل الشطرة من جهتها الشمالية ، فأخذ نعوم يشوق الاهلين على الانتقال الى جواره ، وشرع هو في بناء خان له مع قيسارية اهدى بعض حوانيتها الى معارفه من وجوه الشطرة ترغيباً لهم على الانتقال فكانت هاتان البنيتان نواة قصبة (الشطرة الجديدة) وكان ذلك في حدود سنة ١٢٩٠هـ — ١٨٧٣م وفي سنة ١٣١٢هـ — ١٨٩٤م شرع في بناء دار للحكومة وما لبثت ان سرت الحركة العمرانية فيها سيراً مطرداً حتى غدت عروس قرى الغراف وقصباته . فلما كانت سنة ١٢٩٩هـ —١٨٨١م حدث خلاف بين الحكومة والسعدونيين فاحتلت الحكومة لواء المنتفق ومنه الشطرة، وهي على مسيرة ٤٥ كيلومتراً من الناصرية جنوباً . وقد جاء في السجلات الحكومية لسنة ١٩٤٧م ان نفوس قضاء الشطرة (٦٨٠٩٥) نسمة بحسب الاحصاء العام الذي جرى في هذه السنة .

ناحية الدوّاية : لقضاء الشطرة ناحية واحدة يقال لها (الدواية) ومركزها القرية المسماة باسمها القائمة على نهير البدعة المتشعب من الغراف في موضع يبعد ١٥ كيلومتراً من الشطرة جنوباً ، وهي مجموعة من المباني الطينية مع سراي للحكومة ومدرسة للبنين ومستوصف للمراجعين .

---

(١) مر الرحالة البريطاني (هود) بهذه الشطرة عام ١٨١٧م فقال في وصفها :

« وصلنا في ٢٧ كانون الثاني الى الشطرة وهي مدينة معتبرة ، وهي المدينة الوحيدة التي تستحق هذه التسمية بعد الكوت الذي مررنا به » مباحث عراقية ٢/٣٦٢

(٢) يريدون بالمنتر في هاتيك الجهات : الموضع الذي تدخر فيه الحبوب وتخزن

٣ ـ قضاء الرفاعي

كان هذا القضاء يسمى « قضاء قلعة سكر » يوم كان مركزه في (قصبة قلعة سكر) ثم اتخذت (قصبة الكرادي) مركزاً له فسمي القضاء (قضاء الكرادي) وسمي في السنوات الأخيرة (قضاء الرفاعي) لأسباب لانزال نجهلها مع أن مركزه لايزال في الكرادي .

والكرادي قرية كبيرة حادثة تأسست عام ١٣١١هـ ١٨٩٣م باسم كنية مؤسسها الحاج عباس الكرادي (من كرادة بغداد) وكان قـد سكن (قصبة سوق الشوخ) مدة فابتاع مزارع الكرادي الحالية من آل مناع وانتقل اليها ، وهي قائمة على شاطىء نهر الغراف الايسر في موضع يبعد عن الناصرية شرقاً (٨٣) كيلومتراً ، ويربطها بالشاطيء الأيمن جسر سيار يقال له (طبكة) ـ بالكاف الفارسية ـ وفيها من النفوس ٥٠٠٠ نسمة تقريباً ، امانفوس القضاء كله فتدل السجلات الحكومية لسنة ١٩٤٧م على انها (٦٩٥٦٤) نسمة

وفي قصبة الكرادي سوق مظلمة طويلة ، تتفرع منها اسواق عريضة وسخة ،وفيهامبان اميرية حسنة ، تجاورها قصور لبعض الشيوخ فخمة ، ومتنزهات طبيعيه كثيرة لكنها مهملة فإن اكثر اهلها من افراد القبائل ، وهؤلاء قلما يعتنون بما يعتني به اهل المدن ولاسيا الكبرى من تأسيس الحدائق وحب تنظيم المتنزهات .

ـ (ناحية قلعة سكر) ـ لقضاء الرفاعي ناحية واحدة يقال لها (ناحية قلعة سكر) ومركزها بلدة متوسطة كانت في بداية امرها قلعـة من الطين شيدها سكر بن مشلب رئيس عشيرة الطوقية سنة ١٢٩٠هـ ـ ١٨٧٣م . وكان افراد هذه القبيلة يعيثون فساداً في هاتيك الأطراف فاحتل جند الحكومة هـذه القلعة لمنع شرورهم ، وصار المرتزقة يهيئون المنازل والحوانيت قياماً بما يحتاج اليه الجنود ، فلم تزل في توسع حتى اتخذت مركز قضاء ، ثم جعلت مركز ناحية ، وهي اليوم على شاطىء الغراف الأيسر، جميلة الموقع، حسنة المنظر ،تحيط بها البساتين المختلفة ، وتبعد عن الكرادي سبعة عشر كيلومتراً بينها وبين (حي واسط) التابعة للكوت ولعلها بمكان (صريفين) القديمة .

قال ياقوت الحموي (٥ـ ٣٥٤) وصريفون الأخرى من قرى واسط قال : اخبرنا احمد ابن عثمان بن نفيس المصري ، ذكر حديثاً ثم قـال وصريفين هذه مدينة صغيرة تعرف بقرية عبد الله وهو عبد الله بن طاهر ...

لواء البصرة

نظرة عامة

لواء زراعي مشهور بكثرة النخيل ، وجودة التمر ، وتنوع الاسماك . يحده من الشمال لواء العمارة ، ومن الجنوب خليج البصرة ، ومن الشرق بلاد ايران ، ومن الغرب الصحراء الشامية . هواؤه رطب ثقيل ، وماؤه بعضه عذب ، لأنه يتكون من نهرين عظيمين هما : دجلة والفرات ، والبعض الآخر مشبع بالأملاح ، لاختلاطه بماء البحر اثناء المد . ومعظم أراضيه تسقى سيحاً ، لأن المد والجزر الناشئين من جاذبية الشمس والقمر وسيلانية الماء هما العاملان الاساسيان في صعود الماء وهبوطه ، والمد هو الذي يروي اراضي هذا اللواء ويجعلها غابة من النخيل كبيرة، فالماء في شط العرب يعلو كل (٢٤) ساعة مرتين فيسقي الاراضي الكثيرة بدون استعمال آلات السقي المختلفة فإذا اتم مفعوله عاد الى حيث اتى .

وقد حفرت الحكومة صدر الفاو لتدخل البواخر الكبرى الى العشار فأخذ الماء ينحدر نحو البحر فقل مفعول المد والجزر ، واضطر بعض الملاكين الى نصب المضخات على شط العرب وعلى بعض شعبه لارواء المزارع والبساتين .

مساحته ونفوسه

مساحة لواء البصرة (٢٠،٧٠٢) كيلومتر مربع .

اما عدد نفوس اللواء فقد بلغت ٥٠٢٨٨٤ نسمة في احصاء عام ١٩٥٧م

عشائر اللواء

القبائل التي في قضاء القرنة : ربيعة ، الشرش ، بنو منصور ، الحلاف ، البوبخيت ، البوغريب ، الشفاتية ، السواعد ، ابريهة ، الامارة والصيامر .

القبائل التي في قضاء ابي الخطيب . المطور ، بيت كنعان ، بيت غانم ، البو فرحان والدواسر

القبائل التابعة لنواحي مركز اللواء : الكطارنة ، العطب ، العيدان ، بيت كنعان الصيامر ، ابريهة ، الحلاف ، بني مالك ، المياح ، بني اسد ، الضفير ، الصلبة ، الشريفات العبودة وخفاجه .

تنظيمات اللواء الادارية

يقوم لواء البصرة من القضاءين : القرنة وابي الخصيب ، ومن ثلاث نواح مربوطة بمركز اللواء وهي « الهارثة والزبير وشط العرب . وتتبع قضاء القرنة ناحيتا ن هما المدينة والسويب وتتبع قضاء ابي الخصيب ناحيتان ايضاً هما الفاو والسيبة ، وفيما يلي التفصيل .

البصرة

لمحة تاريخية

قامت في جنوب (البصرة) الحالية بين نهر دجلة ونهر كارون خلال عهد الدولة الساسانية في العراق (٢٢٦م — ٦٣٦م) امارة فارسية عظيمة سماها المؤرخون « امارة ميشان » وذكر التاريخ من مدنها المشهورة يومئذ العاصمة « ميشان » و « الأُبلة » و « وهشتاباذ أردشير » وكانت المدينة الاخيرة مسلحة من مسالح الفرس على الخليج، فلما بدأت الفتوحات الاسلامية الكبرى ارسل ابوبكر الصديق (رض) الى خالد بن الوليد يأمره ان يسير بجيشه نحو العراق بطريق البحر فيبدأ بثغر الهند وهو الأبلة — بضم اوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها — فسار خالد بمن معه عام ١٢ للهجرة سنة ٦٣٣ للميلاد ووزع قواته فرقاً ثلاثة فجعل المثنى بن حارثة الشيباني على المقدمة ، وعدي بن حاتم على المؤخرة ، واحتفظ لنفسه بقيادة الفرقة الثالثة(١) فكان هؤلاء القادة يهاجمون معسكرات الفرس ، ويغنمون اموالهم ، ويلحقون بهم اضراراً كبيرة فلما صارت الخلافة الى عمر بن الخطاب (رض) بلغه نجاح الفتوحات المذكورة فجعل سعد بن ابي وقاص قائداً عاماً على الجيش الاسلامي في العراق ؛ فبعث سعد عتبة بن غزوان المازني الى جهة موضع (البصرة) فسار عتبة فنزل (حيال الجسر الصغير) فبلغ القائد الفارسي نزوله فتوجه لقتاله بجموعه فكانت الغلبة للمسلمين واستولوا على عدد من الحصون والمخافر بينها المسلحة (وهشتاباذ أردشير) التي احتفزها العرب بعد هدمهم اياها وسموها (الخريبة) (تصغير خربة) على ما رواه ياقوت الحموي في مادة (خريبة) (٢) .

واجتمع اهل (الابلة) على قتال عتبة بن غزوان (فناهضهم عتبة ، وجعل قطبة بن قتادة السدوسي وقسامة بن زهير المازني في عشرة فوارس وقال لهما :كونا في ظهرنا فتردان المنهزم

---

(١) ابن الاثير ١٤٧/٢

(٢) معجم البلدان ٣/٢٦٤٤ وهذا نص ما ورد عن الخريبة .

« موضع بالبصرة وسميت بذلك فيما ذكره الزجاجي لان المرزبان كان قد ابتنى به قصرا وخرب بعده فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده. وفيه ابنية وسموها الخريبة وقال حمزة: بنيت البصرة سنة ١٤ من الهجرة على طرف البر الى جانب مدينة عتيقة من مدن الفرس كانت تسمى «وهشتاباذ اردشير» فخربها المثنى بن حارثة الشيباني بشن الغارات عليها. فلما قدمت العرب البصرة سموها الخريبة وعندها كانت وقعة الجمل بين علي وعائشة

وتمنعان من أرادنا من ورائنا (١) فاوقع فيهم ومزق جموعهم واضطرهم الى الجلاء عـن مدينتهم فحملوا ما خف من الاموال وعبروا النهر لائذين بأذيال الفرار ، فـدخلها القائد المازني في شهر رجب سنة ١٤هـ(٦٣٥م) وعسكر على طرف البر الى جانب المسلحةالمذكور عند حدود موضع الزبير الحالي ، و (كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله اياها وانه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكنون به اذا انصرفوا عن غزوهم فكتب اليه أن اجمع اصحابك في موضع واحـد ، وليكن قريباً من الماء والمرعى ، واكتب الي بصفته . فكتب اليه : اني وجدت أرضاً كثيرة القصبة(٢) في طرف البر الى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء ، فلما قرأ الكتاب قال هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب وكتب اليه أن أنزلها الناس فأنزلهم اياها ، فبنوا مساكن بالقصب ، وبنى عتبة مسجداً من قصب وذلك في سنة أربع عشرة (٣)

وبنى عتبة دار الامارة « دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان وحمام الامراء بعد ذلك لقربها من الماء فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها كما كان»(٤)

وكانت الدور في اول أمرها خصاصاً وأكواخاً، وفي وسطها رحبة عرضها ستون ذراعاً تتخذ سوقاً للعرب يعرضون فيها سلعهم ، ولم تكن تلك السوق ملكاً لاحد بل كانت مشاعة بين المسلمين يحوزها السابق دون اللاحق طيلة يومه فاذا انقضى النهار وانفض عادت تلك السوق رحبة فارغة .

ومات عتبة المازني عام ١٤ هـ (٦٣٥م) فخلفه المغيرة بن شعبة في امارة البصرة،ولكنه عزل بعد عامين ، وولي محله أبو موسى الاشعري فحدث في ايامه حريق أتى على اكثر بيوتها وخاف الناس منه كثيراً فاستأذنوا الخليفة في البنيـان باللبن فأذن لهم وكتب اليهم يقول : « افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة ابيات ولا تطـاولوا في البناء والزموا السنة تلزمـكم الدولة » (٥) فخططوا المناهج والشوارع وجعلوا المدينة خططاً بحسب القبائل لـكل قبيلة خط ، وجعلوا عرض شارعها الاعظم ستين ذراعاً وعرض سواه عشرون ذراعاً « ثم ان الناس اختطوا وبنوا المنازل ، وبنى أبو موسى الاشعري المسجد(٦) ودارالامارة بلبن وطين

---

(١) الطبري ٤/١٥٠-١٥١

(٢) لعله اراد « القضة» وهو صغار الحصى ، ليستقيم المعنى .

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص٣٤٦ من طبعة ليدن (٤) ياقوت الحموي ٢/١٩٦

(٥) ابن الاثير ٢/٢٠٤ (٦) البلاذري ص ٣٤٧ .

وسقفها بالعشب وزاد في المسجد » فلما استعمل معاوية بن ابي سفيان زياد بن ابيه على البصرة سنة ٢٥هـ (٦٦٥م) زاد في المسجد زيادة كبيرة، وبناه بالآجر والجص، وسقفه بالساج وجاء بالسواري من جبل الأهواز فأصبح من أحسن المساجد (١) .

وقد بلغ الخليفة أن العرب، على خشونتهم في العيش، لم يستسيغوا ماء البصرة الآجن، ولا وبالة هوائها، فاهتم لذلك اشد الاهتمام، وامر فاحتفر نهر «الاجّانة» وزادهم في العطاء تشجيعاً لهم على الاستيطان. وبعد ان كان موضع (البصرة) معسكراً صحراوياً للجيش الاسلامي تقيم فيه العرب مع نسائهم وأولادهم، تحول الى مرفأ تقصده السفن التجارية القادمة من الهند والصين، وصار ذلك الموضع مدينة كبيرة ذات أسواق واسعة وبيوت فخمة، وعمارات عديدة، حتى بلغ عدد المنازل فيها خمسة وسبعين الفاً، وبلغت مساحة المعمور فيها (٣٦) ميلا أما نفوسها فقيل إنها كانت تربي على مليون نسمة لأن أبا جعفر المنصور بعث بمليون درهم إلى البصرة وأمر أن توزع بين الرجال فقط فكانت اعطية الرجل درهمين (٢) وقد ذاع اسم البصرة حتى دعيت « قبة الاسلام » ولقبت « خزانة العرب » (٣) وإنما سميت بالبصرة لانها أقيمت على طرف من البر في ارض كثيرة القضة (أي الحصى الصغار) والبصرة في كلام العرب (الارض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب) (٤) فكانت عربية الاسم والمنشأ، إسلامية الاخلاق والعادات ولا يزال هذا الطابع العربي الاسلامي لامعاً فيها حتى اليوم على الرغم مما مر عليها من حوادث مختلفة وعهود متباينة وما قاسته من الحكـــام الاعاجم وبعض الاعراب .

ومن العمارات التي اشتهرت في (البصرة) قديماً قصر أوس بن ثعلب عامل الامويين في العراق الذي يقول فيه الشاعر، وفيما حوله من حدائق وجنان، وأوراد وازهار :

بغرس كأبكار الجواري وتربة ... كأن ثراها ماء ورد على مسك
فيا طيب ذاك القصر قصراً ونزهة ... ويا فيح سهل غير وعر ولا ضنك

---

(١) اهتم معاوية بن ابي سفيان بالبصرة كما اهتم بها من جاء بعده من خلفاء بني امية وذلك بسبب موقعها الممتاز اولا وبسبب اخر بعيد من نفوس الامويين هو اضعاف أمر يثرب «المدينة» مقر العلويين المتطلعين الى الخلافة فتهافت عليها الناس من كل مكان، وازدحمت بالتجار واهل الصناعة ورجال العلم على اختلاف مللهم واصبحت من اعظم بلدان الامبراطورية الاسلامية حتى سماها العرب «خزانة العرب» اي خزانة رجالات العرب

(٢) شرح مقامات الحريري للشريشي ص٢٩٥ من الطبعة المصرية لسنة ١٣١٤

(٣) تاج العروس في مادة ــ بصر ــ ج ٣ ص ٤٨ من الطبعة المصرية

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ١٩٢ من الطبعة المصرية . وفي محيط المحيط في مادة بصر :
« البصرة الارض الغليظة وحجارة رخوة فيها بياض وبها سميت البصرة ج بصار»

وقد اتخذ الامويون مدينة البصرة مقراً لامارة العراق في ايامهم لاتساع تجارتها، وامتداد عمرانها، وكثرة من قصدها من ارباب التجارة وسائر المهن. أما في ايام بني العباس فقد بلغت شأواً عظيما من التقدم والعمران، يدلنا على ذلك ما قاله ابن حوقل النصيبي (في كتاب صورة الارض ١ — ٢٣٦) فإنه قال في وصفها :

« رصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الانيقة والابنية الفاخرة والعروش العجيبة والاشجار المثمرة والفواكه اللذيذة والرياحين الغضة المركب منها مثل الحيوان والبرك الفسيحة المرصوفة ولا تخلو من المتنزهين بغرائب الملاذ وتحف المتطرفين منحدرين ومصعدين ... الخ »

والبصرة كغيرها من البلاد لم تخل في ايام بني العباس، ولا في ايام الامويين اللذين تقدموهم من المصائب والاحن، فقد ذكر التاريخ وقائع كثيرة لو أردنا الالمام بها لعاد هذا البحث كتاباً قائماً بنفسه، ولعل اكثر تلك الحوادث شيوعاً استيلاء صاحب الزنج على البصرة عام ٢٥٥هـ (٨٦٨م) فقد ادعى الغيب في خلافة المهتدي بالله في السنة المذكورة رجل اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم وقال إنه من نسل الامام علي بن ابي طالب (ع) وزعم انه يطلع على ضمائر اصحابه وما يفعل كل واحد منهم ثم دعا الزنوج الذين يعملون في السباخ واستنهضهم فترك اكثرهم مواليهم وقاموا معه فأطمعهم في ان يملكهم ما في ايدي اسيادهم (فالتف حوله منهم نحو الالفين فقوي بهم وهاجم البصرة فأخذها وصار يحرق المنازل والقصور، ويخرب الاسواق والقيساريات، ويضع السيف في النساء والاطفال والشيوخ)(١) فتصدى عامل الخليفة لقتاله فلم يقو عليه، فهرب من البصرة من نجا، وقُتِلَ من بقي (ودام السلطان لصاحب الزنج سبع سنوات لم يبطل خلالها قتال، وتوسع نفوذه حتى امتد الى (الاهواز) و (عبادان) و (واسط) فلما كانت سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) أرسل الخليفة المعتمد على الله اخاه (الموفق) الى البصرة لاستخلاصها منه، وجهز له جيشاً جراراً فكانت الحرب سجالا واخيراً تم النصر للموفق سنة ٢٧٠هـ (٨٨٣م) . فانكشفت هذه الغمة، وقطع دابر هذه الفتنة، ورجع الفارون الى منازلهم ولكن (بعد خراب البصرة) فذهبت هذه الكلمة مثلا تلوكها الافواه الى اليوم .

ثم داهمها القرامطة ففعلوا فيها ما فعله صاحب الزنج، ثم دخلت في ولاية بني بويه . وفي سنة ٤٩٩هـ (١١٠٥م) ملكها سيف الدولة المزيدي صاحب الحلة ولم تزل تتقلب عليها الايدي حتى اصبحت خرائب وآكاماً تشاهد اليوم على مسيرة (١٤) كيلومتراً من (البصرة) الحالية بينها وبين (الزبير) جنوباً ويرى في وسطها الى الآن بقية باقية من مئذنة ذلك المسجد

---

(١) ابن الاثير ج ٧ ص ٦٨— ٦٩

العظيم الذي كان احدوثة الناس في ذلك الزمان :

وقد مر بها (ناصر خسرو علوي) عام ٤٤٣هـ (١٠٥٠م) وقال في وصفها :

« للبصرة سور عظيم يحيط بها ما عدا الجزء المطل على النهر ، وهذا النهر هو شط العرب ويلتقي دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة ، ويلتقي بهما ايضاً قناة الحويزة فيسمى النهر حينئذ شط العرب . ويتفرع من شط العرب هذا قناتان كبيرتان بين منبعيهما مسافة فرسخ .. ومن هاتين القناتين شقت ترع كثيرة مدت في كل الاطراف ، وغرست اشجار النخيل والحدائق على شواطئها ... والجنوب الغربي للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقاً ، وكان معظم البصرة خراباً ونحن هناك ، والجهات العامرة متباعدة جداً من واحدة لأخرى نصف فرسخ من الخراب ولكن بابها وسورها محكمان وقويان ، وبها خلق كثير ، ودخل سلطانها كبير . وفي البصرة ثلاثة عشر مشهداً باسم امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه (١) .

البصرة الحالية

لما نهد « الموفق » العباسي لمحاربة صاحب الزنج سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) لاحظ ان غريمه قد ابتنى مدينة كبيرة بالقرب من «البصرة» سماها «المختارة» ، وحصنها بالأسوار والأبراج فشرع هو ايضاً في بناء مدينة صغيرة على نهر الفيض لتكون مقراً لحركاته العسكرية ، وحمل اليها الصناع والآلات من البر والبحر ، واتخذت بها الاسواق وجمعت فيها المرافق حتى صارت تنسب اليه فسميت «الموفقية» فلما انتصر على غريمه انتصاراً نهائياً وقتله في سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) اهمل اسم « الموفقية» فسميت « البصيرة » — بالتصغير — واصبحت متنزهاً ومصيفاً للولاة والوجهاء فابتنوا فيها القصور والمنازل ، وانتقل اليها اصحاب الترف واللهو والطرب حتى توسعت عمارتها ، واخذ البصريون يهاجرون اليها . فما تم خراب « البصرة » القديمة الا وصارت « البصيرة » مدينة كبيرة تدعى « البصرة » منذ عهد السلطان غازان الإيلخاني في القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للميلاد . وقد زارها الرحالة ابن بطوطة عام ٧٢٥هـ (١٣٢٤م) فقال في وصفها : « ومدينة البصرة احدى امهات العراق الشهيرة الذكر في الآفاق ، الفسيحة الأرجاء ، المونقة الافناء ذات البساتين الكثيرة والفواكه الأثيرة ، توفر قسمها من النضارة والخصب لما كانت مجمع البحرين الاجاج والعذب ... واهل البصرة لهم مكارم اخلاق وايناس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيها بينهم غريب ، وهم يصلون الجمعة في مسجد امير المؤمنين علي رضي الله عنه ... وهذا المسجد من احسن المساجد وصحنه متناهي

(١) كتاب سفر نامة لناصر خسرو «ترجمة الدكتور يحيى الخشاب» ص٩٥—٩٧

الانفساح » (١)

ولم تخل المدينة الجديدة ، او البصرة الثانية ، من الكروب والمحن منذ طوي بساط بني العباس ، وزالت دولتهم . فقد تحولت عنها النعمة ، وتوافدت عليها الامراض والطواعين ، وكثر بها الغرق وتسييب المياه ، وعاودتها حيـــاة البداوة بعد ان ازدهرت بالحضارة ، واخذت معاول الهدم تعمل على التقويض مدة عهد المغول والتاتار . اما في حوادث الصفويين والعثمانين ، وفي ايام شيوخ الجزائر وموالي الحويزة فقد كانت مسرحاً تمثل عليه الروايات المتباينة والمهازىء المختلفة حتى اذا وصل السلطان سليمان القانوني الى بغداد سنة ٩٤١ﻫ(١٥٤١م) خافه شيخ البصرة ، وهو يومئذ الشيخ راشد الطوال ، فشخص بنفسه الى بغداد وسلم اليه مفاتيحها فما كان من السلطان الا ان اقره على ملكه ، واعاده اليها سالماً آمناً ، ولكن راشداً طغى واستبد بعد بضعة اشهر فاضطرت حكومة بغـــداد ان ترسل قوة لطرده قادها الوزير اياس باشا . وظلت «البصرة» بيد الترك يتولاها امراؤهم او ولاتهم . فلما كانت سنة ١٠٠٥ﻫ (١٥٩٦م) عجز حاكمها التركي درويش علي باشا عن تسديد ارزاق الجند واتفق مع كاتبه « افراسياب الديري السلجوقي » على بيعه اياهـــا بثمانية اكياس من الذهب على ان يخطب لسلاطين آل عثمان على منابر البصرة ، ويضرب النقود بأسمائهم ، فرضي الكاتب بذلـــك ولكن سرعان ماتوسعت ايامه . فقد احبه الناس بعد ان حسنت سيرته فقوي امره واستولى على اكثر الجزائر وظل السعد يخدمه الى ان مات سنة ١٠١٢ﻫ (١٦٠٣م) فتولى الامارة ابنه علي باشا بوصية منه ، وكان علي حازماً محبوباً كأبيه فلما توفي سنة ١٠٥٧ﻫ(١٦٤٧م) خلفه ابنه حسين باشا فخالف سنن ابيه وجده فاستبد بالامر ، واساء السيرة والتدبير ، فسيرت الحكومة العثمانية جيشاً لطرده وارجاع الولاية الى احضان السلطة العثمانية ، وكان ذلك في سنة ١٠٦٣ﻫ (١٧٤٩م) وقد قاد هذه الحملة والي بغداد مرتضى باشا فهزم حسين باشا وحـــل محله ولكن الوالي سار سيراً ذميماً حمل البصريين على طرده ، وارجاع الحاكم الفار الى منصبه فلم يسع السلطان العثماني الا ان اقر هـــذه العودة حقناً للدماء . غير ان حسين باشا عاد الى الانتقاض على السلطان بعد حين ، فسيرت الحكومة عليه جيشاً طرده طرداً مؤبداً في عام ١٠٧٨ﻫ

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج١ص١١٥ – ١١٦ من الطبعة المصرية وقد كتب الينا الدكتور مصطفى جواد يقول:

« ان القول بان البصرة التي زارها ابن بطوطة سنة ٧٢٥ﻫ هي البصيرة وانها خلفت البصرة العتيقة من الاقوال التي لاتستند الى تاريخ صحيح . فابن بطوطة كان قد زار البصرة العتيقة لا البصرة الجديدة. ثم ان من الخطأ ان يعد نهر العشار الحالي نهر الابله فانه كان يسمى نهر الفيض. اما نهر الابله فهو النهر الذي ينتهي قريبا من ام الغلوس اي ارض بلدة الابله الزائدة فالمشكلة في معرفة ازدهار البصرة الحديثة وموت البصرة العتيقة وهي باقية لم يستطع احد حلها »١٤-٣-١٩٤٦ م .

— ١٦٦٧م (١) وانتهى بذلك استقلال الولاة بالبصرة ، واصبحت ولاية عثمانية بحتة مدة قرنين ونصف قرن تخللها عصيان متقطع واحتلال غــير دائم . وفي عهد اسرة افراسياب « وتحت حمايتها فتحت ميناء البصرة للتجارة الاوربية » (٢) فلما اعلنت الحرب العالميةالاولى (حرب ١٩١٤ —١٩١٨م) احتلتها الجيوش البريطانيــة في غرة المحرم سنة ١٣٣٣هـ (٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م) فاتخذتهـــا ميناء رئيسياً لتموين القوات البريطانية في العــراق ، واخذت يد العمران تمتد الى كل ناحية فيها بسرعة فائقة فقامت فيها المؤسسات والبنايات والمنشآت النافعةبشكل لم تعهده «البصرة» من قبلوتسلمتها الحكومةالعراقية في١٨ذي الحجة ١٣٣٩هـ «٢٣ آب ١٩٢١م» فاستمر فيها الإنشاء والإعمار اي انها شهدت عصوراً مختلفة وازمنة متعاقبة تناولتها فيها يد الرقي والتقدم كما تناولتها فيهايدالاضمحلال والتأخر فلمست ناحية الغنى كما لمست ناحية الفقر ، ورأت ضروب المآسي والمحن كما رأت ضروب النعمة والغنى، وقدأنجبتفي الزمن القديم علماء وفقهاء وشعراء وعظاماً اضراب ابي الاسودالدؤلي والحسن البصري ، ومحمد بن سيرينمفسر الأحلام ، والخليل بن احمد النحوي ، والاصمعي وسيبويه ، والشاعرين المعروفين : الفرزدق وبشـار بن برد ، والحريري صاحب المقامات المشهورة باسمه « وفيها اجتمع اخوان الصفا والفوا فيها رسائلهم المشهورة وهم على ماقاله عمدة المحققين ابو حيان التوحيدي: زيد بن رفاعة وابو سلمان محمد بن مشعر البستي المعروف بالمقدسي ، وابو الحسن علي بن هارون الريحاني ، وابو احمد المهرجاني ، والعوفي وغيرهم ، وكانوا من اهل القرن الرابع الهجري » (٣) .

البصرة اليوم

اما البصرة اليوم فهي مدينة ضخمة تتخللها شوارع فسيحة ، وتقطعها في جــل ممراتها حدائق واسعة . وهي ببنائها القديمشرقية الهندسة والعمران ، وبعمارتها الحديثة غريبة الوضع والطراز . لها منظران جميلانمتباينان فيهما جلال المظهروسذاجته، ودلائل الحضارةوعظمتها فهي برية وبحرية . يلتقي عندها الحادي والنوتي وتسمع فيها رغاء الإبــل البوارك وزعيق البواخر الماخرة . تناغيها البلابل وتجري فيها الانهار فـــلا يستطيع الشاعر ان يصفها ، ولا يمكن للفنان ان يخطصورةلها . تمتد قصورها من « كرمة علي » شمالا وتنتهي بنهر «الخورة» جنوباً من جهتها النهرية ، اما من جهتها البرية فتمتد من ساحل « شط العرب » الايمن شرقاً

---

(١) اطلب اخبار افر اسياب في رسالة «زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر» لفتح الله الكعبي

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ص ٦٧١ من المجلد الثالث

(٣) الفهرست لامين واصف بك ص٢٧

الى « باب الزبير » غرباً في مساحة لاتقل عن خمسين كيلومتراً مربعاً . فمن شوارعهاالرئيسية « شارع الموفق » الممتد بين البصرة والعشار ، وهو الذي يحاذي نهر العشار« المـــدة »فترى السيارات والعربات غادية رائحة فيه منذ الصباح الباكر حتى منتصف الليل وقد قامت على جانبه المحاذي «للمدة» الأشجار الباسقة المختلفة، وشيدتعلى الجانب الآخر المخازنوالمتاجر وبعض دور الشركات والسينمات ونحوها . وفي عـام ١٩٤٠م شرعت السلطات الإدارية في تنفيذ مشروع «الكورنيش» فكان من اهمالمشاريع العمرانية الحديثة اذ يصل قصبة«العشار» بنهر «الخورة» مباشرة وبخط مستقيم بواسطة شارع عظيم بديع يوازي ضفة « شط العرب » اليمنى يسمى « شارع الامير عبد الإله » ، وتقوم عليـــه بدائع القصور والحدائق والمقاهي والمتنزهات ذات المنظر الساحر الذي يخلعه عليها الشط المذكور ، وهو بذلك شبيهبعضالشبه بشارع ابي نواس في « بغداد » الذي يمتد من « الباب الشرقي » حتى « الكرادة الشرقيـــة » هـــذا الى ثلاث شوارع مهمة جداً توازي شارع الامير عبد الإله ولها اثرها العظيم في تنظيم حركة السير . اولها « شارع الأمير غازي » الذي يمتـــد من (جسر ام البروم) حتى (جسر الخورة) ومنـه الى أبي الخصيب فيبلغ طوله ٢٢ كيلومتراً ، وثانيها (شارع الامير فيصل) الذي يتفرع من (شارع الموفق) وينتهي بالمحلة السعودية ، وثالثها شارع الملك فيصل الذي يتفرع من شارع الموفق ايضاً وينتهي في المحلة المذكـــورة موازياً « شارع الأمير فيصل » كما ان هناك مشروعاً ثانياً لوصل « البصرة » بـ « العشار » بشارع يمتد على ضفة نهر العشار اليمنى (المدة) موازياً (شارع الموفق) الممتد على شاطئه الايسر تم في سنة ١٣٥٥م وشوارع اخرى بعضها عريض طويـــل ، والبعضالآخر ضيق قصير ، لكنها كلها ذات اثر كبير في تنظيم السير والمرور : كشارع دينار ، وشارع انس ، وشارع الملكة ... الخ

ومن مباني البصرة الجديرة بالذكر : صرح الحكومة الفخم في مدخـــل العشار وتجاوره دائرة البرق والبريد المبنية على احدث طراز هندسي ، فمديرية الكمارك ثم بناية المحاكمالمدنية في مدخل (البصرة) والمستشفى الملكي في (باب الزبير) ، ويعد من المستشفيات الحديثة في الشرق الاوسط ، وتقابله بناية السجن المركزي ، ثم المدرسة الاعدادية وقاعة المحاضرات ودائرة البلديةومقردائرة الاوقاف وسوق البلديةوعمارةمشروع الماء والكهرباء والقنصليات الاجنبية ، ومعامل تصدير التمور ، ومعمل تصليح البواخر ، وبنايات المدارس الحكومية والاهليـــة والطائفية للبنين والبنات ، وكذا دور الإرساليات التبشيرية ، ودوائر الشركات والمصارف الاجنبية وفي (البصرة) عدا ما تقدم مكتبات عامة وخاصة ،وصحف ومطابع ودور تمثيل وسينما ، ومؤسسات صناعية كثيرة وحركة عمرانية واسعة ، وهذا العمران في

توسع مستمر ، ومنه المحلة السعودية التي اصبحت من ابدع المحلات العصرية المضاهية لارقى الاحياء الجديدة في بغداد ، وكانت قبل اليوم اراض مهجوره تتخللها المستنقعات .

وكانت البصرة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى موطنا لبعض الاوبئة الفتاكة، ولاسيما الملاريا حتى ان ذكر (حمى البصرة) كان يثير مخاوف السامعين ويبعث القشعريرة في الجسم ، أما اليوم فقد دخل كل ذلك في خبر كان بفضل التدابير الصحية العصرية المتخذة فيها ، مثل مكافحة البعوض ، وردم المستنقعات ، وتعقيم مياه الشرب ، وكان الاهلون يستقونها من قبل من (المدة) و (المدة) هي نهر العشار الذي تتفرع منه جداول عديدة تتخلل شوارع البصرة وأزقتها القديمة الضيقة . وكان الاهلون كافة يستقون ويشربون من هـذا النهر الذي يطفح كل يوم مرتين في الجداول بحسب المد البحري ، وينقص حتى يجف أحياناً لهذا يسمى هذا الماء والجدول والنهر (المدّه) وهذه اللفظة جارية على السنة البصريين كافة.

وعلى بعد خمسة كيلومترات من (البصرة) شمالا يقع الميناء الجوي العظيم الذي يعد من الموانىء العالمية الرئيسية ، فقد أعد فيه مطار لنزول الطائرات الجوية والنهرية، وزود بمختلف الوسائل الحديثة ، ففيه إدارة للرصد، وأخرى للملاحة، وثالثة للبرق والبريد ورابعة للجهاز اللاسلكي كما جهز بفندق عصري فخم جداً لنزول الركاب والمسافرين ، تتخلل حجره وسائل التبريد الصناعي ، وتفترش ارضه طبقة من الكاوتشوك ، وأعدت فيه بركة للسباحة ، وبطريـة للدفاع ومرافق مختلفة اخرى كما تحيط به حدائق زاهية .

ويلي هذا المطار ، (ميناء البصرة) الذي تم إنشاؤه وتجهيزه بعد حفر قناته بحيث يتسنى لاكبر باخرة من عابرات المحيط أن تجتازه إلى ملتقى الرافدين (دجلة والفرات) وتمتـد هذه القناة إلى مياه الخليج ، وقد أنفق عليه نحو (١٢٥) مليوناً من الدنانير ، وجهز بالآلات الرافعة الكهربائية والبخارية فأصبح مستكملا كل تشكيلاته فترى السفن الحربية والتجارية رائحة غادية تملأ الميناء لتنفض حمولتها ، وترى الأرصفة تعج بالآلاف من أكياس البضائع الواردة من كل جنس ولون بانتظار نقلها الى مستودعاتها كما ترى شاحنات النفط تحمل في أبهائها الذهب الأسود الى اسواق العالم فان (البصرة) فضلا عن اهميتها العظمى بصفة كونها مركزاً تجارياً للعراق من حيث التصدير والاستيراد عن طريق البحر فانها في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م) اكتسبت اهمية تجارية أعظم اذ اصبحت مركز « ترانسيت » للشرق الاوسط ولا سيما لتركية على أثر اغلاق البحر المتوسط في وجه القوافل التجارية بسبب التطورات الحربية .

وهنالك عمارة فخمة لموظفي ادارة الميناء تعد من المباني العصرية بحسن هندستها وجمال

منظرها . تجاورها وتحيط بها بنايات متفرقة تحف بها الجنان النضرة ، وتظللهـــا العرائش الزاهية تلك هي « المعقل » القصبة التي بوشرت فيها العمارة في بدء الاحتلال البريطاني الاول ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م وسميت باسم « نهر المعقل » الذي ينسب الى « معقل بن يسار المزني » على ما رواه البلاذري في « فتوح البلدان » وابن الاثيرفي « الكامل »اذ كان الخليفة عمر بن الخطاب «رض» قد أمر معقلا بحفره . وقد اصبحت « المعقل » قصبة قائمة بنفسها فيهامن القصور والبيوت والمرافق كالتي في مدينة « البصرة » نفسها .

وبمنزلة أهمية ميناء « البصرة » ومطارها الجوي من طرق المواصلات المهمة في العراق سكتها الحديدية فهي على جانب عظيم من الأهمية ، اذ تتصل بجميع المدن الرئيسية في العراق وبأقصى ناحية في اوربة بواسطة قطار الشرق السريع ، ولهذا تعتبر مركزاً جغرافياً ممتازاً .

وتشتهر « البصرة » بكثرة أسماكها الطرية ، وتعدد انواعه البحرية والنهرية ،ولذيذطعمها اما تمرها فيعد من أهم حاصلات العراق الجنوبية ، وتلتف غاباته الكثيفة حول شط العرب في مساحة عظيمة ، وتصدر مصانع تحضير التمر كميات منه كبيرة الى مختلف انحاء العالم ، ويبلغ عدد النخل في لواء البصرة احدى عشرة مليون نخلة على حين ان مجموع عدد النخل في العراق (٢٣)مليون نخلة .

وتعد مدينة « العشار » التي تقع على مسافة كيلومترين من « البصرة » شرقاً جزءاًمتمماً لمدينة البصرة ، او هي سوقها التجارية الكبرى . لا يفصل بينهما فاصل ، ولا يقوم بـــين المدينتين حاجز ، وهي قائمة على ضفة « شط العرب » اليمنى ، والذي يلاحظ على اسواقها كثرة البضائع الهندية المكدسة فيها حتى ان الذي زار الهند ودخل هذه الأسواق يشعر كأنه في سوق من الاسواق الهندية .

النواحي الملحقة بمركز اللواء

« ناحية الهارثة » ناحية جسيمة ، ذات نهيرات عظيمة ، ومياه غزيرة ، وبساتـــين من النخل لا حد لها . تقع اراضيها على ضفة شط العرب اليمنى ، ومركزها مجموعةمن الصرائف والاكواخ تبعد عن البصرة ١٤ كيلومتراً .

« ناحية الزبير » مركزها قرية الزبير ، وهي كبيرة جرداء واقعة على طف الجزيرة في موضع يبعد عن البصرة ٢١ كيلومتراً الى جنوبها الغربي ، ويحيط بها سور انشأه الترك عام ١٢١٧هـ - ١٨٠٢م لردعادية الغزاة النجديين فهدم معظمه في السنوات الاخيره ، وتجاورها قبور جماعة من الصحابة والقادة المشهورين : كعتبة بن غزوان المازني ،وطلحة،وابن سيرين مفسر الاحلام ، والحسن البصري وغيرهم . أما الزبير بن العوام فقبره وسط جامع فخم ،

في وسط القصبة ، يدل مشهده على انه جدد غير مرة ، وهو يزار وله سدنة وخدمة وطلاب درس .

وليست هذه القرية بالتي ذكرها المؤرخون في كتبهم ، ووقعت فيها الوقائع الشهيرة في التاريخ الاسلامي ، فان لتلك آثار دارسة تجاور بليدة (الزبير الحالية) وقد نشأت هذه في اوائل القرن الثالث عشر للهجرة ، واواخر القرن الثامن عشر للميلاد ،واتخذت مركز تموين عظيم لعامة القبائل النجدية والكويتية، ولبعض القبائل العراقية واصبحت نفوسها (١٧,٥٠٠) نسمة معظمهم من اصل نجدي متمدين .

ليس في « الزبير » نهر جار ، ولا نبع يستقي منه الأهلون ، ولهذا فان السكان يجمعون ميـاه الأمطار في خزانات يسمونها « توانكي » « ١ » بواسطة أجهزة من القماش يضربونها كالخيام في افناء دورهم فتتصل بتلك الخزانات . وتستعمل هذه المياه في الطبخ وغسل الألبسة وفي الشرب احياناً ، ولا يخلو بيت في الزبير من بئر أو أكثر تستعمل مياهها الملاح لورد الحيوانات ورش المنازل وفي الوضوء ، وأخيراً انتبهت السلطات المسؤولة إلى الأضرار التي تصيب الأهلين ، في حال انقطاع الأمطار ، أو جفاف الآبار ، فامدت القصبة بمياه « شط العرب » تسيل اليها بالأنابيب فاستفاد الأهلون من ذلك راحة وصحة وتقدمت البليدة بالعمران ولاسيا بعد اكتشاف النفط في ضواحيها وشروع الشركات المختصة في تشييد المنازل لعمالها والمذاخر لمعداتها والمعامل لأشغالها (٢) .

وتشتهر «الزبير بحصها القوي الناصع البياض ، وبطيخها ، وسائر خضرها التي تسقى من مياه تستنبط من آبار كبيرة يقال لها «ركايا» واصبحت اليوم فيها غابة من شجر الأثل «نوع من الطرفاء لايحتاج إلى ماء كثير » لأن المزارع تغير محالها مرة في كل سنة او سنتين،والزراع لايتركونها إلا بعد أن يرتفع فيها الأثل

وعلى مسافة ستة كيلومترات من شمالي الزبير تقع قرية الشعيبة ـ بالتصغير ـ التي اكتسبت شهرة عظمى في الحرب العالمية الاولى « حرب ١٩١٤ — ١٩١٨م » حيث دارت فيها رحى

---

(١) جمع تانكي ، مدخر الماء

(٢) منح امتياز النفط في البصرة الى «شركة نفط البصرة» في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٨م فحالت الحرب العالمية الثانية ـ حرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ـ دون استثماره . فلما وضعت هذه الحرب اوزارها استأنفت الشركة اعمالها وبعد جهود استمرت ست سنوات عثر على النفط في الزبير في اعماق بعيدة الغور ثم ربطت هذه المنابع بميناء الفاو بانابيب قطرها (١٢) عقدة واصبحت صادرات نفط الزبير تتجاوز ثمانية ملايين طن في السنة وقد اقامت الشركة المنشآت الضرورية لها في هذه الحقول : كالخزانات ومحطة توليد الكهرباء والمخازن والمكاتب ومستودعات التجهيزات والنقليات ودور الموظفين والعمال فاستفادت الزبير من ذلك كله كثيرا

الحرب بفظاعة، ثم اتخذت مركزاً للقوة الجوية البريطانية بموجب أحكام المعاهدة العراقية- البريطانية لسنة ١٩٣٠م كالحبانية وسن الذبان بجوار الفلوجة ، أما في الحرب العالمية الثانية « حرب ١٩٣٩-١٩٤٥م » فقد أصبحت مركزاً عسكرياً خطيراً مجهزاً بمختلف المؤسسات الحربية من مطارات ومعامل وحصون ومستشفيات ... الخ وقد تسلم الجيش العراقي هذه القاعدة في سنة ١٩٥٥م بعد الغاء المعاهدة المذكورة

ناحية شط العرب : - كانت هذه الناحية قضاء فجعلت ناحية ، ثم أعيدت قضاء كما كانت ، ولكنها جعلت ناحية في الزمن الأخير ، ومركزها قرية التنومة القائمة على شاطيء « شط العرب » الايسر قبالة « قصبة العشار » وهي مجموعة صرائف وأكواخ .

قضاء القرنة

« القرنة » هي ملتقى النهرين :دجلة والفرات . ولفظها من الاقتران كالفرقة من الافتراق وكان الرومانيون يسمون محل اقتران الفراتين ، في القرن الاول للميلاد (دقبة أو دجبة) ، فقد ذكر « لين » في كتابه « المعضلات البابلية » نقلا عن التاريخ الطبيعي لبلّيني ما هذا تعريبه : « وفضلا عما ذكر فإن في ما بين النهرين على ضفاف دجلة قريباً من اقترانه بالفرات موقعاً باسم دكبه Digba » (١) ، وفي القرن الثاني كان النهران يجتمعان عند مدينة «أفامية» وفي عهد ياقوت الرومي،أي في القرن الثالث عشر للميلاد» كانا يجتمعان في « مطارة »وقد جاء في « معجم البلدان » لياقوت المذكور « مطارة أيضاً من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة » (٢) . وذكر الحاج خليفة في كتابه « جهانما » ان دجلة كانت تلتقي ، هي والفرات ، في موضع يسمى الجوازر ، لان المياه كانت تجزر هناك ؛ فيظهر من ذلك ان محل اجتماع الفراتين تسمى بأسماء مختلفة آخرها « القرنة » ولكن لا يعرف على وجه التحقيق الزمن الذي اكتسب فيه هذا الموضع اسمه الحالي ، كما لايعرف الزمن الذي تأسست فيه هذه القصبة ، وقد قرأنا في رسالة كتبها الشيخ فتح الله الكعبي سنة ١٠٧٨هـ-١٦٦٧م وسماها « زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر » (٣) ان القرنة كانت قلعة صغيرة ، فلما تولى البصرة علي باشا بن أفراسياب زاد فيها ، وجعلها قلعة كبيرة فسميت « العلية » ثم زاد في تشييدها واتقانها حسين باشا ابن علي باشا ابن أفراسياب وجعلها ثلاث قلاع حصينة ، فلما طوي بساط آل افراسياب استرجعت هذه القلعة اسمها القديم ، وهو القرنة وكانت حكومة آل افراسياب قد دامت من عام ١٠٠٥هـ - ١٥٩٦م الى عام

---

(1) W. H. Lane : Babylonian Problems, P. 269—270

(٢) معجم البلدان ٨-٨٤ من الطبعة المصرية (٣) طبعت في بغداد سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤ م

١٠٧٨هـ — ١٦٦٧م .

وممن زار القرنة ووصفها ، الرحالة الفرنسي الذائع الصيت تافرنيه Tavernier المتوفى سنة ١٦٨٩م وقد سماها بالقرنة(١) فهذه التسمية اذن كانت معروفة في القرن السابع عشر .

والقرنة اليوم بلدة متوسطة الحجم ، تنار بالكهرباء وتبعد عن شمالي البصرة ٧٥ كيلومتراً وفيها من النفوس ٤١٦٣ نسمة(٢) ، يخترقهـــا من الجنوب الى الشمال شارع مزفت تقوم على جانبيه بعض العمارات العصرية والدوائر الحكومية ، وفيها مستشفى متين ، ونادللموظفين ومدارس للبنات والبنين ، ودار ضيافة للزائرين ، وسوق قديمة ودور متهدمة تنم على ركود الحركة التجارية فيها ، وشظف عيش سكانها على الرغم من انها مركز المواصلات النهرية في دجلة والفرات ، ويكثر البعوض فيها فيقلق راحة السكان . وفي عام ١٩٥٨م تم انشاء جسر حديدي في القرنه طوله ٣١٠ امتار وعرضه ٧,٢٠ امتار مع ممشيين للسابلة عرض كل منهما متران و ٤٠ سم .

وفي القرنة آثار شجرة قديمة مشهورة عند اهلها باسم « البرهام » يزعم السذج والبسطاء انها من زمن آدم ابي البشر ، ويقول آخرون انها من زمن السيد المسيح «ع» فتراهم يشدون الخرق حولها ، ويطلون بالحناء البناية المحيطة بها املا في ان تقضى حاجاتهم ، ورأينا بعض الاجانب يتبركون بهذه الشجرة ايضا ، زاعمين انها شجرة معرفة الخير والشر ، فإذا مر احدهم بها وقف إلى جانبها هنيهة وشرب ماتيسر من المرطبات او المشروبات وانصرف .

ناحية المدينة : ـ المدينة ـ كجهينة ـ ناحية جسيمة تشمل قسما من ضفة الفرات اليمنى وقسما من ضفته اليسرى ، ومركزها قرية كبيرة كانت حاضرة الجزائر في السابق ، وكان فيها مقر الامارة على ربيعة والبطائح (٣) والجزائر ، اما اليوم فهي كبقية القرى . وللحكومة

---

(١) راجع كتاب : العراق في القرن السابع عشر (بغداد ١٩٤٤م) ص٩١

(٢) اما نفوس قضاء القرنة فهي (٦٦٨٤٨) نسمة بحسب احصاء ١٩٤٧م

(٣) البطائح ـ ومفردها البطيحة ـ مجتمع سيب المياه . يقال تبطحت المياه اذا سالت واتسعت في الارض . وفي جنوبي العراق بطائح كثيرة يرجع سبب وجودها الى ان دجلة انبثقت في أيام قباذ بن فيروز بثقا عظيما بالقرب من كسكر فاغفل امرها حتى غلب ماؤها وغرقت القرى العامرة التي كانت بقربه وبجواره فتكونت بطائح خطيرة من «واسط» الى ظهر «البصرة» ولما كانت ايام انوشروان العادل ، زحم الماء بالمسنيات فعادت تلك الارضون الى حالها القديم ، فلما كانت ايام ابنه ابرويز ارتفع الماء عام ٧ للهجرة في دجلة والفرات ارتفاعا عظيما ، وانبثقت بثوق كبيرة لم تقو جهود الملك على درء خطرها ، فظلت هكذا حتى جاء المسلمون فانشغلوا في الحروب ، وكانت البثوق تتفجر ولم يلتفت احد اليها . فلما كانت ايام الحجاج بن يوسف الثقفي ، كبرت البطائح واستفحل امرها ، فكاتب الوليد في امرها واخبره بما يلزم ذلك من الاموال الطائلة فاستكثر هذا النفقات اللازمة لردمها ثم فوض امر سدها الى مسيلمة بن عبدالملك بعد ان اقطعه اياها : ولكن امرها بقي مستفحلا الى هذا الزمن فاذا ارتفعت المياه في دجلة والفرات عادت البطائح الى ما كانت عليه ايام الفرس ، وفي صدر الاسلام

فيها سراي فخم ومدرسة للبنين واسعة ومستوصف للاهلين ودائرة للبرق والبريد ، وفيها قيسارية يتدارك الاهلون من اسواقها ما يحتاجون اليه من الموادالاولية .

ناحية السويب : — السويب — بالتصغير ايضاً — ناحية جسيمة تمتد اراضيها علىساحل دجلة الأيسر ، وساحل شط العرب الأيسر ، وهي تحادد البلاد الإيرانية عن طريق الحويزة ولكنها لا تعرف العجمة ، فجميع سكانها وفلاحيها عرب اقحاح ، يشغلون أكثرمنثلاثين قرية ، ويمتهنون الزراعة التي هي مدار عيشهم ولا يميلون الى التجارة ، ومركز الناحية بنية حقيرة تقع فوق رابية مرتفعة يسمونها التل على مسافة سبعة كيلومترات من شرقي القرنة .

قضاء أبي الخصيب

في البصرة شبكة من الأنهار كبيرة العدد ، تخرج من عمود « شط العرب » وتتفرع من هذه الشبكة جداول ونهيرات لا تدخل تحت حصر ، فتسقي بساتين « الفيحاء » ونخيلها ، وتلطفالجو فيانحائها . ومن الأنهار الخارجة من العمود المذكور « نهـــر ابو الخصيب » الذي حفره الخصيب ، عامل المنصور سنة ١٤٠هـ — ٧٥٨م ، واقام عليه قصراً فخماً هو مبدأ بناية أبي الخصيب الحالية على مايظهر للمتتبع .

كانت « ابو الخصيب » مركز ناحية تابعة للبصرة ، اما الآن فهي مركز قضاء ، من اهم الأقضية في لواء البصرة . يحتوي على ناحيتين مهمتين هما « الفاو » و«السيبة»وتخترق اراضيه جداول كثيرة ؛ وهو عبارة عن غابة من النخيل تمتد على الضفة اليمنى من « شط العرب » الى مسافة بعيدة ، ولما كان معظم البصريين أصحاب مقاطعات كبيرةفيهذا القضاء شيدوا لهم فيه قصوراً بديعة ، وبنوا لآلهم وذويهم مساكن جليلة ، وأبنية مزخرفة بديعة ، يطل بعضها على الشط المذكور فيخيل للناظر اليها انها جنة من جنان الدنيا وحديقة من حدائقها الغُنّ ، وفي عام ١٩٣٧م أدخلت على أبي الخصيب اصلاحات عمرانية جديدة ، وتأسست فيها مشاريع للكهرباء والماء والتعقيم فزاد ذلك في جمالها وانعش اقتصادياتهاووسع رقعتها .

تبعد « أبو الخصيب » عن البصرة جنوباً ٢٠ كيلومتراً وفيها زهاء ١٦٥٠ نسمة (١) ، وتخترقها جادة معبدة ومزفتة ، ولها جسران يقوم أحدهما على نهر أبيالخصيبفيسمىباسمه ويركب الثاني نهر « ابو فلوس » فيدعى « جسر ابو فلوس » وتزدهر الحركة التجارية والعمل فيها أشهر الصيف ، حيث ينضج التمر ، فترى العمال يتواردون عليها من كل فج عميق ، حتى من القسم الجنوبي من ايران ، للاشتغالفيجمع التمور وتعقيمها وكبسها ثمحملها

---

(١) جاء في الاحصاء العام لسنة ١٩٤٧م ان نفوس قضاء ابي الخصيب ٨٢٧٩١ نسمة

الى الخارج ، ولهذا تكثر المكابس هناك . وهي على نوعين : ثابتة حيث بنيت من الطين او الآجر ، وموقتة حيث تعمل من القصب والبواري ، وقد انشىء بالقرب منها معمل عصري كبير لتعقيم هذه التمور ، وكانت قبلا تعقم في اوربا وامريكا حيث ترسل اليهما .

ناحية السيبة : ـ السيبة قرية صغيرة واقعة على الضفة اليسرى من « شط العرب » في موضع يبعد ٥٧ كيلومتراً عن البصرة جنوباً ويقابل مدينة عبّادان الايرانية ، على الضفة الثانية من الشط المذكور ، وهي قرية محرومة من كل عمران عصري حديث،ومن كل حاجة من الحاجات الضرورية ، لذا نرى الأهلين فيها يتداركون حاجاتهم من أسواق عبّادان .

وفي السيبة وعبادان ألقى الاسطول البريطاني مراسيه لأول مرة ، لمانشبت نيران الحرب العالمية الأولى « حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨م » وتسلل الجند البريطاني الى الأراضي العراقية بطريق « كوت الزين » امام قصبة المحمرة .

ناحية الفاو : ـ هذه ناحية زراعية جسيمة ، او هي غابة من النخل عظيمة . تمتد على الضفة اليمنى من « شط العرب » الى مسافة بعيدة ، ومركز الناحية « الفاو » وهي قرية كبيرة قائمة على الضفة اليمنى من الشط المذكور فيها عمارات لمديرية الميناء واسعة ،ومساكن طينية للأهلين حقيرة ، ومقاه ومتنزهات لا بأس بها ، وفي نهاية الناحية ؛ على رأس الخليج قلعة حصينة انشأها الترك سنة ١٨٨٦م . وقد اتخذت هذه القرية مركزاً ضد الدفاع السلبي واتخذت بيوت للعمال القريبة منها معقلا للعراقيين ، زج فيه المشتبه في سلوكهم السياسي من ايلول سنة ١٩٤١ الى مايس ١٩٤٢م حيث جرى نقل المعتقلين الى « العمارة » على شاطىء دجلة الايمن ، وكان صاحب هذا الكتاب في عداد المعتقلين . وتبعد الفاو ١٠٥ كيلومترات عن البصرة جنوباً وهي تعج اليوم بمنشآت شركة نفط البصرة وخزاناتها الواسعة وترسو عندها ناقلات النفط الضخمة لتنقل الذهب العراقي الاسود الى الاسواق العالمية .



لواء العمارة

تمهيد

تقع اراضي لواء العمارة على ضفاف الانهر الثلاثة دجلة والكحلاء والمشرح وتشتهر بخصب التربة ، وتمتد حدود اللواء من جنوبي لواء الكوت حتى حدود لواء البصرة ، فيحده من الشمال وادي نهر الچباب ، على ضفة دجلة اليسرى واراضي عشيرة المقاصيص على ضفتها اليمنى ، ومن الجنوب نهر السطيح ــ بالتصغير ــ الذي يصب في دجلة في الجهة اليمنى ، ونهر العقيق المندرس في الجهة اليسرى ، ومن الشرق اراضي الحويزة التابعة الى ايران ، وكذا جبال بشت كوه الإيرانية ، ومن الغرب مجرى الا «دجيلة» فالبطائح المتصلة بأراضي لواء المنتفق ، وتختلف طريقة توزيع الاراضي الاميرية في هذا اللواء عنها في بقية الالوية فهي تعطى الى الشيوخ بالايجار ببدلات معينه وآجال مقررة فيكون الشيخ خلال المدة المذكورة في العقد حر التصرف يشغل من الفلاحين من يشاء ، ويستغني عمن يشاء فتتجلى بذلك مساوىء الاقطاع بأجلى مظاهرها ، على حين انها تعطى في الالوية الاخرى بالتسقام فتكون الضرائب الاميرية عليها معينة في قوانين الاعشار ضريبتي الارض والماء ، وعلى كلٍ فإن «لواء العمارة» يتمتع بالهدوء والسكينة التامة على خلاف بقية الوية العراق الوسطى .

مساحة اللواء وعدد نفوسه

تبلغ مساحة لواء العمارة ١٨،٣٩٥ كيلومتراً مربعاً .

ويبلغ عدد نفوسه (٣٢٩٦٤٧) بحسب الاحصاء العام الذي جرى سنة ١٩٥٧م

عشائر لواء العمارة

في لواء العمارة اربع قبائل رئيسية لكل منها افخاذ معلومة ؛ واربع اخرى لكنها ثانوية، وفيما يلي اسماء القبائل الرئيسية اولاً :

١ً ــ قبيلة ألبو محمد ، وافخاذها : ١ً ــ ألبو عبود ٢ً ــ بيت لويلو ٣ً ــ الفرطوس، أو الشدّة .

٢ً ــ قبيلة بنولام ، وافخاذها : ١ً ــ آل بلاسم ٢ً ــ جنانه ٣ً ــ كعب .

٣ً ــ قبيلة الازيرج،وافخاذها : ١ً ــ آل ربيع ٢ ــ السواعد ٣ . . ألبو عطوان

٤ ـ الحريشيون

٤ ـ قبيلة ألبودراج ، وافخاذها : ١ً ـ الكولبة ٢ً ـ ألبو فرج ٣ً ـ ألبو كمر ٤ ـ ألبوخضير ٥ً ـ ألبو عيث .

أما القبائل الثانوية في اللواء فهي :

١ ـ السودان (وهم من آل ابراهيم ـ على مايزعمون ـ)

٢ ـ السرّاي (يقولون انهم من ربيعة) ٣ ـ السواعد (لا يعرف أصلهم)

٤ ـ البهادل (يزعمون أنهم من خفاجة)

تنظيمات اللواء الادارية

يتقوم لواء العمارة من ثلاثة أقضية وهي : ١ ـ قضاء العمارة ٢ ـ قضاء قلعة صالح ٣ ـ قضاء علي الغربي

وتتبع قضاء العمارة أربع نواح وهي : ١ ـ ناحية المشرّح ٢ ـ ناحية الكحلاء ٣ ـ ناحية الكميت ٤ ـ ناحية المجر الصغير .

وفي قضاء قلعة صالح ناحية واحدة يقال لها « ناحية المجر الكبير »

وفي قضاء علي الغربي ناحية واحدة هي « ناحية الشيخ سعد » وفيما يلي تفصيل ذلك :

مركز اللواء

« ألبو محمد » قبيلة كبيرة تقطن ضفتي دجلة ، من المحل المعروف اليوم بالمجر الكبير حتى بزايز «ذنائب» هور الحمار ، قرب القرنة ، نزح عميدها محمد الزبيدي « من زبيد » في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة ، والقرن السابع عشر للميلاد ، إلى أطراف « العمارة » الحالية ليساهم بني المنتفق وبني لام في استغلال الارض واستثمارها ، فكانت له « قبيلة » وكثر احفاده فكان للقبيلة « أفخاذ » فلما كانت ايام حفيده (فيصل بن داغر بن لويلو بن جويمل بن محمد الزبيدي المذكور) قويت شوكته حتى صار يصنع المدافع ويناهض نفوذ بني المنتفق وبني لام وتوسعت أحواله وتعاظم شأنه حتى قيل عنه أنه جهز جيشاً لغزو « الحويزة » ولكن المنية عاجلته حوالي سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٥م) وهو في الطريق قبل أن يدركها ، فتنازع أخوه (منشد) وولده (شياع) على الرئاسة فكانت للاول إذ استطاع أن يخضع ابن اخيه ويزجه في السجن . ولكن (شياعاً) هرب من السجن ، وطفق يكدّر الجو على عمه ، ولما كانت لـ (منشد) مكاتبات وملابسات مع السلطات الحكومية فقد أدى ذلك الى القبض عليه وعلى اخيه الثاني (ابي ريشة) ونفيا الى الآستانة ، فلبثا فيها اربعة اعوام انتهت بالعفو عنهما واعادتهما الى العراق على شرط أن يساعد السلطات الحكومية في إقرار الأمن وإقامة النظم الادارية ، ولما وصلا الى

بغداد جهز الوالي « نامق باشا » مفرزة من الجند عام ١٢٧٨ﻫ (١٨٦١م) للقضاء على نفوذ الشيخ منشد بن خليفة ، وعلى الفتن التي كان قد استفحل امرها ، وقد عهد بقيادة هذه المفرزة إلى (اللواء محمد باشا الديار بكرلي) فكانت الحرب سجالا بين الطرفين ، واخيراً ختمت بانتصار الجيش ثم انشأت الحكومة مقراً عسكريا لها على ضفة دجلة اليسرى سماه الاهلون (الاوردي) وهي لفظة تركية معناها (المعسكر) ولا يزال هناك من يطلق هذا الاسم على البقعة التي اقيمت عليها مدينة (العمارة) بعد حين. فلما هدأت الاحوال واستقرت الامور ، نظمت الحكومة (لواء عسكريا) دائميا لحفظ الامن في هاتيك الربوع ، وللاشراف على جباية الاموال الاميرية ، وأنشأت للجيش المقيم هناك (عمارة) فخمة ليسكنها ويتحصن بها اذا اضطربت الحالة مرة اخرى . وكان المجاورون لـ (عمارة) الجيش يفتحون الحوانيت قياماً بما يحتاج اليه الجند ثم صاروا ينشؤون المنازل والبيوت للسكنى ، فصار الاهلون يطلقون لفظة (العمارة) على هذه المجموعة من المساكن والحوانيت ، وقد أرخ الشاعر عبد الغفار الاخرس تاريخ تاسيس العمارة بقوله :

عمرتموها فغدت عمارة كما أردتم لمراد الخاطر
فقل لمن يسأل عن تاريخها قد عمرت أيام عبد القادر(١)

اي عام ١٢٧٨ﻫ – ١٨٦١م وعبد القادر الذي يعنيه الشاعر في تاريخه هذا ، هو اول قائم مقام مدني عيّن لقضاء العمارة بعد انتهاء الحركات العسكرية ، والشروع في تنظيم النظم الادارية ، وقد سميت احدى المحلات باسم (القادرية) تخليداً لذكراه ، وهي لاتزال تحتفظ بهذا الاسم .

هذا هو موجز تاريخ انشاء (العمارة) ، بلدة الخصوبة والرخاء ، النزهة والرفاه (٢) ؛

---

(١) ديوان – الطراز الانفس في شعر الاخرس – ص٢٣٠ طبع بالاستانة سنة ١٣٠٤ﻫ

(٢) قال البحالة الكبير والمحقق الجليل الاستاذ يعقوب سركيس في كتابه «مباحث عراقية» ١/٢٦٤

« ان الذي يثبته التاريخ هو ان اسم العمارة في تلك الاصقاع لايعود الى الحادث والتاريخ اللذين اشير اليهما فلا يرجع الى العمارة التي ذكرها... بل الاسم معروف في تلك الجهات قبل الزمن الذي انبئنا به ما يريد على اجيال. وقد ذكرت في مصنفين لاديبين قبل ما يقرب من اربعة قرون. وذكر اسم العمارة ونهر العمارة وكوت العمارة في عدة مؤلفات قديمة لا تقل من الخمسة عشر بين مخطوط ومطبوع فيها العربي والتركي والفارسي والفرنسي والانكليزي والايطالي » اهـ

ونحن لا نخالف استاذنا الكبير في وجود ذكر لاسم العمارة، ونهر العمارة، وكوت العمارة في مؤلفات قديمة ومراجع لاطعن لطاعن فيها ، ولكنا نقول ربما اخذت مدينة العمارة الحالية اسمها هذا من قرية اخرى كانت تعرف بهذا الاسم في تلك الاطراف فأصابها الخراب، او انتقلت الى هذا الموضع فان الطاعنين في السن يتناولون هذه الاقصوصة خلفا عن سلف «ويا ليت العماريين يكتبون لنا ما يقصه عليهم رواتهم ليأخذ الباحث عنهم السمين ويرمي الغث بعد التمحيص والتدقيق» كما تمنى استاذنا ذلك في خاتمة بحثه فتكون كتابتهم فصل الختام

وهي مع كونها انشئت حديثا نرى حركة العمران فيها سارت سيرا مطردا حتى صيرتها بلدة واسعة الرقعة ، طيبة البقعة، والوافد اليها اليوم يشاهدها مدينة فاتنة خلع عليها العمران بروداً من الجمال ، وكستها الطبيعة جلابيب من الروعة والبهاء ، ولا سيما الحي الجديد في الجنوب الذي شرع في تخطيطه وإنشاء العمارات الحديثة فيه منذ عام ١٩٤٠م

وينعطف (دجلة) عند مدخلها قليلا فيتفرع منه فرع يسمى (الكحلاء) ويتجه عمود النهر الاصلي إلى الجنوب فتقوم عليه المباني الرئيسية كدار المتصرف ، والمستشفى الملكي ، وصرح الحكومة ، ودائرة الكمرك والمكوس ، ودائرة البرق والبريد ، واملاك السنيّة ، والمدرسة الاعدادية ، والمدرسة الابتدائية ومستشفى الامريكان — الذي انشأته الجمعية التبشيرية الامريكية — . اما نهر الكحلاء فإنه يجري نحو الشرق قائمة عليه سلسلة من القصور والمخازن والبيوت ، ويفصل العمارات القائمة على هذين النهرين شارعان جميلان مبلطان يدعى احدهما (شارع دجلة) ويسمى الثاني (شارع الكحلاء) وقد غرست على جوانبهما الاشجار السامقة المورقة، وانشئت في وسطيها الحدائق الانيقة ذوات الازهار العبقة والالوان الساحرة وفي وسط البلد سوق طويلة مستقيمة تقسمها إلى قسمين من الغرب إلى الشرق فيقع صدرها على دجلة ، وذنبها على الكحلاء تلك هي سوق الشابند وقد صفّت فيها الحوانيت على نسق واحد ، وقامت المخازن وغيرها، ولهذه السوق سقف معقود بالآجر على هيأة مقوسة ومرتفعة جداً ، وعلى طرفيها اسواق متداخلة ، والمدينة تبعد عن جنوبي بغداد ٣٩٠ كيلومتراً وعن شمالي البصرة ١٩٠ كيلومتراً وفيها من النفوس زهاء ١٢٥٠٠ نسمة ، أما نفوس القضاء كله ف ١٩٤٠٠٧١ نسمة

وكانت بينها وبين البصره سكة حديد انشأتها سلطات الاحتلال البريطانية سنة ١٩١٦م لاغراض عسكرية لكنها مالبثت ان رفعتها لانتفاء الحاجة اليها .

وفي العمارة ثلاثة جسور : مد الانكليز الكبير منها على دجلة، على مقربة من السوق ليصل ضفة دجلة اليمنى بضفته اليسرى ، وانشأت مديرية الاشغال العراقية الجسرين الآخرين على الكحلاء والمشرح ، وهما حديديان (١) ونهر الكحلاء هو الذي يتفرع من دجلة عند مدخل العمارة اما المشرح ، فهو النهر الذي (ينشرح) من الكحلاء خلف المدينة،ولهذا تكثر الرطوبة في معظم دور العمارة القديمة فتكون اهم ميزاتها ، اما البيوت الحديثة فاول ما يعتني به اصحابها رفعها عن مستوى سطح الماء .

---

(١) وفي عام ١٩٥٨م انجز مجلس الاعمار جسر العمارة المقام على ركائز خرسانية ضخمة فكان طوله ٢٢٥ مترا وعرضه تسعة امتار مع ممشيين للسابلة عرض كل منهما ثلاثة امتار وفي وسطه فتحة طولها ٨٢ مترا.

وتتمتع المرأة في قبائل ألبو محمد بحرية واسعة،كما يتمتع الرجل بضروب الحرية، وكثيرا ماتخلف الزوجة زوجها الزعيم في زعامته إذا توفي وكان اولاده صغاراً قاصرين ، كماخلفت (الشيخة منيرة) زوجة (عثمان اليسر) ، احد رؤساء ألبو محمد ، عند وفاته ، وقامت بجميع شؤون الرئاسة من مقابلة رجال الحكومة ، واداء الضرائب ورعاية العشيرة ، والفصل في منازعات افرادها ، ونحو ذلك ، كما ان لزوجات الشيوخ الامر والنهي في حياة ازواجهن ،

وكانت تجارة « العمارة » بأيدي اليهود . شأنها في جل المدن العراقية،عدا تجارة الحبوب فإنها كانت بايدي المسلمين ، فلما هجر العراق ناكرو نعمته بعد قيام دويلة لهم في فلسطين اصبحت التجارة كلها بايدي المسلمين ، والحركة الثقافية في العمارة تكاد تكون راكدة ، مع كثرة المدارس الاميرية فيها ، اما حالتها الصحية فجيدة جدا ، فالهواء طلق ، والمنـاخ معتدل والثراء عام والماءالعذب ينساب الى البيوت بواسطة الانابيب بعد تصفيته ، وصيدالبر والنهر فيها متوافر لكثرة مافيها من الطيور والخنازير والغزلان والاسماك وغيرها .

قضاء العمارة

يتقوم هذا القضاء من النواحي التالية ، ويقيم القائم مقام في مدينة العمارة نفسها .

« ناحية المشرح » ــ بتشديد الراء المفتوحة ــ ومركزها قرية الحلفاية « من الحلفاء » القائمة على الضفة اليمنى من نهر المشرح « بتشديد الراء وفتحه ايضا »وهو النهر المنشرح من عمود دجلة في مدخل العمارة ، في موضع يبعد عن شرقي العمارة ٣٢ كيلومتراً ، وقد بوشر في العمارة على الضفة اليسرى من النهر المذكور في السنوات الأخيرة فأصبح عمرانها عبارة عن دار لمدير الناحية وثانية لكاتب الناحية وثالثة لمفوض الشرطة ورابعة لمأمور الكمركمعسراي لحكومة يجمع دوائرها كافة ، ومدرسة للبنين ومستوصف للمراجعين .

« ناحية الكحلاء » ــ ومركزها قرية «مسيعدية» القائمةعلىالشاطىء الايسر من«جدول الحسيكي» المتفرع من نهر الكحلاء في موضع يبعد ٢٧ كيلومتراً عن العمارة شرقا ، وكانت قبلا تسمى القلعة ، وهي القلعة التي انشأها الشيخ مجيد الخليفة رئيس ألبو محمد سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م) فيها من النفوس زهاء الفي نسمة ومن المباني مدرسة للبنين،ومستوصف للأهلين وبضعة دور للحكومة والاهلين .

« ناحية الكميت » ــ مركز هذه الناحية قرية كبيرة يقال لها كميت ــ بالتصغير ــ اسسها رئيس ألبو دراج وهو الشيخ خطاب على الضفة اليمنى من دجلة في موضع يبعد عن شمالي العمارة ٤٥ كيلومتراً وذلك عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) فيها من النفوس زهاء الفي نسمة ومن المباني مدرسة اميرية للبنين واخرى للبنات ومستوصف صحي جميل ،مع بضعة دورللموظفين

وحديقة يجتمعون فيهااوقات فراغهم، وعلى مسافة كيلومترين من شمالها غابة واسعة يصطاف فيها الأهلون ويتنزه فيها الموظفون.

« ناحية المجر الصغير » — كانت هذه الناحية ملحقة بناحية المجر الكبير التابعة لقضاء (قلعة صالح) لكنها فرزت وجعلت ناحية مستقلة ومركزها اليوم قرية ام عين التي بناهـا الشيخ سلمان المنشد رئيس آل أزيرج سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) على الضفة اليسرى من نهر المجر الكبير في موضع يبعد ٢٣ كيلومتراً من العمارة جنوباً .

قضاء قلعة صالح

(صالح) رجل نجدي الاصل ، عراقي المسكن ، نال رتبة (دللي باشا) في عسكر الهايته الذي أنشأت الحكومة العثمانية فرقتـه سنة ١٢٧٠هـ — ١٨٥٣م وتولى رئاسة الجند النظامي الذي ارسلته السلطة لتأديب قبيلة «ألبو محمد» التي تمردت فامتنعت عن اداء الرسوم الاميرية فاندفع بمن كان معه الى « نهر المجرية » الذي يتشعب من الضفة اليسرى من دجلة ، ويشق مدينة المذار التاريخية وعسكر عليه ، فتسلط على الاهوار التي كان المتمردون يعتصمون بها، وقطع المؤن والارزاق حتى اضطرهم الى الاستسلام ، فقبض على رؤوسهم وفرق جموعهم

ورأت الحكومة ان تولي «صالحاً» المذكور حكم هذه المقاطعة فأنشأ فيها قلعة سنة ١٢٨٣هـ — ١٨٦٦م نسبت اليه فسميت « قلعة صالح » ثم جاء بلفيف من الايرانيين المنقطعين الى مزار عبد الله بن علي ، وبجماعة من الصابئين الساكنين بقرب ذياك المزار ، فانزل الاولين على الضفة اليمنى من نهر المجرية « بجوار القلعة المذكورة » واسكن الآخرين على الضفة اليسرى وتمكن بهذه الطريقة من تأسيس قصبة على عمود دجلة اتسعت رقعتها مع مرور الزمن حتى عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز قضاء تابع للواء العمارة ، وهي اليوم على الضفة اليسرى في موضع يبعد عنها جنوباً ٤٥ كيلومتراً ، وفيها من النفوس زهاء ٥٠٠٠ نسمه من المدنيين ثلثهم من الصابئين الذين بنوا معابدهم في غربي القصبة في الموضـع المسمى « لطلاطه » اما عدد نفوس القضاء فهو ٧٨٠٥٤ نسمه حسب احصاء عام ١٩٤٧م

فيها شارعان عريضان طويلان معبدان ومبلطان ، يحاذي احدهما عمود النهر ، ويبدأ الثاني من مشرعة القصبة وينتهي بنهايتها ، اي انه يشقها في وسطها من الغرب الى الشرق فيقسمها الى قسمين ، وتحاذي الشارع الثاني سوق طويلة قديمة مزدحمة بحوانيت غير منتظمة ،وتقوم على الشارع الاول مبان جميلة تطل على دجلة فتكبسها منظراً رائعاً ، وعلى حافة النهر طوار عريض من الآجر يمتد بامتدادها ، وهي تنار بالكهرباء .

وعلى مسافة ٣٣ كيلومتراً من جنوبي «قلعة صالح» وبالقرب من الحدود التي تفصل لواء

العمارة عن لواء البصرة تشاهد قرية كبيرة على الضفةاليمنى من دجلة يقال لها « العزير » فيها مشهد يقال انه قبرالنبي عزير الكاتب (كاتب الشريعة لبني اسرائيل ورائدهم في رجوعهم الى قدس اسرارهم) في دار قوراء فرشت ارضها بالرخام الابيض وبنيت فيهازهاءمئة حجرة ، وفيها قبة محلاة بالقاشاني الملون النفيس ، فتراهم يقصدونه في مواسم مخصوصة من السنة للزيارة ، وكانت سدانة هذاالمرقد بيد عشيرة مسلمة تسمى (الكوام) الى اواخر ايام الحرب العالمية الاولى ولكن اليهود انتزعوها منهم بقوة ضباط الاحتلال البريطاني ونفوذهم فبقيت في ايديهم الى ان هاجروا الى فلسطين سنة ١٩٥٠م

وبين العزير وقلعة صالح ، على الجانب الايسر من دجلة ، مزار يقال انه قبر الإمام عبيد الله بن علي بن ابي طالب (ع) يقصده الناس من جهات بعيدة للزيارة ، وبالقرب من هذا المزار مدينة اثرية خالدة هي (المدار) ومع انه لم تجر تنقيبات اثرية فيها بعد فإن آثارها شاخصة للعيان (١)

(ناحية المجر الكبير) — مركزها قريةالمجر الكبيرالقائمة على الضفة اليسرى من نهر المجرية المنشعب من دجلة جنوبي العمارة على مسافة ٢٩ كيلومتراً منها ، اسسها الشيخ صهيود ، احد رؤساء البو محمد سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م) وعني خلفاؤه بها فأنشأوا حولها البساتين وزرعوا حقول الخضر ، فاتسع عمرانها وذاع صيتها ، ومن عماراتها البارزة اليوم المدرسة الأميرية ، والمستوصف ، وسراي الحكومة ودور الموظفين ومنازل المتمولين .

قضاء علي الغربي

بين العمارة والكوت قبران في قريتين مختلفتين ؛ ينسب احدهما الى احد احفاد الامام موسى الكاظم (ع) وهو القائم على ضفة دجلة اليمنى ، والمعروف بعلي الغربي ، وينسب الثاني الى احد احفاد الحسين بن علي (ع) وهو القائم على جهة دجلة اليسرى ، في موضع يبعد عن القبر الأول (٣٨) كيلومتراً والمعروف بعلي الشرقي (٢) ، وكان الشيخ نعمةبن عرار ، احد رؤساء بني لام ، قد شيد سنة ١٢٨١هـ (١٨٦٤م) قرية بجوار القبر الأول سماها « القلعة »

---

(١) قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ٧/٤٣٣

« والمدار في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار اربعة ايام »

وقال أبو الحسن علي بن ابي بكر الهروي المتوفى بحلب سنة ٦١١هـ في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ص٨٠ « المدار قرية بها عبيد الله بن علي بن ابي طالب: وبهامات الحريري صاحب المقامات »

(٢) ذكره النساب، ابن المنهي العبيدلي، في كتابه المشجرة المسمى بالتذكرة فقال «علي الشرقي بن احمد ابن محمد بن داود بن موسى الثاني بن عبدالله الشيخ الصالح ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن ابي محمد الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وابن فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص)

إلا ان سكانها اطلقوا عليها اسم « علي الغربي » بعد حين فغلب هذا الاسم عليها ، وهي اليوم مركز قضاء « علي الغربي » تبعد عن العمارة شمالا مئة كيلومتر ، فيها سوق مستطيل تتخللها مقاه عامة حديثة : وفيها عمارات اميرية حسنة محاطة بحدائق جميلة اما بيوتها فأكثرها مبني بالطين واللبن ، وتظهر عليها آثار الفقر والفاقة ، ومعظم سكانها من التبعة الايرانية لان دجلة ينعطف عندها انعطافاً واسعاً يقرب اليه الجبل الايراني المعروف « بشت كوه » بحيث تكون على مسافة تقل عن عشرين كيلومتراً فانتقل اهله الى « علي الغربي » وبنوا فيها مساكن لهم وتاجروا بالالبان والدهون و الاصواف والجلود المنتجة في الجبل المذكور في الاراضي العراقية وقد فطنت الحكومة العراقية الى هذه الجهة فمنحت جل هؤلاء الجنسية العراقية ، وعلى ضفة النهر طوار من الآجر يمتد بامتدادها فيمنع التآكل .

وفي « علي الغربي » عادات لا تجدها في معظم القصبات العراقية ، منها انهم يرسلون الرضيع الى الجبل الايراني المذكور لدى مرضعات هناك ، حيث الهواء النقي ، فاذا كبر سنه اعيد الى اهله في مسقط رأسه ، ومنها انهم يبكون على المريض لمجرد مرضه بحيث يقلقون راحته وكثيراً ما يسببون له الوفاة من ازعاجه بالنـــواح عليه ، ومنها انه اذا تاخرت دجلة عن الفيضان المعتاد البسوا احدى الفتيات افخر لباسها فتزفها نسوة الى المشرعة بين التهليل والتكبير قائلات للنهر « هذي عروسك يا شط » فلا يرجعن الا بعد ان يضعن اقدامهن في الماء (١) . وتدل سجلات الحكومة لسنة ١٩٤٧م على ان عدد السكان في قضاء علي الغربي ٣٥٩٤٢ نسمة

« ناحية الشيخ سعد » اسس الشيخ سعد بن يوسف ، من رؤساء بني لام ، قريـــة على الضفة اليمنى من دجلة في منتصف طريق الكوت ـ العمارة سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فنسبت اليه وسميت باسمه ، ورأت الحكومة ان تجعلها مركز ناحية فازداد عمرانها وعظم شأنها ، فيها سوق مستطيلة طويلة يتدارك منها الاهلون حاجاتهم الاولية ، وفيها مدرسة للبنين ومستوصف المراجعين وبضعة دور حسنة للموظفين ودائرة للبرق والبريد .

---

(١) لاشك ان هذه العادات جاءت من اكراد جبل بشت كوه ، اما عادة ارسال الطفل عندما يولد الى الجبل المذكور فانها جارية أيضا في بدره وجصان وزرباطية ومندلي وخانقين وغيرها من المدن والقرى المتاخمة لهذا الجبل ويدعي الاهلون ان الطفل لا يعيش عندهم لوخامة الهواء ورداءة الماء لذلك يضطرون الى ارساله الى الجبل ، وهذه العادة كانت جارية في مكة المكرمة ايضا وفي كل مكان رديء المناخ

اما ما يتعلق بزف البنت الى النهر اذا تأخر فيضانه

ذكر المقريزي في خططه أنه كان للمصريين عوائد كثيرة يجرونها عند وفاء النيل، ولعل اكثر تلك العادات شهرة في القصص ، عروس النيل اذ كانوا يأتون بأجمل فتاة فيلبسـونها افخر لباس، ويحلونها بأبهـــى الحلل ، ويلقونها الى النيل عروسا له فلما كانت أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) امر فأبطلت هذه العادة. فهل من علاقة بين عادة اهل « علي الغربي » وعادة المصريين القدماء ؟

لواء الكوت

نظرة عامة

يقع لواء الكوت في القسم الجنوبي من العراق وفي شرقيه . ويحده اللواءان (ديالى وبغداد) شمالا ، وايران شرقاً ، واللواءان (العمارة والمنتفق) جنوبا ، واللواءان (الحلة والديوانية) غربا . واراضيه سهلة منبسطة اذا استثنينا منها القسم الشرقي المتاخم لمقاطعة لورستان الايرانية فهو متموج ، ويقطع نهر دجلة اللواء من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ويتفرع (الغراف) من (دجلة) قبالة الكوت فيسقي قضاء الحي . وتزرع في اللواء أجود الحبوب المعاشية من حنطة وشعير ودخن وسمسم وماش وهرطمان ... الخ اذ فيه اكثر من خمس مئة مضخة . وقد نجحت زراعة القطن فيه في السنوات الاخيرة .

مساحة اللواء ونفوسه

تبلغ مساحة لواء الكوت « ١٦،٣٠٩ » كيلومترات مربعة وفيه من النفوس زهاء « ٢٩٠،٠٧٠ » نسمة كما جاءت في السجلات الرسمية لسنة ١٩٥٧

قبائل اللواء

في لواء الكوت خمس قبائل رئيسية وهي :

١ً ـ ربيعة ٢ً ـ زبيد ٣ً ـ بنولام ٤ً ـ شمر ٥ً ـ الدليم

ولكل من هذه القبائل عدة افخاذ :

فأشهر افخاذ ربيعة : ١ً ـ الامارة وتوابعها ٢ً ـ المياح ٣ً ـ السراي ٤ً ـ المقاصيص

واشهر افخاذ زبيد : ١ ـ البوسلطان ٢ ـ الجحيش ـ بالتصغير ـ

واشهر افخاذ بني لام : ١ـ ارحمه ٢ً ـ آل حمد وتوابعهم

واشهر افخاذ شمّر : ١ ـ الدلابحة ٢ ـ النفافشة ٣ ـ الصدعان

اما اشهر افخاذ الدليم فهي الصباح وتوابعهم .

« وشمر » يقسمون الى قسمين : نزالة ، وهم اصحاب زرع وضرع ؛ يقيمون في اراض اميرية تسقيها المضخات والجداول الخارجة من عمود دجلة ، وجوالة وهم الذين يتجولون باغنامهم وإبلهم في الجزيرة بين النهرين دجلة والفرات .

تنظيمات اللواء الادارية

يتقوم لواء الكوت من ثلاثة اقضية وهي : ١ ــ قضاء الحي ٢ ــ قضاء بدرة و٣ ــ قضاء الصويرة . ولكل من هذه الاقضية نواح سيأتي ذكرها . وتتبع مركز اللواء ناحيتان همــا ناحية ام حلانة وناحية النعمانية واليك التفصيل :

الكوت

« الكوت » كلمة هندية ، وقيل بل برتغالية ، يراد بها القلعة . ومفهومهــا في العراق ما يبنى لجماعة من الفلاحين على حافة نهر او ساحل بحر ليكون مأوى لهم او مسكناً . وهو اما من القصب والبواري ، واما من الطين واللبن ، وقد يبنى وحـــده او يبنى حوله بعض الاكواخ ، واقرب ما يكون لتعريفه الميناء او المجمع ، او مخزن الذخائر الحربية .

وبلدة « الكوت » الحالية لايعرف على وجه التحقيق زمن تأسيسها ، فيتناقل اهلهــا رواية خلاصتها (ان سبع بن خمّيس احد شيوخ ميّاح « بطن من ربيعة » شيد قلعة مــن الآجر له في هذا الموضع سنة ١٢٢٧هـ(١٨١٢م) فكانت قلعته نواة نهضتها العمرانية ونسبت اليه اياماً دعيت خلالها « كوت سبع » وهو اسم لايزال يطلقه عليها بعض المتقدمين في السن ولاسيما من الاعراب) كما يزعمون . ويذكر امين الحلواني في ص ٢٩ من كتابه « مختصر مطالع السعود » المطبوع على الحجر في الهند سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م) ان « الكوت » كانت موجودة في زمن ولاية سليمان باشا الممتدة من سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩م) الى سنة ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) وينقل المستر لونكريك فقرة عن تقرير الوكيل البريطاني في العراق المرفوع الى حكومة الهند في سنة ١٢١٥هـ(١٨٠٠م) عن عزل شيخ بني لام وتعيين آخر بدله هذه العبارة:

« هاجم الشيخ المعزول الشيخ الحديث الذي عينه الباشا ، وزجت البــلاد في احضان اضطراب شامل من الكوت الى جصّان فما حول الجزيرة » (١)

وجاء في رحلة ايليس ايرون الذي انحدر الى البصرة في عام ١١٩٦هـ (نيسان ١٧٨١م) ما تعريبه :

« وفي الساعة الثامنة مررنا بمدينة كوت العمارة حيث يقيم شيخ بني لام » (٢)

وهناك رحلات اخرى لعدد من السياح الأجانب يذكرون فيها انهم مروا في اثناء ركوبهم دجلة بقرية تسمى « الكوت » مما يدل على انها قديمة ، وربما كانت في غير موضعها الحالي فلما كانت سنة ١٢٨٦هـ(١٨٦٩م) نالت «شركة ستيفن لنج» البريطانية امتيازاً بتسيير السفن التجارية بين البصرة وبغداد متخذة « الكوت » في عداد الموانىء الرئيسية التي ترسو عندها

---

(١) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٢١٤ (٢) مباحث عراقية ٢٧٤/١

بواخرها ، فتهافت عليها ، رويداً رويداً ، باعة العقاقير والاقمشة والصناع والصاغة ، وتجار الحبوب وغيرهم من مختلف انحاء القطر وشذاذ القبائل ، فتكاثر عدد سكانها ، وازدادت اهميتها حتى صار لها شأن يذكر . فلما كانت سنة١٣٣٢هـ(١٩١٤م) رأت السلطات البريطانية العسكرية ان تحول دون تمكن العثمانيين من تعكير صفو الامن في الخليج العربي ، وبث الدعايات المضرة في الهند ، فأرسلت «الجنرال ديلامين» على رأس قوة من الجيش الهندي بحجة حماية انابيب تكرير البترول في « عبادان فاهتبلت هذه القوة فرصة القلاقل التي كان يموج بها الفرات الاوسط واحتلت مدينة البصرة في٢٣ تشرين الثاني عام١٩١٤م ، ثم صارت تتقدم الى الشمال بخطى واسعة فكانت تحتل المدن والقصبات بعد قتال شديد تارة ، وتراشقات طفيفة تارة أخرى ، حتى اذا وصلت الى قرية « سلمان باك » على مسافة ثلاثين كيلومتراً من بغداد جنوباً ، تصدت لها الجنود التركية فصدمتها صدمة قوية اضطرتها الى ان تتراجع القهقرى حتى بلغت بلدة «الكوت» الممتازة بموقعها : الحربي و الجغرافي في٣ كانون الاول سنة ١٩١٥م . وبقيت محاصرة مع «الجنرال طاوزند» مدة طويلة لاقت خلالها انواع الشدة والضنك ، حتى اضطرها الحصار الى التسليم يوم ١ مايس ١٩١٦م بلاقيد ولاشرط ، وكان عدد الجند الذي وقع في الاسر زهاء (١٣,٠٠٠) عدا الضباط والقادة . فذاع اسم « الكوت » منذ ذلك الحين في الشرق وفي الغرب ، وصار الناس يتحدثون عنها الشيء الكثير ، ولاتزال فيها مقبرة للجنود البريطانية والهندية التي جزرت في هذا الحصار الطويل وسط حديقة واسعة مسورة .

وتقوم مدينة « الكوت » اليوم على الضفة اليسرى من دجلة في موضع يبعد عن الجنوب الشرقي لمدينة بغداد (٣٤٥) كيلومتراً بالنهر و(١٨٠) كيلومتراً بالسيارة . وترتفع ضفتا النهر حولها ارتفاعاً تجعل الاسقاء متعذراً . وتحيط بها مياه النهر من ثلاثة اطراف فتجعلها «شبه جزيرة » يتصل طرفها الشمالي بالطريق العام الممتد الى العاصمة « بغداد» ويقابلها على الضفة اليمنى صدر الغراف مع قرية حديثة كبيرة يقال لها « صوب المكينة » ويقدر عدد نفوس المدينة بـ (١٢,٩٦٠) نسمة عدا الاجانب من الايرانيين .

فيها ثلاث شوارع رئيسية يحاذي احدها النهر ويمتد بامتداد البلدة من الشمال الى الجنوب وهو شارع النهر ، ويمتد الشارعان الآخران باستقامة هذا الشارع ايضاً ، وتتفرع منها شوارع اخرى قليلة ، الا انها منسقة تنسيقاً يزيدها بهجة وبهاء ، وهذه الشوارع مبلطة تبليطاً صورياً وقد غرست على جوانب البعض منها اشجار الزينة المورقة ، وجذوع النخل السامقة وقامت خلفها البيوت العصرية والانزال الحديثة . اما الشارع الرئيسي «اي شارع النهر» فقد قامت

على جهته الأولى مباني البلدة البارزة ، وأنشئت على جهته الاخرى المحاذية للنهر الحدائق والجنائن المغروسة بالاشجار ذوات الالوان الزاهية والروائح العبقة .

وفي الكوت سوق طويلة تتفرع منها اسواق صغيرة متداخلة كما ان فيها مسجدين كبيرين تقام فيهما الصلاة أحدهما لاهل السنة قديم ، وآخر للشيعة حديث والأخير من اضخم المساجد التي عمرت بتبرعات الاهلين دون مشاركة الحكومة في هذا اللواء الواسع .

وأهل (الكوت) خليط من الاعراب والاعاجم الذين تجمعوا من هنا وهناك للكسب والارتزاق . والتجارة فيها تكاد تكون مهملة ، وأكثر مقاطعاتها الزراعية بأيدي التجار المتنفذين من اهل بغداد خاصة ، والعراق عامة ،وقد حصلوا عليها بتأثير المناصب الحكومية التي كانوا يشغلونها . أما الحركة الثقافية فراكدة على وجه الاجمال حتى قيل في الامثال العامة « الحي (١) حي وأهل الكوت أموات » وأما مناخهـا فجيد جداً حتى أنه يضرب المثل بطيب هوائها وجفاف اراضيها وعذوبة مائها وحسن منظرها وموقعها .

ويتوهم البعض من الناس فيسمي هذه البلدة « كوت الامارة » نسبة إلى أمراء ربيعة (شيوخ ربيعة) المبثوثين في شمالها وفي بعض اطرافها . اما الحقيقة فإنها « كوت العمارة » لان دجلة المنسلة من ناحية البغيلة « النعمانية » الواقعة في شمالها حتى « القرنة » الواقعة في جنوبها كانت ولا تزال تدعى « شط العمارة » وقد يقال لها « العمارة » بحذف المضـاف . وإنما قيل لها « كوت العمارة » لوقوعها على هذا الشط من جهة ؛ ولتتميز عن بقية الأكوات من جهة أخرى ، فإن في العراق قرى عديدة يقال لها « كوت » بالإضافة(٢) ككوت الزين وكوت المعمر وكوت الافرنجي وكوت العصيمي وكوت الباشا وكوت ابن نعمة . . . الخ والكوت كلمة هندية يطلقونها على القلعة المقامة على النهر كما قدمنا .

يقول فريزر في ص٢٩/٣٠من كتابه «بين النهرين وآشور» المطبوع في ادنبره سنة ١٨٤٢م « بعد ان يجري دجلة بين خرائب طيسفون وسلوقية يندفق في أرض غرينية عميقة ويصب في مستنقع أيضاً ، ولا تختلف ضفتاه عن ضفتي الفرات .وهناك على طول النهر تلال وروابٍ تمثل مساكن الأقدمين ويتخللها مضارب العرب وأكواخهم وعـدة قرى كبيرة واعظمها كوت العمارة Koote ul amara وقد اطلق أسمها (أي البلدة) على ذلك النهر حتى القرنة

---

(١) الحي قصبة جميلة قائمة على الغراف تبعد عن الجنوب الشرقي لمدينة الكوت ٤٨ كيلومترا وهي مركز القضاء المسمى باسمها

(٢) للاستاذ يعقوب سركيس بحث نفيس عن قدم الكوت نشره في المجلد الاول ص٢٦٩ — ٢٧٦ من كتابه الخالد « مباحث عراقية »

حيث يقترن النهران العظيمان ويتألف منهما شط العرب » إهـ (١) .

ويشاهد في مدخل الكوت اليوم « السدة » التي تم إنشاؤها وتدشينها في عام ١٩٣٩م . وهي من اعظم مشاريع الري في العراق ، وقد أنشئت على دجلة لرفع نسبة الميـــاه بموجب آلات وموازين دقيقة فيؤمن بهذه الواسطة تدفق شطر منها الى « الغراف » النهر الذي ينقطع جريان الماء فيه بضعة أشهر في منتصف كل سنة حتى فصل الخريف فيصعب الاعتماد عليه في سقي المحاصيل الصيفية بل حتى الشتوية أحيانا . أما في حالة الفيضان فتبقى أبواب السدة مفتوحة في وجه المياه المتدفقة حيث تلتقي على علو خمسين قدماً فوق قواعد التركيز. وتتألف « سدة الكوت » من ٥٦ فتحة عرض كل منها ستة أمتار وارتفاعها ٩٫٢٠ أمتار . ولهذه الفتحات أبواب من الحديد أو الفولاذ تنزل فيها كما ينزل السيف في الغمد . اما طول السدة فخمسمئة متر وعرضها فنحو أربعة عشر متراً . وقد روعي في بنائها أن تكون صالحة للملاحة وقد جعل لها هويس (٢) يفتح لمرور البواخر طوله (٨٠) متراً ، وعرضه ستة عشر متراً ونصف متر . وكانت أعمال هذا المشروع المفيد قد وضعت في المناقصة سنة ١٩٣٤م فرسبت على شركة (بلفور بيتي البريطانية) بمبلغ ١٫١١٩٫٤٣٠ ديناراً. وهو من جملة مقترحات السير وليم ويلكوكس ، المهندس البريطاني الذي استقدمته الحكومة العثمانية إلى العراق في عـــام ١٩٠٩م لدرس أحوال الري فيه .

نواحي اللواء

لمركز لواء الكوت ناحيتان وهما : ناحية النعمانية وناحية أم حلاّنة

« ناحية النعمانية » — كانت تسمى هذه النـــاحية بناحية البغيلة . و « البغيلة » تصغير «بغلة» و « البغلة » سفينة كبيرة كانت تحمل وتقف في حدها إلى القرية المسماة «بغيلة» (٣) ثم سميت بناحية « النعمانية » في أواخر سنة ١٩٣٠ ميلادية لقربها من طلول بالية يقال إنها كانت مصيفاً أو حصناً للمناذرة (٤) . وهي اليوم قرية كبيرة آهلة . هواؤها نقي وماؤها عذب ، ومنظرها جميل جداً ، فهي قائمة على الضفة اليمنى من دجـــلة في موضع يبعد عن

(١) نقلها الاستاذ رزوق عيسى في (لغة العرب) ص٧٨٥ — ٧٨٦ من المجلد الثامن

(٢) الهويس اصطلاح مصري يراد به الفتحة المقامة في نهاية السد لعبور السفن

(٣) جاء ذكر «البغيلة» بهذا الاسم في رحلة ريج سنة ١٨٢١م فقال عنها : انها قلعة من الطين على ضفة دجلة اليمنى تعود الى شفلح شيخ زبيد وقد كانت مركز ناحية في عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) و «ريج» هذا هو «كلوديوسن جيمس ريج ممثل شركة الهند الشرقية والمقيم البريطاني في بغداد في اوائل القرن التاسع عشر»

(٤) النعمانية بالضم كأنها منسوبة الى رجل اسمه النعمان، بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة معدودة من الزاب الاعلى — معجم البلدان ص٣٠١ من المجلد الثامن —

وقد درست مديرية الآثار العامة « تل النعمان » الكائن على بعد خمسة كيلومترات من قرية النعمانية شمالا فبان لها ان ادوار سكناه ترتقى الى العصر البابلي الحديث والفرثي والاسلامي .

الكوت شمالا ٤٨ كيلو متراً ويربطها بالضفة اليسرى جسر سيار يقال له «ثرية» —بالتصغير— وحولها مزارع غنية وبساتين مثمرة ، أما مبانيها فبعضها من الطين واللبن ،والبعض الآخر من الآجر المشوي ، وأما نفوسها فتعد (٧٥٧٣) نسمة .

قيل لنا إن الذي أسس هذه القرية هو الشيخ عجم رئيس عشيرة الكلابيين « بطن من زبيد » وأنه قد كان أقام بناءً لسكناه فيها في سنة ١٣٠٣هـ — ١٨٨٦م وان أصحابه تبعوه في تشييد المنازل والحوانيت ، فلم تزل القرية في تقدم وازدهار حتى إذا ابتاع السلطان عبدالحميد أراضيها ، وأمر ببناء محل لإدارة أملاكه فيها ، عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز ناحية . اما جريدة الزوراء الرسمية فتروي في عددها المرقم ١٠٦٨ الصادر في ١٢ صفر ١٣٠٠هـ (١١ كانون الاول ١٢٩٨ روي) اي ١٨٨٢م هذا الخبر :

(وإن موقعي نهري البغيلة وشاذي الواقعين في قضاءي العزيزية والجزيرة والمتخذين مركزي ناحية ، قابلان للمعمورية فحصل التفضل بالتزام وضع كل منهما في حال قصبة . فمن هذين : البغيلة أمر (الوالي) بأن يخطط فيها عدة دور ودكاكين بمعرفة المهندس ايضاً وجرى الامتنان باستحصال الاسباب لتكون قصبة مكملة عن قريب إهـ (١) .

ناحية أم حلانة : — مركز هذه الناحية قرية أم حلاّنة القائمة على ضفة دجلة اليمنى خلف قصبة الكوت تماماً ، وهي قرية صغيرة إلا أن الاراضي الزراعية التابعة لها كبيرة وشهيرة ، وقد الغيت هذه الناحية أخيراً .

١ — قضاء الحي

كان الحجاج بن يوسف الثقفي عامل بني امية على العراق قد شرع في بناء مدينة على دجلة بجوار كسكر في عام ٨٣هـ — ٧٠٢م لتكون دارا للإمارة وقد اتمها في عام ٨٦هـ ٧٠٥م فسميت «واسط» لتوسطها بمسافة واحدة بين الكوفة والبصرة والأهواز ،ولكن هذه المدينة درست مراراً وعمرت مدن أخرى باسم « حي واسط » ولعل آخر مظهر لها هو قصبة الحي الحالية التي تأسست حوالي عام ١٢٣٢هـ — ١٨١٦م على أيدي آل علي خان ، أحد زعمائها وأهل النفوذ فيها (٢) ولكنها مع ذلك لاتزال تحتفظ باسم تلك المدينة العظيمة فتسمى «حي واسط » إلا ان الحي تقوم اليوم على الشاطىء الايسر لنهر الغراف « ويقال له شط الحي » الخارج من عمود دجلة امام بلدة الكوت في موضع يبعد عن جنوبها الشرقي ٤٨ كيلومتراً ، وكانت «واسط» قائمة على سيف دجلة ، ذلك لأن دجلة كانت في العهد الساساني تنقسم

---

(١) نقله الاستاذ يعقوب سركيس في « مباحث عراقية » ٣١٦/١

(٢) الحي هنا محلة القوم وربعهم ومنه حي واسط وبها عرف « شط الحي » لوقوعها عليه

عند «المذار» المجاورة لقصبة «قلعة صالح» من الموضع الذي فيه الآن مشهد عبد الله بن علي فتحولت إلى جهة واسط وبقيت على هذا القرار الى القرن الحادي عشر - للهجرة «حوالي القرن السابع عشر للميلاد» حيث أخذت تجري نحو الشرق وتلتقي بالفرات في «القرنة» - أو في كرمة علي على الاصح - وهو مجراها اليوم .

و. «الحي» مدينة صغيرة رائعة المنظر ، حسنة العمران ، كثيرة البيوت والخانات ، قليلة المقاهي والاسواق ، تكتنفها البساتين الفيح ، وتحيط بها المروج الخُضر ، وقد فتحت فيها في المدة الأخيرة شوارع جديدة ، وأنشئت مبان عصرية فصارت تجمع بين القديم والحديث . أزقة ضيقة معوجة يقابلها جادات فسيحة معبدة . وحوانيت قديمة متلاصقة ، تجاورها مخازن عصرية واسعة ، وبيوت عتيقة متضايقة ، تقرب منها دور حديثة تحيط بها حدائق واشجار باسقة . فمن عماراتها سراي قديمة للحكومة تضم دوائر الشرطة والإدارة والمالية والطابو والمحكمة ومبنى للبلدية لا بأس به ، ومدارس للبنات والبنين حسنة ... الخ ، أما بناية «المدرسة الجعفرية» الاهلية التي شيدها الشيخ بلاسم الياسين - رئيس آل مياح - على نفقته الخاصة فمن أضخم عمارات الحي طراً .

وسكان «الحي» الاصليون عرب أصحاب زراعة وفلاحة فساكنهم لفيف من الاكراد ولفيف من الاعراب المتحضرين من الغراف ومن غيره فتولوا الإتجار بالحبوب والبقول والاقمشة والعقاقير ، وحياكة البسط والاعبئة . وقد أحصت الحكومة نفوس المدينة فكانت ١٠،٦٢٧ نسمة أما نفوس القضاء فتدل سجلات سنة ١٩٤٧ على أنها (٦٨٥٣٧) نسمة .

وكانت مياه دجلة تنقطع عن الغراف عند انخفاضها فيضطر الاهاون إلى حفر الآبار وسط الغراف لاستقاء الماء منها للشرب وغيره ، فلما أتمت الحكومة مشروع «سدة الكوت» في سنة ١٩٣٨م ، أصبح الغراف دائم الجريان وذلك بواسطة آلات ومقاييس وضعت على صدره لهذه الغاية .

وتقع «خرائب واسط» القديمة في الشمال الشرقي من مدينه الحي الحالية على مسافة ٢٤ كيلومتراً وتعرف اليوم باسم المنارة أيضاً لأن منارة قديمة ما زالت قائمة في مسجد الجانب الشرقي منها وقد تولت «مديرية الآثار القديمة» الحفر والتنقيب في تلك الطلول فأظهرت جامعاً يظن أنه جامع الحجاج وكثيراً من البيوت وعثرت على لقى مهمة جداً .

نواحي القضاء : - للقضاء ناحية واحدة يقال لها «ناحية الموفقية» ومركزها قرية محيرجة - تصغير محرجة أي محرقة على لغة من يلفظ القاف جيا - وهي قرية صغيرة قائمة على ضفة الغراف اليمنى في موضع يبعد عن الشمال الغربي لمدينة الحي ١٥ كيلومتراً ، وليس

فيها من العمران مايذكر .

٢ً – قضاء بدرة

« بدرة » قرية كبيرة تقع في الشمال الشرقي لمدينة الكوت ، وتبعد عنها ٨١ كيلومتراً ، ينحدر ماؤها من جبال بشتكوه الإيرانية فيجري على الصخور وعلى الجلاميد ، ويمتزج ببعض الاملاح فيكون طعمه مالحاً وطبعه ثقيلا ، ولهذا فإن الموظفين يجلبون مياه الشرب العذبة من قرية « منصور آباد » محمولة على الدواب . أما هواؤها فغير صحي : فطرقها ضيقة وبيوتها مظلمة لا ينفذ النور اليها الا قليلا لأنها مسقوفة كلها ، وعمرانها منحط ، فهي مبنية بالطين واللبن ، ومسقفة بجذوع النخل ،وقائمةعلىربوةأومرتفع يشرف على عدوة «الكلال» – بالكاف الفارسية – اليسرى ، وهو نهير صغير يأتي من إيران فإذا طغى أحدث بركة واسعة يتعذر على الاهلين اجتيازها ، ولما كان محل الحكومة قائماً على الضفة اليمنى من النهر المذكور ، أنشئت عدة بيوت ومقاه للموظفين بجواره ، لئلا يحول فيضانه دون التحاقهم بدواوينهم ، على أن بعض المتمولين حذا حذو الحكومة في الأيام الأخيرة فأنشأ عمارات عصرية لسكناه إلى جانب السراي والدور الحكومية . وتحيط ببدرة مزارع وحقول كثيرة وبساتين تتنوع فيها التمور الفاخرة – ولا سيا تمر البدرايا – والفواكه المشهورة .

وتقوم قرية « بدرة » الحالية على أنقاض مدينة « بادرايا » الاثرية ، وهي على بعد مئة كيلومتر من « باكسايا » الشهيرة في التاريخ ، وقد وردذكر «بادرايا»فيالكتب الارمية بصورة « بيث درايا » ومعنى « درايا » في « بادرايا » المذرّون ، أيالذينيذرونالحنطةوغيرها(١) وقد ذكر ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ٢ – ٢٨ « انها اول قرية جُمع منها الحطب لنار ابراهيم عليه السلام » ولكن هذا زعم ليس لدينا ما يؤيده.ولايزال الاكرادوالاعراب المحيطون بها يسمونها باسمها القديم « بادرايا » ويروون قصة طريفة لهذه التسمية خلاصتها : أن موقع بدرة كان غابة من غابات الاكاسرة الشهيرة ، ومرعى لاغنام جبل بشتكوه المطل عليها ، وان جباة الاكاسرة كانوا يعقبون الرعاة إلى هذه الغابة لاستيفاءالضريبة،ولما كانت الطريق اليها وعرة قالوا فيها « بدراه » أي الطريق الوعرة ف « بد »كلمةفارسيةمعناها الرديء و « راه » كلمة فارسية ايضاً معناها الطريق ، لكنا لم نقف على نص تاريخي يؤيد هذه التسمية.

وعلى بعد كيلومترين من بدرة الحالية آثار مدينة عافية يقال لها « العقر » وهي تلال

---

(١) ترى « دائرة المعارف الاسلامية » في ص٢٦٤ من المجلد الثالث من الطبعة العربية ان «المقطع درايا في كلمة بادرايا مثل المقطع كسايا في باكسايا هو في الاصل من غير شك اسم لقبيلة » اهـ

ممتدة إلى مسافة بعيدة ، أعظمهاالتل الكبير الواقع بقرب السراي القديم . ويقول الأهلون هناك أن هذه التلول هي بدرة القديمة ، أصابها مطر غزير فتهدمت بيوتها ودثرت رسومها فأقاموا بيوتاً جديدة في موضع بدرة الحالي فنشأت البلدة الجديدة . والذي نراه ان دثورها لم يكن مسبباً عن المطر حسب ، بل لكثرة الحروب التي توالت عليهـــا وآثارها بارزة حتى الآن ، وعلى كل فإذا جاءها المطر الآن تندو منها بعض قطع قديمة العهد من الخزف والحلي والنقود والفخار والزجاج ... الخ .

ومن أظهر عادات الاهلين في بدرة انهم يوقدون النار عند قبر فقيدهم في الايام الثلاثة الاولى بعد وفاته ، يحملها العامة إيناساً للميت ، اما الحقيقة التي توخيناها لذلك فهي انها تنفّر الحيوانات المفترسة من خفر قبر الميت ليلا ، ويبلغ عدد نفوس القصبة (٥٨٠٠)نسمة اما نفوس القضاء ف(١٦١٨٩) كما وردت في السجلات الرسمية لسنة ١٩٤٧م .

وبين بدرة وجصان قبر كتب عليه انه مرقد علي اليثربي ابن موسى بن جعفر (ع)يقصده المتخاصمون من جهات نائية مفضلين الحلف به على الحلف بالقرآن العظيم .

(نواحي القضاء) ـ للقضاء ناحية واحدة يقال لها (ناحية زرباطية) ومركزها قرية زرباطية (١) الواقعة على الحدود الايرانية ، يخترقها جدول (الكلال) فيشقها شقين تقوم على عدوتيهما اشجار الزينة والبيوت المبنية بالطين واللبن ، وهي على مسافة ١٤ كيلومتراًمن شرقي بدرة واهلها اكثر وداعة من اهل (بدرة) وانشطهم في ميدان الكسب والارتزاق، وللحكومة فيها دار مكس ومدرسة ومستوصف وسراية تتناسب مع اهميتها .

٣ ـ قضاء الصويرة

شمل العمران معظم انحاء العراق على عهد ولاية المصلح الكبير مدحت باشا ،والي بغداد سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) ، وسرت حركة الاصلاح في مرافقه سرياناً لم تشهد البلاد نظيره من قبل ، وقد اشرنا في بحثنا عن اللواءين الدليم والمنتفق الى ذلك اشارات مطولة فلا نعود اليها .

والصويرة « تصغير صبرة » احدى البلدان التي بنيت بعيد عهد مدحت باشا، بناها رجل يدعى السيد عليوي بهية متأثراً بالروح التي انبتها مدحت باشا في نفوس الاهلين، فقد كانت في اطراف الصويرة الحالية ، مقاطعة حكومية تسمى مقاطعة الصبرة « اي الحضيرة » فبنى السيد عليوي محلا لمأمور الحكومة في هذه المقاطعة ،ثم صار الاعراب المجاورون يبنون مساكن

---

(١) ورد ذكر « زرباطية » باسم « برزباطيا » في ص٤٨ من كتاب « التنبيه والاشراف » للمسعودي « القاهرة ١٩٣٨ » قال :

.. « ويمر ببلاد بعقوبا ويشق مدينة النهروان وهي جانبان وجسر بوران وميرتا وبرزباطيا واسكاف بني الجنيد ويصب الى دجلة بناحية جرجرايا ثم تصير دجلة الى واسط حتى تصب في بطيحة البصرة وتنتهي » الى البحر

لم على هيأة مسكن المأمور ، فلم تزل الحركة العمرانية في تقدم مستمر حتى غدت المقاطعة قرية كبيرة تسمى صويرة على مألوف عادة الاهلين في تصغير الاسماء ثم تسلطت مياه دجلة على هذه المساكن فهدمتها ، فاضطر اصحابها لتشييد غيرها في موضع الصويرة الحالي ، على مسافة كيلومترين من محلها السابق .

والصويرة اليوم قصبة جليلة ، رائعة المنظر ، حسنة الموقع ، غذبة الماء ، طلقــة الهواء تشقها جادات متقاطعة مزفتة تقوم على اطرافها منشآت عصرية منوعة ودور حديثة مختلفة وفيها اسواق مسقفة انيقة ومقاه شعبية نظيفة وتتخللها حدائق عامة وبساتين مثمرة ولا يمكن الوصول اليها الا بواسطة معبر يسيّره « موتور » خاص وهي تبعد عن الكوت شمالا ١٣٠ كيلومتراً وفيها من النفوس خمسة آلاف نسمة ، اما نفوس القضاء فقد بلغت في احصــاء ١٩٤٧ (٥٨٨٢٤) نسمة .

للقضاء ناحيتان هما : ناحية العزيزية وناحية الزبيدية .

« ناحية العزيزية » — تمتد اراضي هذه الناحية على الشاطىء الأيسر لدجلة الى مسافة بعيدة وفيها اكثر من ٣٠٠ مضخة يمتلكها المتمولون من اهل بغداد وغيرهم ، ومركزها قرية كبيرة تقع في منتصف الطريق بين بغداد والكوت ، فتبعد عن الاولى ٩٣ كيلومتراً جنوباً ، وعن الثانية ٩٥ كيلومتراً شمالا ، فيها مبان كثيرة ، ومقاه عديدة ، ودور حكومية : كالسراي والمدرسة والمستوصف وغيرها ، وتتوسطها حدائق عامة لها اثرها الحسن في تلطيف المناخ وتجميل المنظر ، والمعروف ان القرية عمرت وانشئت على عهد فتح الله بــك ، من رؤساء العمادية يوم كان قائم مقاماً فيها سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) وسميت باسم السلطان عبد العزيز العثماني وكانت يومئذ مركز قضاء معروف .

« ناحية الزبيدية » — تمتد اراضي هذه الناحية على الشاطىء الايمن لدجلة الى مسافة بعيدة ايضاً ، وفيها الآن زهاء ٢٠٠ مضخة ، ومركزها قرية « الزبيدية » القائمة على مسافة ١٨ كيلومتراً من مركز القضاء . عمرانها بسيط قروي ، واهلها يزرعون الارض ويحرثونها ، ومناخها لا بأس به ولعلها تنمو بعد مدة وتزدهر الحركة العمرانية فيها .

لواء ديالى

تمهيد

يتاخم العراق الحدود الايرانية على طول جهته الشرقية في مسافة طولها سبعمئة ميل تبتدىء من « رايات » على الحدود العراقية ــ التركية ــ الايرانية وتنتهي بمنتصف « شط العرب » في « الفاو » ويقع القسم المهم من لواء ديالى على هذه الحدود، فيحده لواء كركوك وقسم من لواء السليمانية شمالا ، ، وجبال بشت كوه الايرانية وجبال هاورمان ، التي تفصل بين ايران والعراق شرقاً ، ولواء الكوت جنوباً ، ولواء بغداد غرباً ، وارض القسم الشمالي من اللواء صخري الارض ، على حين ان القسم الجنوبي منه سهل منبسط تكثر فيه حقول الحنطة والشعير ، وتنمو اشجار الفاكهة على اختلاف انواعها : من ليمون وبرتقال ورمان وعنب وكمثرى وتفاح وخوخ وإجاص ، فهي مدار عيش اهل اللواء . ومياهه تكاد تكون مملوكة من قبل اصحاب البساتين والمزارع تقسمها دوائر الري فيما بينهم بموجب مقاييس دقيقة ونواظم خاصة فلا يصل منها الى دجلة الا النزر اليسير فيما عدا ايام الفيضان .

نفوس اللواء ومساحته

مساحة لواء ديالى ١٦٦٤٠ كيلومتراً مربعاً وعدد نفوسه ٣٢٩٨١٣ نسمة بحسب احصاء سنة ١٩٥٧م العام.

قبائل اللواء

في لواء ديالى قبائل رئيسية مختلفة : عربية ، وكردية ، وتركمانية ، ولكل منها فروع متعددة وفيما يلي اسماء الاهم منها بحسب الاقضية التي تقطنها :

فالقبائل التابعة لمركز اللواء هي : ١ ــ المجمّع «بتشديد الميم الثانية وفتحها» ٢ ــ شمّر ٣ ــ زبيد ٤ ــ الدفافعة ٥ ــ الصكوك «بالكاف الفارسية» ٦ ــ الكرخية ٧ ــ الزهيرية ٨ الخشالات .

القبائل التابعة لقضاء مندلي هي : ١ ــ النده ٢ ــ الساعدة ٣ ــ البوحداري ٤ ــ آلحمد ٥ ــ القره لوس ٦ ــ الردينية ٧ ــ العسّاف ٨ ــ بنو تميم ٩ ــ الداينية ١٠ ــ شمّر طوقة ١١ ــ خفاجة ١٢ ــ الدليفية ١٣ ــ بنو لام ١٤ ــ بنو زيد .

القبائل التابعة لقضاء خانقين هي : ١ ــ السوره ملي ٢ ــ الجاف ٣ ــ اركوازية ٤ ــ الصميدع ٥ ــ ربيعة وبني ويس ٦ ــ الطالبانية ٧ الباجلان ٨ ــ الجور ٩ ــ برزنجه ١٠ ــ الطائشية ١١ ــ الشرف بيانية ١٢ ــ الكاكائية ١٣ ــ الزنكنة .

القبائل التابعة لقضاء الخالص هي : ١ ــ العزة ٢ ــ الجبور ٣ ــ العبيد ٤ ــ العنبكية ٥ ــ الجبايلة

٦ - الطاطران ٧ - الصايح ٨ - البيات ٩ - الدليم ١٠ - القرطان ١١ - الدفافعة ١٢ المعامرة ١٣ - بني سعيد ١٤ - جداده ١٥ - بنو تميم ١٦ - المجمع ١٧ - الميلاج ١٨ - البو هيازع ١٩ - البو علكه ٢٠ - البو سلطان زبيد .

تنظيمات اللواء الادارية

يتقوم لواء ديالى من مركز اللواء « بعقوبا » ومن ثلاثة اقضية وهي : مندلي وخانقين والخالص . ولكل من هذه الاقضية بضع نواح وفيما يلي تفصيل ذلك :

بعقوبة

بعقوبة - كتبها ياقوت الحموي في المئة السابعة للهجرة بعقوبا وباعقوبا - وقال في وصفها : (١)

« قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، من أعمال طريق خراسان ، وهي كثيرة الانهار والبساتين ، واسعة الفواكه ، متكاثفة النخل ، وبها رطب وليمون ، يضرب بحسنها وجودتها المثل ، وهي راكبة على نهر ديالى من جانبه الغربي ، ونهر جلولاء يجري في وسطها ، وعلى جنبي النهر سوقان ، وعليه قنطرة ، وعلى ظهر القنطرة يتّصل بين السوقين والسفن تجري تحت القنطرة الى باجسرا وغيرها من القرى ، وبها عدة حمامات ومساجد ... الخ اه

هذا ما وصف به ياقوت الحموي الرومي قصبة بعقوبا في القرن السابع للهجرة ، والقرن الثالث عشر للميلاد ، وهو وصف يكاد ينطبق كل الانطباق على ما هي عليه اليوم ، الا ان النهر الذي يجري في وسطها في الوقت الحاضر يسمى خريسان وليس بنهر جلولاء ، وهو يجري فيها ملتوياً إلتواء الحية الرقطاء ، حتى لتحسبنه سلسلة من الانهار متشابكة الوشائج يتفرع بعضها عن بعض

والظاهر ان « بعقوبا » من القرى التي سبق وجودها الاسلام ، فقد ذكرت الاسفار السريانية وجودها قبل الفتح الاسلامي ، كما ذكرها الرحالون العرب في كتبهم في القرون الوسطى ولعل اسمها الحالي من الآرامية « باعاقوبا » - بيت عاقوبا - ومعناه موضع الفاحص او المعقب لأنها على طريق القوافل الى ايران وهي تقع اليوم على مسافة ستين كيلو متراً من الشمال الغربي لمدينة بغداد . يمر بها القطار الممتد بين بغداد وكركوك واربل فيعبر عندها جسراً يقوم على سبع دعائم من الخرسانة المسلحة ، مرتفعة ارتفاعاً هائلاً (٢) ، ويقدر عدد النفوس فيها بنحو ٧٥٠٠ نسمة بيوتها الجيدة قليلة ، واسواقها قديمة ، وخاناتها خاوية ، اما محل الحكومة فيها فعلى

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/٢٢٥

(٢) استبدل هذا الجسر في عام ١٩٥٨ بجسرين : احدهما للقطار والاخر للسابلة . وقد قامت شركة هولواي بانشاء الجسر الاول فكان طوله ١٧٨ مترا وعرضه تسعة امتار وكلفته (٤٧٠،٠٠٠) دينار وله ثلاث فتحات اما الجسر الثاني فطوله (١٨٠) مترا وعرضه ٧،٢٤ امتار مع ممشيين عرض كل منهما متران وله اطول فتحة بين الكتفين في العراق اذ تبلغ (١٠٨) امتار اما كلفته فهي (٤١٧،٦٧٠) دينارا

جانب من الفخامة ويماثله او يقرب من ذلك عمارة مديرية الشرطة وبنيّة المحاكم المدنية ، والسجن المركزي « وهما من المباني العصرية » ودائرة البرق والبريد ، ودار البلدية ،ونادي الموظفين والمدرسة الاعدادية ، والمستشفى الملكي . وقد انشئت فيها في الحقبة الاخيرة قيسارية جميلة ، واقيمت بعض المقاهي والمخازن العصرية ، والدور الحديثة .

فيهاثلاثةشوارع رئيسية : يصل اولها ظاهر القصبةالشمالي بمحطةالقطار ،ويصل الثاني صرح الحكومة بمقر مديرية الشرطة القديم فقرية الهويدر ،اماالثالث،وهو اعرضهاواكثرهااستقامة فيبتدىء من مقر الشرطة ويمتد الى الخارج وقداقيمت في الضاحيةمبان عصريةحسنةوعمارات حكومية فخمة أما بقية الازقة والدروب فضيقة مزدحمة الا انها مزفتة وتنار بالكهرباء .

وتمتاز بعقوبا عن بقية القرى الكبيرة انها غابة من النخيل الوارف، واشجار الفاكهة المختلفة ، وهذا ما يجعل جمالها وبهاءها في بقعة من بقاعها ، ولا سيما حين يأتي الربيع وتعلو منابر الرياض الاطيار والعنادل الصدّاحة فتبدو برقةهوائها ونسماتها الفواحة بأريج القدّاح والأزهار والريحان كأنها قطعة من جنات الخلد تسبح بحمد الله وتشكره على نعمائه .

اما الحالة الصحية في بعقوبا فليست مما تغبط عليه لانتشار الحمى المرزغية والبلهارزيا فيها . واما ثقافتها العامة فمحدودة جداً . وتعتمد تجارتها على الفواكه والثمار ، وهل تنقل عادة الى اسواق بغداد لتصرف حتى انه يتعذّر على المقيم فيهاان يحصل على فاكهةله جيدة هناك

النواحي الملحقة بمركز اللواء : تلتحق بمركز اللواء ثلاث نواح مهمة وهي ١ - بعقوبا ٢ - كنعان ٣ - المقدادية .

« ناحية بعقوبا » - هذه ناحية داخلية ، يقيم مديرها في مركز اللواء ، وترتبط به القرى الزراعية التي سيأتي ذكرها في ختام هذا الفصل .

« ناحية كنعان » - « لما فرغ المسلمون من المدائن وملكوها ، ساروانحوجلولاء حتى اتوا مهروذ ، وعلى المقدمةهاشم بن عتبة بن ابي وقاص فجاءه دهقانها وصالحه على جريب من الدراهم على ان لا يقتلوا من اهلها احداً (١) » .

ومهروذ اليوم مقاطعة جسيمة تقع على مسافة ١٨ كيلومتراً من بعقوبا ، واهلها اهل زراعة وفلاحة ، وقد بنت الحكومة مخفراً للشرطة على ترعة مهروذ ثم اقامت بيتاً ودائرة بريد ودائرة ريّ واتخذت هذه المجموعة من المباني الحكومية مركز ناحية سميت ناحية مهروذ « او مهروت بالتاء » كما يسميها الاهلون ثم ابدلت الحكومة اسمها الاول باسم « ناحية كنعان » لجسامة المقاطعة وكثرة ما فيها من ضياع واكواخ .

---

(١) معجم البلدان ٨ - ٢١١ من طبعة مصر

« ناحية المقدادية » ــ كانت هذه الناحية تسمى «ناحية شهرابان» فابدلت باسمها الحالي وكانت مركز قضاء ، فجعلت مركز ناحية .

وشهرابان ــ ويكتبها ويلفظها بعضهم شهربان .ــ كلمة فارسية مركبة من (شهر) أي مدينة ، و (آبان) وهو اسم رجل فرسي شيدت باسمه قرية بجوار شهرابان الحالية فنسبت اليه تيمناً .

ومع ان قصبة شهرابان الحالية اعتبرت ناحية من حيث النظم الادارية ، فهي أوسع من مركز اللواء واكثر منه عمراناً ، واكبر ضخامة من مراكز بعض الاقضية ، فالبيوت فيها منتشرة هنا وهناك ، ومعظمها يتقوم من طابقين ، ولا سيا المؤسسات الحكومية التي شرع مجلس الاعمار في تشييدها في مختلف انحاء العراق والشوارع الرئيسية في شهربان منظمة تنظيما حسناً ومعبدة تعبيداً رائعاً ، ومنارة بالأضواء الكهربائية ، أما أسواقها فحافلة بأنواع الحاجات الضرورية وأصناف الفاكهة ، وهي على مسافة (٤٢) كيلومتراً من بعقوبا شرقاً ونفوسها (٥٩٠٠) نسمة تقريباً .

١ ً ــ قضاء مندلي

تقع بلدة «مندلي» شرقي بعقوبا ، على مسافة (٩٣) كيلومتراً ، وعلى بعد بضعة كيلومترات من جبل « بشت كوه » الإيراني غرباً ، وتشرف على واد فسيح تتجمع فيه ميـــاه العيون والغدران المتفجرة في الجبل المذكور فتكون نهيراً يمر بالقصبة يسميه الأهلون (نهر كنكير) وتنتشر في اطرافها بساتين عديدة فيها من الفواكه المنوعة : كالرمان والبرتقال والليمون ، ومن التمور المشهورة ، كالحستاوي والخضراوي والأزرق الازرق ، ما يجعل لحاصلاتها سمعة خاصة في أنحاء البلاد العراقية ، وهي الى ذلك عذبة الهواء ، حسنة العمارة ، كثيرة النفوس ، قليلة المقاهي ذات حدائق خاصة واسعة ، وقصور للأغنياء جميلة ، وفيها من المباني الحكومية كالسراي والمستشفى ودائرة البرق والبريد ومدارس البنات والبنين مايتناسب وأهميتها . أما مياه الشرب فتجلب الى بيوتها بانابيب تتصل بمشروع اسالة يأتيه المـــاء من بعض الآبار الارتوازية التي حفرت خصيصاً لهذا الغرض بعد ان أشرفت على الهلاك .

ويكثر في مندلي (١) ولا سيا في المباني القديمة ، نوع من العقارب السامة يسمى (الجرّار إذا لسع شخصاً ولا سيا إذا كان صغير السن ، قتله فوراً . ومن عوائد الأهلين فيها ــ كما

(١) في مندلي فرقة من الـ «علي اللاهية» يقال لها «القلم حاجية» نسبة الى «قلم حاج» ــ احدى محلات مندلي ــ يتجاوز عددها الفي نسمة، وتنفرد بآداب وسنن تبدو غريبة، فليس لهذه الفرقة صلاة تقيمها زاعمة ان عليا عليه السلام هو الذي يتولى اداء هذه الفريضة عنها اما الصوم فيقول شيوخها ان حكمه جاء باللغة الكردية فهو (سه روز) اي ثلاثة ايام لا (سي روز) اي ثلاثون يوما كما توهمه بقية المسلمين . وهم لا يحفون شواربهم، ولا يترددون من حلق لحاهم، ويختنون اطفالهم كالمسلمين ويتجنبون ــ مثلهم ــ النجاسات كافة.

عند سكان القضاءين « علي الغربي » و « بدره » — انهم يرسلون الرضيع الى جبل بشت كوه لدى مرضعات هناك حتى اذا شب وترعرع أعادوه الى بلده .

وتختلف اللغات التي يتخاطب بها أهل « مندلي » باختلاف المحلات التي يقطنون فيها ، فترى بعضهم يتكلم الكردية ، وآخرون يتكلمون اللغات الفارسية او التركية، وقد يتفاهمون أحياناً باللغة العربية ، ولكن برطانة شنيعة . اما عدد سكان القصبة فيقرب من (٨٠٠٠) نسمة وأما نفوس القضاء فتدل سجلات الحكومة لسنة ١٩٤٧ على انه (٥٣٥١٨) نسمة .

و « مندلي » محرفة عن « بندنيجين » وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان ٢ —٢٩٢ من طبعة مصر » في القرن السابع الهجري وقال في وصفها انها

« بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد ... وقد خرج منها خلق من العلماء محدثون وشعراء وفقهاء وكتاب »

ولها ذكر كثير في كتب الأهلين ، في البلدان والتراجم والتاريخ، لايسعنا استقصاء مواده في هذه العجالة فاكتفينا بالتنويه بذلك للدلالة على ما كانت عليه هذه البليدة من أهمية في الأزمنة القديمة ، ولا يزال هناك من المجاورين من يسميها « بندنيج »

« ناحية بلدروز » — لقضاء مندلي ناحية واحدة يقال لها « ناحية بلدروز » — لعلها في موضع براز الروز التي ذكرت في معجم البلدان ٢ ـ ٩٨ ـ ومركزها القرية المسماة باسمها ، القائمة على شاطىء ترعة بلدروز بين بعقوبا ومندلي ، تحيط بها الرياض والغياض فتجعل مناظرها خلابة وموقعها ممتازاً . وأهلها عرب أقحاح تغلبت عليهم العجمة فانقلبوا يتكلمون بها . وكان السلطان عبد الحميد فوّض (مقاطعة بلدروز) إلى أحد الصيــارفة اليونانيين « واسمه ظريفي» لقاء تنازله عن دين له كان بذمة الحكومة العثمانية، فكان وكلاء هذا الصيرفي يعطون أقساماً من هذه المقاطعة بالالتزام إلى سراكيل « بلدروز » ببدلات يتفقون عليها ، ودامت الحالة على هذا المنوال إلى عام ١٩٣٧م حيث بيعت الى جمــاعة من متمولي بغداد والكاظمية فأصبحت ملكاً يستغله اصحابه على نحو ما يشاؤون .

٢ ـ قضاء خانقين

خانقين بلدة جميلة واقعة في الشمال الشرقي لمركز اللواء « بعقوبا » وتبعد عنه (١٠٨) كيلومترات ، وعن بغداد شرقاً ١٦٧ كيلومتراً ويربطها بالخط الحديدي الممتد بين بغداد وكركوك فرع يبتدىء من مفرق «قره غان» وينتهي عندها فيبلغ طوله ٢٨ كيلومتراً .وعلى مسافة عشرة كيلومترات من شماليها يقع « مخفر المنذرية » وهو واقع في آخر الحدود العراقية الشرقية ، واول الحدود الايرانية الغربية ، وفيه دائرة لجوازات السفر ، واخرى للجمرك ،

وحامية صغيرة من الشرطة العراقية . تقابلها عمارة فخمة جداً هي مخفر الشرطة الإيرانية المسمى « خسروي » .

يمر بخانقين « نهر الوند » الآتي من ايران فيقسمها قسمين : يمتد احدهما على الشاطىء الغربي فيسمى « خانقين » ويجثم الثاني على الشاطىء الشرقي فيسمى « حاجي قره » والأول قديم ربما يرتقي الى عهد الساسانيين في العراق (١) ، اما الثاني فحديث شرع في بنائه سنة ١١٤٢هـ - ١٧٢٩م ، ويربط القسمين قنطرة حجرية فخمة يرجع تاريخها الى تاريخ إنشاء البلدة على ماتذكره بعض الاسفار (٢)، وقد تهدمت واستعيض عنها بقنطرة ثانية ذات احدى عشرة فتحة بنيت بحجارة القنطرة الاولى . وعلى بعد ٣٠ كيلومتراً منها آثار قلعة قديمة تقول « دائرة المعارف الإسلامية » ان تاريخها يرتقي الى عهد الساسانيين ، وان كسرى الثاني ملك الفرس ، كان قد سجن فيها النعمان الخامس ملك الحيرة . وتقوم على ضفتي «الوند» في الجانبين المذكورين عمارات انيقة ومبان عصرية جميلة تكسبها روعة وجلالا .

وفي خانقين اسواق منظمة ، وشوارع مستقيمة معبدة ، تقوم على اطرافها اشجار للزينة منوّعة ، كما ان فيها دوراً للسينما ، وقصوراً حسنة ، ومنشآت عصرية عديدة ، ومؤسسات حكومية مختلفة ، ومساجد وجوامع وتكايا، وحمامات ومقاه ومتنزهات وقيساريات وانزالا وهي تنار بالكهرباء ، ويشرب الناس فيها مياه مصفاة إلا انها ثقيلة لوجود بعض المواد العضوية فيها ، اما هواؤها فجيد جداً، واما نفوسها فتتجاوز ١٥ الف نسمة ، وهم يتكلمون بثلاث لغات : الكردية والعربية والفارسية ، ومعظمهم من القبائل الكردية ولا سيما الباجلان والجاف بينهم جالية من القبائل الفارسية الإيرانية ، وتدل سجلات الحكومة لسنة ١٩٤٧م على ان نفوس القضاء (٥٦٧٦٩) نسمة .

والتجارة في « خانقين » رائجة رواجاً عظيما بحكم موقعها الجغرافي ، وكانت بأيدي اليهود مع انهم اقلية قليلة فيها فلما رحلوا إلى فلسطين في مطلع عام ١٩٥٠ اصبحت بأيدي المسلمين وبالقرب من محطتها مؤسسات فخمة لشركة النفط الفارسية - الانكليزية يصفى فيها النفط المستنبط في اراضي المحوّلة (٣) المسماة نفطخانة ، ويوضع في علب من الصفيح ليستهلك في انحاء

---

(١) قال البلاذري في « فتوح البلدان ص٢٦٤ »

« ومكث المسلمون بالمدائن اياما ثم بلغهم ان يزدجرد قد جمع جمعا عظيما ووجه اليهم ، وان الجمع بجلولاء فسرح سعد بن ابي وقاص هاشم بن عتبة بن ابي وقاص اليهم في اثني عشر الفـــا ، فوجدوا الاعاجم قد تحصنوا وخندقوا وجعلوا عيالهم وثقلهم بخانقين . »

(٢) قال ياقوت الحموي في (معجم البلدان ٣-٣٩٢) وبها ـ بخانقين ـ قنطرة عظيمة على واديها تكون اربعة وعشرين طاقا كل طاق يكون عشرين ذراعا عليها جادة خراسان الى بغداد وتنتهي الى قصر شيرين .

(٣) هي الاراضي التي حولت «نقلت ملكيتها» من ايران الى العراق بموجب معاهدة ارضروم وبروتكول تعيين الحدود المنعقد في يوم ٤ تشرين الثاني ١٩١٣م

العراق . وعلى مسافة أربعة كيلومترات من جنوبها قرية جميلة يقال لها قرية « علياوة » فيها قصر منيف بناه الملك فيصل الأول وسط مزرعة له فيها .

وبين خانقين والمنذرية ، وبينها وبين بغداد ، جادة عريضه ، مزفتة لها الأثر المحمود في تسهيل المواصلات والأسفار بين العراق وايران عن طريق خانقين .

للقضاء ثلاث نواح وهي : ١ ـ هورين شيخان ٢ ـ قره‌تو ٣ ـ السعدية .

ناحية هورين شيخان : مركز هذه الناحية « سراي ميدان » وهي قرية محرومة من كل عمران ، تقع على مسافة ٩٢ كيلومتراً من خانقين شمالا والطريق اليها وعرة جداً، وانما اتخذت مركز ناحية ، لموقعها الجغرافي ، وكونها على الحدود العراقية ـ الإيرانية وتتبع هذه الناحية ٢٤ قرية بين كبيرة وصغيرة .

ناحية قوره‌تو : كان القطار بين بغداد وخانقين ينتهي بموضع يسمى « جياسرخ » مركز ناحية « قوره‌تو » فرفع القسم الممتد بين هذه القرية وخانقين ، واتخذت قرية « علي آغا » القائمة على نهر قوره‌تو مركزاً للناحية المذكورة ، وهي قرية محرومة من العمران تبعد عن خانقين (٤٢) كيلومتراً .

ناحية السعدية : كانت هذه الناحية تدعى « ناحية قزلرباط » ـ تصحيف « خسرو آباد القديمة » (١) ـ فاستبدلت الحكومة اسمها باسم « ناحية السعدية » كما استبدلت اسماء نواح اخرى باخرى جديدة ، ومركزها القرية المسماة باسمها الواقعة على مسافة ٣٣ كيلومتراً من خانقين غرباً . وهي قرية كبيرة فيها منازل تناسب اهميتها ، ودار للحكومة مع مدرسة للبنين ومستوصف للمراجعين ، ودائرة للبرق والبريدويبلغ عدد نفوسها ٣٠٠٠ نسمة . وتقع « قزلرباط » في منبسط من الارض يحدق بها جبل حمرين وجبال لورستان وسلسلة جبال خانقين فيكون لها موقع ممتاز .

٣ ـ قضاء الخالص

« دلتاوة » ـ ويكتبها ويلفظها بعضهم ديلتاوة ـ أصلها « دولة آباد » ثم جرى عليها التصحيف اللفظي فأصبحت « دلتاوة » كما تصحفت « شقلاباد » الى « شقلاوة » وهي من قرى النهروان في قديم الزمان ، ولا سيا في عهد بني العباس، ولم تذكرها معاجم البلدان المعروفة اما لصغرها ، او لأنها كانت مجهولة عند مؤلفيها . كما أن المؤرخين لم يذكروها قط لأنها لم تحدث فيها حادثة عظيمة تستوجب ذكرها في التاريخ، وقد عثر على اسمها منقوراً في جدران

---

(١) الظاهر انها منسوبة الى رجل يدعى خسرو فسميت خسرو آباد اي مدينة خسرو كقولهم «خرنابات» لي « خرم آباد »

مصلى المدرسة المرجانية المعروفة اليوم بجامع مرجان في بغداد (١) فقد نقر مرجان وقفية مدرسته على تلك الجدران وأوقف « دولة آباد » و « نعمتاباذ » (٢)وغيرهما على مدرسته المذكورة ، والوقفية مؤرخة بعام ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) أي من عهد السلطان أويس بن الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة المغولية الجلائرية في العراق .

هذا هو موجز تاريخ « دلتاوة » مركز قضاء الخالص ، أما اليوم فهي بليدة متوسطة تبعد عن بعقوبا (٢٠) كيلومتراً شرقاً ، وفيها شارع رئيسي معبد ومزفت ،تتفرع منه شوارع عرضية وأسواق متداخلة ، وعمران لا بأس به اذا قيس بعمران قرى النهروان ففيها سراي عصرية ومدارس رسمية ودار للبرق والبريد واخرى للبيطرة وغيرها للزراعة ومستشفى صغير ومساكن للموظفين ،ويمر فيها نهر صغير يسمى (الخالص) فيكسب المباني القائمة على ضفتيه منظراً جميلا

ونظراً لما يحيط بهذه البليدة من شجر النخل فإن الهواء فيها وخم ، والحالة الصحية غير مستقرة ، اما عدد نفوسها فإنه يقرب من (١٠,٠٠٠) نسمة ، وأما عدد نفوس القضاء فهو (٦٩٣١١) نسمة حسب ما سجل في سجلات ١٩٤٧م .

(ناحية بني سعد) - مركز هذه الناحية خان (بني سعد) القائم على طريق بغداد - بعقوبا الذي اعد لراحة المسافرين من بغداد الى ايران . يوم كان السفر على الدواب ، ثم اتخذ مقهى يزود المسافرين بالسيارة بالماء والشاي ، ثم اتسعت العمارة حول الخان فأصبح قرية كبيرة تشتمل على عدد من الدور الساذجة ، مع مخفر للشرطة ، ومدرسة للبنين ، ومستوصف صحي للاهلين ، ودائرة للناحية ... الخ

(ناحية المنصورية) كانت هذه الناحية تسمى قبلا (ناحية دللي عباس) فاستبدل اسمها بالاسم الحالي . ومركزها قرية (دلي عباس) القائمة على نهر الخالص الغربي في موضع يبعد (٤٧) كيلومتراً من (دلتاوة) وهي ذات موقع جميل ، ومنظر بديع . تقرب منها مواضع للملح كثيرة ، وتكثر فيها الفواكه الجليلة . أما عمرانها فبسيط . وعلى مسافة كيلومترين من القرية مزار باسم السيد مبارك فيه صخرة كبيرة يعتقد السذج انها تعطي البركة لكل من يحملها او يحتضنها ، (ولله في خلقه شؤون) .

---

(١) كانت قضية هدم «جامع مرجان» لتامين استقامة الشارع العام في بغداد - شارع الرشيد - موضوع خلاف بين امانة العاصمة ومديرية الآثار العامة زمنا طويلا، وقد انتهت في عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦م) بهدم المصلى الذي كانت جدرانه تحتضن الوقفية المذكورة ، ثم اعيد رصفها على الجدران الجديدة التي انشئت في السنة التالية في الجامع المذكور .

(٢) تجد نص الوقفية في العدد الاول من المجلد الثاني من مجلة «سومر» ص٤٩ - ٥٢ التي تصدرها مديرية الآثار العامة في بغداد .

قرى اللواء

في لواء ديالى عدد غير يسير من القرى الكبيرة ، ومن القرى الصغيرة ، اشتهر اهلها بكرم الاخلاق ، وحسن الضيافة ، حتى ان الذي كان يتجول بينهم يشعر كأنه بين اهله ومعارفه ولما كان لمعظم هذه القرى شهرة واسعة فقد آثرنا نشر أسمائها هنا اتماماً للفائدة .

القرى الملحقة بمركز اللواء

١ - الهويدر ٢ - خرنابات (خرم آباد القديمة) ٣ - بهرز ٤ - شفتته ٥ - العبّارة ٦ - زاغنية الكبيرة ٧ - زاغنية الصغيرة ٨ - دوره ٩ - السادة ١٠ - كبه (اصلها قبة) ١١ - محولة ١٢ - زهره ١٣ - أبو خنازير ١٤ - جيزاني النقيب ١٥ - بودجه ١٦ - كريه ١٧ - منصورية الحكيم ١٨ نهر الشيخ ١٩ - حد الأخضر ٢٠ - حد مكسر ٢١ - حد مزيد

القرى الملحقة بناحيةشهربان أي المقدادية

(١) قرى الأوقاف القادرية القائمة على ضفة نهر خريسان اليمنى :

١ - الجلبي ٢ - ابو كرمة ٣ - مخيسه ٤ - أبو صيدا الصغيرة ٥ - ابو صيدا الكبيرة ٦ - الزهيرات (بالتصغير) ٧ - العواشك الكبيرة ٨ - العواشك الصغيرة ٩ - ذيابه ١٠ - ضباب ١١ - بروانة ١٢ - حنبس وسيود وهي ليست من الأوقاف القادرية - .

(٢) القرى القائمة على الضفة اليسرى من نهر خريسان :

١ - سنسل ٢ - صاطي ٣ - أبو طابه ٤ - أبو سباع .

(٣) القرى القائمة على الضفة اليمنى من نهر مهروت :

١ - جلالي ٢ - أبو جسره (باجسرا القديمة) ٣ - أبو حصيوة ٤ - حربتيله ٥ - الوجيهية ٦ - عمرانية ٧ - سنيجه بالتصغير ٨ جيجانية .

القرى الملحقة بقضاء الخالص

١ - نبي شيت ٢ - سراجق ٣ - عجمي ٤ - قليعةالقصاب ٥ - الماجدية ٦ - حميرةبالتصغير ٧ - وندية ٨ - الأسود ٩ - أبو نخل ١٠ - أبو تمر ١١ - الكوبات ١٢ - قليعة المهردار ١٣ - هبهب ١٤ - الحويلص (بالتصغير) ١٥ - الحديد (بالتصغير) ١٦ - منصورية الشط ١٧ - منصورية الجبل ١٨ - سعديه ١٩ - سنديه ٢٠ - جيزاني الجول ٢١ - جيزاني الامام ٢٢ - جيزاني الثعيلب ٢٣ - الجديدة (بالتصغير) ٢٤ - جديدة الأغوات ٢٥ - دوخلة ٢٦ - الحويش (بالتصغير) ٢٧ - القيصريين ٢٨ - الغالبية ٢٩ - راشدية .

القرى التابعة لقضاء مندلي

١ - جيزاني(وهي قزانية المعروفة) ٢ - أمام كرز الدين ٣ - نقيب(بالتصغير) ٤ - دوشيخ

(وهي مقر الطائفة القلم حاجية التي تكلمنا عنها في هامش بحثنا عن مندلي) ٥ ـ امام عسكر ٦ ـ امام منصور (وهاتان القريتان ملحقتان بناحية بلدروز التابعة لقضاء مندلي .

القرى التابعة لقضاء خانقين

ليس في قضاء خانقين من القرى ما يستحق الذكر .

ملاحظات حول هذه القرى

١ ـ يلاحظ ان معظم القرى الكائنة بلواء ديالى ملحق بناحية المقدادية « شهرابان » حيث تكثر الفاكهة ويتنوع التمر .

٢ ـ يتراوح عدد النفوس في كل من هذه النواحي من مئة نسمة الى الف نسمة،أما القرى الكبيرة فقد يتجاوز عدد النفوس في كل منها الألف وخمسمئة نسمة .

٣ ـ في القرى الكبرى ، مدارس حكومية ومستوصفات رسمية ،ومراكز للشرطة كبيرة أما القرى الصغرى ففيها (مختارون) معينون من قبل السلطة .

٤ ـ يعتمد لواء ديالى في تجارته على التمور والفواكه والاعناب ، التي تزرع ويعتنى بشؤونها في هذه القرى دون غيرها .

٥ ـ في بعض هذه القرى عمارات جليلة ومتنزهات يقضي فيها اصحاب الطرب والسرف اوقات فراغهم .

٦ ـ في معظم القرى العائدة للاوقاف القادرية عمارات فخمة ووسائل للراحة منيفة .

٧ ـ في قريتي الزهيرات والعواشك الكبيرة يكثر البهائيون (اتباع البهاء) وتشاهد محال تعبدهم

٨ ـ في بعض القرى مزارات تقصد من مسافات بعيدة شاسعة ، وفي البعض الآخر مراقد لبعض الاولياء مثال ذلك :

(أ) في قرية (نبي شيث) بقضاء الخالص مقام للنبي شيث عليه السلام .

(ب) : : (ابو نخل) : : مزار للسيد تركمان .

(ج) : : (السعدية) : : مزار لابن الحسن بن علي بن ابي طالب(ع)

(د) : : (جيزاني الامام) : : مزار للسيد كمال الدين من اولاد الكاظم(ع)

(هـ) في قرية (الراشدية) بقضاء الخالص مزار باسم الشيخ سكران ،وهو قبر محمد البكران(١)

٩ ـ ان معظم قرى لواء ديالى قديم ورد ذكره في معاجم البلدان ولكن اسماءها تصحفت .

---

(١) ذكره ابن « الفوطي » في كتابه الحوادث الجامعة ص٣٦٤ وقال عنه انه شيخ صالح زاهد «كان رحمه الله على قاعدة السلف في العفة والزهد والانقطاع وتربية الفقراء والايثار وحسن السيرة» سكن «في رباطه بناحية المباركية من الخالص» ومات سنة ٦٦٧هـ فدفن في رباطه

لواء كركوك

نظرة عامة

لواء كركوك أحد ألوية العراق الشمالية الاربعة . يحده من الشمال لواء اربل وقسم من لواء السليمانية ، ومن الشرق لواء السليمانية وقسم من لواء ديالى ، ومن الجنوب جبل حمرين ومن الغرب لواء اربل ، ويزرع فيه من الحبوب الحنطة والشعير والشلب والحمص والعدس والماش والسمسم والقطن . ويصدر من الحنطة والشعير ما يفيض عن استهلاكه ، كمايصدر كميات كبيرة من الاصواف والالبان ، والجلود والاغنام ، ويستوردماتستورده‌بقية الالوية من حديد وخشب وسكر وشاي الخ ... وفيه من النفط مقادير كبيرة جداً .

مساحته ونفوسه

تبلغ مساحة لواء كركوك ١٩٨٧٣ كيلومتراًمربعاً .

وفيه من النفوس ٣٨٨،٩١٢ نسمة ، بحسب احصاء السنة ١٩٥٧ عدا الاجانب .

قبائل اللواء

تقسم القبائل القاطنة في لواء كركوك الى قسمين : احدهما عربي وثانيهما كردي ، باستثناء (البيات) الذي سيأتي ذكرهم . فالقبائل العربية هي :

١ - العبيد ٢ - الجبور ٣ - الجحيش (بالتصغير) ٤ - ألبو حمدان ٥ - النعيم٦ -الكروية ٧ - حرب ٨ - بنو زيد ٩ - العزه ١٠ - السعيدات (بالتصغير) ١١ - الصايح .

ولكل من هذه القبائل العربية - كما لكل من القبائل الكردية الآتي ذكرها - افخاذ عديدة لا يتسنى ضبطها على الوجه الصحيح .

اما القبائل الكردية في اللواء فهي :

١ - الجاف ٢ - الطالباني ٣ - الداوده ٤ - الكاكائية ٥ - الصالحية ٦ - شوان٧-شيخ بزيني ٨ - الهماوند ٩ - الجباري ١٠ - الدلو ١١ - الشيخاني ١٢ - الزنكنة ١٣ - الزند ١٤ - روز بياني ١٥ - بالاني ١٦ - كيج ١٧ - لك ١٨ - الوندائية .

وفي اللواء قبيلتان تركيتان هما : ١ - تطران ٢ - البيات.

اما (البيات فيدعي رؤساؤها انها قبيلة عربية بحتة ، ويرى غيرهم انها من اصل تركي.

وتدل التتبعات التاريخية على ان (البيات) من بقايا « الخوارزمية » الذين دخلوا العراق

سنة٦٢٢هـ - ١٢٢٥م باسم « بياووت » فتحرفت الكلمة الى بيات. وهم افخاذ منهم التطران

تنظيمات اللواء الإدارية

يتقوم لواء كركوك من اربعة اقضية وهي ١ - قضاء كركوك ٢ - قضاء كفري ٣ - قضاء طاووق ٤ - قضاء جم جمال .

فيتبع قضاء كركوك أربع نواح وهي : قره حسن ، وآلتون كوبري ، وملحة ، وشوان ويتبع قضاء كفري ثلاث نواح وهي : بيباز ، وقره تبه ، وقلعة شيروانه .

أما قضاء طاووق فتتبعه ناحيتان هما : قادر كرم ، وطوز خرماتو . واما قضاء جم جمال فتتبعه ناحيتان أيضاً وهما (أغجه لر) و (سنكاو) - بالكاف الفارسية - .

مدينة كركوك

كركوك القديمة

« كركوك » ويلفظها العراقيون بفتح الكاف Karkuk ويكسر الافرنج كافها Kirkuk بلدة قديمة تعلو سطح البحر بنحو الف ومئة وستين قدماً ، وتبعد عن بغداد ٣٨٨ كيلومتراً بالقطار و ٢٨٣ كيلومتراً بالسيارة ، وهي من امهات المدن العراقية واعرقها في التاريخ واستيفاء الكلام على قدمها يكلف الباحث جهداً عظيماً من غير طائل لقلة وجود المصادر التاريخية التي يصح الركون اليها .

ومن الكتب التي جاء ذكرها فيها كتابان كلدانيان قديمان : نقل احدهما الى اللغة التركية « المطران أدّي شير » عام ١٨٩٦م دون ان يذكر اسمه ، ولا تزال النسخة التركية مخطوطة وهي محفوظة في كنيسة الكلدان بقلعة كركوك ، والآخر اسمه « اخبار الشهداء والقديسين » طبعه بلغته الكلدانية في لايبسك ، من اعمال المانية (الأب بولس بيجان) في سبعة مجلدات ونسخة نادرة ، وقد جاءت اخبار كركوك في المجلد الثاني من هذه المجموعة المطبوع سنة ١٨٩١ ص٥٠٧-٥٣٥

وقد ذكر في هذين السفرين : أن الذي أنشأ هذه المدينة (سردنابال) ملك الأشوريين وكان سبب إنشائها ان ضابطاً من الماذيين يدعى (أرباق) عصى حكومته فعزله الملك الآشوري عن وظيفته ، وامر بإنشاء مدينة هي التي سميت بعد ذلك (كركوك) في كورة باجرمي ، وجعل رجلا آخر اسمه (كرمي) حاكماً عليها ، ثم جلب لها الف نسمة من الآشوريين فأسكنهم فيها فتوسعت عمارتها وعظمت اهميتها ، الا ان هذا ايضاً استقل بالولاية بعد حين فأصبح الحاكم المطلق على هاتيك الديار ، وكان مع ذلك يراجع الآشوريين احياناً .

ولما انتقل حكم العراق الى الاسكندر الكبير ، كانت كركوك في ضمن اجزاء مملكته فلما توفي الاسكندر وتقاسم ملكه قواده الثلاثة (بطليموس وسلوقس وانطيغونس) على النحو

الذي يذكره التاريخ ، كانت كركوك من نصيب (سلوقس) فهدّم مبانيها القديمة وأنشأها إنشاء جديداً ، وأقام لها سوراً فخماً جعل له ٦٥ برجاً وبابين كبيرين : سمي الشمالي منهما (باب طوطي) ودعي الآخر (باب الملك) . وكان طوطي هذا حاكماً عليها يومئذ وجاء بقبائل كثيرة أسكنها حول السور الذي أقامه ، فعظم شأن كركوك وصارت تدعى (كرخسلوك) المنحوتة من الكلمة الآرامية (كرخاد بيث ساوك) أي مدينة سلوقس ، وهكذا وردت في كتاب السينوديكون منذ سنة ٤١٠م (١) . ثم انتقلت إلى خلفائه من بعده ، وبقيت في حوزتهم زمناً طويلا حتى انتقلت الى الفرثيين عام ٢٤٧ق.م فيما انتقل اليهم ، وبقيت بأيدي هؤلاء ردحاً من الزمن حتى شق أردشير عصا الطاعة على الفرثيين عام ٢٢٦ ق.م ، فاستقل بكركوك وبقيت تحت سيطرة الفرس الى ان استولى العرب على العراق . وقد سماها بطليموس (كوركورا) بكافين فارسيتين ، ودعاها استرابون (ديمترياس) وجاء ذكرها في المصادر العربية القديمة باسم (كرخيني) . قال ابن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩هـ(١٣٣٨م) في مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) ص٤٨٧ من ج٢ من طبعة جونبك في ليدن سنة ١٨٥٣ : (كرخيني ، بكسر الخاء المعجمة ثم ياء ساكنة ونون ممالة ، قلعة حصينة بين دقوقاء واربل على تل عال ولها ربض) وكان ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨م) رآها في القرن السابع للهجرة ، وذكرها في معجمه ٧ — ٢٣٥ (٢) ووردت هذه التسمية بصورة (كرخيتي) — بالتاء بدل النون — في كتاب ابن الفوطي (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة) في ص٢٧ و ٢٩ في حوادث سنة ٦٢٩هـ . وكان كتاب الحوادث الجامعة قد طبع في بغداد سنة ١٣٥١هـ .

كركوك الحالية

هذه لمحة خاطفة من تاريخ (قلعة كركوك) وهي أول ما يقع عليه نظر القادم اليها . والمدينة تتألف من قسمين كبيرين : أحدهما القلعة والثاني السهل ، وكانت القلعة حصينة منيعة لا يمكن الاعتداء عليها ولا الدخول اليها الا بصعوبة ، اما اليوم فهي ليست كذلك ، وقد اتخذ فيها النصارى الكلدان مساكنهم منذ زمن بعيد ، ويطل بعض هذه المساكن على السهل فيكسبه منظراً جميلا ولا سيما في فصل الربيع حيث تكسو حافاته الأزهار والاعشاب ، وفيها جامعان

---

(١) أي (المجاميع النسطورية) التي نشرها المستشرق شابو Chabot في باريس سنة ١٩٠٢م بأصلها الآري مع ترجمتها الفرنسية .

(٢) هذا نص ما قاله ياقوت عن (كرخيني) وهو لا ينطبق على غير كركوك الحالية :
(كرخيني بكسر الخاء المعجمة ثم ياء ساكنة ونون وياء ممالة . وهي قلعة في وطاء من الارض حسنة حصينة بين دقوقا واربل ، رأيتها وهي على تل عال ولها ربض صغير)

قديماً يدعى أحدهما (اولو جامع) اي الجامع الكبير ، كما يدعى أيضاً (جامع مريمانه) ويسمى الثاني (جامع النبي دانيال) ويدعي النصارى انهما كانا كنيستين سابقاً . وفي الجامع الثاني ثلاثة قبور لثلاثة من الربانيين وهم (حنانيا وعزاريا وميشائيل) وتزعم اليهود ان قبر نبي الله دانيال في هذا الجامع فتقصد اليه للزيارة في مواسم معلومة في حين ان فريقاً من المؤرخين يرى ان دانيال توفي في (خوزستان ودفن في (شوشتر) من اعمالها ، وان قبره هناك يزار على أشهر الروايات . اما القسم الثاني من « كركوك » فلا يعرف تاريخ المشروع في إنشاء العمارات فيه على وجه التحقيق ، سوى ما يتناقله الطاعنون في السن من ان ذلك كان في عام ١١٤٢هـ — ١٧٢٩م . وقد جاء في صحيفة كتبها احد نصارى كركوك المعاصرين لطهماسب قلي خان المشهور بنادر شاه ، واطلعني عليها رئيس اساقفة كركوك المطران اسطيفان جبري وقد جاء فيها (ان طهماسب خان جاء الى مدينة كركوك ليلة السبت ١٦ كانون الاول عام ١٧٣٢م فضرب اولا اليهود وقتل منهم جانباً وأسر منهم عدداً غير يسير ، وكان مقره بعيداً عن المدينة بمسافة ميل فثار اهل المدينة وخرجوا اليه شباناً ورجالا وقاتلوه قتالا شديداً نحو ثلاث ساعات وقتل من الطرفين جم غفير ، حينئذ ترك المدينة وتوجه الى القوريا وهي قرية تبعد عن المدينة نحو ساعة ـ كذا ـ وأعمل السيف في أهاليها وارتعبت المدينة كلها . . . ومن هناك توجه الى قرية بشير وهجم على أهاليها . .) (١) فلما ولى طهماسب عن تلك الجهات عاد اليها سكانها ، واعادوا انشاء منازلهم ، فلم تزل في تقدم مطرد وتوسع سريع حتى غدت قرية كبيرة جداً ، فإذا عرفنا ان (القوريا) احدى المحلات الكبرى اليوم في قسم السهل من كركوك جاز لنا ان نعتمد على ما يقوله الطاعنون في السن بعض الاعتماد ، ولا سيما ان هناك قنطرة حجرية تصل القلعة بالسهل الذي تقع فيه محلة القوريا قد يرتقي تاريخها الى العهد المذكور وقد هدمت هذه القنطرة في عام ١٩٥٤م واستعيض عنها (بجسرين قائمين) على اوتاد مثبتة في قعر النهر .

ولم تكن كركوك الى ثلاثين سنة خلت الا بعض محلات تقع في القلعة : أشهرها محلات (الجاي والمصلى وإمام قاسم وزندان) وكذلك محلتا القورية وشاترلو وغيرهما في القسم السهلي الحديث وقد قفزت المدينة في فترة وجيزة من الزمن من عهد الجهل والعوز الى عهد الرخاء والازدهار بعد ان تدفقت من جوفها سيول الذهب الاسود بغزارة فتحولت الى مدينة عامرة ذات شهرة واسعة فقد شيدت في السهل خصوصاً فنادق عامرة ، وبنيت بيوت

---

(١) كان المطران اسطيفان عرب هذه الصحيفة من الكلدانية ودفعها الى (دير نرسيس صائغيان) فنشرها في (لغة العرب ٧ — ٢٨٠) .

بجميلة وعمرت مخازن كثيرة ومقاه عديدة ،فتحت شوارع واسعة،وأنشئت الأحياء والحدائق العامة في الضواحي حتى اتصل العمران بمحطة القطار ، فمن العمارات المذكورة دار الضيافة الأميرية ، ودار سكن المتصرفين والمدارس الاعدادية والابتدائية للبنات والبنين ، وسينما غازي ، والمكتبة العامة ، ودائرة البرق والبريد ودائرة مهندس الأشغال ودائرة الاوقاف ، ونادي الموظفين والنادي العسكري والمستشفى الملكي ، وهو من البنايات الفخمة التي بنيت على احدث طراز ... الخ . ومن أبرز الحدائق العامة : المجيدية ، وابن خلكـــان ، وام الربيعين ، وملعب الاطفال .

وهنالك زهاء مئة مؤسسة دينية بين مسجد وجامع وتكية وكنيسة وكنيس ، أبرزها جميعاً أثران اسلاميان هما (تكية السيد نجيب الجباوي) في القلعة ، حيث حفظت فيها الشعرة النبوية ــ على ما يقال ــ و (مقام السجادة) حيث وضعت (السجادة النبوية)ـ على ما يقال ايضاً ــ اما صرح الحكومة فعمارة قديمة ضخمة تقع في قلب المدينة ، وتجاورها ثكنة عسكرية قديمة ايضاً ، وقد انشئت ثكنة عسكرية اخرى في غربي البلدة على الطراز الحديث ، كما انشىء بجوارها مطار كبير ، ومحطة للقطار واسعة ، ومبان فخمة للمسافرين .

وفي المدينة شوارع جديدة واسعة ، وجادات مستقيمة معبدة ، تضاء بالكهرباء اشهرها شارع الملك غازي وشارع الملك فيصل الثاني ، وشارع الأوقاف ، وشارع عبد الإله ،وقد اقيمت على جوانب هذه الشوارع الابنية الحديثة ، وغرست الاشجار الباسقة ، كما انشئت في اوساطها الحدائق المزهرة .

واكثر بيوت كركوك القديمة مبني بالحجر والكلس ، او بالحجر والطين ، ومنها ما بني بالقرميد والكلس ، اما المنشآت الجديدة ــ ولا سيا في محلة شاترلو ــ فقد روعيت فيهـــا الاساليب العصرية والهندسة الآخذة بمختلف الالباب . وتختلف هذه البيوت القديمة ــ على وجه الاجمال ــ عن المنشآت في بقية الانحاء العراقية ، فهي كثيرة الحجرات ، واسعة الابهاء ضخمة المداخل ، حتى ان الذي يتجول في محالها العتيقة ليشعر انــه امام مداخل القـــلاع والاستحكامات القديمة ، وقد شرع في انشاء محلة جديدة باسم الجديدة ــ بالتصغير ــ في الجنوب الشرقي من كركوك وروعيت فيها الاساليب الحديثة وقامت فيها القصور الانيقة والدور القور .

وينقسم سكان كركوك الى ثلاثة عناصر : الكرد والعرب والتركمان ولكن الاغلبيـــة الساحقة للاكراد لان معظم قبائل اللواء من الاكراد كما قدمنـــا كالشوان والطالبـــان والداووده والصالحي والكاكائي ... الخ .

من النهيرات المعروفة في كركوك نهر ال (قورية) وال (زيوه) وهما في الاصل نهير واحد

يتفرع في قرية (يارولي) الى الفرعين المذكورين ، ويتفرع من نهير القورية نهر صغير يسمى (تسعين) وآخر اصغر منه يدعى (بيلاوه) فإذا جاء الشتاء وهطلت الامطار وامتلأت الوديان والغدران اندفعت السيول الجارفة هابطة من التلال والجبال وانصبت في (نهر الخاصة) — خاصه جاي — الذي يخترق المدينة ويفصل بين قسمي القلعة والسهل فتكون نهراً عظيماً بأمواجها المتلاطمة المزبدة واتساع صفحتها وهديرها . اما الاهلون فيأخذون مياه شربهم من (مشروع اسالة الماء) .

كركوك النفاطة

واذا صحت تسمية (الموصل) بالحدباء (لاحتداب في دجلتها) والخضراء ، حيث يكسوها الربيع حلة من الخضرة سندسية بهجة ، او اذا جازت تسمية (الحلة) بالفيحاء لما يفوح فيها من شذا الاوراد والازهار فحري بكركوك ان توصف بالنفاطه لكثرة الحقول النفطية والمعدنية التي تقع في شماليها الغربي في الموضع المسمى (بابا كركر) (١) — بكافين فارسيتين مضمومتين — حتى قيل ان كركوك لتعوم فوق بحر من النفط (٢) وقدمنح امتياز هذا النفط لشركة بريطانية في ١٤ آذار سنة ١٩٢٥م جعلت مدته (٧٥) عاماً على ان يصبح جميع ما للشركه من (الآبار والاراضي والارصفة والطرق وخطوط الانابيب والسكك الحديدية والمكائن ... الخ ملكاً للحكومة بدون عوض) وعينت حصة الحكومة في كل طن يستخرج من النفط اربعة شيلنات ذهباً تدفع في نهاية كل سنة تقويمية .

وبينما كانت اعمال الشركة تسير سيراً مطرداً وعمالها يحفرون الآبار لاستنباط هذا (الذهب الاسود) اذ فاضت احداهن في ١٤ تشرين الاول ١٩٢٧م فغمرت السهول والوديان ، وسببت قتل أنفس كثيرة (٣) فرأت الشركه المذكورة ان تطلب تعديل الامتياز على اساس سحب (النفط الخام) الى البحر المتوسط فوراً والتخلص من بعض القيود التي تضمنها الامتياز وصعب تحقيقها ، فوضعت اتفاقيه جديدة في آذار ١٩٣١م عدل فيها الكثير من مواد الاتفاقية القديمة ، ونالت الحكومة العراقية بموجبها سلفات بدون فائدة لتغطية العجز الذي كان يتوالى ظهوره في الميزانية ، وقد جعلت حقها (٢٠٠,٠٠٠) ليرة انكليزية ذهباً في السنة حتى اذا تم مد الانابيب النفطية الى البحر كانت هذه الحصة على الاساس الموضح في

---

(١) هي نار مشتعلة من عصور عريقة في القدم ، فترى الغازات الطبيعية ترتفع من بين الاتربة التي تغطي النفط ، ويزعم السكان انها هي النار الازلية التي ذكرت في سفر دانيال النبي

(٢) جاء في « محيط المحيط » في مادة نفط النفاطه : والنفاطة منبت النفط ومعدنه

(٣) بلغ ارتفاع النفط اثناء انفجاره (٨٠) قدما فوق البرج القائم على فوهة البئر ومعدلا قدره(٩٢٠٠٠) برميلا في اليوم وقتل بسببه عشرون شخصا .

الاتفاقية السابقة بشرط ان لا تقل عن هذا المعدل بعد اطفاء السلفة ثم عدلت ارباح الحكومة على اساس المناصفة بينها وبين الشركة على النحو المذكور في ص٦١ من هذا الكتاب .

وقد شرعت الشركة في العمل في اوائل عام ١٩٣٢م فمدت من الانابيب مليوناً وثلاثة ارباع المليون . منفقة على ذلك عشرة ملايين دينار، ويمتد خط هذه الأنابيب من (كركوك) إلى (الحديثة) على (الفرات) ومن الحديثة يتحول الى خطين فرعيين : يذهب الأيمن منهما الى (طرابلس الشام) ويبلغ طوله (٦١٠) كيلومترات ، ويتجه الثاني الى (حيفا) وطوله (٧٤٨) كيلومتراً وبعد مرور (٢٠) شهراً كان في إمكانها أن تسمح بمرور أربعة ملايين طن في كل سنة وقد أنشأت الشركة مباني كثيرة لموظفيها وعمالها زينتها بالحدائق وفرشت السبل المؤدية لها بالقار ، ووفرت فيها الملاعب ومراكز الترفيه والسينما مع أفخم مستشفى عرف في شمالي العراق كما ان فيه اكبر مطعم عصري لموظفي الشركة ومستخدميهـا مع مدرسة « مركز » للتدريب الصناعي مزودة بالمختبرات والادوات واصول مسك الدفاتر والحسابات. ويعد هذا الدخل من المصادر الرئيسية للحكومة العراقية في الوقت الحاضر ولا سيما بعد أن قطع ضخ النفط إلى (حيفا) في عام ١٩٤٨م وأنشيء خط الانابيب الضخم ذو الثلاثين عقدة من كركوك الى بانياس على البحر المتوسط في عام ١٩٥٢ فإن سعة هذا الخط تبلغ ١٤ مليون طن في السنة الواحدة . وتستغل عائلة (النفطجي) المعروفة في كركوك النفط المستنبط في أملاكها الخاصة على الطريقة الابتدائية فتستفيد من ذلك فوائد طائلة .

وترى شعل النفط من مسافات بعيدة جدا فتخال مناراً خرافياً ، فإذا جن الليل حسبتها مشاعل الاقدمين تضطرب وتتوهج نوراً لامعاً ، وما اشبه (النفطاء) في هذه الشعل بغادة جميلة في ليلة عرس تحف بها الشموع وهي تمرح في حلل من الذهب ؟

١ ـ قضاء كركوك

هذا قضاء داخلي يقيم قائم مقامه في (مدينة كركوك) وترتبط به النواحي الاربع التالية ارتباطاً إداريا ، وتلتحق به (٢٦٧) قرية .

« ناحية قره حسن » : مركز هذه الناحية « قرية ليلان » التي تبعد «٢٠» كيلومتراً من كركوك جنوباً بشرق ، وهي قرية زراعية مهمة تتبعها (٥٢) قرية .

« ناحية آلتون كوبري » : التون كوبري كلمة تركية معناها « الجسر الذهبي » ولا بدَّ أن يـكون قائل هذه الكلمة اراد ان يقول « آلتون صو كوبري » اي جسر نهر الذهب فاستطال الجملة فاختصرها ، وقد تسمى أحياناً « القنطرة » من باب التعريب لان هناك جسرين

قائمين على الزاب الصغير يصلان القرية بالبر (١) فنشأ من ذلك اسمها باللغتين التركية والعربية ، و « آلتون كوبري » اليوم قرية كبيرة تبعد (٤٤) كيلومتراً من كركوك شمالا بغرب ، بينها وبين إربل ، حسنة الهواء عذبة الماء كثيرة المناظر والخيرات ، تتبعها (٣٣) قرية .

«ناحية ملحة» : تتقوم هذه الناحية من (٣٧) قرية كبيرة وصغيرة ، ومركزها القرية المسماة باسمها ، القائمة على مسافة (٦٤) كيلومتراً من كركوك غرباً ، فيها ملح ناصع البياض ربما كان السبب في تسميتها بهذا الاسم .

ـ « ناحية شوان » ـ مركز هذه الناحية «قرية ريدار» القائمة على طريق كويسنجق ، في موضع يبعد ٣٥ كيلومتراً من كركوك شمالا بغرب ، وتتبعها (٨٩) قرية زراعية بين كبيرة وصغيرة ، وهي قرية صغيرة فيها زهاء (٧٠) بيتاً بينها دار الحكومة والمستوصف ومخفر الشرطة

٢ ـ قضاء كفري

« كفري » « وزان كرسي » اسم ثان للصلاحية من ديار العراق . تبعد عن كركوك (١٣١) كيلومتراً جنوباً بشرق . وهي بليدة تقع إلى سفح « جبل بابا شهسوار » المنسوب إلى زاهد مدفون فيه يدعى « بابا شهسوار » فيتبرك بقبره العوام . ويمر بالقرب منها الخط الحديدي الممتد بين بغداد وكركوك بعد ان كان يمر بها مباشرة ، ويبلغ عدد نفوس ساكنيها ٧٠٥٩ نسمة اما نفوس القضاء ف (٤٩،٣٤٩) نسمة ، وعدد القرى الملحقة به ف (٣١٨) قرية

بيوتها عامرة مرتفعة ، واسواقها قديمة متداخلة ، ومتنزهاتها كثيرة منوعة ، وهذه كلها تنار بالاضواء الكهربية . والحركة العمرانيه فيها تسير سيراً مطرداً ، وتجارتها على الإجمال حسنة ، اما هواؤها فجيد معتدل ، واما ماؤها فلا يخلو من ملوحة ، وإن كان زلالا ، وهو يتألف من نهرين ينبع احدهما من (قرية سرقلعة) ويسمى « بكره شل » ويتفجر الثاني في « قرية عمر بل » ويسمى (قوشه جابان) وقد انشيء على النهر الثاني مشروع إسالة صحي لإعداد مياه الشرب للأهلين ، اما اوشال النهرين المذكورين فتسقي بساتين البلدة وحدائقها فإن (كفري) محاطة ببساتين عديدة تكثر فيها الاشجار ، وتتنوع في بعضها الاثمار والاعناب فتبدو كروضة رقت حواشيها وتأنق موشيها .

وبالقرب من « كفري » نوع من القار كائن في « قرية نا صالح » يقال له (الكفر) لعل اسم القصبة منه . قال ابن شميل (القير ثلاثة اضرب :الكفر والقير والزفت ، فالكفر يذاب ثم يطلى به السفن ، والزفت يطلى به الزقاق) (٢) وهو الاسفلت عند الافرنج كما ان في الجبل

---

(١) يقع احدهما على الشعبة الشمالية من (الزاب الصغير) وطوله ٣٨٧ قدما ، ويقع الآخر على الشعبة الجنوبية منه وطوله (١٨٠) قدما

(٢) انظر تاج العروس ٥٢٦/٣ مادة : كفر

القريب منها فحما حجريا استغله الترك والألمان في الحرب العالمية الاولى (حرب ١٩١٤-١٩١٨م) واستفادوا منه كثيراً في تسيير بواخرهم وقطاراتهم ، وتأمين وقودهم .

للقضاء ثلاث نواح و(٣١٨) قرية زراعية بين كبيرة وصغيرة، اما النواحي المذكورة فهي:

« ناحية بيباز » : هـــذه ناحية حديثة تلتحق بها اكثر من ثمانين قرية زراعية مختلفة ، وهي لا تختلف عن قرى الكرد في الشمال فيها مخفر للشرطة ومستوصف للمراجعين

« ناحية قره تپه » تشتمل هـــذه الناحية على (٦١) قرية متوسطة ، ومركزهـــا القرية الجميلة (قره تپه) التي تبعد عن الجنوب الغربي لمركز القضاء ٣٢ كيلومتراً ، وعن كركوك ١٦٣ كيلومتراً وهي كبيرة فيها حوانيت كثيرة ودور انيقة ومقاه حسنة وبعض العمارات الحديثة مع مستوصف وسراي ومدرستين إحداهما للبنين والاخرى للبنات ومسجدين احدهما للسنة والآخر للشيعة العـــلي اللاهية الذين تولى علماء الشيعة هدايتهم فأرجعوهم الى المذهب الجعفري الاثني عشري ، ولكثرة (اللقالق) (١) في هذه القرية فإن الناس يسمونها (أم اللقالق) .

(ناحية شيروانة) : مركز هذه الناحية (قلعة شيروانة) القائمة على بعد ٤٢ كيلومتراً من مركز القضاء شرقاً، وهي قلعة اثرية مشهورة اتخذتها الحكومة مركزاً لادارتها ولارتفاعها فان قويّ البصر يستطيع ان يشاهد (خانقين) منها وتتبع هذه الناحية ١٣ قرية .

٣ ـ قضاء طاووق

روى ابن الفوطي في حوادث عام ٦٤٤هـ (١٢٤٦م) (٢) ان سنقراً من خواص الخليفة الناصر لدين الله (صب يوماً على يده ماء فسقطت الصابونة منه فناوله غيرها وقال (دقوق) وهو بلغة الترك دجاجة فأقطعه دقوقاء ظناً منه انه طلبها فلم تزل في يده الى ان توفي فتسلمها ابنه محمد ، فلما توفي عادت الى نواب الخليفة) إهـ

فيستدل من هذه الاقصوصة ان (دقوقاء) ـ وتسمى اليوم طاووق ـ مقاطعة قديمة كانت تجاور دون شك بلـــداً اثريا بهذا الاسم . قال ياقوت الحموي ـ دقوقـــاء بفتح اوله وضم ثانيه وبعد الواو قاف اخرى والف ممدودة ومقصورة ، مدينة بين اربل وبغداد معروفة ولها ذكر في الاخبار والفتوح ، وكان بها وقعة للخوارج إهـ (٣) اما الآن فهي مركز قضاء يبعد (٤٨) كيلومتراً عن كركوك جنوباً ، تقع على الطريق العامة في ارض سهلة خصبة جداً تخترقها السيارات في اشهر الصيف فإذا جاءها الشتاء سلكت هذه السيارات طريقاً جبلياً

---

(١) اللقلق او اللقلاق طائر اعجمي طويل العنق والرجل يأكل الحيات والديدان، وهو مشهور ولاسيما في العراق

(٢) راجع كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة » ص٢١٥

(٣) راجع كتاب « معجم البلدان » ص٤-٦٦ طبعة مصر

بعيداً عابرة قنطرة فخمة مشيدة على فوهة « جبل ليلان » الذي يكسوه الربيع حلة من الخضرة تنعكس على « طاووق » فتزيد في رونقها وبهائها في الفصل المذكور .

مناخها معتدل وماؤها عذب رحيق يسمى « روخانة » او « باسه رّا » ودورها مشيد معظمها بالطين ومسقف بالخشب ، وانارتها بالزيوت والشموع ، ولغاتها الكردية والتركية ، وقد يجد الغريب من يتكلم العربية فيتفاهم بها .

و ليس في «طاووق» حمام يغتسل فيه الاهلون ، ولا نزل يأوي اليه المسافرون ، ولاقصر يسكن فيه الرؤساء ، أما الموظفون فان لهم دوراً خاصة بهم كما ان للحكومة صرحاً جيداً ، ومستوصفاً صغيراً ، ودائرة للبرق والبريد متوسطة ، ومدرسة للبنات واخرى للبنين ، وفيها مسجدان تقام فيهما الصلوات الخمس وتكية قديمة للبكتاشية ، ويسير القطار بالقرب منها فيعبر قنطرتين حجريتين يبلغ طولها اكثر من كيلومتر ، اما اسواقها فلا تزال على حالتها الابتدائية وهي تتألف من حوانيت عتيقة بينها بعض المقاهي الحديثة ، وقد ابتنت «مديرية الاوقاف العامة » بعض الحوانيت العصرية في السنوات الاخيرة .

وعلى مسافة قصيرة من داقوق مقام للامام زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام يقصده الناس للتبرك به (١) اما نفوسها فـ (١٣٢٠) نسمة واما نفوس القضاء فقد بلغت في تسجيل سنة ١٩٤٧م (٥٩،٠٢٩) نسمة وتتبع هذا القضاء (٢٠٧) قرى .

للقضاء ناحيتان هما قادركرم وطوزخرماتو .

«ناحية قادركرم» — «قادركرم» قرية كبيرة تبعد ٦٥ كيلومتراً من كركوك شرقاً كانت مركز قضاء كيل، فأصبحت مركز الناحية المسماة باسمها، وتتبع هذه الناحية (٦٧) قرية زراعية متوسطة كلها آهلة بالسكان من قبائل الداووده والزنكنة والجباري والطالباني والشيخاني .

«ناحية طوزخرماتو» — تقع هذه الناحية في صقع واسع من اغنى اصقاع العراق بنفطه الفاخر ، وكانت تستغل هذا النفط الشركات الاجنبية على النحو الذي ذكرناه في ختام الكلام على مدينة كركوك الا انها اهملت نفط هذه الناحية ، مدخرة اياه لوقت آخر ومكتفية بنفط كركوك الممتاز ، كما ان في الناحية مراكز للملح تتموّن منها معظم هاتيك الانحاء . وتتقوم «ناحية طوزخرماتو» من ٨٦ قرية بين كبيرة وصغيرة اما مركزها فالقصبة المسماة باسمها ، وهذه تبعد ٨٧ كيلومتراً من كركوك جنوباً بشرق وتجاورها اودية كثيرة فيها بساتين مثقلة بالفاكهة المنوعة وتقطنها قبائل البيات والداوودة والزنكنة اما عمرانها ففي توسع مستمر .

---

(١) يظهر ان كون هذا المقام — وقد زرناه في صيف سنة ١٩٥٣م — للامام زين العابدين بعيد عن الصحة اذ لم يذكر التاريخ ان الامام زين العابدين بن الامام الحسين بن علي زار العراق ، بل هو لم يخرج من المدينة المنورة بعد وقعة كربلا فمن اين جاءت هذه الاسطورة القديمة؟ فلقد وجدنا على مدخل هذا المقام رخامة كتب عليها ان هذه البنية جددت سنة ١٠٥٩ هج على عهد احمد باشا وانها مقام الامام زين العابدين

٤ ـ قضاء جم جمال

«جم جمال» ـ بجيمين فارسيتين ـ قرية صغيرة تقع في منتصف الطريق بين كركوك والسليمانية تقريباً فهي تبعد عن شرقي الاولى ٤٩ كيلومتراً ، وعن غربي الثانية ٦٥ كيلومتراً تجثم على جانب تل كبير انشيء قديما لغرض الدفاع عنها ، وفوق هذا التل قلعة ما تزال انقاضها ماثلة للعيان . وقد ازدهرت الحركة العمرانية في السنوات الاخيرة في هذه القرية ، إزدهارها في بقية المدن والقرى فأنشئت بضعة دور للموظفين ، وبنيت جملة حوانيت للأهلين ؛ وفتح فيها شارع عام وهو اجمل واهم ما يذكر عنها .

وكانت الحكومة فكرت في انشاء قرية عصرية في مدخل «جم جمال» الحالية في النصف الثاني من عام ١٩٣٦م فجلبت المواد الانشائية والادوات الضرورية ، ولكن سرعان ما اهمل المشروع بعد استقالة الوزارة التي فكرت فيه فأقرته ، فاستخدمت هذه المواد في انشاء دار للقائم مقام ، ودائرة للبرق والبريد ، ومدرسة لتعليم البنين .

ويكثر فأر الحقل في هذه القرية ، وفي الاراضي الزراعية المحيطة بها ، فيؤدي ذلك الى الاضرار بزراعتها . وبالقرب منها منطقة نفطية غزيرة المنابع لكنها لا تستغل في الوقت الحاضر ، وبجوارها نهر عذب يشرب منه الاهاون ، وتصرف اوشاله في الحدائق المنشأة فيها حديثاً وسكانها على جانب من الشجاعة . يكرمون الغريب ، ويوصلون الفقير ، ويتمسكون بأهداب الدين الحنيف ، ولشجاعتهم النادرة اكتسبوا حرمة مجاوريهم لهم ، ويبلغ عدد النفوس في «جم جمال» مع القرى التابعة لها ١٦،١٣٥ نسمة ؛ اما نفوس القضاء فهي ٢٩٨١١ نسمة حسب سجلات سنة ١٩٤٧م وفي القضاء ١٦١ قرية بين كبيرة وصغيرة .

لقضاء جم جمال ناحيتان وهما اعجهلر وسنكاو .

«ناحية أغجهلر» مركز هذه الناحية القرية المساة باسمها ، وهي كبيرة تبعد ٤٦ كيلومتراً عن مركز القضاء شمالا بشرق ، وعلى طول الطريق المؤدية لها اشجار البلوط والرمان والاعناب ، وللشرطة فيها عمارة فخمة انشئت للمحافظة على الامن في هاتيك الاطراف ، وهي مركز «اهل حقه» الغلاة احدى الطرق الصوفية في الشمال .

«ناحية سنكاو» سنكاو ـ بكاف فارسية ـ ناحية قديمة كانت ملحقة بقضاء (كيل) فلما الغي القضاء المذكور ألحقت بقضاء جم جمال ، ومركزها اليوم قرية (كوك تپه) ـ بالكاف الفارسية ـ التي تبعد ٣٨ كيلومترا عن مركز القضاء ، فيها مياه معدنية نظيفة ومحل للحكومة لا بأس به ، ويمر بها نهر سريع الجريان فيسقي اهلها ، ويروي زروعها ، وتذهب اوشاله الى القرى المجاورة فيستفيدون منها .

لواء السليمانية

نظرة عامة في اللواء

هذا لواء جبلي وعر المسالك ، كثير الجبال ، غزير المياه ، كان مصدر قلق للحكومة العراقية مدة من الزمن . يحده من الشرق بلاد ايران ، ومن الغرب لواء كركوك ، ومن الشمال لواء اربل ، ومن الجنوب بلاد ايران ايضاً وشي من لواء ديالى ، واهم منتوجاته التبغ فانه ينمو هناك بكثرة ، وهو مدار العيش في تلك الربوع بعد الحبوب . ومن حاصلاته الرئيسية ايضاً الجوز واللوز ، والفستق والبندق ، والزيتون والبلوط ، والعفص والكثيراء ، والصمغ ومن السماء ، وتعيش الأغلبية الساحقة من سكان اللواء على الجوز واللوز والبلوط لانها موردهم الرئيسي ، اما العسل الذي يجمع في أطرافه فلا مثيل له في الجودة، وهم يعملون للنحل خلايا صناعية (كوائر) يضع فيها شهده ، فاذا صار الخريف باشروا بجمعه على طرق بدائية يتوارثونها خلفاً عن سلف ، اما مدخولات اللواء فهي كسائر الموارد التي تستوردها الالوية العراقيه الاخرى من السكر والشاي والبن والمنسوجات الصوفية والحريرية والاواني الخزفية والزجاجية والنحاسية والطنافس الايرانية وغيرها .

مساحة اللواء وعدد نفوسه

تبلغ مساحة لواء السليمانيه ١١٨٥٢ كيلومتراً مربعاً .

ويبلغ عدد نفوس اللواء ٢٩٩،٩٧٨ نسمة بحسب سجلات عام ١٩٥٧م .

قبائله

في لواء السليمانية ثلاث قبائل رئيسية وهي : ١ً- الجاف ٢ً- پشدر ٣ً- الهماوند .

اما قبيلة الجاف فتعد نفوسها زهاء ١٢٠،٠٠٠ نسمة واهم افخاذها ستة وهي :

١ً- مكايلي ٢ً- رشوبري ٣ً- شاتري ٤ً- كلالي ٥ً- نورولي ٦ً- شيخ اسماعيلي .

واما قبيلة «بشدر» فتقسم الى قسمين : الاغوات والرعايا ، والاغوات ثلاث فرق :

١ً- الميرآودليون ٢ً- الهومر آغايي ٣ً- سو اغايي .

والرعايا عدة فرق اظهرها ثلاث : ١ً- نورالديني ٢ً- مركه ٣ً- الجافتي .

واما قبيلة الهماوند فتتكون من خمس فرق وهي :

١ً- بك زاده ٢ً- رشاوند ٣ً- رماوند ٤ً- صفره وند ٥ً- سيته بسر .

وفي اللواء عدا القبائل الرئيسية المذكورة عشائر اخرى لكنها ثانوية وهي :
١ً ـ اسماعيل عزيزي ٢ً ـ جنكني ٣ً ـ قسم الهاورمان «هورامي» .

تنظيمات اللواء الادارية

يتقوم لواء السليمانية من اربعة اقضية وهي :
١ً ـ قضاء السليمانية ٢ً ـ قضاء حلبجه ٣ً ـ قضاء شهر بازار ٤ً ـ قضاء بشدر .

مدينة السليمانية

تاريخها

قامت الامارة البابانية في شمالي العراق في اواخر القرن الحادي عشر للهجرة ، واتخذت (قلعة جوالان) ، التي كانت زاخرة بالمساجد والتكايا والمدارس الدينية ، وكذا دور السكن مركزاً لها . فلما كانت سنة ١١٩٢هـ ـ ١٧٧٨م تقلد شؤونها محمود باشا بابان واعتزم توطيد نفوذه وتقوية مركزه فأنشأ قلعة حصينة في قرية ملكندي ـ احدى المحلات المعروفة في مدينة السليمانية الحالية عام ١١٩٦هـ ـ ١٧٨١م فكانت قلعته أول عمارة رسمية تشاد هناك ، فلما آلت الامارة الى ابراهيم باشا بابان ابن احمد باشا بابان بعد عامين ، طمح الى تعزيز شؤون ملكه والسير على نهج سلفه ، لانه عاش في بغداد مدة طويلة تذوق خلالها طعم المدنية ، فأنشأ حول القلعة المذكورة عام ١١٩٩هـ ـ ١٧٨٤م دورا عديدة ، وحوانيت كثيرة ، ومسجدا جامعاً تقام فيه الجمعة ، وحماماً يغتسل فيه المعارف والخاصة ، ثم نقل اليها مركز الحكم من (قلعة جوالان) فتحول معه الاغنياء والتجار ، والعلماء والاشراف ، وكتب الى صديقه سليمان باشا الكبير ، والي بغداد يومئذ ، يخبره بذلك ، وانه سمى هذه المدينة الجديدة بـ (السليمانية) تيمناً باسمه ـ على رواية دائرة المعارف الاسلامية ـ وعلى اسم جده سليمان باشا ـ على رواية بعض المؤرخين ـ فلم تزل في تقدم وتوسع حتى غدت مدينة كبيرة (١) ، ولكنها عادت بعد سنوات فانحطت بسبب الثورات والحروب التي توالت عليها ، ولم تجد فرصة للتجدد والنهوض من كبوتها الا بعد ان آل امرها الى الحكومة العراقية سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م ، حيث فتحت فيها الشوارع الفسيحة ، واقيمت العمارات الجليلة ، وشيدت الانزال الكبيرة والقيساريات الحديثة والمخازن العديدة ودور السينما العصرية والحدائق العامة النضرة ، والمباني الرسمية الضخمة : كالسراي والمستشفى ودار الامومة والطفولة ودائرة البرق والبريد ومخازن

---

(١) ويتناقل الاهلون اسطورة اخرى في سبب تسمية «السليمانية» بهذا الاسم خلاصتها ان ابراهيم باشا بينما كان يحفر لاسس المباني التي اقامها عثر على ختم نقش عليه كلمة « سليمان » فتفاءل خيرا وسمي مدينته باسم صاحب الختم .

التبوغ وثكنات الجيش والسجن الملكي والمدارس الاعدادية والمتوسطة والابتدائية والصناعية للبنين والبنات ، وحيث عبدت شوارعها وزفتت ميادينها العامة ، وانشيء فيها مشروع للكهرباء وآخر لتصفية المياه ، فاستردت منزلتها القديمة وفاقتها واصبحت من المدن العراقية المشهورة بحسن هندستها ، وجميل عمارتها والحدائق التي تتخلل بعض دورها وفي عام ١٩٥٦ شيدت في مدخلها مجموعة من المدن العصرية الانيقة لضباط الجيش فزادها حسناً على حسنها وشهرة على شهرتها وفي مدينة « السليمانية » ٣٥ مسجداً اشهرها « المسجد الكبير » الذي اسس في زمن ابراهيم باشا بابان .

منظرها

وتقع مدينة «السليمانية» وسط سلسلة من الجبال متصل بعضها ببعض فتجعلها كالفردوس الزاخر بمناظرها الطبيعية التي صاغتها يد القدرة ، واضفت عليها من الجمال والبهاء قسطا وافراً لا ينضب لها معين فاذا جاء الربيع كساها حلة زبرجدية من العشب الاخضر فابراد ملونة من الزهر المختلف الالوان فيزيد ذلك في جلالها وروعتها ، واذا كان الشتاء البسها بروداً من الثلج ناصعة فتبدو تحت وهج الشمس كملائكة تسبح بحمد الله تعالى على عظمته وجميل صنعه ، وترى الاهلين يتداركون الاخشاب والاحطاب التي جادت بها الطبيعة بكثرة ليصطلوا بنارها وليدفئوا من قرّ شتائها .

اما في الصيف فالهواء معتدل ، والمياه عذبة تجري دافقة من الجبال والعيون فتمر في اكثر البيوت متوسطة حدائقها ومراحيضها . والغابات دانية القطوف بمختلف الاثمار ، من تين وعنب ورمان ، وجوز ولوز وفستق . . . الخ اما العسل الذي يجنى في هذه المدينة وفي القرى المجاورة لها ، فلا نظير له في الجودة ، وسكانها يعملون للنحل خلايا يأوي اليها فيضع «شراباً مختلفاً الوانه فيه شفاء للناس » فإذا صار الخريف باشر الناس جمعه على طرق خاصة ، واساليب ابتدائية .

وتبعد السليمانية عن كركوك شرقاً ١١٤ كيلومتراً ، وتربطها بها جادة معبدة ومزفتة ، فتقطعها السيارات في ساعتين . وقد انشأت الحكومة قلاعا حصينة في مداخل الجبال الواقعة على هذه الطريق ، ولا سيما في مدخل «دربند» .

وليس في ديار الكرد بلد تماثلها بكثرة الحاصلات ، وسعة التجارة وخطورة المركز ، فهي معقل العراق الحصين ، ومدينة من اهم مدنه الجبلية . وفي مدخلها — لمن يأتيها من كركوك — مصيف جميل جداً يسمى «مرجنـــار» يقصده ارباب الانس والطرب لقضاء اوقات راحتهم فينعمون بخرير مائه وكثرة اطياره وعظمة مناظره واشجاره .

وبجوار هذا المصيف معمل للسمنت انشيء في عام ١٩٥٦م وآخر للسكر انشيء عام ١٩٥٨م وثالث لعمل السكاير وبالقرب منه مزرعة نموذجية حكومية فيها كل ما لذ وطاب من اشجار الزينة والفواكه وغيرها .

أهلها

ولغة الاهلين الكردية بالطبع ، الا ان فيها جماعة كبيرة تتقن اللغة العدنانية فتتفاهم بها مع الاعراب والاغراب ، وفي المدينة شرذمة من النصارى قليلة العدد ، والصناعة فيها خاملة الا ان سكانها يصنعون من الاخشاب الجبلية المتينة ملاعق وصحوناً واواني لطيفة جداً ، ويتعاطى بعضهم صناعة الادوات الحربية ، وحياكة البسط والسجاد لاحتياجهم اليها . وتهب فيها تيارات هواء شرقية في اويقات مختلفة يسمونها «رەشبا» اي « الهواء الاسود» فتعطل الحركة احياناً .

وتنتشر في «السليمانية» طريقتان من الطرائق الصوفية المعروفة ، تدعى الاولى الطريقة النقشبندية نسبة الى الشيخ محمد النقشبندي المتوفى عام ٧٩١هـ — ١٣٨٨م . وتسمى الثانية الطريقة القادرية نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلي المتوفى عام ٥٦١ هـ — ١١٦٥م وقد نشر الطريقة الاولى في هاتيك الاطراف الشيخ خالد النقشبندي الملقب بضياء الدين المتوفى سنة ١٢٤٦هـ — ١٨٣٠م . ونشر الطريقة الثانية فيها الشيخ محمد النودهي المشهور باسم الشيخ معروف المتوفى عام ١٢٥٠هـ ١٨٣٤م . ولهاتين الطريقتين آداب وسنن يتوارثها الاحفاد عن الاجداد ، والشيخ محمود ، الزعيم المعروف المتوفى عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٧م انما هو حفيد الشيخ معروف المذكور . وهو مدفون في الجامع الكبير الى جوار جده الشيخ كاك احمد .

وعلى مسافة ستين كيلومتراً من شمالي غربي مدينة السليمانية يجري العمل لانجاز مشروع دوكان الذي تبلغ تكاليفه (٢٣) مليون دينار . وهذا المشروع عبارة عن انشاء حائط خرساني طوله (٣٢٥) متراً وارتفاعه مئة وثمانية امتار على نهر الزاب الصغير في مضيق دوكان فيتولد من ذلك تكوين خزان يغمر مساحة خمسين كيلومتراً مربعاً ، ويستوعب زهاء سبعة مليارات مكعبة من المياه ، وتكون له خمس نوافذ مبطنة بالفولاذ تستعمل لتوليد الكهرباء، ونفق قطره (١٢،٥) متراً لامرار مياه الري والفيضان . اما اهداف هذا المشروع الجبار فهي حجز مياه الزاب الصغير من الانسياب في دجلة فتخفف وطأة الفيضان فيه الى حد كبير . ثم احياء نحو ١،٣٠٠،٠٠٠ مشارة من الاراضي الزراعية في الوية اربل وكركوك وديالى فتوليد قوة كهربية ضخمة للانارة وقد شرع في المشروع عام ١٩٥٤م وينتظر الفراغ منه قريباً .

١ — قضاء مركز السليمانية

هذا قضاء داخلي ، يقيم قائم مقامه في مدينة السليمانية نفسها ، وترتبط به اربع نواح وهي تانجرو ، قره طاغ ، سورداش وبازيان . وفيه (٧٦،٢٥٧) نسمة .

«ناحية تانجرو » مركز هذه الناحية « عربت» وهي قرية جميلة تقع في الشرق الجنوبي لمدينة السليمانية ، وتبعد عنها ٢٤ كيلومتراً ، عمرانها قروي ساذج ، ومناخها جبلي نافع ، وأهلها أهل ورع وتقى ، وحاصلاتها مشهورة بجودتها ، والطريق اليها سهل منبسط لامشقة فيه ولااضطراب .

« ناحية قره طاغ » : مركزها القرية المسماة باسمها ، وهي قرية جميلة بمناظرها ، غزيرة بمياهها مشهورة بطلاقة هوائها ، فيها عمارة للحكومة جليلة ، ودور للمتمولين والموظفين حسنة ، وهي على مسافه ٤٨ كيلومتراً من مركز اللواء جنوبا ، وربما اعتبرت من المصايف المهمة هناك ولاسيا بعد فتح الطرق الرئيسية اليها .

« ناحية سورداش » : مركزها قرية سورداش التي تبعد عن السليمانية ٥١ كيلومتراً شمالا بغرب ، وهي قرية جميلة ذات مناظر حسنة ، وعمارات متوسطة . وللحكومة فيها صرح فخم ، ومدرسة متوسطة البناء ، ومستوصف صحي لابأس به وسكان هذه الناحية معروفون بصلابة عودهم ، وقوة شكيمتهم وخشونة طباعهم فلا يأمن الغريب مصاحبتهم

« ناحية بازيان » : مركز هذه الناحية قرية « تاينال » الواقعة على مسافة ٤٨ كيلومتراً من غربي السليمانية ، فيها عمارة متوسطة للادارة ، وأخرى فخمة للشرطة ، وبعض البيوت الحسنة للموظفين والاهلين ، وتحيط بها رياض وغياض تجعل لها منظراً جميلا وموقعاً ممتازاً ويقال انه كان في هذه المنطقة عشيرة اسمها «باسيان» فانقرضت وبقي هذا الاسم المحرف لها.

٢ — قضاء حلبجه

«حلبجه» — ويسميها الكرد هلبجه بالهاء — بليدة حسنة العمران ، قليلة السكان (١) جيدة المناخ ، كثيرة البساتين والاثمار تنار بالكهرباء ، وتشرب من الينابيع ، وهي قريبة جداً من الحدود الايرانية ، وجاثمة على سفح «جبل هاورمان» في نهاية سهل «شهرزور» على مسافة ٧٦ كيلومتراً من السليمانية شمالا بشرق ، وللحكومة فيها صرح فخم تجاوره ثكنة للشرطة الخيالة ، ودائرة للبرق والبريد ويقابله مستشفى كبير ، ومدرسة للبنات واخرى للبنين، وقد فتح فيها في السنوات الاخيرة شارع فسيح يخترقها من الشمال الى الجنوب فتقوم على جانبيه

---

(١) قيل لنا ان هذه البليدة كانت تسمى « حله » في العهد البابائي ثم سميت « حلبجه » اي طفلة حله او «الحلة الصغيرة» تمييزا لها عن « الحلة الفيحاء » على الفرات

المباني الحديثة ، والعمارات الجميلة ، والمقاهي والحوانيت العديدة، وهي مقر «رؤساءالجاف» ولهؤلاء فيها قصور تجمع بين جمال الريازة الشرقية وحسن الهندسة العصرية ، كما انها مركز حاصلات جبال هاورمان ، وفي اكثر دورها حدائق لطيفة ، وفيها قيساريات روعيت فيها التقاليد القديمة ومساجد وخانات وحمامات تنسب كلها او اكثرها الى عثمان باشا الجاف الذي كان قائم مقاماً لقضاء حلبچه سنة ١٣٠٧هـ — ١٨٨٩م وتروي سجلات الحكومة العراقية لسنة ١٩٤٧م ان نفوس هذا القضاء «٧١٤٩٣» نسمة .

ومن توابع حلبچه قريتان كبيرتان مهمتان هما « بيّاره » و « طويله » وفي القرية الاولى مدرسة دينية مشهورة يقصدها طلاب العلم من القرى البعيدة والقريبة للتعلم .

للقضاء ثلاث نواح : «خورمال» و « وارماوه » و « بنجوين » .

« ناحية خورمال » : ومركزها القرية المسماة باسمها القائمة على بعد عشرة كيلومترات من الشمال الشرقي لحلبچه، وهي قرية قبلية فيها مدرسة ومستوصف ومخفر للشرطة مع بناية لمدير الناحية لا بأس بها . وكانت تسمى من قبل« كلعنبر» وقد ورد هذا الاسم «اي كلعنبر» في رخامة في اعلى مدخل مصلى قديم فيها من زمن السلطان سليم الثاني العثماني سنة١١٤٢هـ — ١٧٢٩م كما هو مسطور على الرخامة .

« ناحية وارماوه » : مركزها قرية جميلة تبعد زهاء ٣٠ كيلومترا من حلبچه غرباً يقال لها « فقي جنه » وفيها ما في «ناحية خورمال» من مدرسة ، ومستوصف ، ودار امارة ، ومخفر شرطة وبضع دور لموظفي الناحية وبعض السكان .

«ناحية بنجوين » : بنجوين — بالباء المثلثة التحتية — بليدة تقع على الحدود الايرانية وفي سفح هضبة « شاني حاج شيخ » المحيطة بثلاث جهات منها ، تبعد عن السليمانية ١٠٤ كيلومترات في شمالها الشرقي ، وعن حلبچه ٧٤ كيلومترا ، وفيها بساتين كثيرة وحدائق كبيرة ، وعمارات جليلة ، وثلاث محلات واسعة ، ويتوسطها واد يجري فيه جدول عذب يسمونه «هرزاركاينان» وقد انشأت الحكومة فيها صرحاً عسكريا فخما ، وفتحت شارعاً رئيسياً معبدا يصل بينها وبين السليمانية . اما سوقها الكبير فتنتظم فيه الحوانيت الملآى بالحاجات الضرورية ، وأما منشآتها فافخمها السراي ثم دار البلدية ، ودائرة البرق والبريد ودائرة البيطرة ، ودائرة الكمرك والمكوس، ومخفر الشرطة « وفيه جهاز لاسلكي للمراسلة» وقيساريتان واسعتان ، وثلاثة مساجد تقام فيها الصلوات الخمس ، ومدرسة دينية اهلية ومدارس حكومية اخرى وعدة انزال وفنادق .

واكثر العمارات في بنجوين من املاك الشيخ محمود ، الزعيم الكردي المعروف ، وما تبقى

هو لرؤساء الجاف ، وكانــت معقل الشيخ الحصين فاحتلها الجيش العراقي في ٢٣ نيسان ١٩٢٧م بعد ان انهارت قوته وانضمت الى الوحدات الادارية في لواء السليمانية وبالاجمال ان بنجوين من قرى الاصطياف العامرة .

٣ — قضاء شهر بازار

مركز هذا القضاء قرية چوارتا — بالجيم الفارسية المضمومة —وهي قرية كبيرة الا انها خاملة الذكر ، بعيدة عن المدنية ، تجثم على سفح جبل « سرسير » في موضع يبعد ٣٨ كيلو مترا من السليمانية شمالا بشرق . فيها صرح فخــم اقيم لأغراض عسكرية طارئة ، وتشغله الدوائر الرسمية بجميع فروعها ، وفيها مدرسة اميرية عامرة ومستشفى حديث وبعض رياض زاهرة . اما بقية عمرانها فلا يزال قروياً على الرغم مما اسبغه الحكم الوطني عليها من العناية لرفع مستواها .

ولأهل «جوارتا» ولع خاص بتربية الماشية،لكثرةما يحيط بقريتهم من المراعي والمروج أما ماؤها فعذب زلال لانه ينبع من عيون غزيرة ، واما هواؤها فصحي مفيد ،وتقرب منها « قلعة جوالان » القرية التاريخية التي كانت مركز الحكم البابانى قبل ان يهاجر منها ابراهيم باشا بابان الى « السليمانية » عام ١١٩٩هـ — ١٧٨٤م وتدل سجلات الحكومة لسنة ١٩٤٧م على ان نفوس القضاء (٣٨،٩٩١) نسمة بما فيه من قبائل وقرى

للقضاء ناحيتان وهما : ١ — ناحية ماوت و٢ — ناحية سروجك .

« ناحية ماوت » : مركز هذه الناحية القرية المسماة باسمها . وهي قرية واسعة العمران، كثيرة السكان بالقياس الى عمران مركز القضاء جوارتا وعدد سكانها . تبعــد عن المركز المذكور ٣٠ كيلومتراً والطريق اليها وعرة تكثر فيها الحفر والأخاديد فيصعب الوصول اليها على غير ظهور الدواب .

« ناحية سروجك » : مركز هذه الناحية قرية « برزنجه » التي تبعد عن السليمانية ٥٧ كيلومتراً وعن « جوارتا » ١٦ كيلومترا وهي قرية معروفة بتقى سكانها ، وصحة نسبهم الى آل البيت (ع) وقد كانت — ولاتزال — دار علم وفضل وسيادة .

٤ — قضاء بشدر

قلنا ان في لواء السليمانية ثلاث قبائل رئيسية وهم الجاف والهاوند وبشدر؛ ولقبيلة بشدر تاريخ حافل في البطولة ، فان الحكومة العثمانية بعــد ان تمكنت من الامارة البابانية ابقت منطقة بشدر على وضعها دون سيطرة حكومية فكانت شبه مستقلة ، وكان يسودها رؤساؤها

وذوو النفوذ فيها حتى اذا حان الوقت المناسب جهزت عليها قوات كبيرة قاد زمامها والي الموصل بنفسه وبعد قتال دام مدة طويلة تمكنت هذه القوات الحكومية من اخضاع هذه المنطقه والسيطرة عليها ، واتخذت منها قضاءاً تابعاً للواء السليمانيه اسمته «قضاء معمورة العزيز» وجعلت قرية « ميركة » مركزاً لهذا القضاء ، ثم نقلت هذا المركز الى « قلعة ده زي » ومع ذلك كله فإن السيطرة الحكومية في القضاء كانت اسمية اكثر منها حقيقية ، ذلك لأن القائم مقام ومن يتبعه من الموظفين كانوا ينتخبون من الزعماء الكرد او من رؤساء بشدر ، وكان آخر قائم مقام نصب لهذا القضاء بابكر آغا الذي اقره الانكليز على منصبه بعد احتلالهم العراق اذ جعلوه حاكماً سياسياً على بشدر (١) ولم يسع الحكومه العراقية تبديل شكل الإدارة في هذه المنطقة الا في عام ١٩٣٨م اذ جعلتها كبقية الأقضية تخضع الى القوانين والأنظمة والتعليمات المتخذة في الأقضية العراقية كافة .

يقع مركز القضاء « قلعة ده زي » في اراض منبسطة وسط واد فسيح ينتهي في انحداره الى نهر الزاب الصغير ، ويعتدل فيه المناخ ويطيب الهواء ، وهو يبعد ١٢٤ كيلومتراً عن السليمانية وليس فيه ولا في القضاء كله عمران حكومي واسع غير السراي والدار التي يقيم فيها القائم مقام بيد ان عشائر القضاء تقطن قرى عامرة فسيحة ، وتدل سجلات عام ١٩٤٧ على ان نفوس القضاء (٣٦،١٠٣) نسمات .

لقضاء بشدر ناحيتان وهما قلعة ده زي وميركة

« ناحية قلعة ده زي » : هذه ناحية داخلية يقيم مديرها في مركز القضاء « اي في قلعة ده زي » ويتولى الفصل في قضايا القبائل التابعة الى ناحيته .

« ناحية ميركة » : مركز هذه الناحية « قرية بنكرد » التي كانت مركز قضاء بشدر عند اول تأليفه سنة ١٨٩٣م . وهي قرية متوسطة تبعد عن مركز القضاء زهاء ١٣٥ كيلومتراً وليس فيها ما يميزها عن سائر القرى العراقية ولاسيما في الشمال .

---

(١) وبابكر آغا هذا من عائلة تنتهي في نسبها الى البابانيين .

لواء اربل

نظرة عامة فيه

تقع اراضي هذا اللواء في سهل واسع منحصربين وادي الزابين «الزاب الكبير والزاب الصغير» ويحده من الشمال بلاد تركية وقسم من لواء الموصل، ومن الجنوب لواء كركوك ومن الشرق بلاد ايران وشيء من لواء السليمانية، ومن الغرب لواء الموصل. وتربط بلدانه طرق معبده ومزفتة، كلف فتحهاوتنظيمها مبالغ طائلةلأنها اخترقت جبالا وعرة المسالك، وتنمو فيه افخر الحبوب واحسن الفواكه. واكثر مزروعاته على الامطار، واهمها الحنطة والشعير والأرز والسمسم، والعدس والماش، والحمص والتبغ، والمزروعات الجبلية الاخرى كالجوز واللوز والبلوط والسماق والعفص والتين والعنب والكمثرى. ويصدر مقادير كبيرة من الجبن والسمن والصوف والجلود والعسل والاخشاب التي تستعمل في التنجيد وعمل الموبيليات وفي الوقود. ويستورد ما تستورده بقية الالوية العراقية من الاقمشة والبن والسكر والشاي والحديد والمنسوجات والسجاد الايراني والاواني ... الخ

مساحته ونفوسه

مساحة لواء اربل ١٥٨٧٠ كيلومتراً مربعاً ونفوسه ٢٧٢،٥٢٦ نسمة بحسب آخر احصاء جرى عام ١٩٥٧م

عشائر اللواء

تنقسم القبائل المعروفة في لواء اربل الى قسمين: احدهما كردي «وهو الاكثرية» والثاني عربي «وهو الاقلية» وفيما يلي اشهر القبائل الكردية:

١ـ دزدهي ٢ـ كردي ٣ـ ماموند ٤ـ شيخ ماموند ٥ـ شيخاني ٦ـ شيخ بزيني ٧ـ خوشناو ٨ـ زراري ٩ـ هركي ١٠ـ خيلاني ١١ـ بالكي ١٢ـ شيرواني ١٣ـ سورجي ١٤ـ برادوست ١٥ـ منكور ١٦ـ منده مره ١٧ـ بالك ١٨ـ بولي وبابولي ١٩ـ باله كي ٢٠ـ بلباس ٢١ـ آكو «وهم يسمون قبيلة البلباس (بيران) ايضاً».

ولقبيلة دزدهي سبعة افخاذ وهي:

١ـ سيان ٢ـ مامة سني ٣ـ فقي ملكي ٤ـ هرمزيار ٥ـ شيرواني ٦ـ بنديان ٧ـ للك.

ولقبيلة خوشناو اربعة افخاذ وهي:

١ - مير محلي ٢ - مير يوسفي ٣ - بشت كلي ٤ - كوره‌ي .

ولقبيلة سورجي فرعان وهما : «منتك» و « مام سال » .

ولقبيلة بالك فرع واحد هو : (شيوزوري) .

ولقبيلة بلباس (او بيران كما تدعى احيانا) فرع واحد هو (فقي خليه) .

اما القبائل العربية في اللواء فثلاث : (الجبور) و (طي) و (سنبس) .

تنظيمات اللواء الادارية

يتألف لواء اربل من خمسة اقضية تتبعها إحدى عشر ناحية ، ومن ناحيتين ملحقتين بمركز اللواء مباشرة . اما الاقضية الخمسة فهي :

١ - قضاء مخمور ٢ - قضاء كويسنجق ٣ - قضاء راوندوز ٤ - قضاء رانيه ٥ - قضاء الزيبار .

واما الناحيتان الملحقتان بمركز اللواء فهما : ناحية شقلاوه وناحية المركز .

وفيما يلي بحث مفصل عن مركز اللواء (اربل) اولا ثم عن الناحيتين الملحقتين به ، فعن الاقضية الخمسة وما يتبع كل منها من نواح :

مدينة اربل التاريخية

(إربل) بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة تليها لام مهملة ، ويكتبها بعضهم خطأ : اربيل وارويل (بفتح الهمزة وتسكين الراء وكسر الباء الموحدة في الاولى وكسر الواو في الثانية) (١) مدينة قديمة يرتقي تاريخها الى اقدم العهود الآشورية ، بل لعلها الموضع الوحيد الذي ظل عامراً آهلا بالسكان ومحتفظاً باسمه حتى اليوم ، وهي اليوم من امهات المدن العراقية الشهيرة ، ومن مراكز التجارة المعروفة في كردستان ، وهي كثيرة الشبه بمدينة كركوك ، سواء اكان ذلك في طبيعة ارضها او باجناس سكانها ، او بالرطانة التي تسود لغات اهلها . فيها من النفوس زهاء ٢٤،٧٥٧ نسمة بحسب احصاء عام ١٩٤٧م ، وتبعد عن شمالي كركوك ٩٩ كيلومتراً ، وعن جنوب شرقي الموصل ٨٧ كيلومتراً ، فهي همزة الوصل بين هاتين المدينتين الكبيرتين في الشؤون التجارية ، وتصلها بهما ، وببعض انحاء اللواء ، وكذلك برايات الواقعة على الحدود الايرانية ، طرق معبدة ومزفتة تخترقها السيارات رائحة غادية . وقد انتهى اليها الخط الحديدي الممتد بين بغداد وكركوك في الزمن الاخير ، فازدادت اهميتها التجارية ، وعلا شأنها في الامور الاجتماعية .

---

(١) ويسمي الكرد مدينتهم اربل: هاولير ، سواء اكان ذلك في مكاتباتهم الشخصية او في المراسلات الرسمية، ويقول علماؤهم ان الكلمة الاخيرة اشتقت هكذا (اوبيلا- اربيل- ارويل-اوريل-هوربيل-هولير)

وتعرف (اربل) في الرقم المسمارية البابلية الآشورية باسم (اربا ايلو) اي مدينة اربعة الآلهة، وذكرتها الرقم الفارسية القديمة باسم (اربيرة) وقد جاء ذكرها في الاسانيد التاريخية الآشورية منذ المئة التاسعة قبل المسيح، ولم يكن لها ذكر سياسي خاص وانما كانت خطورتها قائمة على وجود مقدس شهير فيها على اسم المعبودة (اشتر) وذلك قبيل عهد الكيانيين، فكانت اربل من هذا القبيل، مثل ذلفس في آشور القديمة، وكانت تفوق اربل على ذلفس بموقعها لانها كانت ملتقى طرق القوافل، ولهذا حفظت اسمها بحالته الى يومنا هذا لانها كانت على ألسنة التجار والمكارين والرحالين، على حين اضمحلت سائر اسامي مدن آشور شيئاً بعد شيء (١) اما مايرتإيه الاصمعي من ان لفظة اربل عربية النجار من الربل (ضرب من الشجر اذا برد الزمان عليه وادبر الصيف تفطر بورق اخضر من غير مطر ... فيجوز ان تكون اربل مشتقة من ذلك) (٢) فرأي فيه نظر.

ولقد نالت (اربل) درجة عظمى من الرفعة والرقي في عهدين بعيدين: احدهما في القرن السابع ق.م. على عهد آشور ناصر بال الثالث وخلفائه ملوك بابل وآشور فكانت من امهات المدن العراقية، والثاني في العهد العباسي الاخير، هذا الى انها كانت ميدانا لحروب عديدة بين مختلف الامم، بين الايرانيين واليونانيين، بين ماذية ولوذية، بين الامويين والعباسيين الخ والظاهر ان اكبر حرب حدثت فيها، هي الحرب الحاسمة التي نشبت بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام ٣٣١ ق.م. في سهل كوكاميلا، الذي يظن انه اليوم كرمليس ونواحيها، حيث فر ملك الفرس هارباً بعد أن دفن كنزه في القلعة، فاعترضه (بسس) احد قواد الاسكندر وقتله، فعرفت الحادثة بوقعة إربل، وكانت يومئذ من مدن آشور المشهورة. وقد دخلها التتر عام ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) فنهبوا بيوتها وخربوا قراها، وقتلوا من ظفروا به من اهلها فبرز لمحاربتهم مظفر الدين كوكبري فوجدهم قد رحلوا عنها فأقام فيها زمنـــا طويلا جدد خلاله عمارتها، واقام فيها الاسواق والمرافق والدور (وصار له هيبة وقاوم الملوك ونابذهم بشهامته وكثرة تجربته حتى هابوه فانحفظ بذلك اطرافه، وقصدها الغرباء وقطنها كثير منهم حتى صارت مصراً كبيراً من الامصار) (٣) فلما ورد الخبر الى بغداد بوفاة مظفر الدين عين الخليفة جماعة من الامراء للتوجه اليها (واستولى العسكر على البلد عنوة) (٤)

---

(١) راجع « دائرة المعارف الاسلامية » في مادة Irbil

(٢) ياقوت الحموي في معجم «البلدان» ١—١٧٢ (٣) ياقوت الحموي ١—١٧٣

(٤) ابن الفوطي في «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة» ص٤٧ وبجوار صرح الحكومة الآن في اربل قبر يزار، ينسب الى مظفر الدين كوكبري الآنف الذكر وهما وخطأ فقد جاء في ص٦٢ من « الحوادث الجامعة » في حوادث سنة ٦٣١هـ ما نصه ؛

وفي السابع من شوال سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦م) وصل الخبر الى بغداد بنزول عساكر المغول على إربل والاحاطة بها (فأحضر نصير الدين نائب الوزارة المدرسين والفقهاء ، واستفتاهم اذا اتفق الجهاد والحج أيهما اولى ؟ فافتوا بأن الجهاد اولى ، فأبطل الحج في هذه السنة... وأما المغول فإنهم نزلوا على اربل وحصروها ونصبوا المناجيق عليها ... وامد المغول بدر الدين، صاحب الموصل ، بما يحتاجون اليه من ميرة وآلة وغيرها ، واعوز اهل قلعة اربل الماء فتلف منهم الوف كثيرة بالعطش ولم يمكن دفنهم لضيق الموضع ، ولا القاؤهم لئلا يسدوا الخندق فأحرقوا بالنار ، ثم عاثوا في البلد اشد العيث نهباً واسراً واحراقاً وتخريباً ثم اهتموا بالقلعة ، وجدُّوا في نصب المناجيق عليها فبلغهم وصول عساكر الخليفة فرحلوا راجعين الى بلادهم في سادس ذي الحجة) (١) .

اقسام اربل

وتقسم إربل الى قسمين مهمين : احدهما القلعة ، وهو ما كان مبنياً على التل الاصطناعي الذي يشغل مساحة قدرها ٦٠,٠٠٠ متر مربع تقريباً ويبلغ ارتفاعه زهاء ٣٥ متراً ، والثاني السهل ، وهو المباني القائمة تحتها في بطن السهل ، على نمط مدينة كركوك ، ولايمكن الصعود الى القلعة المصطنعه إلا من مرتقيين قديمين ، ومن مرتقى ثالث فتح قبل عشرين سنة ، وفي نهاية احد المرتقيين المذكورين برج عظيم يدل منظره على أنه كان حصناً منيعاً للقلعة ، وقد اتخذ مدة دار امارة ، ثم مدرسة ، فمحكمة ، فمستوصفاً . والطرق الكائنة على هذا التل قديمة وضيقة تجري في اوساطها المياه القذرة فيفسد ذلك جوها ويسبب الامراض المنوعة بين اهلها.

وفي قلعة اربل بيوت الاشراف ، ومضايف الاغوات ، ومساكن الموظفين ، ومعظم دور الاهلين وثلاث محلات كبرى وهي : الطوبخانة والتكية والسراي ، وفيه ايضاً جامع كبير تقام فيه الصلاة ، ومساجد وتكايا ، وحوض كبير تعقم فيه المياه لتوزع على الاهلين سالمة من الادران ، واما قسم السهل ففيه اسواق البلدة وقيسارياته ، وحماماته وحوانيته ، ومدارسه ومتنزهاته ، وفنادقه وبقية مساكنه ،كما ان فيه الدوائر الحكومية بمختلف فروعها.

ومن آثار العمران البارزة فيه صرح الحكومة ، والمستشفى الملكي ودار الكمرك والمكوس ودائرة البرق والبريد ، ومقر البلدية والمدارس الاعدادية والابتدائية ومحل اسالة الماء،ومقر توليد الكهرباء ، والثكنة العسكرية والمطار المدني ، وهما على مسيرة كيلومترين من غربي

« وكان قد وصل تابوت مظفر الدين كوكبري صاحب اربل ونفذ صحبة الحاج ليدفن في مكة فلما رجع الحاج دفن في مشهد علي عليه السلام » اهـ

(١) ابن الفوطي ص٩٨ — ٩٩

المدينة وكذا دور الضباط الحديثة . وهنالك خمسة شوارع معبدة ومبلطة سميت باسماء مشاهير الكرد وهي شارع مظفر الدين ، وشارع صلاح الدين ، وشارع خانزاد ، وشارع ابن خلكان ، وشارع ابن المستوفي ، وقد أقام الموسرون وبعض الاغوات ، على جوانب هذه الشوارع ، المباني الحديثة ، والعمارات الانيقة ، والمخازن الكثيرة ، والمقاهي العديدة ، واشجار الزينة المختلفة ، وانبثت في سائر اطرافها المنازل البسيطة ، والمساكن القروية ، فاختلط الحديث بالقديم ، وصارت كالازهار المرتفعة في حقل شوك واسع .

ومع سعة هذه المدينة واهميتها التجارية والتاريخية وعظمة الثراء لدى اشرافها واغواتها فبنيانها ـ اذا استثنينا الحديث منه ـ اشبه بالقرى منها بالمدن ؛ ولا سيما ما كان في القلعة ، وجل اهلها اكراد ، بينهم طائفة من العرب تحتفظ بعنصرها ولغتها ، وجميع رساتيقها وفلاحيها وما يضاف اليها اكراد ، وتجلب الفاكهة اليها من الجبال والقرى المجاورة لها ، ويأتيها العنب الفاخر من قرية شقلاوة التي تبعد عن شمالها ٥٠ كيلومتراً ومن سائر القرى ، وتشتهر بجودة لبنها وعسلها وسمنها وجبنها ، وهم يعملون للنحل كوائر وخلايا ليضع فيها شهده ، ثم يجنون عسله على الطرق الابتدائية . وليس حول المدينة بستان ، ولا نهر جار على وجه الارض واكثر زروعها على الديم والكهاريز المستنبطة تحت الارض ، ومياه هذه الكهاريز عذبة طيبة لا فرق بينها وبين ماء دجلة في العذوبة والخفة ، وكان عدد هذه الكهاريز ٣٥٠ كهريزاً فتلاشى معظمه ولما كانت المياه في هذه الكهارز ، قد قلت في السنوات الاخيرة ، حفرت الحكومة بعض الآبار الارتوازية لتساعد في الارواء (١) .

وعلى مسافة عشرين كيلومتراً من الغرب الجنوبي لمدينة اربل تشاهد قرية تدعى (سعداوة) فيها تلول مرتفعة وانهار مندرسة ، وكانت البعثة الاثرية الايطالية برئاسة المستشرق G. Furlani قد نقبت فيها سنة ١٩٣٣م واجرت حفريات كشفت عن آثار آشورية جليلة ، وهياكل واجسام مختلفة ، وحلي وزخارف منوعة انتهت نتائجها الى ان التل الذي يجاور هذه القرية كان في ماضيه بليدة آشورية تسمى كاكزو (Kakzu) . وعلى مسافة قصيرة من غربي المدينة منارة مرتفعة ، مقطوعة الرأس والمعروف عنها انها منارة جامع مظفر الدين كوكبري اذ كانت تعرف بالمظفرية نسبة الى مظفر الدين المذكور وكانت تعلو جامعاً فخما زالت معالمه

---

(١) الكهاريز «جمع كهريز آبار تتصل احداها بالاخرى بمجرى تحت الارض يستوعب عرضه رجلا واحدا وهي محفورة تحت الارض الى عمق يتراوح من الستين الى الثمانين قدما وتبعد الواحدة عن الاخرى بنحو مئة قدم او اكثر وتجري في اتجاه واحد وهي قديمة ليس اليوم من يحسن عملها او يتقنه كما انها هي التي سببت بقاء اربل مأهولة على تقادم العصور اذ لم يستطع الغزاة تدميرها كما دمروا قنوات الري في بابل واور وسائر مدن الجنوب

ولم يبق منها غير هذه المئذنة ، وقد رممتها مديرية الآثار العامة وجعلت لها منظراً اخاذ في ذلك السهل المنبسط .

وينسب الى اربل جماعة من اهل الفضل والورع اضراب ابن المستوفي (١) الذي اشتهر بكتابه الموسوم بـ «تاريخ اربل» في اربعة مجلدات ، وكعلي بن عيسى الاربلي ، وأبي احمد القاسم بن المظفر الشهرزوري ، وابن خلكان وغيرهم . ومن الغريب ان يشاهد بين قبورها الاثرية قبر ينسب الى العزير ، كاتب التوراة لبني اسرائيل في حين أن قبره الواضح — ان صح انه هو — في قرية العزير المسماة باسمه ، بين القرنة وقلعة صالح في لواء العمارة .

ناحيتا شقلاوه والمركز

تلتحق بمركز اللواء ناحيتان يقال لاحداهما ناحية شقلاوه ، والثانية ناحية المركز .

فناحية شقلاوه جبلية من اجمل نواحي الشمال المشهورة، تقع على طريق اربل — راوندوز المزفتة ، وتبعد عن مركز اللواء شمالا خمسين كيلومتراً ، فتكتنفها الجبال الشاهقة ، وتحيط بها المروج النضرة ، وتجري فيها مياه العيون العذبة ، وقد اتخذت مصيفاً اهليا لجمال موقعها وطيب نسيمها ولعلها «شقلاباذ» التي ذكرها ياقوت الحموي في معجمه ٥/٢٨٣ وقال فيها «قرية كبيرة مليحة في لحف الجبل المطل على اربل ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة ينقل عنها الى اربل العام بطوله فيكفيهم . بينها وبين اربل ثمانية فراسخ » وعلى كل فقد شقت في «شقلاوة» جادات واسعة اقيمت عليها مبان عصرية أنيقة وفنادق أهلية حديثة وانيرت بالاضواء الكهربية فزاد ذلك في جمالها وبهائها.

وعلى مسافة ٢١ كيلومتراً منها جبل يعلو سطح البحر بألف وتسعين متراً ، ويبلغ طوله عشرين كيلومتراً في اربعة كيلومترات عرضاً يقال له «جبل بيرمام» وسمي في عام ١٩٣٩م «جبل صلاح الدين» وقد اتخذ مصيفاً رسمياً حيث تكسوه اشجار البلوط والجوز واللوز ، وتنبث في جهاته منشئات الاصطياف المختلفة ومتنزهات الحكومة المنوعة ومقاه وفنادق وحوانيت كثيرة الى عشرات البيوت العصرية التي شيدت للمصطافين ومسجد لاقامة الصلاة.

اما ناحية المركز : فهي ناحية داخلية « اي يقيم مديرها في مركز اللواء » تتولى شؤون الزراع والقرى المرتبطة بها ارتباطاً اداريا .

١ — قضاء مخمور

هذا قضاء لفظته الطبيعة واقصاه وضعه عن معالم المدنية التي يتمتع بها اكثر المـــدن والقصبات الكردية ، وتنحصر اراضيه بين الجهة الجنوبية الشرقية لمركز اللواء وبين سلسلة

---

(١) هو ابو البركات شرف الدين بن ابي الفتح احمد الاربلي ويعرف بابن المستوفي .

«قره جوق» وهي اراض خصبة جداً ومشهورة بقوة انتاجها الزراعي ومياهها المعدنية حتى ان جل المنطقة الشمالية تعتمد على انتاجها الزراعي، وتدل السجلات الحكومية لسنة ١٩٤٧م على ان نفوس القضاء ٤٤٨٢٨ نسمة .

يبعد مركز القضاء (قرية مخمور) عن غربي اربل ٦٧ كيلومتراً ، ويمر به نهير يسمى باسم القرية لا تصلح مياهه للشرب ، ولا للطبخ، ولا للغسيل ، فيضطر الاهلون والموظفون لجلب مياههم من الجهات المجاورة والعيون الدافقة . وتحيط بقرية مخمور بساتين لا بأس بحاصلاتها، اما عمران القرية فقروي ساذج ، ولولا سراي الحكومة الفخم ، والدور الاميرية المشيدة لسكنى الموظفين والمسجد والمدرسة والصيدلية ، لما استحقت ان تكون مخمور مسكناً على ان هنالك اكثر من ثلاثين قرية زراعية مربوطة بمركز القضاء مباشرة .

لقضاء مخمور ناحيتان هما : الكوير وكنديناوه .

(ناحية الكوير) ــ بالكاف الفارسية : تتألف هذه الناحية من ٥١ قرية زراعية مشهورة ومركزها قرية الكوير القائمة على ضفة (الزاب الكبير) اليسرى في موضع يبعد عن (اربل) ٥٣ كيلومتراً ، وهي قرية لا بأس بها ، بالقياس الى قرية مخمور التي هي مركز القضاء، اذ فيها زهاء مئة بيت مع عدة حوانيت ، ومحل للحكومة متوسط ، ومستوصف ومدرسة ودائرة بيطرة . واراضي الناحية خصبة جدا ولكن مناخها غير صحي .

«ناحية كنديناوه» : تتألف هذه الناحية من ٦٧ قرية زراعية مهمة ، ومركزها قرية « ديبه كه » الواقعة على الطريق التي تصل مخمور بمركز اللواء ، وهي جرداء لا نبت فيها ولا ماء ، فيستعين اهلها بمياه الآبار لارواء غليلهم ، ويتداركون خضرهم وفواكههم من القرى المجاورة ، وتبعد «ديبه كه» عن مركز القضاء ٣٧ كيلومتراً ، وعن مركز اللواء ٤٢ كيلومتراً

قضاء كويسنجق

«كوي سنجق » أو «كويسنجق» بليدة قديمة مبنية على سفح « جبل السلطان ايوب » « ويقال لهذا الجبل هيبة سلطان» ، ويمر بها نهر صغير غزير الماء فيسقي بساتينها ويروي اهلها ويلطف مناخها ، وسكانها كرد بينهم طائفة من النصارى قليلة العدد ، وعمرانها حسن لكثرة من فيها من المتمولين ، اما مباني الحكومة فلا بأس بها ، ولا سيما السراي والبلدية ودائرة الاوقاف ومدارس الذكور والاناث . وجوامعها التي تقام فيها الصلوة كثيرة لأن الكرد يتمسكون بأهداب الدين تمسكاً وثيقاً ، ويؤدون فرائضه اداء تاماً ، وهي تبعد عن اربل ٨٠ كيلومتراً شرقاً ، وقد فتح فيها شارع فسيح تسده الثلوج اشهر الشتاء لأن البليدة مبنية على سفح جبل وهذا ما يجعل لها منظراً خلاباً ، ولا سيا في ايام الربيع حين تكسو

الخضرة الجبل المذكور ، وتشرق الشمس عليه فتجعل للثلوج المتراكمة فوقه مناظر بهيجة . اما نفوس القضاء فقد بلغت (٣٠،٢٠٢) نسمة في سجلات عام ١٩٤٧م الحكومية .

ان اراضي قضاء كويسنجق جبلية وعرة ، مزدانة بأشجار الجوز واللوز والبلوط، وسائر المحصولات الجبلية . وهي خصبة جدا ، ولهذا ترى سكانه منهمكين في الزراعة التي هي مدار عيشهم ولا سيا التبغ ، فإن ما يزرع منه يعدّ من انفس انواع التبوغ اما ما ينمو فيه من بقية الفواكه : كالعنب والتين والتفاح والكمثرى فهي من الكثرة بمكان .

لقضاء كويسنجق ناحية واحدة يقال لها (ناحية طاق طاق) تقع على الشاطىء الايمن لوادي الزاب الصغير ، في موضع يبعد ٣٠ كيلومتراً عن مركز القضاء جنوبا .

ونظراً لوقوع هذه الناحية على الطريق العام الممتد بين كركوك وكويسنجق فقد اصبحت لها اهمية عظمى في نظر الحكومة لأن هذه الطريق هي المسلك الوحيد الذي يربط هذه الجهات فشيدت في (طاق طاق) سراياً فخمة تقيم فيه الشرطة ورجال الادارة ويفصل نهر الزاب الصغير ناحية شوان ، التابعة للواء كركوك ، عن ناحية طاق طاق ، التابعة للواء اربل ويقوم عليه جسر ضخم مبني على دعاميات كونكريتية ويبلغ طول فتحاته ٢٧٥ متراً .

٣ — قضاء راوندوز

هذا قضاء جبلي واسع . مسالكه وعرة ، وطرقه ضيقة، ومياهه غزيرة وفواكهه كثيرة. تتجمع الثلوج في جباله اشهر الشتاء ، فيستفيد منها الاهلون والباعة اشهر الصيف ، وتخترقه السيارات بصورة مستمرة ذاهبة الى إيران ، وقد احصت الحكومة نفوسه في سنة ١٩٤٧م فكانوا ٤٥٠٢٦ نسمة على ماجاء في السجلات الرسمية .

مركزه مدينة راوندوز ، احدى بلدان كردستان العراقية (١) الواقعة على مسافة ١٣٠ كيلومتراً من شمال مركز اللواء (إربل) وهي وان لم تكن عظيمة البناء ، واسعة العمران ، الا انها تعد من مراكز التجارة الخطيرة في هذه الربوع لوقوعها على الحدود الفاصلة بين ايران والعراق وتركية ، وهي مقر الزعماء الكرد ، تسيطر على جميع ما حولها من مبان شاهقة ووديان عميقة ، ومتاريس طبيعية مدهشة ، وتجثم فوق لسان صخري ينحدر من سلسلة جبال كورك المرتفعة حتى يصل الى رصيف صخري منبسط على نهر (راوندوز) الذي يدور هناك دورة حادة الى الوادي فيجري فيه بين جدارين مرتفعين ارتفاعاً عظيما ، اما منبع هذا النهر فالعيون المتفجرة في الجبال المجاورة والينابيع الدافقة بجوار المدينة .

---

(١) يتألف اسم راوندوز من «لفظتين : روان اسم عشيرة كردية ، ودز وهي لفظة في الفارسية القديمة ومعناها القلعة فيكون معناها قلعة روان » سومر ٢٦٢/٨

وتخترق المدينة سوق طويلة مكشوفة ومزفتة وقد صفت فيها الحوانيت صفاً متناسقاً تتخلله مواقف وساحات عامة للسيارات والدواب وتقوم خلفها دور الاهلين وهذه الدور ليست على مستوى واحد . فهي تركب بعضها فوق بعض لأن أراضيها ليست مستوية ، وتتوسطها بعض الغياض الانيقة ، وتحيط بها الزروع المختلفة وتقرب منها قلعة للجيش رصينة وفيها مبان حكومية مختلفة ، منها مدارس البنات والبنين ودور الموظفات والموظفين مع دار للحكومة ، واخرى للمكوس ، وثالثة للبيطرة ، ورابعة للبرق والبريد ، وناد للموظفين ، ونفوسها (٣٢٢٠) نسمة عداً .

وقد اشغلت راوندوز قوى مختلفة سببت خرابها ، فقد احتلها الترك، فالكرد، فالروس واحتلها الانكليز في آخر الأمر ، ثم انتقلت الى الحكومة العراقية وهي في حالة من الخراب والدمار يرثى لها ، والهمة منصرفة اليوم لإعادة إنشائها ، وتعمير ما تهدم من بيوتها .

والطريق بين راوندوز وإربل ، وبينها وبين (رايات) والحدود الإيرانية معبدة ومزفتة ، وهي جميلة جداً بمناظرها الطبيعية الخلابة ، وأشجارها الباسقة النضرة، ولا سيما عندما تدخل السيارة مضيق (كلي علي بك) المعروف بكثافة اشجاره ، وروعة مناظره الطبيعية ، وغزارة الماء فيه (١) حتى ليشعر الإنسان فيه انه في جنة من الجنان . وطول هذا المضيق ثمانية كيلو مترات وثمن الكيلومتر ، كما ان بجوار « راوندوز » شلال ماء مرتفع جدا يسمى (بي خال) انشئت بجواره بعض دور للاصطياف ومقاه يرتادها اهل السرف والطرب .

للقضاء أربع نواح وهي : ديرة حرير ، وبالك ، وبراودست ، ومركه سور .

ناحية ديرة حرير : تتألف هذه الناحية من ٩٧ قرية ، ومركزها (باتاس) القرية الجميلة الواقعة على مسافة ٤٩ كيلومترا من الغرب الجنوبي لمركز القضاء (راوندوز) وهي قرية كبيرة تحيط بها الرياض والغياض ، وتقوم فيها بعض العمارات ، وللحكومة فيها بنية صغيرة مع مدرسة ومستوصف ودائرة للبرق والبريد . وتبعد الدائرة الاخيرة عن مركز الناحية زهاء كيلومتر .

ناحية بالك : تتكون هذه الناحية من ٦٩ قرية زراعية مهمة ، ومركزها (كلاله) وهي قرية متوسطة فيها زهاء ١٢٠ بيتاً مع محل للحكومة منتظم، وثكنة للشرطة جسيمة، ومستوصف ومدرسة ودائرة للبرق والبريد . وهي تبعد عن شرقي مركز القضاء ٤٢ كيلومترا ، والطريق

---

(١) مضيق علي بك محصور بين كتلتين هائلتين من جلمود الصخر لا تكاد تداخلها ثغرات ولا تجاويف وينحدر في القعر ماء سلسبيل يتراقص فوق الاحجار المبعثرة فيسرع راكضا نحو الزاب الكبير ليصب فيه وقد انشات «مديرية الاصطياف» بعض المتنزهات في داخل هذا المضيق يقصدها اهل الطرب والسرف في المواسم الخاصة

اليها مزفتة لأنها تؤدي الى الحدود الإيرانية .

ناحية براودست : تتألف هذه الناحية من ٦١ قرية زراعية بين كبيرة وصغيرة ، ومركزها قرية « سيدكان » الواقعة على بعد ٤٨ كيلومتراً من الشرق الشمالي لمركز القضاء ، وهي قرية صغيرة فيها نحو مئة بيت مع محل للحكومة وبناية للشرطة ومستوصف ومدرسة . ولا يختلف طراز البناء فيها عنه في أية قرية من قرى كردستان العراقية .

ناحية مركه سور : تتكون هذه الناحية من ٥٣ قرية متوسطة ، ومركزها « مركه سور » قرية صغيرة تقع في أرض منبسطة . وللجيش فيها حامية كبيرة تشغل ثكنة عصرية فخمة ، كما ان فيها مستوصفا ، ودائرة برق وبريد ، ومدرسة للبنين ، وأجهزة لاسلكي لقوات الشرطة المرابطة فيها . اما بيوت هذه القرية فلا تتجاوز العشرين عداً . وهي تبعد عن شمالي راوندوز ٥٧ كيلومتراً والطريق اليها معبدة ومزفتة .

٤ — قضاء رانية

تقع « رانية » في سهل « بتوين » وتبعد عن مركز اللواء ٦٧ كيلومتراً إلى شرقيها الشمالي وهي قرية حقيرة ، هواؤها غير صحي ، لكثرة ما يحيط بها من المستنقعات ومزارع الشلب ، وماؤها غير عذب لوجود مواد كلسية فيه ، ولهذا حفرت لها ساقية يأتيها الماء من نبع عذب على مسافة ليست طويلة ، ولكنه غير كاف لإرواء الأهلين فضلا عن الموظفين . والقرية موبوءة بالملاريا للسبب المذكور ، وهو مرض فتاك قلما ينجو منه بيت من البيوت . أما إرواء البساتين ومزارع التبغ فإنه يكون من النبع الكائن في وسط القرية وفيه ماء الغسيل .

وقد جهزت الطبيعة قرية رانية بمواد إنشائية متينة كالصخر والكلس والإسفلت ولكنها مهملة ولو استعملت في تشييد المنازل وتعمير المساجد ورصف الطرق لجاءت بفوائد كبيرة لهذا نرى « رانية » بعيدة عن العمران ، مائلة الى الانهدام رغم خطورة موقعها الجغرافي وما يتبعها من قبائل وقرى ، وقد جاء في سجلات عام ١٩٤٧ الحكومية أن نفوس القضاء (٢٧١٥٢) نسمة .

للقضاء ناحيتان هما : جناران ، وناودشت .

ناحية جناران : مركز هذه الناحية قرية « جناران » — بالجيم الفارسية — الواقعة في غربي مركز القضاء وتبعد عنه زهاء ٣٠ كيلومتراً ، بينه وبين « كويسنجق » وهي قرية متوسطة العمران ، قليلة المرافق والسكان ، بعيدة عن المدنية والحضارة .

ناحية ناودشت : مركزها قرية « سرسنك » الواقعة على وادي الزاب الصغير في مضيق رانية وهي مهمة جداً وجميلة بمنظرها وجمال موقعها ، وتبعد عن رانية ١٥ كيلومتراً .

٥ – قضاء الزيبار

على الجانب الأيسر من نهر الزاب الكبير ، وفي نقطة الاتصال بنهر روكجك ، تشاهد قرية فتانة بمنظرها الساحر ، يقال لها قرية « بِله» إذ تقع في سهل تحيط به جبال متموجة ، وتقوم في جنوبها جبال بيرس الجميلة ، تلك هي مركز قضاء الزيبـــار الذي كان تابعاً للواء الموصل ، فألحق بلواء إربل في الزمن الاخير .

تبعد « بله » عن إربل ١٦٥ كيلومتراً ، وتقوم فيها ثكنة فخمة تشغلها دوائر القائمقامية والشرطة ، وتقرب منها ثكنة أخرى لحامية الجيش المقيمة هناك ، وحولها زهاء خمسين بيتاً للكسبة الذين تجمعوا من « الموصل » و« عقرة » وغيرهما،وفتحوا حوانيتهم لتأمين حاجات الجند ، كما ان فيها مدرسة ودائرة للبرق والبريد ومستوصفاً وبضعة دور للضباط والموظفين وأجهزة لاسلكي.وقد حفرت في كل من التكنتين المذكورتين آبار لتأمين مياه الشرب والطبخ والغسيل إذا ما حوصرت الحامية والموظفون ، وادخرت فيهما مقادير كبيرة من الحبوب والبقول للغرض المذكور.

وأهل « بله » الاصليون أكراد من الزيباريين والعقراويين والمنسوبين الى « بارزان » ومعظم أراضي القضاء جبلي تتفجر فيه العيون العذبة فتسيل مياهها دافقة في السهول والوديان، وتكتنفها الاشجار الجبلية المعروفة : كالبلوط والعفص والسماق . وقد جاء في سجلات عام ١٩٣٧م الحكومية ان نفوس القضاء ٦٦٠٤ نسمات .

للقضاء ناحيتان هما : بارزان ومزوري بالا .

ناحية بارزان : مركز هذه الناحية القرية المســماة بإسمها « بارزان » وهي قرية كبيرة جالسة على سفح (جبل شيرين) في موضع يبعد عن الشاطىء الايسر للزاب الأعلى أربعة كيلومترات ، وهي مقر شيخ أحمد بارزان المشهور في هاتيك الجهات ، تضم داره الفخمة والتكية المعروفة باسم بارزان ، وزهاء مئتي دار لاتباعه ، فهي أكبر من مركز القضاء،وهي تعلو عن سطح البحر زهاء خمسة آلاف قدم ، وليس الوصول اليها سهلا .

ناحية مزوري بالا : تقع هذه الناحية في شمالي مركز القضاء ، وتتألف من نحو ثمانين قرية وليس فيها ما يستحق الذكر .

لواء الموصل

نظرة عامة في اللواء

لواء الموصل كثير الخصب جم الخيرات ، فسيح الأرجاء متباعد الأطراف ، يتقوم من ثمانية أقضية مهمة ، بعضها مجاور إلى أراضي الجمهورية السورية ، والبعض الآخر محاذ لأراضي الجمهورية التركية ، وهو يقع في الجهة الشمالية من العراق وأكثر أراضيه جبلي ، يحده شمالا الخط الفاصل بين تركية والعراق المعروف بخط بروكسل ، وشرقاً لواء إربل وقسم من لواء كركوك ، وجنوباً لواء الدليم وقسم من لواء بغداد ،وغرباً الحد الفاصل بين العراق وسوريا ، وتنمو فيه أحسن الحبوب : من حنطة وشعير وعدس وماش..الخ وأفخر الفواكه من التفاح والأعناب والإجاص والكمثرى ... الخ ، علاوة على الحاصلات الجبلية المعروفة من الجوز واللوز ، والفستق والبندق ، والتين والزيتون ، والعفص والسماق ..الخ

مساحته ونفوسه

تبلغ مساحة لواء الموصل ٥٣٢٢٧ كيلومتراً مربعاً .

ويبلغ عدد نفوسه ٧٥٦،٦٢٥ نسمة بموجب الإحصاء العام لسنة ١٩٥٧م .

قبائل اللواء

لما كان في لواء الموصل ثمانية أقضية جعلنا ذكر القبائل في اللواء موزعاً على الأقضية .

(١) في قضاء الموصل : ١ ً ـ شمّر ٢ ً ـ الجبور ٣ ً ـ الجميلة ٤ ـ الأشلله ٥ ً ـ اللهيب ٦ ً ـ ألبوحمد ٧ ً ـ المعامرة ٨ ً ـ الحمدون ٩ ً ـ الحديديون ١٠ ً ـ الجحيش ١١ ـ العكيدات ١٢ ـ البوبدران ١٣ ـ ألبوجواري ١٤ ـ العبيد ١٥ ـ المقيم ١٦ ـ عنزه ١٧ ـ ألبوحمدان ١٨ ـ العزّة ١٩ ـ الراشد .

(٢) في قضاء الشيخان : ١ ً ـ الشرفان ٢ ً ـ الزيدكي ٣ ً ـ اليزيديون .

(٣) في قضاء عقرة : ١ ً زيباري ٢ ً ـ هركي ٣ ً ـ السورجية ٤ ً ـ شارك ٥ ً ـ الزنكنة .

(٤) في قضاء دهوك : ١ ً ـ الدوسكي ٢ ً ـ السليفاني ٣ ً ـ كوران ٤ ً ـ المزوري ٥ ً ـ درشيفي ٦ ً ـ بناني ٧ ً ـ قبيلة هاجان الرحالة .

(٥) في قضاء العمادية : ١ ً ـ برواري بالا ٢ ً ـ برواري زير ٣ ً ـ نيروه ٤ ً ـ ريكان ٥ ً ـ صبنة ٦ ً ـ دوسكي بالا .

(٦) في قضاء زاخو : ١ ً ـ السندي ٢ ً ـ الكلي ٣ ً ـ السليفاني ٤ ً ـ قبيلة هاجان الرحالة

(٧) في قضاء سنجار : ١ ً ـ شمر ٢ ً ـ جحيش ٣ ً ـ الجبور ٤ ً ـ إمتيوت ٥ ـ اليزيديون

(٨) في قضاء تل أعفر : ١ - شمر ٢ - جحيش ٣ - الجبور ٤ - ميران ٥ - كركري - بكافين فارسيين - و ٦ - هسنيات « حسنيات »

واليعافرة وإن كانوا من المدنيين المقيمين في «تلعفر» وقراها فإن لهم تقاليد قبلية خاصة .

تنظيمات اللواء الإدارية

يتقوم لواء الموصل من ثمانية أقضية ، ومن عدة نواح يرتبط بعضها بقضاء الموصل ، مباشرة ، ويتبع البعض الآخر بقية الاقضية . أما اقضيته فهي :

١ - قضاء الموصل ٢ - قضاء الشيخان ٣ - قضاء دهوك ٤ - قضاء العمادية ٥ - قضاء زاخو ٦ - قضاء تل اعفر ٧ قضاء سنجار ٨ - قضاء عقرة .

مدينة الموصل

تعتبر « الموصل » أهم المدن في شمالي العراق واجلها ، وهي تلي بغداد سعة ، وتقع في سهل فسيح جميل . وكان يحيط بها سور متين على شكل مثلث غير منتظم ، يبلغ محيطه زهاء عشرة آلاف متر ، وتتخلله عشرة أبواب ذوات أسماء معروفة لدى الأهلين ، وقد تهدم وصار أثراً بعد عين ، إلا قطعة صغيرة منه في اعلى المدينة فإنها ما زالت شاخصة تعرف بـ (باشطابيه) وكان يحيط بهذا السور خندق واسع تحول اليه مياه دجلة إذا اقترب منها عدو او اراد بها احد سوءاً ، فردمته البلدية مؤخراً وحولته الى شارع رئيسي يطوف بنصف المدينة تماماً على شكل نصف دائرة ، وقامت عليه المباني الجميلة والحدائق المونقة . على ان عمران المدينة لم يبق منحصراً ضمن السور فقد شيدت في ظاهرها البيوت الكثيرة والقصور الانيقة والفنادق العديدة على الأساليب الحديثة والهندسة العصرية الرائعة ، ويقع هذا العمران الجديد في شمالي المدينة وفي جنوبها . اما الأبنية التي في جهتها الغربية ، فأكثرها قروي في غاية البساطة ، ولا سيا ما لاصق منه بقايا السور وعلى هذا فهي تجمع بين القديم والحديث.

وكانت شوارع المدينة إلى ما قبل ثلاثين سنة ضيقة وسخة ، لا ينفذ اليها النور الكافي ، ولا التهوية الصحية ، فنشطت الحكومة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى «حرب عام ١٩١٤ - ١٩١٨ » لتوسيع أزقتها ، ورفع الضيق عن سكانها . ففتح الوالي سليمان نظيف جادتين واسعتين تقطع إحداهما المدينة من جنوبها إلى شمالها وتسمى « جادة النبي جرجيس » وتقطعها الثانية في وسطها من الشرق إلى الغرب وتسمى « جادة نينوى » . فلما كانت سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٦ - ٣٧م) شرعت البلدية في فتح جادة ثالثة تشق المدينة من شماليها إلى جنوبها وسميت « شارع الفاروق » مضافاً إلى الشوارع العرضية الأخرى ، فأقام الأهلون على هذه الشوارع وعلى الجادتين المذكورتين ، الأبنية الفخمة ، والعمارات الشاهقة ، والمخازن المزخرفة ، ونسقت

البلدية فيها الحدائق الجميلة ، وساحات الألعاب الواسعة ، بعد أن عبدت وفرشت بالقار وجهزت بالماء ، وأنيرت بالأضواء الكهربية التي تبهر الأبصار ، وتأخذ بمجامع القلوب .

عمرانها وسكانها

وتبنى البيوت والمساكن في « الموصل » بالجص والرخام الضارب إلى الزرقة ، وتزين بالحلاّن ، ويستخرج الرخام والحلان من مقاطع مجاورة يعرفها أهل الخبرة والصناعة ،وهم قلما يستعملون الأخشاب فيها ، لذلك كانت المدينة في مأمن من الحريق الذي يحدث في سائر البلدان ، على أن وجود الرخام في أبنية « الحدباء » يجعلها ذات تأثير شديد في المناخ ، لأنه يمتص حر الصيف وقرّ الشتاء بسرعة فائقة ثم يشع حراً وبرداً شديدين ، وهذا ما جعل حرها يشتد في الصيف حتى ينام أهلها على السطوح ، وبردها يشتد في الشتاء حتى يرى الجليد داخل البيوت ، وحدا بالموسرين والمتمولين الذين أنشأوا القصور والمباني العصرية أن يستعينوا ببعض المواد الإنشائية الأخرى ليلطفوا الجو والمناخ في المنازل علاوة على الأقبية «السراديب»

ومن اشهر المباني الجليلة في هذه الحاضرة : المستشفى الملكي ، الذي يعد من أحدث مستشفيات الشرق الأدنى ، وبهو البلدية ، والنادي العسكري ، وعمارات المصارف الشرقي والعثماني والرافدان ، والمدارس الإعدادية والصناعية والإبتدائية للبنات والبنين ودائرة البرق والبريد ، ومقر مديرية شرطة اللواء وعمارة المحاكم المدنية والمكتبة العامة والمتحف وبناية السجن المركزي ، وحديقة الشهداء وفندق المحطة ... الخ وقد شرع في البناء والتعمير على الجانب الأيسر من دجلة فأقيمت بعض القصور الشاهقة ، ونسقت بعض الحدائق الواسعة وشرع في تشييد جملة من المعاهد العلمية الكبيرة أطلق عليها اسم « المجموعة الثقافية » وستضم كليات الطب والهندسة والزراعة وغيرها .

ان القصور الفخمة والعمارات الجليلة التي أنشئت في « محلة الدواسة » من أجمل ما تقع عليه العين في هذه المدينة . أما المحطة الكبرى فيها فقد سبقت شهرتها المدن التي يمر بها قطار الشرق السريع ، لأنها تعد افخم واشهر المحطات في الشرقين الاوسط والادنى ،فقد شيدت بالحجارة البيض واشغلت مساحة واسعة جداً ، وهي تشتمل على دوائر ومكاتب وغرف واسعة منتظمة تطل على شارع فسيح مبلط جديد يسمى « شارع الصديق » والى جانبها عدد كبير من المنازل العصرية الانيقة المشيدة لموظفي المحطة،ومنازل اخرى للعمال المستخدمين فيها تحيط بها الرياض والغياض ، وتخترقها الازقة والطرقات والى جوارها المطار العظيم . وفي « الموصل » جسران حديديان ثابتان هما من الجسور الحديدية المهمة في العراق وكان الفراغ من الجسر الحديدي الاول في عام ١٩٣٧م أما الثاني فقد فرغ من تشييده في آخر عام ١٩٥٧م

وجرت حفلة افتتاحه في نيسان ١٩٥٨م فكان طوله ٣٤٠ متراً وعرضه تسعة امتار مع ممرين عرض كل منهما ثلاثة أمتار وله ست فتحات وكان للموصل جسر خشبي يتصل بآخر حجري فيستعملان أيام هبوط الماء الا انه هدم ورفعت أخشابه .

وللموصل طابع خاص في شكل الاجناس المتباينة التي تختلف الى مقاهيها ، وتجوب أسواقها وشوارعها . يؤمها الكرد من الجبال ، والعرب من البادية ، والنساطرة والزيديون وغيرهم من سائر الاطراف المجاورة ، في حلل فضفاضة ، وألوان زاهية تبهر الابصار .

وسكان المدينة على جانب من الدعة وسرعة الخاطر والحركة وتوقد الذهن. تتدفق حياتهم همة ونشاطاً ، كما تتدفق مدينتهم رونقاً وجمالا ، وهم شديدو التمسك بعرى الدين ، كثيرو المحافظة على العادات القديمة ، ولهذا نرى « أم الربيعين » تحتفظ بمساجدها الكثيرة (١) وأديرتها العديدة ، وعنعناتها الموروثة . وهي التي أرسل اليها النبي يونس (ع) وفيها مدافن أنبياء الله شيث ودانيال وجرجيس ـ على أصح الروايات ـ وفيها قبر الشاعر المشهور أبي تمام الطائي المتوفى حوالي سنة ٢٣١هـ ٨٤٥م ، وابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢هـ - ١٢٣٤م ، وعز الدين ابن الاثير المؤرخ المشهور ، صاحب الكامل المتوفى سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م - على ما يقال ـ وممن عاش في الموصل « ابن خلكان » صاحب « وفيات الاعيان » ومن الموصل كان ابراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، نديما هارون الرشيد ، الشهيران بفن الغناء الموسيقي .

وتبعد مدينة الموصل عن بغداد ٤١١ كيلومتراً بالسيارة و٤١٠ كيلومترات بالقطار ، وفيها من النفوس ١٢٩،٢١٥ نسمة بحسب إحصاء عام ١٩٤٧م .

تجارتها

وتتمتع مدينة « الموصل » بمركز تجاري ممتاز ، وبشهرة عالمية معروفة ، فقد اشتهرت في القرون الوسطى بصنع الاقمشة المختلفة وبصمها ، ولا سيما الثوب المعروف بالموسلين «الموصلي» في اسواق الغرب . ومع أن فتح قناة السويس ذهب بخطورتها التجارية ، وقلل من نشاطها في هذا المضمار فهي تصدر كميات هائلة من الحبوب والارز والمواشي والاصواف والجلود والزيتون والمنسوجات المحلية ، كما تنتج كميات لا يستهان بها من الحاصلات الجبلية : كالجوز واللوز ، والفستق والبندق ، والعفص والكثيراء ، والتين والزبيب . وقد نشطت الحركة الصناعية فيها ، ولا سيما خلال الحرب العالمية الثانية ، ـ حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥م - فجلبت

(١) في الموصل مساجد كثيرة وجوامع عديدة أشهرها الجامع الكبير ، او الجامع النوري الذي اقامه نور الدين الاتابكي حوالي عام ٥٦٩هـ ـ ١١٦٩م وتشاهد في هذا الجامع الى الآن مئذنة قديمة « مرتفعة ارتفاعا يلفت الانظار » لكنها غير مستقيمة لما يعتور مركز ثقلها من انحراف . وقد هدم هذا الجامع في سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م وشيد من جديد على أسلوب هندسي رائع تحيط به الشوارع والحدائق ، ويتمثل في شكله جمال الريازة وحسن الذوق وعظم الفن .

مكائن للدباغة والنسيج والسكر والسمنت وغير ذلك،واستغنت بواسطتها عن ثلثي ما كانت تستورده من الخارج من قبل ، أما ما يرد اليها فهي كسائر البلدان العراقية تستورد السكر والشاي ، والكبريت والغاز ، والادوات الحربية والاخشاب ، والحديد والاواني الزجاجية والطنافس الايرانية والاقمشة الصوفية والحريرية ... الخ

أسماؤها وألقابها

اختلف المؤرخون في أسباب تسمية « الموصل » باسمها الحالي اختلافا كبيرا

« قال حمزة : كان اسم الموصل في ايام الفرس نوأردشير بالنون أو الباء » (١) وسماها الآشوريون من النصارى « حصن عبرايا » ولما استولى العرب عليها بعد الفتح زادوهاسعة، وسموها « الموصل » وذهب بعض المؤرخين الى انها سميت باسم الموصل تيمناً باسم الملك الذي امر بتشييدها ، وقال آخرون انها دعيت بالموصل لانها «وصلت بين الجزيرةوالعراق» ويروي بعضهم ان مروان بن محمد الأموي أحب صفاء هوائها ، وجمال موقعها ، فبنى على شاطىء النهر قصراً منيفا ، ومد عليه جسراً خشبياً ، فدعيت بالموصل لأن الجسر المذكور « وصل » ضفة النهر اليمنى بضفته اليسرى ، حيث تقع نينوى . وخالف ياقوت في هـــذه التسمية ، ولكنه اتفق في المعنى ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ،وقيل بل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل غير ذلك . ومفاد كل ماتقدم ان اسم « الموصل » عربي الاشتقاق تدل صيغته على انه اسم مكان .

وكما ان المؤرخين اختلفوا في اسباب تسمية هذه الحاضرة الكبرى بهذا الاسم ، فقد تفننوا في تلقيبها بألقاب مختلفة : كأم الربيعين ، والخضراء ، والحدباء ، والفيحاء . لقبت بـ« أم الربيعين » لأن الاعشاب تنبت في ارضها المشهورة بالخصب مرتين في السنة «إحداهما في الكانونين ،عند مجيء الوسمي،والثانية في آذار ،وهو الربيع الحقيقي» (٢) ولقبت بـ«الخضراء» لانها تلبس وقت مجيء المطر حلة سندسية من « الخضرة » يزينها ورد وزهر مختلفاً ألوانه . ولقبت بـ « الحدباء » (لاحتداب في دجلتها واعوجاج في جريانها) على رأي ياقوت (٣) . وعزاه ابن بطوطة (٤) إلى « قلعتها المعروفة بالحدباء » (٥) وجـــاراه في ذلك صـــاحب

---

(١) معجم البلدان ٨ — ١٩٦ طبعة مصر (٢) تاريخ الموصل ١ — ٥٧

(٣) معجم البلدان ٣ — ٢٣٠ (٤) رحلة ابن بطوطة ١ — ١٤٨ طبعة مصر .

(٥) يلوح لنا ان تسمية الموصل بالحدباء قديمة ، قال ابن الطقطقي ، الذي زار الموصل سنة ٧٠١هـ ١٣٠٥م «وذلك اني حين احلني — بدر الدين لؤلؤ — حكم القضاء بالموصل الحدباء حللتها غير معترض لوبلها او طلها » راجع « الفخري في الآداب السلطانية » ص٥ من طبعة مصر .

« منهل الأولياء » (١) بقوله « إنها سميت بذلك لانحداب أرضها ، لأن البيوت والمحال فيها لم تقع على مستوى ارضها ، بل بعضها على نشز وقلاع ، وبعضها في منخفض من الارض» وايد صاحب « تاريخ الموصل » هذا الاحتمال فقال « اذ يرى اليوم حدب المدينة في جهتها الشرقية ، أي في محلة القلعة ، وهي على نشز مرتفع من أرضها » (٢) . اما وجه تسميتها بـ « الفيحاء » فلسعتها وقت تشييدها . قال أبو الحسن السري بن أحمد الرفاء ، الشاعر الموصلي يتشوق اليها :

سقى ربى الموصل الفيحاء من بلد ... جود من المزن يحكي جود أهليها
أأندب العيش فيها أم أنوح على ... أيامها أم أعزّى في لياليها ؟
أرض يحنّ اليها من يفارقها ... ويحمد العيش فيها من يدانيها

وكانت وفاة السري سنة نيف وستين وثلثمائة ببغداد ، وقيل سنة اثنتين وستين وثلثمائة وقيل سنة أربع وأربعين وثلثمائة (٣)

وبأعلى « الموصل » عين كبريت تنبع في لحف تل صغير يشرف على دجلة ، يغتسل فيها المصابون بالامراض الجلدية فينالون شفاء على ما يقولون :

وعلى مسافة ٢٤ كيلومتراً من جنوبها العين المشهورة « حمام علي » (٤) وهي قائمة على شاطىء دجلة الايمن وتتألف من نبعين احدهما بارد يقال له « عين زهرة » والثاني ساخن جداً يقال له « عين فصفوصة » والناس يغتسلون في هذين النبعين في مواسم مخصوصة من السنة ولهذا كثرت العمارات حول « الحمام » وشقت الطرق في القرية التي فيه ، وشيد مسجد للمصلين ، وفندق للمسافرين ، ومقاه عديدة للمتنزهين ، وبعض المباني العصرية للموسرين ، كما انيرت القرية بالكهرباء وأقيم فيها مشروع اسالة لمدها بالماء القراح .

ومن ينابيع هذين العينين ومن عيون أخرى يستخرج القار فيستخدم في سبل متعددة ، وبالقرب من القرية نفق جبلي يمر منه القطار الممتد بين بغداد والموصل طوله كيلومتران .

موجز تاريخها

ومدينة « الموصل » قديمة جداً ، يتصل تاريخها الاول بالقرون الاولى ، يوم كانت شهرة « نينوى » التي ازدهرت فيها الحضارة قبل آلاف من السنين تطبق الخافقين . فقد

---

(١) محمد امين العمري ، والكتاب لا يزال مخطوطا
(٢) ج١ ص٥٧
(٣) ابن خلكان في «وفيات الاعيان» ١–٢٠٢
(٤) يتوهم من يسمي هذا الموضع «حمام العليل» فقد وصفه ياقوت الحموي في القرن السابع فقال: «حمام علي باصطلاح اهل الموصل... وهي عين ماؤها حار كبريتية يقول اهل الموصل ان بها منافع والله اعلم» راجع معجم البلدان ٣ – ٣٣٤

كانت « الموصل » — قبل أن يفتحها المسلمون — مدينة صغيرة ، او قصبة يسميها الكتبة الآراميون « الحصن العبوري » (١) أي القلعة القائمة على الضفة الاخرى من النهر قبالة نينوى . ويرى في الموصل موضع يسمى القليعات ، وهو نشز من الارض يقع في شرقي المدينة قد يكون موضع ذلك الحصن لاشرافه على دجلة ، والظاهر انه اقدم عمران في هذه المدينة ثم سميت في عهد الفرس « نوأردشير » فلما افتتحها خالد بن الوليد سنة ٢٠هـ-٦٤٠م اسكن فيها القبائل التي كانت تصحبه من الحجاز ، ومنهم الخزرجيون ، وبنو أزد ، وبنو تميم .

وقد « ولّى عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السلمي الموصل سنة عشرين فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوة ، وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية والاذن لمن اراد الجلاء في الجلاء ... ثم ان عمر بن الخطاب عزل عتبة عن الموصل ، وولاها هرثمة ابن عرفجة البارقي ، وكان بها الحصن ، وبيع النصارى ، ومنازلهم قليلة عند تلك البيع . ومحلة اليهود ، فمصّرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم ، واختط لهم ، ثم بنى المسجد الجامع » (٢) وقد عمر الخزرجيون مسجداً لهم في هذه الحاضرة يسميه الاهلون الى اليوم « مسجد خزرج » ثم أقاموا منازلهم في المحلة التي تعرف الى اليوم بالمحلة الخزرجية (٣) فلم تزل الموصل في تقدم وتوسع حتى اصبحت من المدن الشهيرة ، فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك عام ١٠٥هـ — ٧٢٣م بعث اليها عاملا « الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم » فنظم أمورها ، وبنى له داراً زخرفها بالتصاوير ، ونقشها « بالساج والرخام والفصوص الملونة » (٤) فكانت أول دار مزخرفة تشاد فيها . فلما كانت خلافة المنصور العباسي ، سار اليها الخليفة عام ١٤٣هـ — ٧٦٠م وأقام بها مدة ، بنى في غضونها قصراً منيفاً . وفي السنة التالية لمبايعة الرشيد ، أي سنة ١٧١هـ — ٧٨٧م ظهر الصحصح الخارجي بالجزيرة فأفسد فيها (٥) ، فاضطر الخليفة ان يرسل اليه من يطرده عنها ، ثم تناوبت عليها الفتن والاحن حتى كانت خلافة المعتز سنة ٢٥٢هـ — ٨٦٦م فظهر آمر شرطة الموصل ، مساور بن عبد الحميد البجلي ، عام ٢٥٤هـ — ٨٦٨م وسار يطلب « الحديثة » فخرج عليه حمدان الحمداني ، فلم ينل منها منالا حاسماً (٦) فلما صارت الخلافة الى المعتمد سنة ٢٥٦هـ — ٨٦٩م أودع أمر الموصل الى اساتكين ، من أكابر القواد الترك ، فسار اليها سنة ٢٥٩هـ — ٨٧٢م وقضى على (مساور الخارجي) ثم صارت الولاية الى « محمد بن أبي الساج » عامل الجزيرة ، ثم الى غيره ، فغيره ، حتى ملكها الحمدانيون (٧)

---

(١) تاريخ الموصل ١ — ٤٠

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص٣٢٧ طبعة مصر (٣) تاريخ الموصل ١ — ٥١

(٤) ابن الاثير ٥—٤٩ طبعة مصر (٥) ابن الاثير ٦—٣٨ (٦) ابن الاثير ٧—٦٠

(٧) اصل الحمدانيين من تغلب ، اعظم بطون ربيعة

بعد دخولهم في طاعة العباسيين ، فملكوها واستقلوا بها ، ثم وسعوا نطاق حكمهم الى ديار بكر والجزيرة . فلما كانت سنة ٣٦٧هـ — ٩٧٧م قرض البويهيون دولتهم ، بعد أن دامت أربعاً وسبعين عاماً ، ثم ملكها بنو عقيل (١) ، ويقال لهم بنو المقلد ، وآل المسيب فلبثوا فيها مئة سنة ، ثم تولاها بعدهم الترك السلجوقيون فحكموها ٣٢ عاماً ، فالاتابكيون فحكموها مئة سنة وسنة ، فبدر الدين لؤلؤ ؛ وفي زمانه بلغت حضارة الموصل وعمرانها مبلغاً عظيما ، فلما انقرضت الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ — ١٢٥٧م دخلت « الموصل » ضمن أملاك التاتار ، ثم ضبطها تيمورلنك ، فحسن الطويل ، فلما كانت سنة ٩١٤هـ — ١٥٠٨م دخلت في حوزة الصفويين الفرس ، وفي عام ٩٤١هـ — ١٥٣٤م انتقلت الى العثمانيين ، وفي عام ١٠٣٢هـ — ١٦١٢م استولى عليها الفرس مرة ثانية لكنها سرعان ما عادت الى العثمانيين بعد عشرين عاماً فلبثت في حوزتهم الى عام ١٣٣٧هـ — ١٩١٨م حيث دخلتها الجيوش البريطانية في ٣ تشرين الثاني ١٩١٨م وانتقلت الى الحكومة الوطنية التي قامت في العراق في ١٨ من شهر ذي الحجة ١٣٣٩هـ و ٢٣ من شهر آب ١٩٢١م .

بعض ما كتبه الاقدمون عن الموصل

قال ابن حوقل « وهو من ابناء المئة الرابعة للهجرة » في وصف مدينة الموصل :

« وأما الموصل فمدينة على غربي دجلة ، صحيحة التربة والهواء ... ان للموصل أضعاف أعمال نصيبين فسحة في الاعمال ، وكثرة الضياع ، وعظم المحل ، وغزر السكان ، واهل الاسواق اذ كانت أسواقها واسعة ، واحوالها في الشرف والفخم ظاهرة ... وبها من الفنادق والمحال والحمامات ، والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها ... » (٢) .

وقال البشاري المقدسي « وكان حياً سنة ٣٧٥هـ — ٩٨٥م » في عرض كلامه على الموصل « انها بلد جليل ، حسن البناء ، طيب الهواء صحيح الماء ، كبير الاسم ، قديم الرسم ، حسن الاسواق والفنادق ... وله منارة وخصائص وثمار حسنة وحمامات سرية ودور بهية » (٣) .

وقد زارها ابن جبير الاندلسي سنة ٥٨٠هـ — ١١٨٤م وقال في وصفها :

« وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات ، والخانات والاسواق ... وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض ... وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست او ازيد على دجلة فتاوح كأنها القصور المشرفة ، ولها مارستانات حاشى الذي ذكرناه في الربض ... الخ » .

---

(١) عقيل بن عامر بن صعصعة

(٢) راجع كتاب صورة الارض : طبعة كريمز ص٢١٤ — ٢١٥

(٣) راجع كتاب « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » طبعة دي غويه ص١٣٨

وكان قد ذكر عنها في المقدمة انها « مدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة ... ينتظمهاسور عتيق البنية مشيد البروج ... الخ » (١) .

أما وصف « ياقوت الحموي » لها في كتابه « معجم البلدان » فقد أثبتنا منه نتفاً في صلب ما تقدم ، وكذلك نقلنا عن «ابن بطوطة» الذي زارهاسنة٧٢٧هـ —١٣٢٦م مادعت اليه الحاجة . وقد زارها الرحالة الانكليزي Rawolf المتوفى سنة١٥٩٦ فقال في وصفها :

« دخلنا مدينة الموصل بعد ان عبرنا فوق جسر من القوارب ... تقع الموصل في بلاد الكرد ... وهي كسائر البقاع المجاورة تابعة للامبراطور التركي ، وفيها بعض المباني الفخمة والشوارع الحسنة ، وهي واسعة نوعاً ما ، الا ان اسوارها وخنادقها ليست على مايرام. » (٢)

وزارها الرحالة الفرنسي « تافرنيه » في نيسان ١٦٤٤م فقال في وصفها :

« والموصل مدينة تبدو للمرء من خارجها فخمة المنظر . أسوارها حجرية ، بينما هي في داخلها تكاد تكون برمتها خربة وليس فيها سوى سوقين معقودتين وقلعة صغيرة مطلة على دجلة يقيم فيها الباشا ، وبوجيز الكلام ليس في الموصل ما يستحق المشاهدة والالتفات وليس لهذه البقعة من شأن الا كونها ملتقى مهماً للتجار ، خاصة تجار العرب والكرد الذين يقطنون بلاد آشور القديمة المسماة اليوم بكردستان » (٣) .

١ — قضاء الموصل

هو قضاء داخلي ، أي أن مركزه في مركز اللواء ، فيه من النفوس ٢٧٩،٣٦١ نسمة ، ويتألف من النواحي الخمس التالية :

١ ـ ناحية الشورة : يبلغ عدد القرى الزراعية التابعة لهذه الناحية ٩٣ قرية يسكنها زهاء ١٤،٠٠٠ نسمة ، ومركزها قرية الشورة القائمة على ضفة دجلة اليمنى في موضع يبعد عن الموصل جنوباً ٢٦ كيلومتراً ، وليس فيها من العمران ما يستحق الذكر لان سكانها اهل زراعة وفلاحة وليس لديهم من المال ما يكفي لتشييد المباني الفخمة لسكناهم .

٢ ـ ناحية الحمدانية : تتألف هذه الناحية من ١١٨ قرية يقطنها زهاء ٢١،٠٠٠ نسمة ، جلهم أصحاب زرع وضرع ، ومركزها قرية « قرهقوش » التي تبعد٣٣كيلومتراً عن الموصل شرقاً ، وهي لا تختلف عن علتها « الشورة » لا في طراز بنائها ، ولا في عيش أهلها ، وكلمة

---

(١) رحلة ابن جبير ص٢١٣ من طبعة مصر

(٢) Rawolf, Travels, Ray's Collection p. 204

(٣) راجع كتاب « العراق في القرن السابع عشر » نقله الى العربية الاستاذان كوركيس عواد وبشير فرنسيس ص٨٥

« قرهقوش » تركية ، ومعناها فيالعربية « الطائر الاسود » (١).

٣ ـ ناحية الشرقاط : مركز هذه الناحية قرية « الشرقاط » الشهيرة في التاريخ ، فهي « قلعة شهر قرد » أو « قلعة شروقات » (٢) تبعد عن الموصل جنوباً ١٠٤ كيلومترات ويقدر عدد القرى الملحقة بها بأربعين قرية . وفي الناحية ـ زهاء ١٢,٠٠٠ نسمة ، وليس فيها من العمارات ما يستحق الذكر اذا استثنينا من ذلك دار الحكومة ومدارسها الابتدائية، ودائرة البرق والبريد وبعض المباني المستحدثة .

٤ ـ ناحية الحميدات : مركز هذه الناحية قرية الحميدات ـ بالتصغير ـ القائمة على أنقاض كنائس قديمة في موضع يبعد عن الموصل جنوباً ٢٤ كيلومتراً . وتتبعها ٨٥ قرية ، يقطنها زهاء ٨,٠٠٠ نسمة ، وهي كبقية القرى صغيرة مهملة لا عمران فيها يستحق الذكر .

٥ ـ ناحية تلكيف : تلكيف كلمة آرامية معناها (تل الحجارة) وهي قرية ضخمة قديمة حسنة العمران كثيرة البناء . تبعد ١٩ كيلومتراً عن الموصل شمالا بشرق ، سكانها موصوفون بالحركة والنشاط الدائم ، وبيوتها مبنية بالكلس والرخام في سهل منبسط، تفترشه في الشتاء وفي الربيع حلة سندسية من العشب والكلأ ، ويبلغ عدد نفوسها ١٥,٠٠٠ نسمة ، ولضيق هذه القرية بأهلها يظعن في كل سنة مئات منها منحدرين نحو بغداد والبصرة لايجاد عمل يعيشون على أجره ، وقد يسافرون الى خارج العراق طلباً للقصد والارتزاق فينجحون ويصبحون في عداد التجار المثرين وتتبع ناحية تلكيف ٧٥ قرية .

٢ ـ قضاء الشيخان

في شمالي شرقي الموصل عدة جبال متتالية يفصلها عن بعضها وديان أو انهار صغيرة يسميها كتبة الكلدان « جبال قردو » ويسميها العرب « جبال الهكارية » وهي سلسلة جبال تمتد الى وان ... ومن فروع جبال قردو جبل يدعى بيت عذرا ، أو باعذرا ، يبدأ من سهل دهكان قرية صغيرة شمالي الموصل ، فيمتد من الغرب الى الشرق ، فيشرف على « ألقوش » قرية ناحوم النبي المبنية في لحفه ، ثم يسير تاركاً في جنوبه قرية باعذرا على مسافة ثلاث ساعات تقريباً ، ويتصل بجبل العقر ، لا يفصله عنه سوى نهر الخازر ... وبيت عذرا هذه التي دعي

---

(١) وقد ورد اسم هذه القرية ايضا «باخديدا» او «بغديدا» ويغلب على ظن المحققين ان كلمة «باخديدة» او «بغديدة» تحرفت عن وضعها الارامي «باتيدا» اي «بيت الحداة» وهو طائر اسود اللون يكثر وجوده في هاتيك النواحي ، ومن المحتمل ان الترك الذين سكنوا منذ القديم في تلك الجهات نقلوا معنى «بيت الحداة» الى لغتهم فقالوا «قره قوش» اي «الطائر الاسود» فغلب عليها هذا الاسم ،

(٢) يرى «القس سليمان صائغ» ان التسمية الصحيحة لهذه القرية فارسية ماخوذة عن الاثورية ، فالاصح ان يقال « شروقات » اي الملك قات

بها الجبل المذكور قرية مشهورة في تاريخ الكلدان ، وهي اليوم مركز الامارة اليزيدية واليزيديون يطلقون عليها وعلى ما يجاورها من القرى اسم الشيخان (١) ، ويسمون رئيسهم الزمني الاعلى مير شيخان أي أمير الشيخان ، فأسمت الحكومة القضاء الذي يضم قرى اليزيدية في شمالي شرقي الموصل « قضاء الشيخان » وجعلت قرية «عين سفني» - قرية مشايخ اليزيدية مركزاً لهذا القضاء .

تبعد « عين سفني » ٥٠ كيلومتراً عن الموصل شمالا بشرق، وليس فيها الا صرح القائمقامية ومركز الشرطة ودائرة البرق والبريد والابضعة دور لكبار موظفي القضاء، اما مساكن الطبقة الفقيرة فالحوانيت ، وأما منازل مشايخ اليزيدية فأكواخ ودهاليز لاينفذ اليها النور ولاتعرف التهوية الصحية ، وقد فتحت فيها سوق عصرية طويلة تتخذ في النهار محلات للبيع والشراء ويبيت أصحابها فيها ليلا كأحسن منازل تؤمن لهم الراحة ، وتضمن الامن والستر .وتلتحق بمركز القضاء مئة قرية وقرية ، وتدل سجلات الحكومة لسنة ١٩٤٧م على ان نفوس القضاء بلغت في احصاء سنة ١٩٤٧م (٢٥٠٧٢) نسمة بينهم (٨١٤٣) يزيدياً .

وعلى مسيرة بضعة كيلومترات من « عين سفني » شرقاً تقع قرية « جيروانه » التي فيها آثار سد آشوري طوله ٥٠٠ متر وعرضه ثمانية يدل منظره على انه بني لحصر مياه «الكومل» وتوابعه الى « نينوى » .

للقضاء ناحية واحدة تتبعها ٧٥ قرية ، واسم الناحية « ألقوش » القرية القائمة على مسافة ٥٠ كيلومتراً من الموصل شمالا شرقاً ، وهي من اجمل قرى النصارى في الشمال، ترى البيوت السمر فيها منتشرة بعضها فوق الرابية وبعضها في واد ليس بعميق ، فهي تجمع بين جمال الطبيعة في الجبل وبداعة المشهد في السهل ، والظاهر ان هذه القرية من بقايا المدن الآشورية فقد ورد ذكرها في التوراة لان النبي ناحوم عاش فيها ومات فيها ولا يزال قبره هناك على اصح الروايات .

وعلى مقربة من « ألقوش » يشاهد « دير ربان هرمز » العجيب معلقاً في صدر الوادي من الجبل في محل شاهق تكتنفه القمم العالية ، وتقابله الاعماق الهاوية ، والى جانبه الكهوف العاصية . وكان الكاتب الفرنسي الاب مارتان قد زاره في اواسط القرن التاسع عشر للميلاد فقال عنه في كتابه : كلده والمسيحية (ان بنيانه وموقعه الجذاب يجعلانه اثراً مجيداً لامثيل له في الغرب ولا شبيه له في الشرق ، لانه منحوت في الجبل نحتاً عجيباً فلا تجد فيه بناية ولا ارتفاعاً ، وكل ما هناك ان الرهبان نقروا قديماً في بطونه صوامع يسكنونها وسبلا لا ترى

---

(١) القس سليمان صائغ في مجلة «المشرق» البيروتية (٢٠ «١٩٢٢م» ص٨٣١ - ٨٣٢)

عن بعد » .

والظاهر أن الذي أسس هذا الدير هو الربان هرمزد ، الفارسي الكلداني ، فسمي باسمه إذ لا يزال في الدير قبر قديم ينسب اليه وقد زرت الدير في الحادي عشر من تشرين الأول ١٩٥٥م وتجولت في أبهائه وغرفه فأدهشني موقعه وأتعبني التسلق اليه . وعلى الاجمال تعد (ألقوش) اليوم كمعقل للكثلكة في جهات الموصل . وتأخذ ماءها من الينابيع الفوارة ولاسيا من منبعي (عين قاشة) و (عين سينا) فإذا كان ماؤهما شحيحاً أخذ الأهلون ماءهم من بئرين ارتوازيين حفرا هناك في السنوات الاخيرة ولكن ماء هذين البئرين لا يخلو من ملوحة

٣ - قضاء دهوك

على بعد ٧٣ كيلومتراً من (الموصل) شمالا ، وعلى الطريق المؤدية إلى (العمادية) تشاهد قرية كبيرة في واد عميق تكتنفه البساتين والاحراش ، ويجري فيه نهر تتجمع مياهه من ينابيع عديدة فتحيط بالقرية من ثلاث جهات ، ويسمى هذا النهر ال(روبار)(١) وهذه القرية هي « دهوك » مركز القضاء المسمى باسمها . فيها من النفوس نحو ٣٥٠٠ نسمة ثلثاهم من الاكراد المسلمين والثلث الآخر من المسيحيين ، وعلى مقربة منها جبـــال شاهقة ، ورواب مرتفعة تجعل لمناظرها متعة للعين وبهجة للقلب ، ولا سيا في الربيع حين تينع الأشجار الجبلية المعروفة ولا سيا البلوط منها . أما نفوس القضاء كله فهي ٣٩،٢٤٨ نسمة على ما ذكر في السجلات الحكومية لسنة ١٩٤٧م .

ليس في « دهوك » من العمارات والمنشآت ما يجدر بالذكر عدا المنازل الحديثة التي بناها الموصليون فيها لسكناهم وللإيجار ، وعدا السوق التي أقاموها حديثاً ، أما سكانها الأصليون فإنهم يقيمون في مبان بسيطة لا ينفذ اليها النور الطبيعي إلا قليلا ، كما ان أسواقها بالية قديمة لا يجد فيهـــا روادها غير الأشياء الطفيفة والمواد الأولية . نعم هنالك للإرسالية الأمريكية التبشيرية عمارة جليلة ، كما ان للحكومة دار ضيافة جميلة، ومبان حسنة للمدرسة والمستوصف ولدائرة البرق والبريد . وفوق الرابية المسلطة على مدخل « دهوك » عدة بيوت للتيّارين هي مبعث الشكوى والتذمر من جهة السكان الأصليين وقد شرع « مجلس الإعمار » في إنشاء عمارات حديثة فخمة للأغراض الحكومية كالمدارس والمستشفى ودار الحكومة هي غرة في جبين العمران في هذا القضاء .

وفي « دهوك » بساتين نضرة وأحراش كثيفة ـ كما قدمنا ـ وتربتها خصبة جداً ومساعدة لنمو الكروم فيها ؛ وبجوارها آثار آشورية قديمة تقع في محل يسمى « اشكفتا هلامت » في

(١) روبار كلمة كردية معناها «جدول ماء» وقد اطلقها اهل هاتيك الاطراف على النهير الذي يخترق قريتهم

جبل شندوخة ، قبال قرية كفركي ، وتتألف هذه الآثار من تماثيل ورسوم بارزة تدل على قدم « دهوك » وأهميتها الاستراتيجية .

للقضاء ثلاث نواح وهي : دهوك والدوسكي والمزوري .

ناحية دهوك : هذه ناحية داخلية يقيم مديرها في مركز القضاء ، ويراجعه فيها أصحاب المزارع والضياع المرتبطة بناحيته ، ويبلغ عدد القرى الملحقة بها زهاء مئة قرية بين صغيرة وكبيرة ، وفيها من النفوس نحو ١٠,٠٠٠ نسمة .

ناحية الدوسكي : وهي تتألف من ٥٤ قريه يبلغ عدد سكانها زهاء ٥٠٠٠ نسمة ومركزها قرية « مانكش » - بالكاف الفارسية - التي تبعد عن « دهوك » شمالا ٢٥ كيلومتراً ، وهي قرية متوسطة أكثر أهلها من الفلاحين ورعاة الغنم .

ناحية المزوري : يبلغ عدد القرى الملحقة بهذه الناحية ٦٦ قرية. يقطنها نحو ٤٨٠٠ نسمة ومركزها قرية « أتروش » المحاطة بكنائس قديمة .

« ملاحظة » : وفي قضاء « دهوك » مصايف جميلة جداً مثل « زاويته » التي يكثر فيها شجر الصنوبر ، وكقرية « كرم آده » ذات المياه المعدنية وغيرها .

٤ - قضاء العمادية

(العمادية) قصبة غريبة الشكل والموقع ، فهي قلعة طبيعية فخمة كثيرة الشبه بوكر النسر رابضة فوق قمة جبل شاهق يعلو سطح البحر ١٢٥٠ قدماً. ومساحتها محدودة لا يمكن التوسع فيها ، وهي بيضوية الشكل ، مسطحة جرداء ، خالية من الماء والنبات ، بل هي عبارة عن حجر واحد كبير ، تحيط به جبال شامخة في سفوحها مياه غزيرة ، ومزارع كثيرة، ولا يمكن الوصول اليها أو الدخول فيها إلا من بابين : يسمى احدهما ، وهو الشرقي ، باب الزيبار ، لأن الخارج منه يتجه نحو « قضاء الزيبار » ويدعى الثاني ، وهو الغربي ، باب العمادية او « باب الموصل » أو « باب الصبنة » لأنه يشرف على وادي الصبنة ، وقد يقال له « باب بهديان » أيضاً . وعلى هذا الباب الأخير نقوش وتماثيل كثيرة مع رسوم بارزة تمثل حراساً بأيديهم الحراب والسيوف والتروس وتحت أرجلهم حية كبيرة ملتفة على طاق الباب دلالة على حكمة الحكومة وقوتها لمحافظة المدينة . وقبيل سنة ١٩٤٠م فتحت جادة من (السولاف) إلى « العمادية » ثم عبدت وزفتت فأصبح في وسع السيارات الدخول إلى هذه البلدة التاريخية بيسر ، كما أن حركة الدخول والخروج تحولت الى هذه الجادة .

وفي وسط القلعة بئر عميقة في جامع أثري كبير تقام فيه الصلوات الخمس، فكان الاهلون يستقون مياههم من هذه البئر ، ومن صهاريج أخرى محفورة في الصخرة المذكورة اذا

حوصروا في عقر دارهم ، كما كان يجري مراراً ، أما في سائر الايام فكان بعضهم يأخذ ماءه من هذه البئر وهاتيك الصهاريج ، وبعضهم يأخذه من ينابيع المياه المتجمعة في الوديان ، وقد انتبهت الحكومة الى ذلك وما فيه من الاضرار الصحية ، فأسست البلدية حوضاً كبيراً في القلعة تسحب المياه اليه بواسطة المضخات من « وادي السولاف » الذي يزيد عمقه على المائتي متر ، كما أسست مشروعاً آخر للكهرباء .

أما الحكومة فقد شيدت داراً فخمة لها تضم الدوائر الرسمية المختلفة ، وأنشأت دائرة للبرق والبريد ومدارس للبنين وللبنات كما أنها عبدت الطريق بينها وبين الموصل بعد أن كانت وعرة . أما السراي الاثري القديم فقد أهمل للتاريخ . وهو لا يزال في وسط القصبة .

تبعد بلدة « العمادية » عن « الموصل » شمالا ١٦٢ كيلومتراً ، ويقطنها من النفوس زهاء ٣٥٠٠ نسمة (أما نفوس القضاء فهي ٤٣٣١٨ نسمة) وعمارتها بسيطة جداً ، وأسواقها قديمة متداعية وهواؤها في الصيف حار رديء رغم ارتفاعها ،لهذا ينتقل الاهلون الى منطقة السولاف التي تبعد عنها كيلومتراً واحداً ، وتمتاز بمناظرها الساحرة وهوائها الطلق ومائها السلسبيل فالسولاف هو الملاذ الطبيعي لاهالي العمادية وقد زرناها في صيف سنة ١٩٥٥م فأضافتنا (المطرانية) في دارها المشرفة على الوادي الجميل وأكرمت وفادتنا كثيراً .

وعلى مسافة تسعة كيلومترات من القصبه قرية جميلة تدعى (بيباد) كانت قد اتخذت مقراً للحركات العسكرية على الحدود التركية ، وتشتهر بجودة مناخها وعذوبة مائها، وكانت النية منصرفة الى جعلها مركز قضاء ولكن الظروف لم تحقق ذلك .

و (قصبة العمادية) قديمة جداً والظاهر أنها من المدن الآشورية وكانت تسمى قبلا (قلعة آشب) (١) فلما حكمت الدولة الاتابيكية الموصل (عمرها عماد الدين زنكي ابن آق سنقر في سنة ٥٣٧هـ) (٢) - ١١٤٢ للميلاد واتخذها مقراً له وحصناً يرد منه هجمات الاكراد . وذهب حمد الله مستوفي القزويني الى أن الذي جدد عمارة العمادية هو عماد الدولة الديلمي المتوفى سنة ٣٣٨هـ ٩٤٩م وسماها بالعمادية (٣)

لقضاء العمادية ثلاث نواح وهي : ١ ـ العمادية ٢ ـ نيرواريكان و ٣ ـ برواري بالا

(ناحية العمادية) : هذه ناحية داخلية ، يقيم مديرها في مركز القضاء ، وتتألف من ١٣٥ قرية .

---

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» ١ ـ ٥٩ «آشب بكسر الشين كانت من اجل قلاع الهكارية ببلاد الموصل خربها زنكي من آل سنقروبنى عوضها العمادية بالقرب منها فنسبت اليه كما نذكره في العمادية» اهـ

(٢) معجم البلدان ٦/٢١٤ من طبعة مصر (٣) نزهة القلوب ص١٠٥ (طبعة لسترنج)

(ناحية نيرواريكان) : تتألف هذه الناحية من ٧٤ قرية يقطنها زهاء ٤٠٠٠ نسمة ، ومركزها قرية (بيبو) التي فيها مدرسة رسمية وبعض العمارات الحكومية ، ويتألف سكانها من تحالف ثلاث قبائل وهي (مزوري زور) و (ريكان) و (نيروا)

(ناحية برواري بالا) : تتقوم هذه الناحية من ٧٩ قرية يقطنها زهاء ٤٥٠٠ نسمة ومركزها قرية (كاني ماسي) الكائنة على مسافة ٢٢ كيلومتراً من (العمادية) شمالا .

٥ - قضاء زاخو

ربما كانت (زاخو) من المدن العريقة في القدم ، فقد دعيت بقعتها عند الكتبة الارميين باسم (بيث نوهدرا) وسماها العرب (بانهدرا) (١) ويمكن أن يكون اسم هذه المدينة أرميا (زاخوتا) مجزومة من (زاخو) أي الغلبة والظفر . وهي على مسافة ١١٤ كيلومتراً من الموصل شمالا ونفوسها ٧٥٠٠ نسمة . أما عدد نفوس القضاء كله فهو ٣٦١٥٥ نسمة على ماسجلت في السجلات الحكومية لسنة ١٩٤٧م .

يمر بها (الخابور) فيتفرع منه في مدخلها فرع يقسمها الى قسمين ، ثم يعود فيتصل به في نهايتها ، ويطل عليها جبل أجرد يسمونه (بي خير) — أي الجبل العديم الخير — فيجعل لها منظراً خاصاً ، وتحيط بها بساتين عديدة ذات أثمار لذيذة ، وفواكه كثيرة تجعل لها رونقاً زاهياً . هواؤها جيد جداً ، وماؤها عذب نمير ، وعمرانها بسيط تقريباً لان أهلها مازالوا على حالتهم الاولى، وهم بحكم موقعهم الجغرافي يسكنون منازل ساذجة وأكواخا متداعية. الا انه شرع مؤخراً في انشاء جملة من المباني الحديثة للمتمولين والموظفين، وخططت في ضاحيتها محلة عصرية سميت (كيسته). أما المباني الحكومية كالسراي، ومركز الشرطة، والمستوصف ودائرة البرق والبريد ، ودار البلدية - وتجاهها دار الضيافة - فكلها حديثة ، كما ان فيها عمارة واسعة للمطرانية الكلدانية زرناها سنة ١٩٤٧ وكنائس اخرى لسائر الطوائف المسيحية

وعلى مسافة كيلومترين من غربيها - اي في قرية بيدار - كنيسة فخمة للكلدان ايضاً ، روعي فيها هندسة العصر ، وجمال الريازة ، بحيث اصبحت اولى الكنائس المسيحية في لواء الموصل

وفي « زاخو » جسر حديدي فخم يربط ارض العراق بالارض المؤدية الى تركية يقال له « جسر السعدون » وآخر حديدي معلق يربط جهتيها يقال له « جسر الفاروق » وثالث حجري يربطها بالطريق العامة المؤدية الى الموصل . وعلى مسافة كيلومتر واحد من شرقيها جسر حجري اثري يقال انه من بقايا العباسيين في العراق ، زرناه في عام ١٩٤٧م فلم نعثر على كتابة ترشدنا الى الزمن الذي بني فيه ، وان دل مشهده على قدمه .

---

(١) راجع ابن الاثير ٢ - ٤٠٨ من طبعة الافرنج

للقضاء ثلاث نواح وهي ١ – السليفاني ٢ – السندي ٣ – كلي - بالكاف الفارسية - .

ناحية السليفاني : تتألف هذه الناحية من ٩٣ قرية تختلف حجومها باختلاف عدد سكانها وأشهر هذه القرى « فيشخابور » و « ديره‌بون » التي وقعت فيها حوادث التياريين سنة ١٩٣٣م . ومركز الناحية قرية جميلة تبعد عن مركز القضاء ٢٠ كيلومتراً يقال لها « قرية العاصي » وهي رديئة الهواء ، قليلة الماء ، ولأهلها عقائد خاصة .

ناحية السندي : تتكون هذه الناحية من ٦٧ قرية متوسطة ، ومركزها قرية (شرانش) التي تعد أجمل مصيف في هاتيك الجهات . وهي تبعد عن مركز القضاء ٢٣ كيلومتراً، وجميع سكانها أكراد .

ناحية كلي : معظم أراضي هذه الناحية جبلي تكثر فيه المراعي والمياه المتدفقة من الينابيع فيها ٤٣ قرية يسكنها زهاء ٥٣٠٠ نسمة ، ومركزها قرية « ديمكه » الواقعة على مسافة ٣٠ كيلومتراً من مركز القضاء. وهي خالية الا من موظفي الناحية وإن كانت محاطة بقرى مأهولة.

٦ – قضاء تل أعفر

« تل أعفر » - ويكتبها بعضهم تلعفر - لفظ آرامي مركب من كلمتين هما « تلله » - أي تل - و « عبره » - أي تراب - فيكون معناهما « تل التراب » (١) وهو اسم لبلدة قديمة تقع غربي الموصل ، وتبعد عنها ٦٥ كيلومتراً ، وفي شرقي جبل سنجار ، وتبعد عنه ٥٥ كيلومتراً . وتقوم فوق أرض صخرية كلسية ، يخترقها وادكبير يقسمها إلى قسمين، يتوسطه ينبوع ماء فيه ملوحة ظاهرة ، لكنه صحي يستساغ لان فيه مقادير كبيرة من سلفات الصودا والمغنسيوم . وتسيل مياه هذا الينبوع في الوادي المذكور فتحوله الى مزارع من التين والرمان واسعة ، وتشتغل عليه عدة ارحية ، وفي وسطها تل مرتفع يسميه الاهلون (القلعة) شيدت عليه الحكومة دوائرها وانشأت البلدية بعض الدور لاقامة الموظفين على حسابها ، اما دور الاهلين العامة فبعثرة هنا وهنالك، وكلها مشيدة بالحجارة الصلبة. وليس في هذه القصبة مسيحي او اجنبي الا ان بالقرب منها منابع للنفط غزيرة تستغله (شركة نفط الموصل) وتؤدي الى الحكومة العراقية أتاوة لا بأس بها ويقال لهذه الينابيع (عين زاله) وقد تم في سنة ١٩٥٢ بناء خط للأنابيب قطره (١٢) عقدة يصل حقل (عين زاله) عند (بيجي) بأجهزة الخطوط الرئيسية الممتدة من كركوك الى (طرابلس) في لبنان و (بانياس) في سورية وبهذا يتسنى

---

(١) جاء ذكر « تل اعفر » في « معجم البلدان » ٤٠٢/٢

«اسم قلعة وربض بين الموصل وسنجار في وسط واد فيه نهر جار ، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة وفي ماء نهرها عذوبة ... قيل ان اصله التل الاعفر للونه فغير بكثرة الاستعمال وطلب الخفة

أرسال نفط الموصل الى ساحل البحر المتوسط .

وتتقوم بلدة (تل اعفر) من تسع محلات : ثلاث منها فوقانية وهي محلة السراي ومحلة القلعة ومحلة حسن كوي ، والست الباقية تحتانية وهي : سنجار ، وصو ، وكركري بكافين فارسيتين ـ وجلبي ، وكرد علي ، وچولاق وقد انشئت في القسم التحتـاني في السنوات الأخيرة محلة جديدة باسم « قنبردره » ـ اي وادي قنبر ـ عندما اخذ عمران البلدان بالاتساع وبين سكان المحلات الفوقانية والمحلات التحتانية احقاد دفينة تؤول الى مخاصمات ومعارك كثيراً ما تذهب بعشرات النفوس ، ولكنها خفت في هذه الايام بواسطة هيمنة الحكومة .

المعروف عن سكان (تل اعفر) انهم من المغول ، وهم ـ على ما يظن ـ من بقايا جنود تيمورلنك ، الذي قصد الموصل سنة ٧٩٨هـ ــ ١٣٩٥م . او انهم من بقايا جيش السلطان مراد الرابع ، الذي جاء الى العراق عام ١٠٤٧هـ ــ ١٦٣٩م لاسترداده من ايدي الفرس فتراهم غلاظ العضلات . خشني الامزجة ، يتكلمون التركمانية ، ويتزيون بالازياء العربية ، ولا يسع الغريب ان يخالطهم او يعاشرهم ، رغم تعرفهم على الموصل وطباع اهلها وقد قلنا فويق هذا انك لا تجد اجنبياً فيهذه القصبة .

وبين (تل اعفر) و (سنجار) ينابيع عديدة تتفجر فيها مياه مجة غزيره ،وتشتغل عليها بعض الرحى ، اشهرها عين الشبابيط ، وعين الحصان ، وعين سينو ، وعين الغزال وعين عبره الصغيرة وعين عبره الكبيرة وعين صولاغ وتتبع قصبة (تل اعفر) ٣٤ قرية ، وتعد نفوس القضاء (٤٤٣٠٠) نسمة بحسب إحصاء عام ١٩٤٧م .

للقضاء ناحيتان وهما : (العياضية) و (زمار) .

ناحية العياضية : هذه ناحية داخلية . يقيم مديرها في (تل اعفر) وتراجعه ثلاثون قرية يبلغ عدد نفوسها ٧٨,٠٠٠ نسمة .

ناحية زمار : تتألف هذه الناحية من ثلاثين قرية يبلغ عدد سكانها زهاء ٨٠٠٠ نسمة ويقع معظمه على ساحل دجلة الايمن فتقطنه قبائل الكركية وجحيش والجبور والمـيران وموسى رش والحسينات والكركية طائفة من الكرد لها لغة خاصة ، وتبعد (زمار) عن تل اعفر ٣٣ كيلومتراً .

٧ ــ قضاء سنجار

قال المسيو ماسبيرو في كتابه (التاريخ القديم للشعوب الشرقية) ص٣٤٢ و ٧٧٦ .

ان (سنجار بلدة آشورية قديمة ، وجدت منذ اكثر من ستة آلاف سنة ، وهي مفتاح الموصل وحصنها الحصين) .

وقال ياقوت الحموي الرومي في كتابه معجم البلدان ٥ - ١٤٤ .

« سنجار ... مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة ايام »

وكانت على عهد الدولة الحمدانية (من سنة ٢٩٣هـ - ٩٠٣م الى سنة ٣٦٧هـ - ٩٧٧م) واسعة العمران ، كثيرة القرى ، فلما اقبل ارطغرل بك السلجوقي على الموصل سنة ٤٤٩هـ - ١٠٥٧م دك معالمها وهد بنيانها حتى صيرها خرابا بلقعاً ، فلما كانت ايام الدولة الاتابكية (من سنة ٥٦٦هـ - ١١٧٠م الى سنة ٦١٧هـ - ١٢٢٠م) تراجع عمرانها حتى تحصن اليزيديون فيها سنة ١٢٢٢هـ -١٨٠٨م فجردت الحكومة العثمانية قوة كبيرة عليهم ارجعتهم الى حظيرة الطاعة ، وهي تحتفظ اليوم بخرائب اثرية مهمة ، ومنازل كثيرة تدل على سعتها فيما مضى من الازمان ، كما ان في خارجها منارة قديمة تنسب الى القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) وكانت تتوسط جامع المدينة الكبير ، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة الشهير سنة ٧٢٦هـ - ١٣٢٦م فقال في وصفها :

« وهي مدينة كبيرة ، كثيرة الفواكه والاشجار ، والعيون المطردة والانهار ، مبنية في سفح جبل تشبه دمشق في كثرة انهارها وبساتينها... الخ » .

هذه هي خلاصة احوال سنجار في الماضي ، اما الآن فهي مدينة كبيرة تقع على ربوة في سفح جبل سنجار وتقسم الى قسمين : علوي تقطنه الطائفة اليزيدية ،وسفلي تقطنه الطوائف الاخرى ، ويخترقها واد جميل يسمى « بسته » تنحدر عليه سيول الامطار من الجبل المذكور فتكون فيه نهراً عظيما في الشتاء ، يطغى احياناً فيضر ببساتينها ، وتتفجر في ضفتيه ينابيع عديدة فتسقي مزارع القصبة وبساتينها المشهورة بتينها الفاخر ، وزيتونها العظيم ، واعنابها الكثيرة وفواكهها اللذيذة ، ثم تنساب الى وادي « بسته » حيث تصب في وادي الثرثار فتجري فيه متجهة ايام الفيض نحو مدن اخرى .

وتبعد مدينة « سنجار » عن الموصل غرباً ١٢٠ كيلومتراً ، وتقدر نفوسها بـ ١٢،٧٠٠ نسمة ، اما نفوس القضاء فـ(٣١٧٠٨) نسمة بينهم (١٨١٩٨) يزيدياً وهي كانت - ولا تزال - تعد من المصايف القديمة لجمال موقعها ، وعذوبة مائها ، وصفاء اديمها ، وكثرة المناظر الطبيعية فيها ، اما عمرانها فواسع ومنظم حيث تقطنها طبقات متمدنة هاجرت اليها من الموصل وماردين ونحوهما ، ففيها بيوت مريحة ومبان جميلة وعدد من البساتين والخانات ، والمقاهي والحمامات ، والمساجد والكنائس ، اما المباني الاميرية فمحل الحكومة ودار القائمقام ومدارس البنين والبنات ومشروع اسالة الماء وتوليد الكهرباء ... الخ .

نواحي القضاء : للقضاء ناحيتان هما : سنجار والشمال .

« ناحية سنجار » هذه ناحية داخلية ، يقيم مديرها في مركز القضاء ، وتتبعها ستون قرية بين كبيرة وصغيرة .

« ناحية الشمال » : تتألف هذه الناحية من ٤٢ قرية بين كبيرة وصغيرة ، ومركزها قرية كبيرة تبعد ٢٠ كيلومتراً عن سنجار شمالا ، يقال لها « كرسي » — بفتح الكاف — وتشتهر قرى هذه الناحية بتينها المشهور المسمى « بردحلي » وتفاحها الكبير ، وعنبها اللذيذ.

٨ — قضاء عقره

« عقره » بلدة قديمة لم يهتد المؤرخون الى تعيين الزمن الذي تأسست فيه على وجه التحقيق ، وقد ورد ذكرها في كتب العرب باسم « العقر الحميدية » قال ياقوت الحموي : « والعقر ايضاً قلعة حصينة في جبال الموصل اهلها اكراد وهي شرقي الموصل تعرف بعقر الحميدية » (١) وهي كائنة في المرج او مرج الموصل ، وقائمة على منحدر جبل عقره الاجرد ويشبه هذا الجبل بتكوينه الطبيعي مدرجاً رومانياً فيخال الناظر اليها من بعد انها تتكون من طبقات بعضها فوق بعض .

تطل على واد فسيح بساتينه محفوفة بالازهار واشجاره مبدعة بالثمار ، فإذا مد الشتاء رواقه لبس الجبل المذكور ثوباً قشيباً من الثلوج .

وفي « عقره » من الفواكه اللذيذة ، والاشجار المثمرة الكثيرة ما يفيض عن حاجتها فتمو ّن به القرى الملحقة بها ، وبطيخها من اجود انواع البطيخ في العراق ، وتينها مشهور بنكهته وحلاوته ، اما الرز الذي تجود به تربتها فقد نال شهرة واسعة ، واما عمرانها فلا يزال على بساطته اذا استثنينا من ذلك الدور المعدة لسكنى الموظفين والمباني التي تشغلها الحكومة لادارتها وشرطتها ومدارسها ، واما نفوسها فـ ٩٣٠٠ نسمة جلهم اكراد ، بينهم طائفة من النصارى الكلدان والسريان الارثوذكس . اما نفوس القضاء كله فهي ٣٢،٠٩٥ نسمة حسب سجلات عام ١٩٤٧م .

وفي جنوبي « عقرة » شلال جميل جداً يزين البلدة ، ويروي البساتين والحدائق . فإن الماء فيه يتدفق بغزارة وارتفاع هائل يسميه الاهلون « سي به » وهو لفظ فارسي اوكردي معناه « ثلاثون » ولعلهم يقصدون بهذه التسمية ان ارتفاع هذا الشلال ٣٠ متراً ، وهو كذلك احياناً على ما رأيناه في زيارتنا لعقره عام ١٩٥٥ ، ولو هيأ الله من يستغله في انارة « عقره » والطرق المؤدية لها بالانوار الكهربائية لزاد ذلك في جمالها ، وهي تبعد عن الموصل

---

(١) معجم البلدان ٦ — ١٩٥ من الطبعة المصرية . و «المشترك وضعا والمفترق صقعا» لياقوت الحموي ص ٢٧٠ من الطبعة الاوربية .

٩٥ كيلومتراً الى شماليها الشرقي ، وتشتد الحرارة فيها اشهر الصيف فيضطر اهلهـا الى سكنى الوادي ، اما في الشتاء فالطقس بارد ، والمطر غزير .

للقضاء ثلاث نواح وهي ١ - السورجية ٢ - عشائر السبعة ٣ - بيره كبرة :

ناحية السورجية : تتألف هذه الناحية من تسعين قرية تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من القضاء ، معظمها جبلي ، وجل سكانها رعاة ماشية ، يحترمون زعماءهم شيوخ بجيل ، وبجيل اسم قرية نسبوا اليها ، وهي مركز الناحية تبعد عن شمال شرقي الموصل ١٨ كيلومتراً .

ناحية العشائر السبعة : تتألف هذه الناحية من ٦٨ قرية تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من القضاء ، يحيط بها النهران : الخازر والزاب الكبير ، واكثر اراضيها سهول واسعة خصبة يجود فيها الرز والقمح ، وانما سميت باسم « العشائر السبعة » لان القبائل فيها تتكون من سبع فرق وهي ١ - كيره ٢ - رزكري ٣ - شايلو ٤ - شيخ تبريني ٥ - لوماء ٦ - خنت بري ٧ - شارك ، وكل هذه القبائل كردية عدا عشرة في المئة من القزلباش والشبك والنساطرة. اما مركز الناحية فقرية « بردراش » الكائنة على بعد   كيلومتراً جنوب شرقي عقره .

ناحية بيره كبرة : مركز هذه الناحية قرية « پيره كپره » التي تبعد عن شمال عقره نحو   كيلومتراً وتتألف هذه الناحية من ٦٧ قرية بين صغيرة وكبيرة ليس من السهل ضبط اسمائها ولعل اهمها قرية « هرن » .

لواء الدليم

توطئة

لواء الدليم اوسع الوية العراق مساحة ، واقلها سكاناً ، وافقرها عمراناً ، وهو منحصر بين الوية بغداد والحلة وكربلاء والحدود السورية . يحده لواء الموصل وبلاد سورية شمالاً، ولواء بغداد شرقاً ، واللواءان كربلا والحلة جنوباً ، وبادية الشام غرباً . وارضه سهلة وصحراوية على الاكثر . وتسقى اكثر زروعه بالدواليب المتحركة بمجرى المياه تسمى النواعير « جمع ناعور » وان كثر اقبال الاهلين على استخدام المضخات في السنوات الاخيرة .

مساحة اللواء وعدد نفوسه

مساحة لواء الدليم ١٤٥٫٢٣٨ كيلومتراً مربعاً .

ونفوس اللواء ٢٥٤٫١٠٠ نسمة بحسب الاحصاء العام الذي جرى عام ١٩٥٧م .

القبائل القاطنة في اللواء

في لواء الدليم اربع قبائل رئيسية وهي ١ ـ الدليم ٢ ـ زوبع ٣ ـ عنزه ٤ ـ العكيدات.

والدليم قبيلة كبيرة تقطن على طرفي الفرات بين « الفلوجة » و «القائم» ويقول الدليميون انهم جاءوا من جزيرة العرب من الموضع المسمى « الدليميات » في « نجد » قبل خمسة قرون وهم اليوم على قسمين (نزّالة) وهم الذين يمتهنون الزرع ، و (رحالة) وهم الذين يمتهنون الضرع

اما (النزالة) فهم الذين استوطنوا الاراضي الخصبة واشهر فرقهم :

١ ـ ألبوعساف ٢ ـ ألبوعيثه ٣ ـ ألبوريشه ٤ ـ المحامده ٥ ـ الجميلات .

واما (الرحالة) فهم الذين بقوا على بداوتهم يتجولون في الجزيرة بين (دجلة) و(الفرات) واشهر فرقهم : ١ ـ ألبو محل ٢ ـ ألبو نمر ٣ ـ ألبو فهد ٤ ـ الجغايثة .

على ان بين الفرق الرحالة من يمتهن الزرع ، وبين الفرق النزالة من يمتهن الضرع . وتكاد تنحصر افخاذ الدليم فيما يلي :

١ ـ البو عساف ٢ ـ القره غول ٣ ـ ألبوخليفه ٤ ـ ألبومرعي ٥ ـ ألبوريشه ٦ ـ ألبوهزيم ٧ ـ ألبوجابر ٨ ـ ألبوجليب ٩ ـ ألبوعصوه ١٠ ـ البوربيع ١١ ـ الموالي ١٢ ـ الجريسات ١٣ ـ البوسودة ١٤ ـ البوعلوان ١٥ ـ البوفهد ١٦ ـ الفلاحات ١٧ ـ البو عيسي ١٨ ـ المحامدة ١٩ ـ البوشجل ٢٠ ـ الملاحمة ٢١ ـ البوبالي ٢٢ ـ البوعبيد ٢٣ ـ البو

ذياب ٢٤ - ألبوجاووش ٢٥ - ألبوعيثه ٢٦ - ألبونمر ٢٧ — ألبومحل ٢٨ — ألبوغنام ٢٩ - المعاضيد ٣٠ - البوحيان ٣١ - الجغايثة ٣٢ - البوعلي الجاسم ٣٣ - اللهيب ٣٤ - الجيلة ٣٥ - الحلابسة ٣٦ - البوشهاب ٣٧ - البوفراج ٣٨ - البومفرّج ٣٩ - السلمان ٤٠ - الكرابلة ٤١ - الغرير ٤٢ - ألبو صكر ٤٣ - الجواعنه ٤٤ - البو حردان .

تنظيمات اللواء الادارية

يتقوم لواء الدليم من القضاءين « الفلوجة » و « عانه » ومن ناحية واحدة ملحقة بمركز اللواء مباشرة يقال لها « ناحية هيت » واليك التفصيل :

الرمادي

شملت اصلاحات مدحت باشا والي بغداد مدة ولايته من عام ١٢٨٦ للهجرة و ١٨٦٩ للميلاد الى عام ١٢٨٨ هـ - ١٨٧٢م كل مرفق من مرافق الحياة في العراق . فقد اتم تشييد ما بدأ به سلفه « نامق باشا » من المشروعات العامة ، واضاف اليها شيئاً كثيراً. فإن اصدار جريدة الزوراء ، وتأسيس المعامل العسكرية ، ومد الترامواي بين بغداد والكاظمية ، وبناء دار العجزة والمستشفى الملكي ، ثم تأسيس البلديات والمجالس الادارية ، وتطبيق نظام الولاية الجديد بحذافيره ، وفرض الخدمة العسكرية ... الخ كل ذلك من الاعمال التي تمت في ولايته ، وهي تتمشى مع الروح التجددية التي دلت عليها ، ولعل اهم ما يخلد اسمه تمصيره المدينتين : الناصرية والرمادي (١) .

فالرمادي اذن مصرها مدحت باشا في ولايته ، ولكنها اهملت بعد سفره ، فبقيت قرية صغيرة يتزود منها المسافرون ما يحتاجون اليه في سفرهم من طعام وشراب ومرافق ، وبقيت على هذا المنوال زهاء خمسين عاماً. فلما كانت سنة ١٣٤٢هـ — ١٩٢٣م فتحت طريق للسيارات بين بغداد ودمشق تقطعه في عشرين ساعة مارة بالرمادي ، فبدأت في هذه البلدة نهضة واسعة شملت كل ناحية من نواحيها ، وانتشرت فيها المساكن والشوارع فأصبحت مركزاً عمرانياً حديثاً وبلدة جميلة تظللها الاشجار الباسقة، وتنتشر في ارجائها البيوت الكثيرة والمرافق العامة والمدارس المختلفة ومراكز البريد والبرق والماء والكهرباء وغيرها .

والداخل الى الرمادي من دمشق يشاهد اول ما يشاهده شارعاً مستقيماً مبلطاً ، قامت عليه المساكن العصرية والدور الحديثة ذات الحدائق الجميلة والمناظر الساحرة، ثم تليها دائرة الكمرك الفخمة ذات الشكل الهندسي البديع، فدائرة جوازات السفر، يقابلها المستشفى الملكي ويقع كل ما تقدم على طرف القصبة الغربي . اما القرية القديمة ، التي لا تزال تحتفظ بآدابها

(١) لونكريك في « اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » ص ٣٢٣ من الترجمة العربية

الأجتماعية ، وتقاليدها العربية وبمبانيها الكلسية البيض ومناظرها القروية الساذجة،وحوانيتها العتيقة ، ومقاهيها العديدة ،ومسجدها الكبير، فتقع في طرفها الشمالي وقد فتحت فيهاشوارع عريضة وأقيمت فيها عمارات حديثة . وهي على مسافة ١٢٥ كيلومتراً من بغداد غرباً،وعلى مسيرة كيلومترين من شاطىء الفرات الأيمن وفيها من النفوس زهاء ٩٨٥٠ نسمة . ومع ان أهلها عرب اقحاح فإن في البلدة شرذمة من الكرد كبيرة

وبالقرب من « الرمادي » بينها وبين (الفلوجة) مطار (سن الذبان) الـذي انشـأه البريطانيون غربي الفرات بجوار (الحبانية) عام ١٩٣٥م . وهو معسكر كبير نقلت اليـه قوات السلاح الجوي البريطاني العسكري من معسكر الهنيدي (بجوار بغداد) ومن معسكر الموصل فدبت فيه روح الحياة والعمران حتى اصبح بلداً اوروبياً قائمـا بنفسه وقد تسلمه الجيش العراقي في عام ١٩٥٥م بعد الغاء معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠م العراقية ـ البريطانية التي عقدت على اساس اقامة قاعدتين جويتين بريطانيتين احداهما في الشعيبة بجوار البصرة والاخرى بين الرمادي والفلوجة .

وعلى بعد بضع مئات من الامتار تقع بحيرة الحبانية حيث تنزلها الطائرات المختلفة .

و (بحيرة الحبانية) هذه تقع وراء التلول القائمة غربي الفرات ومساحتها زهـاء ١٤٠ كيلومتراًمربعاً عند امتلائها بالماء . و(مشروع الحبانية) من المشروعات الكبيرةفي العراق(١) فقد كانت الحكومة العراقية انشأت ثلاث نواظم للسيطرةعلى فيضانات نهر الفرات وهي :

ا ـ ناظم الورّار المؤلف من ٢٤ فتحة عرض كل منها ستة امتار لامرارفيضان الفرات الى بحيرة الحبانية بمعدل (٢٨٠٠) متر مكعب في الثانية

ب ـ ناظم المجرّة لتصريف مياه البحيرة المذكورة الى منخفض هور ابي دبس في حالة امتلاء الحبانية وضرورة التخفيف من حدة الفيضانات الخطرة

جـ ـ ناظم الذبان والغاية منه اعادة مياه بحيرة الحبانية الى نهر الفرات ثانياً للاستفادة منها في الزراعة

ولما لم تتحقق الاستفادة من هذه النواظم لتخفيف خطر الفيضان في الفرات والاستفادة من المياه المخزونة لأغراض الزراعة بصورة متقنة فقد تبنى مجلس الإعمار انشاء سدةبالقرب من الرمادي طولها (٢٠٩) امتار وعرضها سبعة امتار ولها (٢٤) فتحة مع هويس للملاحة وسلم للاسماك كلفت (١،٣٩٥،٢٦٣) ديناراً وجهزت ببوابات حديدية ترفع بواسطةالقوة

---

(١) راجع عن «مشروع الحبانية» مفصلا الجزء الاول من كتاب «وادي الفرات» للدكتور احمد سوسه «بغداد مطبعة الحكومة سنة ١٩٤٤م »

الكهربية او ترفع باليد إذا انقطع تيار الكهرباء . وكان الغرض من إنشاءهذه السدةتصريف كافة مياه الفيضان الى بحيرة الحبانية ، وزيادة استيعاب هذه البحيرة برفع منسوب المياه فيها من ٤٩،٥ متراً الى ٥١ متراً . وقد تمت تعليةسداد بحيرة الحبانيةلهذاالغرض ودشن المشروع في الخامس من نيسان ١٩٥٦م باحتفال رسمي مهيب حضرناه بالذات وألممنا به المامة كافية .

ناحية هيت

لمركز لواء الدليم ناحية واحدة يقال لها ناحية هيت . و «هيت» من المدن العريقـــة في القدم (١) . فقد كانت في عهد الكلدانيين والآشوريين ، وكان البابليون يأخذون القارمنها ليطلوا به أرض بابلهم . ولا يزال أهل «هيت» يفرشون سطوح دورهم بهذاالقار لئلاتتسرب مياه الأمطار الى غرفهم . وتراها الآن عند جبيل على ضفة الفرات اليمنى . تحيط بهاالبساتين والجنان ، وتزكو فيها الفواكه والأثمار ، وتنشر في ارجائها المباني القديمة والحديثة ، وتبعد عن الرمادي « مركز اللواء » غرباً ٦١ كيلومتراً ، وتقرب منها عين ماءمعدني يقال لها «العين الجرباء » يقصدها المصابون بالجرب من جهات نائية للاغتسال فيها فينالون شفاء كما يدعون كما يقرب منها نحو اربعين مقاماً يسميها الأهلون « مقامات الشهداء »ويقولون انها مدافن قواد الجيش الذي انفذه الخليفة عمر بن الخطاب(رض) الى العراق لاستخلاصه من ايدي الفرس فقتلوا ودفنوا في هذه المواضع .

وتحيط بـ « هيت » اثنتا عشرة عيناً للقار ، بعضها مجاور لها ، والبعض الآخر يبعد عنها بعداً يتراوح من كيلومترين الى ١٥ كيلومتراً ، وقد زرنا معظمها فلم نجدمن يستغل غير القليل منها ، وعلى هذا باشرت السلطات الحكومية تستفيد من هذا القار في رصف الطرق العامة وتعبيد الشوارع الرئيسية . فإن « هيت » تعد من مدن العالم المشهورة بقارها ، واليك اسماء هذه الينابيع :

١ — عين الدروبي ٢ — الكويسم - بالكاف الفارسية والتصغير «القويسم» -٣ — الوسطه

---

(١) ذكر « ياقوت الحموي الرومي » - هيث - في معجمه ٤٨٦/٨ فقال :

« هيت بالكسر وآخره تاء مثناة ... قال ابن السكيت سميت هيت هيت لانها فيهوةمن الارض،انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ... وقال ابو بكر سميت هيت لانها في هوة من الارض ، والاصل فيها هوت فصارت الواو ياء »

قلنا ان الذين وضعوا اسم «هيت» لم يكونوا من العرب حتى تؤول هذه اللفظة جريا على اصول اللغة العربية ، بل كانوا من الاعاجم الاقدمين « ل٠ع ٢٥٢/١ »

وقد ذكرها «هيرودتس» فقال في ٩٣/١ من الترجمة العربية «على مسافة ثمانية ايام من بابل مدينة ايس وهي قائمة على شاطىء نهر صغير يدعى باسمها» فاصل هيت «ايس — is » كما رأيت

٤ ـ الوسطة « غير الوسطة الاولى » ٥ ـ الطيف ٦ ـ المرج ٧ ـ عطاعط ٨ ـ عطاعط « غير عطاعط الاولى » ٩ ـ الجبهة ١٠ ـ المعمورة ١١ ـ الحواصل ١٢ ـ الزدّادية .

وعلى مسافة ٢٦ كيلومتراً من «هيت» غرباً تقع قرية الكبيسة ـ بالتصغير ـ وهي قرية كبيرة قديمة كانت من مراكز التجارة بين دمشق والعراق . فيها مياه معدنية كثيرة تشكل بركة واسعة تسقي مياهها بساتين النخيل الواسعة . ويتغير لون هذه المياه مراراً في اليوم الواحد فهي كاللبن صباحاً ، وكالحشيش ضحوة ، فإذا كان العصر مالت الى الزرقة .

١ ـ قضاء عانه

تعد عانه (ويكتبها بعضهم عنه) من المدن القديمة في العراق . وقد جاء ذكرها في معجم البلدان فقال ياقوت الحموي عنها ١٠٢/٦ .

« قال محمد بن احمد الهمداني : كانت هيت وعانات مضافة الى طسوج الانبار ، فلما ملك انو شروان ، بلغه ان طوائف من الاعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بآلوس ، كان سابور ذو الاكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية ، وامر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية الى كاظمة ... فخرجت هيت وعانات بسبب ذلك السور عن طسوج شاذفيروز لأن عانات كانت قرى مضمومة الى هيت » .

وترتقي (اخبار عانه) الى زمن الدولة الآشورية ، وبالاخص الى عهد الملك توكلتي نينورتا الثاني سنة (٨٨٩ ـ ٨٨٤ ق.م.) حيث كانت تسمى عانات(١) . ولم تكن هذه البلدة بعد الميلاد اقل شأناً مما كانت عليه قبله ، فقد نقل لنا (موسيل) اخباراً تدل على ما لهذه البلدة من شأن في التاريخ ، وفي كتاب الخراج لأبي يوسف (ص١٨٥) ما نصه :

(وكان خالد بن الوليد مرّ ببلاد عانات فخرج اليه « بطريقها » فطلب الصلح فصالحه وأعطاه ما اراد على ان لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ، وعلى ان يضربوا نواقيسهم في اي ساعة شاءوا من ليل او نهار الا في اوقات الصلوات ، وعلى ان يخرجوا الصلبان في ايام عيدهم واشترط عليهم ان يضيفوا المسلمون ثلاثة ايام ويبذرقوهم (اي يخفروهم) انتهى المراد .

ومع ان عانه من اقدم مدن العراق ، فانها اطول مدينة فيه ، تمتد على ضفة الفرات اليمنى مسافة عشرين كيلومتراً ، اما عرضها فانه لا يتجاوز المئتي وخمسين متراً ، بمعنى انك لا تستطيع ان تجد اكثر من ثلاث عمارات صغيرات متلاصقات في عرض البلد ، على الطراز القديم . ولضيق مساحة الارض عند السكان يظعن منها في كل سنة مئات من الناس الى بغداد والبصرة

---

(1) MUSIL. The Middle Euphrates pp. 345-349

وبعض الاطراف في الخارج لإيجاد اشغـال يتغيشون عليهـا ، ولهذا السبب نفسه يغرس العانيون ساحات دورهم بالاشجار كما ان بعضهم يؤسس (حوائج) (١) في وسط الفرات ليزرعها ويسكن فيها .

و (عانة) اليوم مركز قضاء تابع للواء الدليم. حسنة الموقع، جميلة المنظر، بسيطة العمران تكتنفها تلول ممتدة قليلة الارتفاع ، وهي منحصرة بين هذه التلول وبين الفرات ومن حجر هذه التلول تبنى بيوت المدينة بالكلس ، وكلس عانه الابيض مشهور بمتـانته الفائقة حتى عرف عنه انه امتن من السمنت تبعد عن الرمادي غربا ٢١٢ كيلومتراً ويقطنهـا زهـاء ١٢،٧٠٠ نسمة ، بينهم طائفة من النصيرية وشرذمة من اليهود . وتدل السجلات الحكومية لسنة ١٩٤٧ على ان نفوس القضاء ٣٣٣١٤ نسمة .

والنساء في عانه على جانب عظيم من الجمال ، وهن يتولين حياكة الاصواف ، وعمـل البسط والاعبئة ، ويتولى الرجال غزل الصوف ، خلافاً للقاعدة العامة المتبعة في العراق . واهم فضائلها ان الامية تكاد تكون معدومة فيها لكثرة المدارس الرسمية والكتاتيب الأهلية ورغبة السكان في التعلم .

وابدع مايشاهد في هذه البلدة وفي اطرافهـا وسائل الري المستخدمة في سقي الحدائق والبساتين فهنالك النواعير القائمة على ضفتي النهر الى مسافة بعيدة تغرف المـاء وتدفعه الى الحقول والضياع بدون كلفة ولا نفقة . والناعور عبارة عن اطار كبير من الخشب تعلق في اطرافه كمية من المغارف الخزفية يسمونها « قواقه » ـ مفردها قوق كبوم ـ يتراوح عددها في الناعور الواحد من الاربعين الى المئة ، وهو يربط برباط وثيق اذا كانت البساتين غنية عن الماء . اما وقت احتياجها اليه فيفك منها ذلك الرباط فيبدأ الناعور يدور على نفسه بقوة الماء ، وتغرف (القواقه) الماء فتصبه في قناة تتخذ من جذوع النخل صنعت على ارتفـاع البساتين فتجري الى الجهات المراد ريها . ولو عملت يد الاصلاح في عانه عملها في سـائر المدن العراقية الكبرى لاصبحت بلدة جميلة ومصيفاً ناجحاً فهواؤها عليل وماؤها نمير والمناظر الطبيعية فيها تبهر الابصار وتأخذ بالالباب .

ويقابل (عانه) على الضفة اليسرى من الفرات قرية كبيرة عريضة يقال لها (راوة) فيها قلعة فخمة من عهد مدحت باشا سنة ١٢٨٦هـ ــ ١٨٦٩م ، ودور كثيرة ، ومدارس مثل ما في عانه ، وهذه الدور تبدأ من فوق الجبل الى شاطىء النهر وتكوّن شكلا مخروطياً جميلا

---

(١) الحوائج جمع «حويجة» وهي «الحويقة» على لغة من يلفظ القاف جيما ، اي الارض التي يحيق بها الماء من كل جانب كالجزيرة

ولو صبغ الاهلون اعالي دورهم بالالوان لاصبحت مثل مصايف لبنان . وبين اهل البلدين (عانه) و (راوه) احقاد موروثه كثيرا ما ادت الى ضياع النفوس البريئة .

ناحية الحديثة : لقضاء عانه ناحيتان اولها (الحديثة) والاخرى (القائم) وتقع الحديثة في ثلاثة اقسام قسمان على ضفة الفرات ، والثالث في جزيرة وسـط الفرات . ويقع مركز الحديثة مع دور الاهلين ومساكن الموظفين في القسم الثالث ، وهي على مسيرة ٧٤ كيلومتراً من عانه . وتتبع هذه الناحية قريتان كبيرتان لهما شهرة واسعة في التاريخ أولهما (آلوس) والثانية (جبه) ــ بتشديد الباء ــ وكانت آلوس موطناً لبيت علم اشتهر في العراق ولايزال ينسب اليها جماعة من فطاحل العلماء ، وقد سميت باسم رجل على رأي ياقوت ، واليها ينسب المؤيد الآلوسي الشاعر القائل :

ومهفهف يغني ويقني دائماً   في طوري الميعاد والايعاد
وهبت له الآجام حين تشابها   كرم السيول وهيبة الآساد (١)

ناحية القائم : ــ مركز هذه الناحية قرية حصيبة ــ بالتصغير ــ وهي حادثة اذشرع في تأسيسها قبل خمس وعشرين سنة فبني فيها محل الحكومة ، ومخفر الشرطة ، ودائرة الكمرك ، وعدد من الدور والحوانيت القروية ، مع مدرسة اولية ، ومستوصف صحي . وتقع هـذه القرية على الحدود السورية في موضع يبعد عن عانه ٩٥ كيلومتراً وتجاورها قبائل السلمان المنتشرة هناك .

وكان مركز ناحية القائم قبل إنشاء قرية (الحصيبة) مخفراً للشرطة وخاناً واسعاً اتخذ مركزاً للناحية وهو يقع على ضفة الفرات اليمنى ، بالقرب من الحدودالسورية ــ العراقية ، وكان هذا الموضع قديماً يسمى (دير القائم الاقصى) الذي ذكره أبو الفرج الاصفهاني فقال (وقد رأيته وانما قيل له القائم لان عنده مرقباً عالياً كان بين الروم والفرس يرقب عليه على طرف الحد بين المملكتين شبه (تل عقرقوف) ببغداد و (اصبع خفان) بظهر الكوفـة وعنده دير هو الآن خراب) (٢) .

قلت : وقد زرت القائم عام ١٣٤٨هـ ــ ١٩٢٩م فوجدته على هيئة (برج نمرود) بجوار بابل وهو غاية في الارتفاع مبني بالآجر المشوي (الطابوق الضخم) وعلى مسافات عنه مختلفة خرائب وآثار إسلامية كثيرة .

---

(١) معجم البلدان ٣٢٦/١ من الطبعة المصرية

(٢) معجم البلدان ١٦١/٤ .

الرطبة

الرطبة قلعة حصينة منيعة شيدتها الحكومة العراقية سنة ١٩٢٦م لتكون مركز اتصال في طريق بغداد ـــ دمشق . تبعد عن الاولى غرباً ٤٤٠ كيلومتراً وعن الثانية شرقاً ٤٣٠ كيلومتراً وهي مربعة الشكل تقريباً طول كل ضلع من اضلاعها ٥٥ متراً ، وفيها ٣٦ حجرة متوسطة الحجم ويتصل بضلعها الشرقي جناح معد كمذخر لقوات البادية من الشرطة الهجانة كما ان فيها محطة للبث اللاسلكي ودائرة للبرق والبريد واخرى لجوازات السفر وبجوارها دور قروية لأصحاب المقاهي والحوانيت الذين يقطنون هذه الديرة لتأمين حاجات المسافرين بين العراق وسورية ، وليس للرطبة تنظيمات ادارية ولكن فيها ادارة شرطة يتولى رئيسها تأمين كل شيء

٢ ـــ قضاء الفلوجة

كانت بموضع (الفلوجة) الحالية بليدة قديمة اسماها الارميون (الانبار) (١) لانهـــا كانت مخزن العدد الحربية للجيوش الساسانية (٢) وسماها الفرس (فيروزسابور) (٣) وقـــد حافظت على اسمها هذا الى صدر الدولة العباسية فكانت اولى عواصمها بعد تجديدها وبناء القصور الشامخة فيها فلما بنيت بغداد بعد الكوفة والهاشمية ، تضاءل امرها وانتقل العمران الى القرية التي تدعى الآن الفلوجة .

قال ياقوت الحموي (فلاليج السواد قراها واحدها الفلوجة .والفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر ويقال الفلوجة العليـــا والفلوجة السفلى . ومنه سمي موضع على الفرات الفلوجة) (٤) .

وقد اختلف المؤرخون في زمن تمصير الانبار . قال ياقوت الحموي : (اول من عمرها سابور بن هرمز ذو الاكتاف ثم جددها ابو العباس، اول خلفاء بني العباس، وبنى بها قصوراً) (٥) وقال ابن الاثير (وقد كانت الحيرة والانبار بنيتا زمن (بخت نصر) فخربت الحيرة لتحول اهلها الى الانبار، وعمرت الانبار خمسمئة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحـــيرة زمن عمر ابن عدي فعمرت خمسمئة سنة وبضعاً وثلاثين سنة الى ان وضعت الكوفـــة ونزلهـــا اهل الإسلام (٦) وقال حمد الله المستوفي القزويني : « ان مؤسس الانبار الملك مهران قايانيان

(١) الانبار اكداس الطعام واهراؤها واحدها نبر ... ويجمع انابير جمع الجمع اه تاج تاج العروس ٥٥٣/٣ مادة نبر

(٢) تاريخ العرب لهيوار ٢٨٩/١

(٣) معجم البلدان ج١ ص٣٤١

(٤) معجم البلدان ج٦ ص٣٩٨ نقلا عن الليث

(٥) معجم البلدان ج١ ص٣٤١

(٦) الكامل لابن الاثير ج١ ص٢٧٦ من الطبعة الاوربية

جعلها معتقلا لليهود الذين اسرهم وسباهم بخت نصر ، لذلك سميت الانبار ثم جدد بناءها سابور الثاني وجعلها السفاح كرسي مملكته » (١) وقيل غير ذلك .

تقع بليدة (الفلوجة) اليوم على الضفة اليسرى من عمود الفرات في موضع يبعد عن بغداد غرباً ٦١ كيلومتراً ، وعن الرمادي شرقاً ٥٤ كيلومتراً . ويربطها بالضفة اليمنى جسر حديدي قائم على عشر دعائم مثبتة الى قعر النهر بما يقارب مئة قدم ، وقد انشىء هذا الجسر عام ١٩٢٩م فكان (همزة الوصل) بين الغرب والشرق . اما عمرانها فبسيط لانه قروي ، واما هندسة شوارعها فحسنة لانها حديثة ، وفيها سوق عصرية ، تجاورها حوانيت غير منسقة . ومبان اميرية غير فخمة ، وتربطها ببغداد وبالرمادي جادة مزفتة لها اثر محمود في تسهيل المواصلات . اما نفوس القضاء فقد سجلت في القيود الرسمية حتى اواخر سنة ١٩٤٧م (٤٨،٨٩٦) نسمة .

وكانت الفلوجة متصلة بالعاصمة بخط حديدي للقطار الذي أنشأته السلطات العسكرية البريطانية المحتلة عام ١٩١٧م لاغراض عسكرية الا انها ما عتمت ان رفعته كما رفعت الخطوط الفرعية الاخرى لانتفاء الحاجة اليها .

— (ناحية الدليمية) —

لقضاء الفلوجة ناحية واحدة تدعى « ناحية الدليمية » — بالتصغير — ومركزها قرية (الدليمية) الراكبة نهر الكرمة — بالكاف الفارسية — الذي يتشعب من الفرات بالقرب من الفلوجة وينتهي بالقرب من قصبة الكاظمية .

---

(١) نزهة القلوب ص٣٧ من الطبعة الاوربية

الملحق الاول

الوحدات الادارية للالوية العراقية كما جاءت في الكتاب

الصفحة

الملحق الثاني

المسافات بين المدن والقصبات بعد تعديل الطرق وتقصيرها

بغداد ــ الكاظمية خمسة كيلومترات
بغداد ــ سميكة (دجيل) ٥٣ كيلومترا
بغداد ــ بلد ٧٥ »
بغداد ــ سامراء ١١٨ »
بغداد ــ تكريت ١٧٥ »
بغداد ــ الفلوجة ٥١ »
بغداد ــ الرمادي ١٠٥ كيلو مترات
بغداد ــ عانة ٣٠٩ »
بغداد ــ المحمودية ٣٥ كيلو مترا
بغداد ــ المسيب ٧١ »
بغداد ــ كربلا ١٠٣ كيلو مترات
كربلا ــ عين التمر ٥٨ كيلو مترا
كربلا ــ النجف ٧٧ »
النجف ــ الكوفة عشرة كيلو مترات
بغداد ــ الحلة ١٠١ كيلو مترا
الحلة ــ الهندية ٢٤ »
الهندية ــ كربلا ٢٢ »
كربلا ــ المسيب ٣٠ »
الحلة ــ الكفل ٣٠ »
الحلة ــ الكوفة ٥٣ »
الحلة ــ المحاويل ٢٠ »
الحلة ــ كربلا ٤٣ »
الحلة ــ الديوانية ٨٨ »

بغداد ــ الديوانية ١٨٩ كيلو مترا
الديوانية ــ الشامية ٣٩ »
الديوانية ــ الفماس ٧٩ »
الديوانية ــ ابو صخير ٥٣ »
ابو صخير ــ المشخاب ١٣ »
ابو صخير ــ القادسية ٣٠ »
ابو صخير ــ الكوفة ١٧ »
الديوانية ــ آل بدير ٥٤ »
الديوانية ــ عفك ٣٤ »
الديوانية ــ الدغارة ١٨ »
الديوانية ــ الحمزة ٣٢ »
الديوانية ــ الرميثة ٦٢ »
الديوانية ــ السماوة ٨٧ »
الديوانية ــ الناصرية ١٩٢ »
بغداد ــ الناصرية ٣٨١ »
الناصرية ــ البصرة ٢٢٥ »
الناصرية ــ سوق الشيوخ ٢٨ »
الناصرية ــ الشطرة ٤٥ »
الناصرية ــ كرمة بني سعيد ٣٨ »
الناصرية ــ البوصالح ٤١ »
الناصرية ــ خرائب أور ١٨ »

الناصرية ــ الرفاعي ٨٣ كيلو مترا
الناصرية ــ قلعة سكر ٩٨ »
الناصرية ــ الحي ١٤٥ »
الناصرية ــ الكوت ١٩٣ »
بغداد ــ البصرة (بالقطار)
٥٦٩ »
بغداد ــ البصرة (بالسيارة)
٥٦٠ »
بغداد ــ البصرة (بالنهر)
٨٠٥ كيلو مترات
البصرة ــ الزبير ٢١ كيلو مترا
البصرة ــ ابو الخصيب ١٨ »
البصرة ــ الفاو ١٠٥ كيلو مترات
البصرة ــ القرنة ٧٢ كيلو متر
البصرة ــ العمارة ١٨٤ »
العمارة ــ قلعة صالح ٤٤ »
العمارة ــ المشرح ٣٢ »
العمارة ــ مسيعيدة ٢٥ »
العمارة ــ كميت ٤٠ »
العمارة ــ علي الشرقي ٦٢ »
العمارة ــ علي الغربي ١٠٥ كيلومترات
العمارة ــ الكوت ٢٠٨ »
العمارة ــ بغداد ٣٧٦ كيلو مترا
الكوت ــ بدرة ٧٤ كيلو مترا
الكوت ــ الحي ٤٨ »
الكوت ــ النعمانية ٤٧ »
الكوت ــ العزيزية ٩٢ »

الكوت ــ الصويرة ١٢٦ كيلو مترا
الكوت ــ بغداد ١٦٨ »
بغداد ــ بعقوبا ٥٥ »
بعقوبة ــ بلدروز ٤٠ »
بعقوبة ــ مندلي ٥٩ »
بعقوبة ــ شهربان ٤٢ »
بعقوبة ــ خانقين ١٠٧ كيلو مترات
بعقوبة ــ الخالص ٢٠ كيلو مترا
الخالص ــ المنصورية ٥٤ »
الخالص ــ خان بني سعد
٣٦ »
الخالص ــ بغداد ٦٧ »
الخالص ــ كركوك ٢١٨ »
بغداد ــ خانقين ١٦٢ »
بغداد ــ كركوك ٣٢٢ بالقطار
بغداد ــ كركوك ٢٨٦ بالسيارة
بغداد ــ السليمانية ٣٩٧ كيلو مترا
كركوك ــ طاووق ٥٧ كيلو مترا
كركوك ــ طوزخرماتو ٨٧ »
كركوك ــ كفري ١٢١ »
كركوك ــ جم جمال ٤٨ »
كركوك ــ السليمانية ١١٤ »
كركوك ــ كويسنجق ٩٠ »
كركوك ــ آلتون كوبري
٤٤ »
كركوك ــ اربل ٩٤ »
كركوك ــ الموصل ١٨٣ »

السليمانية ـ حلبجة ٧٧ كيلو مترا
السليمانية ـ بنجوين ١٠٥ كيلومترات
السليمانية ـ جوارتا ٣٨ كيلو مترا
السليمانية ـ رانية ١١٨ »
السليمانية ـ مرزەرستم ٩٢ »
السليمانية ـ قلعةدەزي ١٢٧ »
السليمانية ـ قرەطاغ ٤٨ »
السليمانية ـ بغداد ٣٩٧ »
بغداد ـ اربل (بالسيارة) ٣٧٩ »
بغداد ـ اربل (بالقطار) ٤٢٧ »
اربل ـ صلاح الدين ٣٢ »
اربل ـ شقلاوة ٥١ »
اربل ـ راوندوز ١٣٠ »
اربل ـ حاج عمران (٢١١) »
اربل ـ رايات ١٧٥ كيلو مترا
اربل ـ مخمور ٦٧ »
اربل ـ كويسنجق ٨٠ »
اربل ـ رانية ٦٧ »
اربل ـ الكوير ٥٣ »

اربل ـ الموصل ٨٩ كيلو مترا
بغداد ـ الموصل ٣٩٥ بالسيارة
بغداد ـ الموصل ٤١١ بالقطار
الموصل ـ عين سفني ٥٠ كيلو مترا
الموصل ـ دهوك ٧٤ »
الموصل ـ السولاف ١٥٨ »
الموصل ـ العمادية ١٦٢ »
الموصل ـ تلعفر ٦٩ »
الموصل ـ سنجار ١٢٦ »
الموصل ـ عقره ٩٥ »
الموصل ـ زاخو ١١٤ »
زاخو ـ فيشخابور ١٤٥ »
الموصل ـ سرسنك ١٣٢ »
الموصل ـ تل كوجك ١١٥ »
الموصل ـ الشرقاط ١٠٧ »
الموصل ـ حمام علي ٢٦ »
الموصل ـ بعشيقا ٢٦ »
الموصل ـ القوش ٥٠ »

نفوس العراق

احصت الحكومة البريطانية المحتلة نفوس العراق احصاءا تقريبيا في اواسط عام ١٩٢٠ م. فكانت ٢،٨٤٩،٢٨٢ نسمة ، واحصت الحكومة العراقية الوطنية نفوسه في السنوات ١٩٢٧ و١٩٣٤ و١٩٤٧ و١٩٥٧ فكانت كالآتي :

السنة	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
١٩٢٧	١،٥١٢،٠٧٧	١،٤٥٥،٩٧٧	٢،٩٦٨،٠٥٤
١٩٣٤	١،٦٨٨،٢٣٩	١،٦٩٢،٢٩٤	٣،٣٨٠،٥٣٣
١٩٤٧	٢،٢٥٨،٩٠٥	٢،٥٥٥،٢١٧	٤،٨١٤،١٢٢
١٩٥٧	٣،٢٩٤،٠٧٣	٣،٢٤٤،٠٣٦	٦،٥٣٨،١٠٩

وفيما يلي مفردات نفوس العراق بحسب الالوية « في المراكز وفي الضواحي » كما تم احصاؤها في الثاني عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٥٧. «

الملحق الثالث

عدد نفوس العراق التي تم احصاؤها في ١٢ تشرين الاول عام ١٩٥٧م

اسماء الالوية	نفوس المراكز			نفوس الضواحي			
	الذكور	الاناث	المجموع	الذكور	الاناث	المجموع	المجموع العام
١ ـ لواء الموصل	١٣٩٣٥٦	١٣٣٢٦١	٢٧٢٦١٧	٢٢٣٩٧٥	٢٢٠٩٠٨	٤٤٤٨٨٣	٧١٧٥٠٠
٢ ـ لواء السليمانية	٤١٢٩٩	٣٧٩٦٩	٧٩٢٦٨	١١٤٨٦٦	١٥٠٨٤٤	٢٢٠٧١٠	٢٩٩٩٧٨
٣ ـ لواء اربل	٣٩٠٨٤	٣٣٧٤٦	٧٢٨٣٠	٩٨٥١٨	١٠١١٧٨	١٩٩٦٩٦	٢٧٢٥٢٦
٤ ـ لواء كركوك	٧٨٦٤٨	٧٤٥٢٤	١٥٣١٧٢	١١٧٩٠٠	١١٧٨٤٠	٢٣٥٧٤٠	٣٨٨٩١٢
٥ ـ لوآء ديالي	٣٩٢٤٦	٣٧٠٢٥	٧٦٢٧١	١٢٧٢٦٠	١٢٦٢٨٢	٢٥٣٥٤٢	٣٢٩٨١٣
٦ ـ لواء الدليم	٣١٩٥١	٣٠٨٦١	٦٢٨١٢	٨٧٣٥٥	٨٤٠٩٥	١٧١٤٥٠	٢٣٤٢٦٢
٧ ـ لواء بغداد	٤٤١٧٧٧	٤٠٥٢٨٥	٨٤٧٠٦٢	٢٢٨٣٨٤	٢٣١١٥٨	٤٥٩٥٤٢	١٣٠٦٦٠٤
٨ ـ لواء الكوت	٣٤٦٤٨	٣٥٢١٦	٦٩٨٦٤	١٠٢٧٨٤	١١٧٤٢٢	٢٢٠٢٠٦	٢٩٠٠٧٠
٩ ـ لواء الحلة	٥٢٩٨٧	٥١٢٥٨	١٠٤٢٤٥	١٢٤٥٥٦	١٢٤٨١٣	٢٤٩٣٦٩	٣٥٣٦١٤
١٠ ـ لوآء كربلاء	٨٣٧٧٩	٨٩٧٩٤	١٧٣٥٧٣	٢١٥٦٨	٢١٨٧٤	٤٣٤٤٢	٢١٧٠١٥
١١ ـ لواء الديوانية	٦٠٠٨٨	٦٢٣٨٦	١٢٢٤٧٤	١٨٦٣٧٩	١٩٨٦٩٥	٣٨٥٠٧٤	٥٠٧٥٤٨
١٢ ـ لواء العمارة	٤٢٠٢٧	٤١٢٩١	٨٣٣١٨	١٢٠١٦١	١٢٦١٦٨	٢٤٦٣٢٩	٣٢٩٦٤٧
١٣ ـ لواء المنتفك	٤١٤٠٦	٤٣٥١٧	٨٤٩٢٣	١٦٩٢٤٨	٢٠١٤٧٣	٣٧٠٧٢١	٤٥٥٦٤٤
١٤ ـ لواء البصرة	١١٩٧٦٤	١١٥٤٤٥	٢٣٥٢٠٩	١٣٢٦١٨	١٣٥٠٥٧	٢٦٧٦٧٥	٥٠٢٨٨٤
١٥ ـ البوادي	—	—	—	٣٧٠٥٩	٣١٥٠٣	٦٨٥٦٢	٦٨٥٦٢
١٦ ـ الجاليات العراقية في الخارج	—	—	—	٣٠٧٥٠	١١٧١٤	٤٢٤٦٤	٤٢٤٦٤
التسجيل المتاخر	—	—	—	١٢٤٦٣٢	٩٦٤٣٤	٢٢١٠٦٦	٢٢١٠٦٦
المجموع العام	١٢٤٦٠٦٠	١١٩١٥٧٨	٢٤٣٧٦٣٨	٢٠٤٨٠١٣	٢٠٥٢٤٥٨	٤١٠٠٤٧١	٦٥٢٨١٠٩

خاتمة الكتاب



﴿ المؤلف ﴾

اصل هذا الكتاب ﴿ العراق قديماً وحديثاً ﴾ رحلة رحلها المصنف في نواحي العراق المختلفة سنة ١٩٢٣م دوّن خلالها وصفاً لما كانت عليه البلدان والقصبات والقرى من وضع عمراني مزر، وحالة صحية مشينة،هذا الى الفقر المدقع والجهل المطبق اللذين كانا يسودان البلاد يومئذ ، وقدنشر هذا الوصف في كتاب بعنوان «رحلة في العراق اوخاطرات الحسني » وطبعه ثلاث طبعات . ثم كانت له بحوث بلدانية مسهبة نشرها في مجلة «لغة العرب» وجمعت في كتاب آخر أسمه « موجز تاريخ البلدان العراقية » وطبع مرتين .

ولما قضت السياسة البريطانية في العراق ان يعتقل المصنف بعد حوادث الشهرين نيسان وايار ١٩٤١م؛ ويقضي في الاعتقال اربع سنوات ؛ اهتبل فرصة اعتقاله هذا فهذب بحوثه البلدانية وشذّبها ، ووسع فيها واضاف اليها فصولا جديدة عن «موجز تاريخ العراق» وعن سكانه وجباله ومعادنه وآثاره وريّه. مستعيناً بالاساتذة الذين ضمهم هذا المعتقل ، وبالمراجع التي لم يتسنّ له مطالعتها بصورة دقيقة الا في هذا الظرف بالذات ، وقد وسم كتابه الجديد بـ « العراق قديماً وحديثاً » وها هي ذي طبعته الثالثة .

لقد اعتادت « وزارة المعارف العراقية » ان تعضد المؤلفين والناشرين فتقدم اليهم المنح المالية، وتشتري من مؤلفاتهم اعداداً كبيرة لمكتباتها ومؤسساتها ، غير ان صاحب هذا الكتاب ما كاد يقدم كتابه الى الوزارة المشار اليها في عهد وزيرها خليل كنه حتى تلقى هذا الجواب:

الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني ــ ديوان مجلس الوزراء

نعيد اليكم كتابكم الموسوم (العراق قديماً وحديثاً) لعدم الافادة منه في مؤسساتنا الثقافية

الرقم ١٥٤٦٩ التاريخ ١٤/٤/١٩٥٧

وكان الوزير المذكور قد أقرّ شراء اعداد كبيرة من كتب مختلفة مثل كتاب (حامي العرين : نوري السعيد) وكتاب (الشهيد: مجيد كنّه) وكتاب (شخصيات عراقية) وكتاب (معجزة نوري السعيد) وكتاب (تحت رماد السلام) وكتاب (عقائل قريش) وغيرها اما كتابنا هذا الذي أصبح من آهم المراجع للبحوث العراقية فقد رفضه الوزير كنه لا لسبب ما غير ان المؤلف لم يعرف مصانعة الحكام في حياته .

فهرس الامكنة والبقاع والانهر والجبال

(حرف البـاء)

(حرف التاء)

(حرف الخـاء)

(حرف الـذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

فهرس الاشخاص والاقوام

(حرف الالف)

(حرف الخاء)

(حرف الزاي)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف اليـاء)

جدول الخطأ والصواب

على الرغم من ان هذا الكتاب يطبع للمرة الثالثة فما تزال فيه اخطاء مطبعية شائنة يحسن بالقارىء اللبيب ان يصححها قبل تلاوة الكتاب ليستقيم المعنى وفيما يلي جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٢٧	قصفدوا	اصحقوا
٩	٥	١٤٠	٤٠٠عند الامتلاء
١٣	١٧	سشتر	ششتر
٢٧	١٣	فاخضمها	فاخضعهما
٤٢	٢٦	حكيمة	حكمية
٤٣	٤	لما يبلغه	لما لم يبلغه
٤٧	٧	اصلاحه»	لصلاحه ،
٦٣	١٠	لفظة	لفظ
٦٣	٢٧	*Ey A.*	*By A.*
٦٤	٢١	هاتين	هذين
٧٣	٥	حلون	حلوان
٧٥	٤	الماما	المامة
٧٥	١٢	المماليك	الممالك
٧٥	١١	الكهنة	للكهنة
٧٦	٢٩	البريطانية	البريطانية في آب ١٩٦١
٧٨	١٢	الموضع	في الموضع
٨١	١٥	٥٣٨ مق.م	٥٣٨ ق.م
٨٥	٢	والمدينة	المدنية
٨٥	١٧	اورنمو	اورغو
٩٢	١٠	٨٣٤٥٩	٨٣٣٥٩
٩٢	١٤	السنديناوية	السديناوية
٩٤	٧	ميركه،سور	ميركهسور
٩٤	١٢	٨٠٥١	٨٠٥٦
٩٥	٢٣	البوعامر	من البوعامر
٩٥	٢٤	تسعين	مائتي
٩٨	١٥	در التيجان	درر التيجان
١٠٢	٦	اهل الخير	اهل الحيرة
١٠٤	٢٠	الى جسر	الى ماوراء جسر
١٠٩	١٨	المدنية	المدينة
١١١	٢٦	جدا	حدا
١١١	٢٦	فنطيه	فتطيمه
١١٢	٢٨	الامير	الاخير
١١٤	٧	٧٨٠ مترا	٦٨٠ مترا
١١٧	٢١	بدقتهما	بدقهما
١١٩	١٧	اثر آثار	اثر آثارا
١٢٠	١٥	الشريمة	الشريفة
١٢١	١٣	وقد ولد	وكان قد ولد
١٢٩	١٧	٥٢٧٢	٥٢٧٣
١٣٣	٦	برد	بارد
١٣٦	٧	وفرشها	وفرشت
١٣٨	١٥	وتنتهي	وينتهي
١٤٩	٢٨	ابن خلكان	لابن خلكان
١٥٤	٩	٥١٦٠٠	٥١١٦٠
١٥٥	٥	الابتدائية	والابتدائية
١٥٥	٢٢	الداخلية	داخلية
١٥٨	١٢	يقال	يقال لها
١٦١	٣	منها	منهما
١٦١	١٨	كشداد	كشداده
١٦٢	١٥	لمديرية	لمدير
١٦٤	٤	ثلاث	ثلاثة
١٦٨	١٥	المالية	والمالية
١٧٣	٢٠	احتفزها	احتقرها
١٧٥	٢٣	من نفوس	في نفوس
١٧٨	٢٨	الزائدة	الزائلة
١٨٧	١٦	للعمال	العمال
١٨٨	١٣	ضريبتي	وضريبتي
١٩٠	١٩	النزهة	والنزهة
٢٠٤	٥	تندو	تبدو
٢٠٥	٨	١٣٠	١٢٠
٢٠٩	٤	فرسي	قرشي
٢١١	٣	الآني	الآتي
٢١٦	١٤	الذي	الذين
٢٢٠	١	فتحت	وفتحت
٢٢٢	١٨	تضطرب	تضطرم
٢٢٢	١٨	النفطاء	النفاطة
٢٢٦	١٩	اضجلر	آغجه لر
٢٢٩	٥	فزادها	فزادتها
٢٦٨	١٤	١٤٠ كيلومترا	٤٠٠ كيلومترا

مضامين الكتاب





